



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

مَوْصُوفِي النَّسَبِ وَالْأَعْرَابِ

بِإِسْنَادِ أَبِي حَسْبِ

مُؤَلَّفٌ

بِسُوءِ الرَّسُولِ وَرَسُولِهِ

بِإِسْنَادِ الْأَعْرَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعة الرسول صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام

كاتب:

السيد عبد الله الموسوي البحراني المحرقي

نشرت في الطباعة:

موسسة المعارف الإسلامية

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
8	موسوعة الرسول صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام
8	هوية الكتاب
9	اشارة
13	المقدمة
19	القسم الأول
19	اشارة
21	الجلسة الأولى : مولد النور
21	في ذكرى مولد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)
49	الجلسة الثانية : مولد الهدى
49	اشارة
52	مولد النور
53	النسب الشريف
54	أيام المهد والطفولة
80	الجلسة الثالثة : مولد الرحمة
105	القسم الثاني
105	اشارة
107	الجلسة الرابعة : في ذكرى مبعث الهدى
107	اشارة
123	حجر على كل نبي وولي
134	الجلسة الخامسة : في ذكرى مبعث النور
166	الجلسة السادسة : في ذكرى مبعث الرحمة
191	القسم الثالث

191	اشارة
193	الجلسة السابعة: في ذكرى
193	معراج النور إلى السماء
217	الجلسة الثامنة : في ذكرى الإسراء ومعراج الهدى إلى السماء
217	اشارة
230	طار البراق به
238	الجلسة التاسعة : في ذكرى معراج الرحمة
266	الجلسة العاشرة : في النبوة العامة ونبوة نبينا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
325	الجلسة الحادية عشر : في بيان طريقة الارسال والدليل عليه
351	الجلسة الثانية عشر : في فضل النبي والأنمة (عليهم السلام) على الملائكة
380	القسم الرابع
380	اشارة
382	الجلسة الثالثة عشر : في تنزيه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله عمّا لا يليق به
410	الجلسة الرابعة عشر
446	الجلسة الخامسة عشر
497	الجلسة السادسة عشر
547	الجلسة السابعة عشر
547	اشارة
577	الهجرة المباركة والوداع
577	مبيت علي (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
578	حديث دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغار
580	دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مدينة يثرب
620	الجلسة الثامنة عشر
659	الجلسة التاسعة عشر
696	الجلسة العشرون

719	الجلسة الحادية والعشرون
771	الجلسة الثانية والعشرون
819	الجلسة الثالثة والعشرون
860	الجلسة الرابعة والعشرون
870	أهم مصادر الكتاب
875	المحتويات
878	تعريف مركز

موسوعة الرسول صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام

هوية الكتاب

بطاقة تعريف: الموسوي المحرقي البحراني، السيد هاشم

عنوان المؤلف واسمه: موسوعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة. كتاب يتكفّل - بجلساته المنبرية الحسينية بيان سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليه السلام) / تأليف السيّد عبدالله السيّد حسن السيد هاشم الموسوي المحرقي البحراني.

تفاصيل النشر: قم: مؤسّسة المعارف الاسلامية، 1423ق. = 1381.

مواصفات المظهر: ج 14

فروست: (مؤسّسة المعارف الاسلامية 132)

شابك: 964-7777-00-00 (دوره)؛ 964-7777-01-00 (ج.1)

حالة الاستماع: القائمة السابقة

ملحوظة: عنوان روى جلد: موسوعة الرسول و العترة عليهم السلام.

محتويات: ج. 1. حياه النبي صلى الله و عليه و آله

العنوان على الغلاف: موسوعة الرسول والعترة عليهم السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- السيرة الذاتية

معرف المضافة: مؤسّسة المعارف الاسلامية

تصنيف الكونجرس: BP36/م 85 م 8

تصنيف ديوي: 297/95

رقم الببليوغرافيا الوطنية: م 81-2307

الجزء الأول

حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

مؤسّسة المعارف الاسلامية

ص: 1

اشارة

موسوعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة (عليهم السلام) كتاب يتكفل - بجلساته المنبرية الحسينية - بيان سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) قم : مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1423 ق . = 1381 720 ص

964 - 7777 - 00 - 0 - ISBN (دوره): 01-9 - 7777 - 964 (ج1)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما .

مندرجات : ج. 1 . تاریخ حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الولادة حتى الوفاة . 1 . چهارده معصوم - - سرگذشتنامه . الف .
بنیاد معارف اسلامی . ب . عنوان .

297/95 8م85م/BP 36

کتابخانه ملی ایران م 2307-81

إسم الكتاب : ... موسوعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة ج 1 .

تألیف : ... السيد عبد الله السيد حسن السيد هاشم الموسوي البحراني .

نشر : ... مؤسسة المعارف الإسلامية .

الطبعة : ... الأولى 1423هـ - . ق .

المطبعة : ... عترة .

العدد : ... 1000 نسخة جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

المؤسسة المعارف الإسلامية

ایران - قم المقدسة

ص . ب 37185/768 تلفون 7732009

E - mail : m_islamic@aYna.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص: 3

الحمد لله ذي الملك المتأبد بالخلود، والسلطان الممتنع بغير جنود، الذي عزّ سلطانه عزاً لا حدّ له بأولية، ولا منتهى له بأخرية، حمداً يدلُّنا به على معرفة الحقيقة المحمدية، ويهدينا بواسطته الى طرق الخير المرضية، حمداً لا منتهى لحدّه، ولا حساب لعدده ولا مبلغ لغايته، ولا انقطاع لأمدّه، حمداً يكون وصلة إلى طاعته وعفوه وسبباً إلى رضوانه، وذريعة الى مغفرته، وطريقاً إلى جنته، وخيراً من نعمته، وأمناً من غضبه، وظهيراً على طاعته، وحاجزاً عن معصيته، وعوناً على تأدية حقه ووظائفه، حمداً تُسعد به في السعداء من أوليائه، ونصير به في نظم الشهداء بسيف أعدائه .

وأصلي وأسلم على رحمته الواسعة، ونعمته النافعة، وحجته الجامعة، الذي بعثه الله تعالى بالحق والهدى ليخرج به عباده من الظلمات إلى النور السيد الكريم والرسول العظيم محمد بن عبدالله، وعلى أهل بيته الآيات الساطعة، والحجج الباهرة، دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، الذين أرجعوا الحق إلى نصابه وأزاحوا الباطل عن مقامه، فلك الله الجارية في لججه الغامرة، لاسيما معدن العلوم النبوية والبقية الباقية من الصفوة المرضية والسلالة المحمدية والشجرة العلوية، حجة الله على عباده، ومناره في بلاده الذي انتهت إليه موارث الأنبياء، ولديه موجود آثار الأصفياء، الخازن كل علم، والفاثق كل رتق، ومحق كل حق، ومبطل كل باطل، الامام الهادي والولي المرشد الذي بولايته تقبل الأعمال، وتزكى الأفعال، وتضاعف الحسنات، وتمحى السيئات وتفرج الكربات وتزول الهموم والبلبات مولانا الاعظم صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن عجل الله تعالى

وبعد:

فقد التمس مني صديقنا العزيز جناب العالم الفاضل والخطيب الجليل خادم مذهب آل محمد عليهم الصلاة والسلام الحاج الملا عبدالحسين بن راشد العرادي قدس الله نفسه الزكية ، أن أصنف كتاباً جامعاً لما يحتاج إليه الخطيب بحيث يكون منهاجاً مرشداً كافياً مغنياً له عن مراجعة الكثير من المصادر التي يحتاج الخطباء إلى مراجعتها عادة في مثل شهري محرم وصفر ، ومثل أيام مواليد الأئمة(عليهم السلام) ووفياتهم والمناسبات الاسلامية الاخرى شريطة أن يكون الكتاب المطلوب مشتملاً أيضاً على بعض التوجيهات الارشادية والنصائح الأخلاقية لأبنائنا الشباب المسلم فأجبت ملتتمسه شريطة المهلة حيث كنت في حينها مشغولاً بتأليف كتابي (فضل العلم والعالم)بالإضافة إلى أعمالى الأخرى ، والكتاب المطلوب يحتاج إلى مقدار كبير من الوقت بحيث يسعني مراجعة تلك المصادر التي تتضمن الموضوعات المطلوبة في مثل تلك الأيام المذكورة، وعلى أي حال فإنه في حينها لم يتسن لي إنجاز الكتاب المطلوب، ومضت مدة طويلة من الوقت التحق في خلالها صديقنا المذكور رضوان الله تعالى عليه بالرفيق الأعلى ولم يمكنني إنجاز ذلك ، ولكني وبما أنني قد أجبت ملتتمسه بقيت أتحرى الوقت المناسب لإنجاز ذلك الطلب، خصوصاً وان تأليف مثل الكتاب المذكور المشتمل على فضائل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وأهل بيته الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وبما يشتمل عليه أيضاً من تاريخ حياتهم وذكر ما جرى وحلّ بساحاتهم المباركة من الوقائع والحوادث المؤلمة التي تمزق القلوب وتفتت الأكباد هو الغاية المنشودة بالنسبة لي فلعلني أن أكون قد أدت بعض ما يجب عليّ من حقوقهم لكي أنال بذلك رضاهم الذي هو رضا الله تعالى، وأنتني وإن كنت قليل البضاعة إلا إنني واثق من أنهم(عليه السلام) لهم المقام المحمود عند الله تعالى الذي بواسطته لا يتركني من التسديد والتأييد .

ولهذا شمرت السواعد عندما حانت الفرصة المناسبة للاشتغال بالكتاب

المطلوب فشرعت في تأليفه مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه وطالباً منه العون والتوفيق والسداد انه ولي ذلك والقادر عليه ، وسمّيته «موسوعة الرسول وأهل بيته وجعلته في عدة أجزاء ليكون جامعاً ومستوعباً لحياة المعصومين الأربعة عشر بكاملها، بالإضافة إلى إدخال المصائب والفواح الحسينية في جميع أجزائه، وبما أنه قد تم إنجاز وتهذيب الجزء الأول منه وذلك بعون الله تعالى وتسديده لي وكرامة منه تعالى شأنه لآل البيت النبوي الطاهر عليهم الصلاة والسلام حيث جاء التسديد منه تعالى بواسطة كرامتهم عليه ومقامهم المحمود عنده، فوفقني لذلك وقد سارعت بعد إنجازه في طبعه وتقديمه للأخوة الخطباء الأفاضل ، وهو كما يرونه كتاباً فريداً من نوعه في اسلوب الخطابة الحسينية، قد لخصته في أربعة أقسام كل قسم يشتمل على عدة جلسات تتعلق بجانب من جوانب حياة الرسول(عليه السلام)المباركة المشرقة بالأنوار المحمدية، والمكارم الهاشمية، ففي القسم الأول منه تحدثنا للاخوة الأفاضل والقراء الكرام من خلال ثلاث جلسات عن حدث ولادته المباركة وعطرها مقدماً ومؤخراً ببعض مدائحه وختمناها بمراثيه المؤلمة.

كما جعلنا فاتحة كلاً من الجلسات المذكورة آية كريمة من آيات الذكر الحكيم وأشرنا إلى موجز من تفسيرها وأضفنا إليها بعض الأحاديث الشريفة المتضمنة للحوادث الواقعة والآيات والمعاجز الباهرة التي ظهرت يوم ولادته المباركة(صلى الله عليه وآله وسلم)، وختمنا الجلسات الثلاث بالتوجيه والارشاد والنصائح لأبناء الأمة الاسلامية.

وفي القسم الثاني من هذا الجزء المبارك تعرّضنا لذكر مبعثه الشريف وحصرناه أيضاً في ثلاث جلسات مفيدة جعلنا فاتحة كل جلسة منها آية كريمة أيضاً، وأشرنا الى موجز من تفسيرها ، وأضفنا أيضاً إليها بعض الأحاديث الشريفة الواردة في ذكرى المبعث الشريف، وختمناها بالتوجيه والارشاد وذكر المصيبة . وتعرّضنا في القسم الثالث منه إلى ذكرى معراج(صلى الله عليه وآله وسلم) المبارك وحصرنا القسم المذكور في ستة جلسات موسعات تحدثنا من خلالها عن موضوع المعراج بصورة

تفصيلية وذلك من خلال عرض بعض الآيات الكريمة المتضمنة لحدث معراج المبرك (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أزلنا بعض الاشكالات الوهمية الفاسدة الواردة من بعض جهلة الناس على مسألة المعراج، وعطّرنا الجلسات المذكورة بمقدمتها ومؤخرتها بمدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وختمناها بمصيبته المؤلمة .

أما القسم الرابع وهو الأخير من أقسام هذا الجزء فقد حاز على عدد اثني عشر جلسة تعرّضنا من خلالها إلى عدة مواضيع مهمة لها علاقة وثيقة بجوانب حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة كونها مفاهيم إسلامية تبيّن لنا وصف النبي وكيفية إرساله من الله تعالى .

ففي بعضها تعرّضنا إلى النبوة العامة والخاصة، وكيفية الأرسال والدليل عليه وكذلك بينا ما أظهره الله تعالى من المعاجز الباهرة على يد نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الدالة على انه نبي مرسل من الله تعالى لهداية البشر وختمناها بذكر مصيبته (صلى الله عليه وآله وسلم).

وتعرّضنا في بقية الجلسات الأخرى بصورة تفصيلية موسعة إلى المواضيع التالية :

أولاً : عصمة الرسل .

ثانياً : تنزيه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثالثاً : أخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

رابعاً : صفات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

خامساً : نعوت الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

سادساً : عدد زوجاته وأولاده (صلى الله عليه وآله وسلم) .

سابعاً : دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قريشاً إلى الاسلام .

ثامناً : غزواته المباركة .

تاسعاً : كيفية بيعة الأنصار للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصرته .

عاشراً : وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيته .

هذه على الاجمال مواضيع الجزء الأول من الموسوعة ، ويظهر من التقسيم

المذكور لقارئنا الكريم أن أقسام هذا الجزء قد احتوت على أربعة وعشرين جلسة من خلالها عما أردنا بيانه من بعض جوانب حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المباركة.

أما بالنسبة إلى عدد جلسات بقية أجزاء الموسوعة الأخرى فإنها سوف تحدد بموجب التقسيم الذي نلخص به كل جزء من أجزائها وفقنا الله تعالى إلى إتمامها وإخراجها إلى حيز الوجود كما وتجدر الإشارة إلى أنني قد توسعت في بعض مواضيع هذا الجزء بحيث خرجت عن جادة الاختصار المتعارف عليها عند المؤلفين من الخطباء في تأليف الكتب المعدة لخطابة المنبر الحسيني فإنهم عادة يراعون جانب الاختصار في عرض الموضوع وذلك لكي يتسنى للمبتدئين منهم حفظ الموضوع بسهولة ويسر ولكنني رأيت أنّ من الأحسن عرضها بصورة تفصيلية موسعة ليتبصرها ويفهمها الشباب المسلم عند ما يقوم الخطباء بعرضها على المستمعين من خلال خطاباتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنبيه الخطباء وإيقاظهم بضرورة التوسع في مواضيع خطاباتهم خصوصاً في مثل المواضيع والمطالب العقائدية فإنه ينبغي التوسع فيها وجعلها من أوليات المواضيع والمطالب التي يروم الخطيب التحدث عنها لمستمعيه وذلك لأهميتها فينبغي أن تكون موضع عناية الخطباء واهتمامهم، بل ومنهاج منبرهم وذلك ليتسنى لهم أن يرسخوا العقيدة الإسلامية في قلوب أبناء الأمة.

أما موضوع الاطالة والاختصار فيرجع إلى الخطيب نفسه، فالخطيب القادر على التصرف في الموضوع يمكنه أن يتصرف فيه بحسب معرفته وقدرته على التصرف، وذلك بأن يختصر الموضوع ويجعله متناسباً ضيق الوقت وسعته، وله أن يسلك أحد مسلكين: إما أن يختار من الموضوع ما يجده مناسباً للمقام بحيث يستوعب حديثه وقتاً أكثر من الوقت المحدد للجلسة المطلوبة ويحذف الباقي الذي يستلزم منه ضيق الوقت، كما له أن يصنيف شيئاً إذا كان يرى ان ذلك الشيء يستلزم الاضافة.

وإما أن يقوم بتلخيص الموضوع بأسلوبه الخاص مع الاختصار هذا بالنسبة

للخطيب القادر على الحذف والاضافة، أما بالنسبة إلى الخطيب الذي لم يصل الى تلك الرتبة والقدرة على صياغة الموضوع بأسلوبه الخاص كما قلنا ، فإنه يمكن التحدث لمستمعيه بما أدرك فهمه من مواضيع هذا الكتاب مع مراعاة الاختصار ويختمها بالمدح أو المصيبة بحسب المقام .

و مجمل القول ان هذا الجزء من الموسوعة المذكورة يكون صالح بحسب أسلوبنا الخاص لأن يكون مورد تحدث الخطيب لمستمعيه في أربعة وعشرين جلسة خاصة بالرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث تحدثنا حيث تحدثنا من خلالها للمستمعين عن سيرته المباركة، وعطرناها بمدائحه، وختمناها بمراثيه ومراثي سبطه الشهيد أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما أفضل الصلاة والسلام، وكذلك أشرنا في أكثرها إلى حوادث أيام عاشوراء وما قبله وما بعده لكي تكون صالحة أيضاً للخطيب بأن يجعلها منهاجاً له في سيرة عاشوراء الحزينة ، والله أسأل التوفيق لإنجاز بقية أجزاء الكتاب ، وأن ينور قلوبنا جميعاً وبالخصوص الخطباء العاملين المجاهدين أنصار سيد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسلام بالعلم والمعرفة والورع والتقوى، ليؤدوا دورهم الرسالي على أحسن حال، وأن يجعلنا وإياهم ممن تناله شفاعة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يا رسول الله يا محمد بن عبد الله إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله وقدمناك بين يدي حاجاتنا يا جيهماً عند الله اشفع لنا عند الله بحقك على الله ، يا أبا القاسم ، والسلام عليك والصلاة على روحك الطيبة وجسدك الطاهر ورحمة الله وتحياته وبركاته .

حرره الأقلّ الفاني السيد عبدالله السيد حسن السيد هاشم الموسوي البحراني 15 / محرم الحرام سنة 1422 هـ . ق

هذا هو القسم الأول من الجزء الأول من كتابنا «موسوعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليه السلام)» ، وهو يشمل على ثلاث جلسات مهمة تتعلّق بولادة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد ختمنا الجلسات المذكورة بموجز يسير من مصيبتة (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومصيبة ابنته الصديقة فاطمة الزهراء

(عليها السلام) ، ومصيبة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

في ذكرى مولد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

أرى الكون أضحى نوره يتوقد*** لأمر به نيران فارس تخمد

وإيوان كسرى انشق أعلاه مؤذناً*** بأن بناء الدين عاد يُشيدُ

أرى أن أمّ الشرك أضحت عقيمة*** فهل حان من خير النبيين مولد

نعم كاد يستولي الضلال على الورى*** فأقبل يهدي العالمين محمد

نبيّ براه الله نوراً بعرشه*** وما كان شيء في الخليقة يوجد

وأودعه من بعد في صلب آدم*** ليسترشد الضلال فيه ويهتدوا

ولو لم يكن في صلب آدم مُودعاً*** لما قال قدماً للملائكة اسجدوا

له الصدر بين الأنبياء وقبلهم*** على رأسه تاج النبوة يعقد

لئن سبقوه بالمجىء فإتما*** أتوا لبيتوا أمره ويمهدوا

رسول له قد سخر الكون ربّه*** وأيده فهو الرسول المؤيد

ووحده بالعزّ بين عبادّه*** ليجروا على منهاجه ويؤحدوا

وقارن ما بين اسمه واسم أحمد*** فجاحده - لا شك - لله يجحد

ومن كان بالتوحيد الله شاهداً*** فذاك لطفه بالرسالة يشهد

ولولاه ما قلنا ولا قال قائل*** لمالك يوم الدين إياك نعبدُ

ولا أصبحت أوثانهم وهي التي *** لها سجدوا تهوى خشوعاً وتسجد
لآمنة البشرية مدى الدهر إذ غدت *** وفي حجرها خير النبيين يولد
به بشر الإنجيل والصُّحُفُ قبله *** وإن حاول الإخفاء للحق ملحد
«بسينا» دعا موسى و «ساعير» مبعث *** لعيسى ومن «فاران» جاء محمد
فسل سِفْرَ سعيها ما هتأفهم الذي *** به أمروا أن يهتفوا ويمجدوا
ومن وعدَ الرحمن موسى ببعثه *** وهيهات للرحمن يُخَلِّفُ موعد
وسلَّ من عنى عيسى المسيح بقوله *** سأنزله نحو الورى حين أصدع
لعمرك إن الحق أبيض ناصع *** ولكمّا حظَّ المعاند أسود
أيخلد نحو الأرض متبع الهوى *** وعما قليل في جهنم يخلد
ولولا الهوى المغوي لما مال عاقل *** عن الحق يوماً كيف والعقل مرشد
ولا كان أصناف النصارى تنصروا *** حديثاً ولا كان اليهود تهوّدوا
أبا القاسم اصدع بالرسالة منذراً *** فسيفك عن هام العدى ليس يغمد
ولا تخش من كيد الأعدى وبأسهم *** فإن علياً بالحسام مقلد
وهل يخشي كيد المضلين من له *** أبو طالب حام وحيدر مسع
على يد الهادي يصول بها وكم *** لوالده الزاكي على أحمد يدُ
وهاجر أبا الزهراء عن أرض مكة *** وخل علياً في فراشك يرقد
عليك سلام الله يا خير مرسل *** إليه حديث العز والمجد يسند
حباك إله العرش منه بمعجز *** تسيد الليالي وهو باق مؤبد
دعوت قريشاً أن يجيئوا بمثله *** فما نطقوا والصمت بالعي يشهد
وكم قد وعاه منهم ذو بلاغة *** فأصبح مبهوراً يقوم ويقعدُ
وجنت إلى أهل الحجى بشريعة *** صفا لهم من مائها العذب مورد

شريعة حق إن تقادم عهدها***فما زال فينا حُسْنُها يتجدد

عليك سلام الله ما قام عابدا***بجنح الدّجى يدعو وما دام معبد

ص: 14

عج على البطحاء إن جئت الحجازا *** واثت فيها من على العيوق جازا

أرح البدن وأنشده ارتجازاً *** سيد البطحاء سدت العربا

يا بن عبدالله في عليائها

قد كسى أم القرى ثوب البها *** وعلت فيه على هام السهى

وبه العالم طراً قد زها *** ومحياه أزال الغيها

عن سما الآفاق مع أرجائها

شرف الأكوان في ميلاده *** واهتدى الهادون في ارشاده

فكساها من سنا أبراده *** حلاً ترفل فيها حقبا

حلل العصمة من أسوائها

هو شمس والنيون بدور *** وضياء البدر للشمس ظهور

فهو نور الله مبدا كل نور *** فتعالى شأنه أن ينسبا

هل تقاس الشمس مع أضوائها

صاغه الجبار من أطفاه *** وكساه من سنا أوصافه

حلل الهيبة من اتحافه *** ولقد كان حبيباً مجتبي

قبل خلق الأرض مع جربائها

خير من في ساحة الكون قطن *** عجزت عن درك معناه الفطن

حيث كان الكنز في كنت بطن *** ولخلق الخلق كان السببا

وهو العلة في إبقائها

هو قلب الكون والخلق القوى *** بل هو الروح لما الكون حوى

ملك عدل على العرش استوى *** قادر في امره لن يغلبا

وله تلجأ في بأسائها

ملك بالفضل ساد العالمما*** طوع يمناه المقادير وما

كان في الأرض وما فوق السما*** فطرة من أبحر لن تحسبا

من أياديه لدى إحصائها

ص: 15

وهو العالم بالأشياء عن *** علم كشف لا بأخبار وظن

كشف الأستار عنه ذو المنن *** فأراه ظاهراً ما حجباً

وتجلى السر من أنبائها

بالعبودية لله ظهر *** وبكنه الفقر لله افتخر

فهو العبد الحقيقي وذو *** فاصطفاه وإليه قرباً

وحباه الذات مع أسمائها

لم يشاركه بذات وصفه *** أحد إلا فتى ما عرفه

غيره والله من قد شرفه *** و حباه من لدنه رتباً

والبتول الطهر مع أنبائها

سادة أكرم من أن توصفا *** إذ تعالى فضلهم أن يعرفا

كنهه حتى على الرسل اختفى *** فاغتنى كل إليه مشرباً

بوئها كالذات مع أفيائها

قال الله تعالى شأنه في كتابه المجيد : (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (1).

جاء في تفسير نور الثقلين (2) قال : حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال : حدثنا الحسين بن أيوب، عن محمد بن غالب ، عن علي بن الحسين بن أيوب، عن الحسين بن سليمان، عن محمد بن مروان، الذهلي عن الفضيل بن يسار قال : قلت

ص: 16

1- سورة النور : 35

2- 602/3

لأبي عبد الله (عليه السلام): «الله نور السموات والأرض» قال: كذلك الله عز وجل.

قال: قلت: «مثل نوره».

قال: محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قلت: «كمشكوة».

قال: صدر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قلت: «فيها مصباح».

قال: فيه نور العلم يعنى النبوة.

قلت: «المصباح في زجاجة».

قال: علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى قلب على (عليه السلام).

قلت: «كأنها كوكب دري» قال لأي شيء تقرأ كأنها؟

قلت: فكيف جعلت فداك؟

قال: «كأنه».

قلت: «توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية».

قال: ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليهودي ولا نصراني.

قلت: «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار».

قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمد من قبل أن ينطق به.

قلت: «نور على نور».

قال الامام في أثر الامام.

ومن هنا نعلم أن نور محم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو فرع نور الله المنور السماوات والأرض، وقد خلقه الله تعالى قبل خلقهما: إذ به أشرفت الأرض، وتزينت السماء. واخضرت الأرض في يوم مولده (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخصبت الوديان وجرت الأنهار ماءً عذباً زلالاً.

نعم، أشرقَت الأرض بنور ربها الذي تجلَى بمولد نبيه الكريم منقذ البشرية،

ص: 17

ومحرر الانسانية من الذل والهوان ، ومن الكبت والحرمان، إلى عالم رحيب فسيح،

عالم العدالة والسلام حيث الحياة السعيدة والمجد الخالد.

جاء في الحديث عن صادق آل محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن امام المتقين أمير المؤمنين عليه وعليهم أفضل التحية والصلاة والسلام أنه قال: إنَّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يخلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام، وقبل كل من قال الله عزَّ وجل في قوله: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) إلى قوله تعالى: (وهديناهم الى صراط مستقيم)، وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربعمائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق الله عزَّ وجل معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحجاب النبوة، وحجاب الرفعة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة. ثم حس نور محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان ربي الأعلى، وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان عالم السر، وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو دائم لا يلهو، وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان الرفيع الأعلى، وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف وهو يقول: سبحان من هو دائم لا يسهو وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو غني لا يفتقر، وفي حجاب المنزلة سبعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان العلي الكريم . (سبحان العليم الكريم)، وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة، وهو يقول: سبحان ذي العرش العظيم. (سبحان ربَّ العرش العظيم)، وفي حجاب النبوة أربعة آلاف سنة، وهو يقول: سبحان رب العزة عما يصفون، وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول سبحان ذي الملك والملكوت، وفي

ص: 18

حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول : سبحان الله وبحمده ، وفي حجاب الشفاعة ألف سنة ، وهو يقول : سبحان ربي العظيم وبحمده ، ثم أظهر اسمه على اللوح فكان على اللوح منوراً أربعة آلاف سنة، الى أن أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة، الى أن وضعه الله عزّ وجل في صلب آدم(عليه السلام) ثم نقله من صلب آدم(عليه السلام) إلى صلب نوح(عليه السلام)، ثم من صلب إلى صلب، (ثم جعل يخرج من صلب الى صلب) حتى أخرجه الله عزّ وجل من صلب عبدالله بن عبدالمطلب ، فأكرمه بست كرامات ألبسه قميص الرضا، وردّاه برداء الهيبة، وتوجه بتاج الهداية ، وألبسه سراويل المعرفة، وجعل تكتة تكة المحبة يشدّ بها سراويله، وجعل نعله نعل الخوف، وناوله عصا المنزلة، ثم قال : يا محمد اذهب الى الناس فقل لهم : قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء : قامته من الياقوت، وكمّاه من اللؤلؤ، ودخريصه من البلور الأصفر، وإبطاه من الزبرجد، وجريانه من المرجان الأحمر، وجيبه من نور الرب جل جلاله ، فقبل الله عزّ وجل توبة آدم(عليه السلام) بذلك القميص، وردّ خاتم سليمان(عليه السلام) به ، ورد يوسف (عليه السلام) الى يعقوب به ، ونجى يونس (عليه السلام) من بطن الحوت ، به، وكذلك سائر الأنبياء(عليهم السلام) أنجاهم من المحن به، ولم يكن ذلك القميص إلا قميص محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال الحكيم الفرطوسي رضوان الله تعالى عليه، وقدس الله نفسه الزكية، وطيب الله تربته الشريفة المرضية ، وحشره الله مع محمد وآله الأطهار : في بيان معنى هذا الحديث الشريف عن طريق الشعر ، قال ولنعم ما قال :

وتجلّى عن جابر خير نص *** قد رواه عن خاتم الأنبياء

قلت يوماً لأحمد أي شيء *** خلق الله ساعة الإبتداء

قال نوري ولم يكن قبل نوري *** أي خلق من سائر الأشياء

خلق الله أجمع الخير فيه *** واصطفاه للخلق خير اصطفاء

فتبدى في المشرقين مضيئاً *** كسراج في الليلة الظلماء

وتلقاه آدم فتجلّى ***مشرقاً في جبينه الوضاء

وتزكى في خير صلب لشيث *** بانتقال لأكرم الأصفياء

وتبتى أعف صلب وأزكى *** رحم أبي وأمي ضيائي

فتبلجت مشرقاً للبرايا *** في الحياة الدنيا بأسنى بهاء

وأنا المصطفى محمد والمبعوث *** منه وخاتم الأنبياء

وجاء في حديث: أنه لما كان ليلة الجمعة عشية عرفة وكان عبدالله قد خرج هو وأخوته وأبوه فبينما هم سائرون واذا بنهر عظيم فيه ماء زلال، ولم يكن قبل ذلك اليوم هناك ماء، فبقي عبد المطلب وأولاده متعجبين، فبينما عبدالله كذلك متعجباً متفكراً ولم يجد طريقاً وقد انقطع عليه الجادة، إذ نودي: يا عبدالله اشرب من هذا النهر فشرّب منه، وإذا هو أبرد من الثلج وأحلى من العسل، وأزكى من المسك، فنهض مسرعاً إلى منزله فرأته آمنة طائشاً، فقالت: ما بك صرف الله عنك الطوارق؟

فقال لها: قومي فتطهري وتطبيبي وتعطري واغتسلي فعسى الله أن يستودعك هذا النور، فقامت وفعلت ما أمرها، ثم جاءت إليه فغشيها تلك الليلة المباركة، فحملت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانتقل النور من وجه عبد الله في ساعته إلى آمنة بنت وهب، قالت آمنة (عليها السلام): لما دنا مني ومسني أضاء منه نور ساطع وضياء لامع، فأنارت منه السماء والأرض، فأدهشني ما رأيت، وكانت آمنة (عليها السلام) بعد ذلك يرى النور في وجهها كأنه المرأة المضيئة.

وحديث ثالث: رواه صاحب البحار في بحاره (1) قال: لما ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال أبو طالب لفاطمة بنت اسد: أي شيء خبرتك به آمنة (عليها السلام) أنها رأت حين ولدت هذا المولود؟

قالت: خبرتني أنها لما ولدته خرج معتمداً على يده اليمنى رافعاً رأسه إلى

ص: 20

السماء يصعد منه نور في الهواء حتى ملاً الافق ، فقال لها أبو طالب استري هذا ولا

تعلمي به أحداً ، أما إنك ستلدين مولوداً يكون وصيه.

وجاء في بعض الأحاديث : أنه لما ولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظرت أمه آمنة (عليها السلام) الى وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا هو مكتحل العينين، منقط الجبين والذقن، وأشرق من وجنتي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نور ساطع في ظلمة الليل، ومرّ في سقف البيت وشق السقف، ورأت آمنة (عليه السلام) من نور وجهه كل منظر حسن وقصر بالحرم، وسقط في تلك الليلة أربعة عشرة شرفة من إيوان كسرى واخمدت في تلك الليلة نيران، فارس وأبرق في تلك الليلة برق ساطع في كل بيت وغرفة في الدنيا ممن قد علم تعالى وسبق في علمه أنهم يؤمنون بالله ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بقاع الكفر بأمر الله تعالى، وما بقي في مشارق الأرض ومغاربها صنم ولا وثن إلا وخرّت على وجوهها ساقطة على جباهها خاشعة، وذلك كله إجلالاً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال الرواة : فعند ذلك أخذت الحوريات محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولفته في منديل رومي ووضعنه بين يدي آمنة ورجعن إلى الجنة يبشرن الملائكة في السماوات بمولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونزل جبرئيل وميكائيل (عليهم السلام)، ودخلا البيت على صورة الآدميين وهما شابان، ومع جبرئيل طشت من ذهب ومع ميكائيل إبريق من عقيق أحمر، فأخذ جبرئيل (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغسله وميكائيل يصب عليه الماء فغسله، وآمنة في زاوية البيت قاعدة فرعة مبهوتة . فقال لها جبرئيل : يا آمنة لا تغسله من النجاسة فإنه لم يكن نجساً ولكن نغسله من ظلمات بطنك، فلما فرغوا من غسله وكحلوا عينيه تقطوا جبينه بورقة كانت معهم من مسك وعنبر وكافور مسحوق ببعض فذروه فوق رأسه (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت آمنة سلام الله عليها وسمعت جلبة وكلاماً على الباب ، فذهب جبرئيل إلى الباب فنظر ورجع إلى البيت وقال : ملائكة سبع سماوات يريدون السلام على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاتسع البيت ودخلوا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) موكب بعد موكب وسلموا عليه ، وقالوا : السلام عليك يا محمد السلام عليك يا محمود السلام عليك

يا أحمد ، السلام عليك يا حامد.

قالوا : فلما مضى ملائكة الله في السلام عليه(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقف عبدالمطلب على باب بيت الله الحرام والنبى(صلى الله عليه وآله وسلم)على ساعده وأنشأ يقول:

الحمد لله الذي أعطاني***هذا الغلام طيب الأردان

قد ساد في المهدي على الغلمان***أعيذه بالبيت ذي الأركان

حتى أراه بالغ البنيان***أعيذه من شر ذي سنان

فلما مضى من الليل ثلثه أمر الله تعالى جبرئيل أن يحمل من الجنة أربعة أعلام فحمل جبرئيل الأعلام ونزل الى الدنيا ، ونصب علماً أخضر على جبل قاف مكتوب عليه بالبياض سطران: لا إله إلا الله محمد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ونصب علماً آخر على جبل أبي قبيس له ذؤابتان مكتوب على واحدة منهما : شهادة أن لا إله إلا الله ، وفي الثانية : لا دين إلا دين محمد بن عبد الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ونصب علماً آخر على سطح بيت الله الحرام له ذؤابتان مكتوب على واحدة منهما : طوبى لمن آمن بالله على الأخرى : الويل لمن كفر به وردّ عليه حرفاً مما يأتي به من عند ربه، ونصب علماً آخر على سطح بيت المقدس وهو أبيض عليه خطان مكتوبان بالسواد. الأول : لا غالب إلا الله ، والثاني: النصر لله ولمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذا الحديث الشريف في معاجز ولادة الرسول يعرفنا ما لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)من العظمة والرفعة والمقام المحمود عند الله تعالى، وكذلك ما يحزره دينه من النصر والغلبة على كافة الأديان : فمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم) نور، ودين محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)نور ليس بشرقى ولا غربى، قد أخرج الله به العرب من غياهب الجهل والضلالة إلى العلم والمعرفة والهداية من الشرك وعبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان، من خمول الذكر وغموض الشأن إلى النباهة والرجوع إلى الضمير والوجدان.

يقول المستشرق الانكليزي توماس كارليل عن حال العرب قبل أن يشرق نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)على هذه الأرض : عاش العرب دهوراً خاملي الذكر غامضي الشأن

أناساً ذوي مناقب وصفات كبيرة ينتظرون - من حيث لا يشعرون - اليوم الذي يشاد فيه بذكرهم ويطير في الآفاق صيتهم ، ويرتفع الى عنان السماء صوتهم ؛ بين هولاء

، العرب ولد الرجل «محمد»(صلى الله عليه وآله وسلم)عام 570 من الميلاد، ولوحظ عليه منذ فثائه أنه كان شاباً مفكراً ، وقد سماه رفقاًؤه الأمين - رجل الصدق والوفاء الصدوق في أفعاله وأقواله وأفكاره ، إلى أن قال : ولقد أخرج «الله» العرب بالاسلام من الظلمات إلى النور وأحيا به من العرب أمة هامة وأرضاً هامة، وهل كانت إلا فئة خاملة فقيرة تجوب الفلاة ، لا يسمع لها صوت ولا تمس منها حركة فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من عنده ورسالة من قبله ؛ فإذا الغموض قد استحال شهرة ، والخمول نباهة، والضعفة رفعة، والضعف قوة والشرارة حريقاً ؛ وسع نوره الأنحاء، وعمّ ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب ، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس واشرقت دولة الاسلام حقبةً عدة ودهوراً ممتدة بنور الفضل والنبيل والمروءة والنجدة وروثق الحق والهدى على نصف المعمورة، وكذلك الايمان العظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة، وما يزال للأمة رقي في درجات الفضل وتعريج إلى ذرى المجد مادام مذهبها اليقين ومنهاجها الايمان.

إلى أن قال : ولطالما قلت إن الرجل العظيم كالشهاب من السماء وسائر الناس في انتظاره.

ويقول توسطوي: لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة صادقة جليلة ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق .

نعم، هذا هو محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي رفع شأن المسلمين بشريعته السمحاء وأخلاقه النبيلة وشاء الله تعالى لهذا الاسلام الحنيف التحليق على أجواء المعمورة والخلود. ولنعم ما قيل في ذلك :

حلق فأنت الكوكب السيار*** واسطع فهديك بالسنا موار
وابعث أريجك في الوجود فأنت في*** حقل السعادة روضة معطار
واخلد بأعماق الحياة فلن يرى*** لسواك من نظم الضلال قرار
واصمد أمام الحادثات فإنها*** شبة أمام حقيقة تنهار
أفهل يعيش الليل في أفق به*** ينساب من زاوي هداك نهار
واصرخ فوعيك ثورة فكرية*** واقهر فصانع مجدك القهار
واحكم فنهجك عادل لا ينطوي*** في حكمه ضرر ولا إضرار
لا ترهبين قدراً فما هو نافذ*** (ما شئت لا ما شاءت الأقدار)
قد أبدعتك يد السماء وأين من*** صنع السماء ما يصنع الأشرار
موجت أبعاد الحياة فرق من*** إشراق مجدك سؤدد وفخار
وأنت آفاق الوجود لتزدهي*** بسنا هداك وتشرق الأفكار
فصنعت تاريخاً وشدت حضارة*** تزهو بوعي نظامها الأعصار
ورفعت شأن المسلمين بشرعة*** سمحاء تدرك عندها الأوطار
نعموا بروعتها ونالوا مجدها*** وبظلها نحو التقدم ساروا
صقلت ضمائرهم فأشرق منهم*** ووعي به دنيا الرشاد تثار
وجلت فوارقهم فرف عليهم*** علم التضامن وانطوى الاعسار
سيان في ظل الاخاء مهاجر*** فيما بيت السعد والأنصار
هم يؤثرون ولو تكون خصاصة*** فيهم فروح نظامهم إيثار
ويلازمون الصدق وهو فضيلة*** ويجانبون الكذب وهو شنار
ويحققون الوعد لا يزري بهم*** خلف إذا وعدوا ولا إنكار
ويوطدون العهد لا يسري له*** نكث وان عهدت به الكفار

ويؤثرون السلم إن جنحوا له *** حذراً ولم تضرهم لحرب نار

ويعززون العدل في دستوره *** ووعا وإن عزت به الأغيار

ص: 24

ويحالفون الحق لا يغيريهم*** بسوى الهدى فلس ولا دينار
هي تلك أحكام الكتاب وهل ترى*** لسواه تعزى هذه الآثار
سطعت بدنيا المسلمين وشع من*** إشراقها لذوي العقول منار
في حين كان الدين محور سيرهم*** وعليه أرحية الأمور تدار
إن ينههم تركوا وإن يأمرهم*** فعلوا ولم يقسرهم إجبار
ألفوه سر صلاحهم فتقيدوا*** بنظامه نظامه وهم بذا أحرار
واليوم تاهوا عن هداه يضلّهم*** جهل بيت ظلامه استعمار
وتنوعت سبل الضلال فنهج ذا*** يمنى الطريق ونهج ذاك يسار
زعموا التدين - وهو فجر تقدم - رجعية تشقى بها الأبرار
وهدها أفيون الشعوب يصدّها*** عن ثورة تسمو بها الثوار
كنّها دعوى الجهول يردّها*** وعى لأسرار الهدى نوار
الدين قانون السعادة قد سرى*** نحو التطور ركه السيارة
والدين نبراس العقول ينيرها*** بسنا الرشاد فتنجلي الأسرار
صنعتة أطفاف السماء وأين من*** صنع الهدى ما يخبط الأغرار

فجدير بنا ونحن نرفل في حلال الهناء والسعادة والسرور والبهجة في ظلال هذه الذكرى - ذكرى ولادة الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) - أن نتمسك بقانون سعادتنا ونبراس عقولنا وصاقل ضمائرنا ومحور سيرنا، دين الله القويم وصراطه المستقيم الاسلام الخالد .

جدير بنا أن نعبد الله تعالى حق، عبادته، وأن نكون ممثلين لأوامره متبعين طاعة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوليائه المنتجبين، نابذين وراء ظهورنا عبادة الطاغوت وعبادة الشهوات، وجدير بنا أن نكون متحابين في الله إخوة في دينه، نابذين وراء ظهورنا كل الأمور التي توسع رقعة الخلاف الشائن الذي يمزق صفوفنا ويهدم

مروءتنا ويبعثر أعمالنا، ويجعلها غير خالصة لوجه الله الكريم تعالى شأنه .

جدير بنا أن نعصم بحبل الله تعالى فنجعل بدل الخلاف الوئام والألفة ، وبدل البغضاء والشئان المحبة والصفاء، ناظرين بعين الاعتبار إلى ذلك النور الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك النور الهادي وتلك النعمة المتمثلة في قول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)

ولا شك أن النعمة في الآية المباركة هي نعمة الاسلام الذي أوجب علينا أن نكون ملتزمين بأوامره التي من جملتها الأمر بالمحبة والألفة ونبذ التفرقة.

فتراه يأمر المسلمين صارخاً فيهم أن يتحدوا، ويتكاتفوا صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً .

هذه اخوة المؤمنين في الدنيا . وهناك اخوة أبدية بعد الموت في عالم الخلود(أي في الآخرة)(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ). فمن لم يدخل في هذه الاخوة ، أخوة الدين والاسلام، فليس من الايمان في شيء، وان الايمان لم يتغلغل في أحشائه ؛ فعن أبي عبد الله(عليه السلام) أنه قال : المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً وجد ألم ذلك في سائر جسده، في سائر جسده، وأرواحهم واحدة، وان روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بالله من اتصال شعاع الشمس بها ؛ ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتألمون لبعضهم ويعملون ساهرين لدفع مكروه أخيهم وإسعافه وإزاحة الكربة عنه .

وجاء في حديث آخر عن أبي جعفر(عليه السلام) أنه قال :المؤمن أخو المؤمن ،عينه ودليله ، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشّه ولا يعده عدة فيخلفه .

ان للإيمان حيوية تربط نفوس المؤمنين بعضها ببعض وتجعلهم كنفس واحدة ، وان هذه الرابطة هي الرابطة الأخوية الاسلامية التي لا يضاهاها أي رابطة أخرى ، هي رابطة معنوية رفيعة أودعها الله العلماء من خلقه .

نسأل الله عزّ وجل أن يجعلنا جميعاً متأخين في سبيله ومرضاته لنصرة دينه وإحياء سنته ، وإصلاح ما فسد من ديننا ودياننا، ويعجل لنا بنصره حيث قال عز من قائل : (كان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

اللهم اجعلنا من جنك فإن جنك الغالبون، ومن حزبك فإن حزبك هم المفلحون، ومن أوليائك فإن أولياءك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ونسال الله تعالى بحق الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبحق الصلاة عليه أن يجعلنا ممن يهتدي بهديه ويستتير بنور طلعت الغراء المباركة، وأن يجعلنا ممن يرجو شفاعته لكل ما ينزل بنا من الأهوال.

قال شرف الدين أبو عبدالله محمد البوصيري في مدح الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولنعم ما قال :

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ *** والفريقين مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

نَبِيْنَا الْأَمْرِ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ *** أَبْرُ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ

هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرَجَى شَفَاعَتُهُ *** إِكْلَ هَوْلٍ مِنْ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ *** مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مَنْفَعَمِ

فَأَقَى النَّبِيِّنَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ *** وَلَمْ يُدَاوَهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمَسٍ *** غَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ

وَوَأَقْفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ *** مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ

ادع ما ادعته النصارى في نبيهم *** واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ *** وانسب إلى قدره ما شئت من عظيم

فإن فضل رسول الله ليس له *** حدٌ فيعرب عنه ناطقٌ بقم

لو ناسبت قدره آياته عظماً *** أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

لم يمتحن بما تعيا العقول به *** حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

أعياء الورى فهم معناه فليس يرى *** للقرب والبعد غير منفتح

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْدِ *** صَغِيرَةً وَتَكُلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ *** قَوْمٌ نِيَامُ تَسْلُوا عَنْهُ بِالْحُلْمِ

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ *** وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

وَكَأَنَّ أَيُّ الرُّسُلِ الْكِرَامِ بِهَا *** فَإِنَّمَا اتَّصَلْتُ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ

فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٌ هُمْ كَوَاكِبُهَا *** يُظْهِرُ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ رَأَى خُلُقَهُ *** بِالْحُسْنِ مُشْتَمَلٌ بِالْبَشَرِ مُتَّسِمٌ

كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ *** وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هَمَمٍ

كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ *** فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَسَمٍ

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكُونُ فِي صَدَفٍ *** مِنْ مَعْدِنِي مُنْطَقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمٍ

لَأَطِيبَ يَعْدِلُ تَرْبًا ضَمَّ أَعْظَمَهُ *** طُوبَى لِمَنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُؤْتَمِمٍ

ويذكرني يا شيعة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا البيت الأخير من هذه القصيدة بالأبيات المنسوبة الى الصديقة فاطمة الزهراء وذلك عندما وقفت على قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذت قبضة من تراب قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) وشمتهما وقبلتها وأجهشت بالبكاء والعويل وأنشأت تقول

: ماذا على من شمّ تربة أحمد *** أن لا يشم مدى الزمان غواليا

قل للمغيب تحت أطباق الثرى *** إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صَبَّتْ عَلَيَّ مِصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا *** صَبَّتْ عَلَيَّ الْأَيَّامُ صَرْنَ لِيَالِيَا

قد كنت ذات حمى بظل محمد *** لا أخش من ضيم وكان حمى ليَا

واليوم أخضع للدليل وأتقي *** ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا

فإذا بكت قمرية في ليلها *** شجناً على غصن بكيت صباحيا

فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي *** ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا

ومن هنا نعلم أن الصديقة سلام الله عليها ما فرحت يوماً بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي المحزونة في شهر ربيع ، ولهذا ينبغي لشيعتها ومحبيها ملازمة

الحزن على رسول الله اقتداءً بها(عليهم السلام).

إذ بكت شجواً أباهاً*** بيكا أشجي عداها

لم تقتر عن بكاهها*** في ضحاهها ودجاهها

فاجعل الحزن شعارا*** وابك ليلاً ونهارا

من جوى أوقد ناراً*** واترك الدمع بحارا

دمعي كمثلي الغيث جار والقلب نار*** والبال مني مندهش واضرب الأفكار

ابحال الموالى ما برح بالحزن ذاب*** والعمر كله ينقضي كله مصائب

أحزان منها أعود رأسى الطفل شايب*** يا ناس مدري ها لفرح من يا سبب صار لكن تمنى والتمانى كيفه اتقىد*** اللي انجرح قلبه
وجرحه ما ابرح ايزيد

ولا الذي عنده جنازه يفرح ابعيد*** المحزون حتى لو ضحك قلبه كما النار

ون بالربيع الناس تقرح دون لشهور*** ما فرح وعندي الشهر چنه شهرعاشور

سيد العالم جثته انطمت بلقبور*** ورحنا يتاما عقب موته وظلمت الدار

الميت أهله ينصبوا لجله المآتم*** ايام كلمن ينتحب والدمع ساجم

افرح وبجنازة أبوها اتنوح فاطم*** من غير والى والدمع يجري كلمطار

وين الموالى بالربيع ايشوف زينه*** وينسى البتوله اللي ضلعهها كاسرينه

وجنينها اللي في حشاها امسقطينه*** والسبب عصرتها البتوله بين لجدار

والله فلا أهني ايزاد واتزفر وعدد*** وتعيّد العالم فلا والله اعيد

وبها الشهر بنت النبي ملطومة الخد*** مدفون أبوها وبيتها محروق بالنار

ون كان قلبي ينشرح والله عجائب*** وانسى ابجبل تكتيف فالال الكتائب

وعلى البتول بلا إذن طبوا الأجانب*** من بعد أبوها وحاسره الزهرا بلا اخمار

أم الحسن هيهات تفرح في شهرها*** تنعى أبوها في العزى وتبكي عصرها

تفرح ومهتوك من الأعدا خدرها ***ملطوم خدها وفي صدرها ارتكز مسمار ويذكرني حزن الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام) على أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ص: 29

بحزن آخر وهو حزن ابنتها الصديقة الصغرى (عليها السلام) على أخيها سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)، فإنها سلام الله عليها ما برحت بعد قتل الحسين (عليه السلام) في عزاء الله مستمر، ويحق لها ذلك، كيف لا وقد نظرت (عليهم السلام) إلى جسده الشريف وأجساد من كان معه من إخوته وبني عمومته مجزين على بوغاء كربلاء.

قال صاحب المناقب ومحمد بن أبي طالب: لما قتل الحسين عليه الصلاة والسلام أقبل فرسه وقد عدا من بين أيديهم أن يؤخذ، فوضع ناصيته في دم الحسين عليه الصلاة والسلام ثم أقبل يركض نحو خيمة النساء وهو يصهل ويضرب برأسه الأرض عند الخيمة حتى مات فلما نظرت أخوات الحسين عليه الصلاة والسلام وبناته وأهله إلى الفرس ليس عليه أحد رفعت أصواتهن بالبكاء والعيول. ووضعت أم كلثوم يدها على رأسها ونادت وا محمداه، واجدده، وانبياه، وأبا القاسماه، واعلياه واجعفراه، واحمزتاه واحسناه، هذا حسين بالعراء صريع بكربلاء، مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، ثم غشي عليها.

وفي «رواية»: ان السيدة زينب سلام الله عليها لما نظرت إلى الجسد الطاهر جعلت تندب الحسين عليه الصلاة والسلام وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه، صلّي عليك ملك السماء، هذا حسينك مرمّل بالدماء، مقطّع الاعضاء وبناتك سبايا؛ الى الله المشتكى، والى محمّد المصطفى، والى علي المرتضى، والى فاطمة الزهراء، والى حمزة سيد الشهداء، يا محمداه، هذا حسين بالعرى تسفي عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا. واحزنه واکرباه عليك يا أبا عبدالله: اليوم مات جدي رسول الله. يا أصحاب محمّد هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا.

وجاء في بعض الروايات: وا محمداه، بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليهم ریح

الصبا، وهذا حسين مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحى عسكره يوم الاثنين نهياً، بأبي من فسطاطه مقطّع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفدا، بأبي المهموم حتى

قضى ، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء، بأبي من جده رسول إله السماء، بأبي من هو سبط نبي الهدى بأبي ابن محمد المصطفى وابن خديجة الكبرى وابن علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء بأبي ابن من ردت إليه الشمس حتى صلى.

قال : فبكت والله كل عدو وصديق. ثم إنَّ السيدة الجليلة سكينه بنت الحسين عليه الصلاة والسلام اعتنقت جسد أبيها فاجتمع عدة من الأعراب حتى جروها عنه. وتركت تلك الجثث الطواهر ومن بينها جسد الامام الحسين (عليه السلام) وهو يسطع نوراً على رمضاء كربلاء بلا، دفن حتى رحل ابن سعد لعنه الله عن كربلاء، خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغازية إلى ذلك الجسد الطاهر وأجساد الشهداء فصلوا على تلك الجثث الطواهر ودفنوها.

قال المحدث المازندراني قدس الله نفسه الزكية نقلاً عن المحدث الفقيه السيد نعمه الله الجزائري رضوان الله تعالى عليه عن عبدالله الأسدي ، أنه قال : لما قتل الحسين بن علي الله وكافة من معه من ولده وإخوته وبني عمومته عليه وعليهم السلام أجمعين، وأراد ابن سعد لعنه الله التوجه بالسبايا والرؤوس إلى الكوفة أنفذ في ذلك إليه ابن زياد لعنه الله أن وار أجساد أصحابك ودع جسد الحسين وأصحابه . فأنفذ إليه لعنه الله أنه لا يسعني دفن جميع قتلتنا لأنَّ عدة المقتولين مائة وخمسون ألفاً ، فأنفذ إليه أن وار الرؤساء والأعيان واترك السواد منهم . قال : فوارى ابن سعد لعنه الله من أراد مواراته وارتحل بالسبايا والحريم إلى الكوفة، وخلف تلك الجثث الزكية تصهرها الشمس وتسترها أذيال الرياح ثلاثة أيام، وكان إلى جنب العلقمي حي من بني أسد فتمشت نساء ذلك الحي إلى المعركة فرأت جثث أولاد الرسول ، وأفلاذ حشاشة الزهراء البتول وأولاد علي فحل الفحول ، وجثث أنصارهم في تلك الأصحار وهاتيك القفار تشخب الدماء من جراحاتهم كأنهم قتلوا في تلك الساعة، فتداخل النساء من ذلك تمام العجب فابتدرن إلى حيّهن وقلن

لأزواجهن ما شاهدن ثم قلن لهم : بماذا تعتذرون من رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهم الصلاة والسلام إذا وردتم عليهم حيث إنكم لم تنصروا أولاده

ولا دافعتم عنهم بضربة سيف ولا بطعنة رمح ولا بحذفة سهم؟!!

فقالوا لهن: إنا نخاف من بني أمية لعنهم الله ، وقد لحقت القوم الذلة وشملتهم الندامة

من حيث لا تتفهم، وبقيت النسوة يجلن حولهم ويقلن لهم : إن فاتتكم نصرة تلك العصاة النبوية ، والذب عن هاتيك الشنينة العلوية ، فقوموا الآن إلى أجسادهم الزكية فواروها، فإن اللعين ابن اللعين ابن سعد لعنه الله قد وارى أجساد من أراد مواراته من قومه فبادروا الى مواراة أجساد آل الله وادفعوا عنكم العار، فماذا تقولون إذ قالت لكم العربُ : إنكم لم تنصروا ابن بنت نبيكم مع قربه منكم وحلوله بناديكم؟! فقوموا واغسلوا بعض الدرن منكم.

قالوا: نفعل ذلك . فأتوا إلى المعركة وصارت همتهم أولاً أن يواروا جسد الحسين عليه الصلاة والسلام من بين تلك الأجساد الطواهر ، ولكنهم ما كانوا يعرفونه لأنها بلا رؤوس وقد غيرتها الشموس؟ فبينما هم كذلك وإذا بفارس مقبل إليهم ، حتى إذا قاربهم قال : ما بالكم؟ قالوا : اعلم أنا أتينا لنواري جسد الحسين عليه الصلاة والسلام وجثث ولده وأنصاره ولم نعرف جسد الحسين عليه الصلاة والسلام ، فلما سمع ذلك حنّ وأنّ وجعل ينادي وا أباه وا أباه عبدالله ، ليتك حاضرًا وتراني أسيراً ذليلاً ثم قال لهم : أنا أرشدكم إليه فنزل عن جواده وجعل يتخطى القتلى، فوقع نظره على جسد الحسين عليه الصلاة والسلام فاحتضنه وهو يبكي ويقول : وا أبتاه بقتلك قرت عيون الشامتين يا أبتاه، بقتلك فرحت بنو أمية لعنهم الله يا أبتاه، بعدك طال حزننا يا أبتاه، بعدك طال كربنا . ثم إنه مشى قريباً من محل الجسد الطاهر فأهال يسيراً من التراب ، فبان قبر محفور والحد مشقوق، فنزل الجسد الطاهر الشريف ووارها في ذلك المرقد الشريف كما هو الآن.

قال : ثم إنه جعل يقول : هذا فلان وهذا فلان والأسديون يوارونهم، فلما

فرغوا منهم مشى إلى جسد العباس بن علي (عليه السلام) فانحنى عليه وجعل ينتحب ويقول: يا عماء، ليتك تنظر حال الحرم والبنات وهنّ ينادين واعطشاه واغربتاه. أمر بحفر لحدّه و واره هنا، ثم عطف على جثث الأنصار سلام الله عليهم وحفر حفيرة واحدة وواراهم فيها إلا حبيب بن مظاهر أتى بعض بني عمه ودفنه ناحية عن الشهداء. فلما فرغ الأسديون من مواراتهم قال لهم: هلموا لنواري جثة الحرّ الرياحي (عليه السلام).

قال: فمشى وهم خلفه حتى وقف عليه وقال: أما انت فلقد قبل الله توبتك وزاد في سعادتك ببذلك نفسك أمام ابن رسول الله.

قال: وأراد الأسديون حمله إلى محلّ الشهداء، فقال (عليه السلام): لا، بل في مكانه

واروه. فلما فرغوا من مواراة الحر (عليه السلام)، ركب ذلك الفارس جواده فتعلّق الأسديون وقالوا له: بحق من وارىتهم بيدك من أنت؟

فقال عليه الصلاة والسلام: أنا حجة الله عليكم أنا علي بن الحسين، جئت لأواري جسد أبي ومن معه من إخواني وأعمامي وأولاد عمومتي وأنصارهم الذين بذلوا مهجهم، دونه والآن أنا راجع إلى سجن ابن زياد لعنه الله.

نعم، رجع عزيز الحسين سجاد آل محمد عليهم الصلاة والسلام، ولقد كانت الحوراء زينب في انتظار عودته، وما أن لاح ذلك النور إليها أقبلت إليه تصعد أنفاسها وهي تقول: أين كنت يا عزيزي ونور عيني وثمره فؤادي؟

فقال السجاد (عليه السلام): الآن فرغت من دفن جسد أبي الحسين عليه الصلاة والسلام ودفن من معه من إخواني وأعمامي وأولاد عمومتي وأنصارهم وإذا بها تنادي واحسيناه واعزناه. ثم أخذت تمسح الغبار عن وجهه المبارك وهي تبكي، وكأني بها تقول:

كلبي شعبتة ابغيبتك يخليفة لحسين***واظلم نهاري او مرمرت حالي النسواين غيبتك يا ابني هيجت حزني عليه*** ابها المرض جاي امنين يا باقي البقيه

كلها يا عمّة جيتي امن الغاضريه*** وارىت اخوتي ودفنت عباس وحسين

واريت أبويه وجيت بالحسره ولهموم*** والله يا عمه امن العوادي الجسد محطوم والجفن سافي الترب وامغسل بلموموم*** ذاك العزيز اندفن جسمه بغير تجفين

گالت دفنت اهلك يبعده أهلي يسجاد*** روس او جث واريتهم لوبس لاجساد

كلها يعمه الروس طرشها ابن زياد*** ليزيد واحنا من بعدهم غصب ماشين

ماحد تدنى امن الخلك شگ الهم آرموس*** غير محاسنهم يعمه حر لشموس

وادفنتهم كلهم يمحزونة بلا روس*** واما البطل عباس لا راس ولا ايدين

او ليلا تنادي ذاب گلبي يا ابن المجاد*** بالله دخبر عن عضيدك شيخ لولاد

ذاك الجمال اشحل عليه من حر لوهاد*** كلها ليلا عن عزيزك لا تسلين

لا تسليني عن علي حاله شعبي*** بس عاينت حالة عضيدي انهدم ركني

سجيت جثته ابحفرتة وازداد حزني*** او كلما شفت طوله ابقبره هملت العين

او كل أم ولد فرت تسائل عن ابنها*** او رملة تهل الدمع واتصيح ابغبنها

العريس گلى اجنارته يا هو دفنها*** الله يكلبي اشتحتمل من فجعة البين

كلها انكسرتى والكسر ربح يجبره*** العريس بيدي نزلت جثته ابكبره

وياه اخوته الموسدين ابفرد حفره*** او گلبي انصدع من شوفته امخضب الجفين او جته الرباب اتصيح گلبي امن الوجد ذاب** با الله ارد

انشدك يا الذي وارىت لحباب عن نور عيني احسين قبل اتهيل التراب*** ثلت النبل عنه او نزلت الجسد زين

ايا حال شفت اجسادهم يا نور عيني*** كلها ابغرى گالت انشدك عن جنيني

شفته ابعينك گال بس لا تشعيني*** وارىت عبد الله الرضيع ابحفرة احسين

صاحت يبو امحمد ترى حبيك شعبي*** ابصدر الشهيد احسين كيف اموسد ابني يا ليت ذاك الكبر وياهم يضمني*** وشلي ابحياتي

نقصوا عيشي هلثمين

وُلِدَ الْهَدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ *** وَفَمَ الزَّمَانُ تَبَسُّمٌ وَسَنَاةٌ
الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ *** لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِ بَشْرَاءُ
وَالْعَرْشُ يَزْهُو وَالْحَضِيرَةُ تَزْدَهِي *** وَالْمُنْتَهَى وَالسُّدْرَةُ الْعِضْمَاءُ
وَحَدِيقَةُ الْفَرْقَانِ ضَا حِكَّةُ الرَّبِّ *** بِالْتَرَجْمَانِ شَدِيدَةُ غِنَاءُ
وَالْوَحْيُ يَقْطُرُ سَلْسَلًا مِنْ سَلْسَلٍ *** وَاللُّوْحُ وَالْقَلَمُ الْبَدِيعُ رِوَاءُ
يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ تَحِيَةً *** مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهَدَى بِكَ جَاؤُوا
بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فزَيَّنَتْ *** وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَاً بِكَ الْغِبْرَاءُ
وَبَدَأَ مَحْيَاكَ الَّذِي قَسَمَاتُهُ *** حَقٌّ وَغُرَّتُهُ هُدَى وَحَيَاءُ

قال الامام العارف نابغة الدهر وفيلسوف الزمن المولى الحاج محمد حسين الأصفهاني (قدس سره) في مولد صاحب الرسالة الكبرى
وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم)
أشرق كالشمس بغير حاجب *** من مشرق الوجوب نور الواجب
أو من سماء عالم الاسماء *** نور المحمدية البيضاء
لقد تجلّى مبدئ المبادي *** من مصدر الوجود والايجاد
من أمره الماضي على الاشياء *** أو علمه الفعلي والقضائي
رقيقة المشيئة الفعلية *** أو الحقيقة المحمدية
أو نفس نفس النفس الرحماني *** بصورة بديعة المعاني

أو فيضه المقدس الاطلاقي*** فاض على الأنفس والآفاق

أو انه حقيقة المثاني*** وعند أهل الحق حق ثاني

لا بل هو الحق فمن رآه*** فقد رأى الحق فما أجلاه

إذ مقتضى الفناء في الشهود*** عينية الشاهد والمشهود

هو التجلي التام والمجلى الأتم*** ومالك الحدوث سلطان القدم

أبو العقول والنفوس والبشر*** وقوة القوى وصورة الصور

ولوح لوح مجامع الحكم*** أو قلم الأقلام أو على القلم

أصل الأصول فهو علة العلل*** عقل العقول فهو أول الأول

حقيقة الحقائق الكلية*** وجوهر الجواهر العلوية

وجوده جمع جوامع الكلم*** والجوهر الفرد الذي لا ينقسم

هو العزيز والشديد في القوى*** والملك الذي على العرش استوى

عرش الهوية المحمدية*** مقامه المحمود بالختمية

هو المدار في المحيط الأعظم*** به انتظام عقده المنظم

بل هو في دائرة الدوائر*** مديرها عند أولي البصائر

والملاً الأعلى حريم بابه*** والعرش مرقاة إلى جنبه

فاتحة الوجود خاتم الرسل*** جلّ عن الثناء ما شئت فقل

غيب الغيوب سر سر ذاته*** وعالم الأسماء من صفاته

ونسخة اللاهوت نقش جبهته*** بل هي ذات بهجة ببهجته

طلعت الغراء في الظهور*** صرف الظهور فهو صرف النور

ظهوره ظهور ناموس الأزل*** فلا يزال ظاهراً ولم يزل

نوره المحيط بالأنوار*** يحل أن يدرك بالأبصار

كل وجوه من وجوده ***فكل موجود رهين جوده

وعالم الابداع من ظهوره ***ونشأة التكوين ظلّ نوره

ص: 36

بل هو روح عالم الأرواح*** وجاعل الأرواح في الأشباح

هو حياة عالم الامكان*** محدد الزمان والمكان

وأين منه عاليات الأحرف*** إن هي إلا نقطة في المصحف

من منسيات فضله المبين*** صحيفة الابداع والتكوين

لوح الوجود كله نقش يده*** وكله مداده من مدده

لا بدع من تلك اليد الفياضة*** ان يد الله يد الافاضة (1)

مولد النور

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (2)

جاء في تفسير الميزان: أن الله تعالى له نور عام تستنير به السماوات والأرض فتظهر به في الوجود بعد ما لم تكن ظاهرة فيه، ونور خاص يستنير به المؤمنون ويهتدون إليه بأعمالهم الصالحة، وهو نور المعرفة الذي تستنير به قلوبهم وأبصارهم يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، فيهتدون به إلى سعادتهم الخالدة، فيشاهدون فيه شهود عيان ما كان في غيب عنهم في الدنيا.

وفي الحديث: ان المؤمن يتقلب في خمسة من النور: مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور، ويمكن لنا تفسير قوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور) بأن المراد به هو نور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل لا يبعد أنه من أفضل المصاديق التي تنطبق عليها الآية.

ص: 37

1- الأنوار القدسية: 15 - 16 .

2- سورة المائدة: 15 ، 16 .

ولقد سطع النور المذكور في الآية يوم الجمعة عند طلوع شمس السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل .

وقالت العامة : أنه سطع نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على العوالم يوم الاثنين الثاني عشر من الشهر المذكور عام الفيل، ثم اختلفوا ؛ فمن قائل يقول : لليلتين من ربيع الأول، ومن قائل يقول : لعشر ليال خلون منه وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرى أنوشيروان بن قباد، وهو قاتل مزدك والزنادقة ومبيريهم،

وهو الذي عنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما قيل عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ولدت في زمان الملك العادل الصالح كسرى ، ولثمانين سنين وثمانية أشهر من ملك عمر بن هند ملك العرب.

النسب الشريف

هو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بن عبدالله بن شيبه الحمد (عبد المطلب) بن عمرو (هاشم) بن المغيرة (عبد مناف) بن زيد (قصي) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وهو قريش) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن محمد بن عدنان .

وجاء عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : إذا بلغ نسبي عدنان فامسكوا.

وجاء عن أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت : سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : معد بن عدنان بن ادد بن زيد بن ثرا بن أعراب الثرى. قالت أم سلمة : زيد (هميسع) وثرا (نبت) وأعراب الثرى (إسماعيل بن إبراهيم) قالت ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) (1) لا يعلمهم إلا الله تعالى .

وجاء عن شيخنا أبي جعفر بن بابويه عطر الله رمسه وقدس الله نفسه أنه

ص: 38

قال : عدنان بن أد بن ادد بن يامين بن يسجب بن منحر بن صابوغ بن هميسع.

وفي رواية أخرى : عدنان بن أدد بن اليسع بن زيد بن يقدد بن يقدم الهميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام). وقيل : الأصح الذي اعتمده أكثر النسب وأصحاب التواريخ في النسب الشريف له (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ان عدنان الذي أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : إذا بلغ نسبي عدنان فامسكوا ، ان عدنان نفسه هو اد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) بن تاريح بن تاخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالخ بن عابر (وهو هود (عليه السلام)) بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام) بن لمك متوشلخ ابن أخنوخ (ويقال : أخنوخ وهو إدريس (عليه السلام)) بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم (عليه السلام) . وأما أمه : فهي آمنة

بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

كنيته الشريفة:

أبو القاسم ، وأبو إبراهيم، فإنه قد جاء عن أنس بن مالك أنه قال : لما ولد إبراهيم ابن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مارية أتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

أيام المهد والطفولة

نلخصها في خمسة موارد:

1 - رضاعه : كان الأسياد والأشراف في مكة قد اعتادوا إرسال أبنائهم إلى البادية للرضاع، يبغون من ذلك فصاحة اللسان، وقوة الجنان، وصحة الأبدان.

وفي الأيام الأولى لولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قدم بعض النساء من البادية يطلبن أطفال مكة للرضاع. وكان من جملة النساء القاديات امرأة من قبيلة بني سعد تدعى - حليلة - وكانت قد أرضعت الحمزة بن عبدالمطلب قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد روي تردّد

ص: 39

من حليلة قبل موافقتها على أخذ، محمد، ثم حملته معها إلى بيتها في بني سعد. وخلال السننتين الأوليين وجدت حليلة في بيتها من الخيرات والبركات ما كان موضع الاهتمام والانتباه وبعد الفطام قدمت حليلة بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أمه زائرة، وأخبرتها بما كان لوجوده عندها من الأثر والخير والبركة وبقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند حليلة حتى أتم خمس سنين من عمره، ثم أُعيد إلى أمه .

ويقال : إن ثوية مولاة أبي لهب بن عبدالمطلب قد أرضعته (صلى الله عليه وآله وسلم) بلبن ابنها مسروح ، وذلك قبل قدوم حليلة بنت عبد الله بن الحارث بن شحنة السعدية من بني سعد بن هوازن المشار إليها فيما تقدّم.

2 - يتمه : كان عبد الله بن عبد المطلب والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد توفي خلال رحلة تجارية إلى الشام قبل ميلاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببضعة أشهر ، فولد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتيماً . ولما بلغ السادسة من عمره حملته أمه في زيارة الى يثرب (المدينة المنورة) حيث كان أخواله من بني النجار ، وفي طريق العودة إلى مكة بعد شهر من الزيارة توفيت آمنة في مكان مكان يسمى الأباء، تاركة بعدها محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يعاني آلام اليتيم الكامل . وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك يقول : استأذنت ربي في زيارة أمي فأذن لي ؛ فزوروا القبور تذكركم الموت.

ولقد أصبح بعد ذلك - (أي) بعد رحيل عبد الله وآمنة رضوان الله تعالى عليهما - أصبح اليتيم رسول السماء . قال الأديب الفرطوسي (قدس سره) ولنعم ما قال :

بوركت مكة وبورك يمناً*** كل مبني من بيتها وفناء

بوليد مبارك قد كساها*** أرجأ من شمائل الأمان

ويقيم تكرم اليتيم فيه*** وتعالى لقمّة الارتقاء

هو أصل لكل فرع زكي*** وهو فرع لدوحة الأذكاء

وصفي مكارم الخلق فيه*** نبعه من أكارم الأصفياء

ومنار للرشد حين تجلّى*** غمر الكون بالهدى والسناء

وربيع للعلم أخصب منه ***كل جذب من أنفس الجهلاء

وجناح من التواضع أهوت ***لعلاه قوادم الكبرياء

وبناء للعدل منه تداعى ***كل صرح للظلم والاعتداء

ونظام من الشريعة أودى ***بتقاليد أمة عمياء

وحياة من الحضارة أودت ***بعهود الغابات بعد ازدراء

مبدأ غير الطبائع عمّا ***هي كانت عليه في الابتداء

فعرها تحوّل وانقلاب ***مصلح من مشرع معطاء

وبمجرى التاريخ شيد سدّاً ***محكماً من مشيّد بناء

أيّ مجد هذا اليتيم تعالى ***شامخاً في مصاعد الاعتلاء

فتهاوت له العروش انقضاضاً ***من سماء الغرور والخيلاء

وهو طفل في المهد من دون أم ***وأب مودع بضل الخفاء

إنّه المرتضى لربّ البرايا ***أحمد المصطفى رسول السماء (1)

وقال حاكياً ما جاء من العذاب على الشياطين وما ظهر له من الكرامات الجليلة في

يوم مولده المبارك :

خمدت نار فارس بعد ألف ***وهي موقودة بلا إطفاء

غاض ماء البحيرة الجمّ لَمّا ***فاض وادي سماوةٍ بالماء

وتداعى أيوان كسرى فأهوت ***شرفات الايوان فوق البناء

وأهابت بالموبدان لرؤيا ***قد رآها طلائع الاستياء

وتنبأ شق وأفضى سطيح ***بالخبايا وعاد للإغماء

واستغز الرعب الشياطين طراً ***لا تقضاض النجوم في الأجواء

حين صدوا بشهبها عن عروج ***واستراق للسمع بالإصغاء

وتجلّى جبريل والملاً الأعلى***غريق في لجة من بهاء

ص: 41

1- ملحمة أهل البيت ع السلام : ج 137/1.

وهو في حلّة البشائر يكسى *** في نزول من السما وارتقاء

حينما فتحت وكانت رتاجاً *** قبل هذا أبواب كل سماء

أي شيء في العالمين جديد *** حلّ بين الغبراء والخضراء

وُلد الحق في ربيع توارى *** فيه جذب الضلال والخيلاء

وُلد العدل عند نشر لواء *** لَفَّ فيه للظلم كلّ لواء

ولد الحق والفضيلة أضحت *** تتحدّى رذائل الفحشاء

ولد الدين والجهاد فأودى *** بعروش الإلحاد والكبرياء

ولد المصطفى محمّد يمناً *** ألف أهلاً بخاتم الأصفياء

وتجلّى والنور يشرق منه *** بجبين كالكوكب الوضاء

بين كتفيه للنبوّة ختم *** وظهور للشامة السوداء

قد رآه حبر اليهود فأفضى *** لقريش بأعظم الأنباء

وبحيراً في الدير بشر فيه *** حين وافاه سيّد البطحاء (1)

3- طفولته : لم يعرف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في طفولته أنه كان يجاري الأولاد في كلّ تصرفاتهم ولهوهم ، ولكنه كان يغلب عليه الحياء وميله الى الاتزان والروية ولطافة اللسان ؛ فلم يعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا كان للخلق النبيل مصدر أن يكون هو ذلك المصدر ، حتى أحبه القريب والبعيد، وبدأ الناس ينظرون إليه بعين الاحترام والترقب لما يؤول إليه هذا اليتيم إذا بلغ مبلغ الرجال، ولقد صدقت قريش يوم الدعوة العامة عندما طلب (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم شهادة في حقه على صدقه فأجابوا : ما جربنا عليك كذباً قط . وذلك ما لا يتيسر لكلّ طفل أن لا ينطق بكذب قط في جدّ أو هزل.

4 - عبد المطلب و نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): كان عبدالمطلب جد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد الرعاية فائق العناية بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو أول من تنبه إلى ذلك النور العظيم نور النبوة

ص: 42

في وجه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتوجه إلى الله تعالى بالدعاء والشكر على هذه المنة، حتى ارتكز في ذهنه أن محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) سيكون له شأن بين الأنبياء، فكانت رعايته إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تفوق الوصف من الجدد العطف قال المحدثون : ومن الشواهد الدالة على معرفة عبد المطلب الى سر نبوة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إكرام المك سيف بن ذي يزن الى عبدالمطلب إكراماً شديداً ، أنه اختلى به وبشّره بنبوّة محمد ونصحه بالاهتمام في رعايته وحمايته من الأعداء. ولدى عودة الوفد إلى مكة كان الحسد قد أكل قلوب بعض من كان معهم ، فأبدوا لعبد المطلب دهشتهم من إكرام الملك له، واختصاصه إياه بأضعاف الهدايا التي منحت لهم فكان يقول : يا معشر قريش، لا- يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كان كثيراً فإنه إلى نقاد ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبى ذكره وفخره وشرفه. فإذا قيل له وما ذاك ؟ قال : ستعلمن نبأه بعد حين.

5 - أبو طالب ومحمد(صلى الله عليه وآله وسلم): بقي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في كنف جده عبدالمطلب حتى بلغ الثامنة من عمره ، فلما حضرت جدّه الوفاة أوصى به الى عمه أبي طالب، وصار الكفيل الثاني يحنو عليه ويشمله بالطفاه وعنايته ووجد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت عمه ابي طالب الملاذ الذي يحميه من عوادي الدهر، والحنو الذي يعوضه حرمان الأب والأم ؛ فقد كانت فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب تغمر محمدا(صلى الله عليه وآله وسلم) بالعاطفة والمعاملة الكريمة، وكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يدعوها أُمي . أما أبو طالب والجهاد الذي قام به في سبيل الحفاظ على محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وتربيته ثم الدفاع عنه وحمايته من ذوبان قريش وأجلاف العرب، فذاك أوضح من نور الشمس.

هذه هي الوديعة كنز*** وهو أغلى ودائع الأمانة

وأبو طالب كفيل أمين*** شيخ عدنان سيد البطحاء

قد تلقى وصيّة وصيّة من أبيه*** ذات شأن فأنجزت بوفاء

وحقوقاً تدعو إلى حفظ طه*** كان فيها من أكرم الأوفياء

حين أضحي أباً وفاطم أمست***خير أم لخاتم الأنبياء
قد رعاه حتى غدا القلب منه***خير مهدٍ والجفن خير غطاء
واصطفاه حتى ترعرع غصناً***بين أحضانه سريع السماء
ولقد كان لا يطيق فراقاً***لابنه ساعة بدون لقاء
داراً عنه كل سوء وكيد***واقياً شخصه بخير وقاء
فادياً نفسه لأكرم نفس***قد رآها أهلاً لكل فداء
ورأى دمع عينه وهو ينوي***سفرأً جارياً لفرط البكاء
قال ماذا فقال تمضي وأبقى***أنا من دون كافل من ورائي
قال فارحل فإن روحك روحي***في رحيلي معي وعند بقائي
ورأى ما رآه من معجزات***منه عند المقييل والإسراء
من ظهور القليب حين سقاه***وهو يشكو الظماً بأعذب ماء
ورأى فوقه الغمامة تسري***حيث يسري تظله عن ذكاء
وأته بفضلها بركات***لم يجدها في بيعه والشراء
وهو قد كان مكثراً في عيال***ومقلاً في المال جمّ السخاء
فاستفاضت على محياه نعمى***من أيادي محمد بالهناء
ولقد كان حين يحضر زاداً***بادناً فيه عند وقت الغذاء
فإذا ذاقه تغذوا جميعاً***واكتفوا بالقليل خير اكتفاء
هكذا لم يزل حفيظاً عليه***وأميناً من أصدق الأمناء
وكفياً من بعد خير كفيل***كعطاء في البر بعد عطاء
وهي كانت إرثاً له من أبيه***شبية الحمد بعد يوم الفناء

وقد اجتمع في نفس أبي طالب دافعان لحماية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

أولهما: الوصية المؤكدة التي تلقاها من أبيه، رغم أنه لم يكن أغنى إخوته ولا أكبرهم سناً ، ولكنها النظرات الثاقبة التي تتوسم الخير في أهله.

ص: 44

وثانيهما : حب لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم)قذفه الله تعالى في قلبه، حيث كان يفضل على أولاده ويخصه بالطعام. وقد نما هذا الحب في قلب أبي طالب مع نمو ابن أخيه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)حتى أدرك الإسلام.

ولما أصبح عمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)اثنتي عشرة سنة صحبه عمه أبوطالب معه إلى الشام في رحلة تجارية واللقاء الذي تم بين أبي طالب ومحمد من جهة، وبين بحيرا الراهب من جهة ثانية، في أرض بصرى من بلاد الشام أشهر من نار على علم، فقد أنبأ بحيرا أبا طالب بأنّ محمداً نبي، بعد أن تعرف إلى كل علامات النبوة الموجودة فيه، والتي كان بحيرا يعلمها من موارث الأنبياء السابقين.

نعم، لقد لاح البحيرا الراهب نور النبوة في وجه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبر بذلك زعيم البيت الهاشمي حتى كأنه يتلو عليه قوله تعالى : (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)؛ كأنه يقول لأبي طالب : يا أبا طالب ، لقد جاءكم الهدى، لقد جاءكم الخيرات والبركات فعليكم أن تهينوا نفوسكم لقبولها ، وعليكم الرضا والتسليم لهذا النبي العظيم الذي يملأ نوره المشرقين ويهتدى به كما يهتدى في الظلمات بالنيرين كأنه يقول : كنتم فيما سبق غارقين في الجهل وعبادة الأوثان، وعن قريب ببركة هذا الصبي سوف يتضح لكم نور الحق وتتجلى لكم معرفة الربّ تعالى شأنه، كأنه يقول : سوف يأتيكم هذا الصبي في المستقبل القريب بقانون إلهي ينظم حياتكم ويوحد صفوفكم ويلمّ شعثكم ويعلي كلمتكم وتصبحون ببركته زعماء الدنيا.

وفعلاً لقد صدق تنبؤ هذا الراهب ، فلقد جاء محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)مرسلاً من عند الله لإنقاذ هؤلاء البشر، ومدعماً بالقرآن الكريم القانون السماوي العادل الصحيح الذي لا مرية في أنّ أوامره تصلح لكل عصر ومصر، ونظامه نظام بشري عادل ولم ينزل لمجرد العقيدة، أو لمجرد تهذيب الروح وتربية الأخلاق والفضائل، بل هو إلى جانب ذلك كله أنزل بنظام عادل، واجتماعي متوازن ومدني صحيح، وجنائي

عام، ودولي معقول ، وتوجيه فكري وتربية بدنية وكل ذلك على أساس من العقيدة ، وفي مزاج من التوجيه الخلقى ، والتهديب الروحي . ونظام القرآن الكريم ليس شيئاً من تراث الماضي السحيق، فيوضع اليوم في متحف الأفكار والنظم والعقائد البائدة، بل هو كائن حتى في هذا اليوم وهذه اللحظة، ويملك من مقومات الحياة في المستقبل ما لا يملكه أي نظام آخر عرفته البشرية حتى اليوم، ولقد أدرك المسلمون هذه الحقيقة

التي تجلّت لهم ولغيرهم من معاندي الاسلام ومبغضيه، وهم المستعمرون وخدامهم المخلصون وعبدهم المطيعون، الذين كانوا وما زالوا يلقون على أذهان السذج والبسطاء أن نظام القرآن والاسلام كان من حقائق الحياة في الماضي، واليوم قد غير العلم وجه الحياة، ولم يعد في الأرض مكان لغير العلم، والحقائق العلمية .

أقول : أدرك هؤلاء الحاقدون الخداعون اليوم عظمة الاسلام والقرآن رغم أنّهم كانوا فيما سبق وما زالوا يلقون على أذهان البسطاء أن نظام القرآن لكونه نظاماً يبيح الرق والاقطاع والرأسمالية، ويجعل المرأة نصف الرجل ويحبسها في دارها، ويجعل عقوباته الجلد والرجم والقطع ، وأمثالها ، فلا يمكن أن يعيش اليوم ولا يستطيع هو في هذا الصراع الجبار - الذي يقوم اليوم بين النظم الاجتماعية والاقتصادية القائمة على أسس علمية - أن يقف على رجليه فضلاً على المصارعة والكفاح.

نعم، لقد أدرك المستعمرون اليوم عظمة الاسلام، وذهب كل ما لديهم من دعاوى فاسدة ضده أدراج الرياح، خصوصاً بعد نجاح الثورة الاسلامية المباركة في ايران الاسلام بقيادة مولانا الأعظم الامام الخميني ان الاهلي .

كما وأدرك المسلمون في نفس الوقت عظمتهم باتباعهم لقوانين الاسلام الخالد والقرآن العظيم ذلك الكتاب المسطور ، والثور الساطع، والضياء اللامع الذي أزاح عنهم الشبهات قرآن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهدى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهدى محمد له ؛ فعليهم

بعد أن أدركوا سرّ عظمتهم ومجدهم الخالد ببركة اتباعهم للإسلام، وأن يجددوا

ولاءهم له في كل لحظة يعيشونها من حياتهم لكي يكونوا سعداء.

كما وعليهم أن يفهموا أنّ مغزى هذا الاجتماع وتجديد هذه الذكرى المباركة - ذكرى ولادة هذا النور - ليس معناه أن يجتمعوا فقط من أجل أن يذكروا الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض المدائح ويعطروا الأفواه بذكره وبذكر الصلاة عليه الله ، وإن كان ذلك من الأمور الواجبة والمهمة عندنا خصوصاً الصلاة عليه ، فإنه قد جاء عنه الله أنه قال : من صلى عليّ مرة صليت عليه عشراً، وهكذا الى أن تبلغ الصلاة عليه المئات والآلاف ولكن الأمر المهم مع الصلاة عليه والذي من أجله نجدد هذه الذكرى في كل سنة، هو لفت النظر من أجل الاستمرار والملازمة على اتباع هذا النور والاقتراء به والسير على منهاجه واتباع ما جاء به من تعاليم إسلامية نورانية عالية نافعة، ونظام إسلامي رفيع لا يمت إلى الشرق ولا إلى الغرب بصلة .

فعلينا جميعاً أن نعاهد الله تعالى بأن نسير على هدى هذا النور المحمدي الرباني متجنّبين الانخراط في مسلك الشرق والغرب، فإن الله تعالى يقول: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) ، فاللازم عليكم أن تتبعوه وتعملوا بقرآنه الذي فيه الأوامر الإلهية الواجبة عليكم ، والتي بواسطة العمل بها تكونون مهديين قد خرجتم بها من ظلمات الجهل إلى نور الايمان بالله والايمان بنبيه الكريم والايمان بأهل البيت النبوي الطاهر الشريف . ومن هنا نعلم معنى قوله تعالى : (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ): أي انّ الله تعالى : يهدي عباده الذين اتبعوا رضوانه بالقرآن المبين ويخرجهم به من ظلمات الجهل إلى نور الايمان بالله ونور محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

أشرق نور الله في العالم *** بمولد الطهر أبي القاسم

قد اجتننت كف الهدى في ربيع *** روض الأمانى لا رياض الربيع

فيه بدا نور النبي الشفيع *** يشفع للجاني وللأثم

كم ظهرت للمصطفى معجزات*** آثارها بين الورى باقيات

فاقت نجوم الأفق الزهرات*** فلم تجد من جاحد كاتم

قد أخدمت للشرك نيرانه*** صرح كسرى انشق إيوانه

وهد من أعلاه بنيانه*** من بعد ما استعصى على الهادم

اليوم قد لاحت شمس السعود*** فابتهج الكون بها والوجود

بطاهر المحتد زاكي الجدود*** خير الورى فخر بني آدم

قم فأدر كأس الهنا والصفاء*** ولا تطع من لام أو عتفا

فقد أزلت طلعة المصطفى*** ليل الظلال الحالك القاتم

نالت به مكة أقصى المرام*** وابتهج البيت به والمقام

وجاءت الأملاك تهدي السلام*** له بنغر ضاحك باسم

اليوم نور المصطفى قد أضاء*** فشعت الأرض به والسماء

قد ختم الله به الأنبياء*** صلى عليه الله من خاتم

نعم ، لقد أفاض الله تعالى على العالم هذا النور المحمدي في دنيا الوجود بعنايته الربانية لعباده، ولكن ما أن قبضه الله إليه حتى اسودت الدنيا في وجه الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها واعتدى القوم على كرامتها .

من نور طه المصطفى وسط الكبر غاب*** ذلوا العدى فاطم ومنها انتهك لحجاب الأول أمر بالنار والثاني ضمها*** ولا عرف لوصية الهادي ولا حشمها

وتدري ابصرها سئل المسمار دمها*** مدري البطل لي وين عنها داحي الباب

علي عن الاسلام كم شده دفعها*** والدين راياته عكب ذلها رفعها

حاضر وبنت المصطفى تكسروا ضلعها*** الله يصبره ايشيب من مفرق الشاب

والله عجائب ما جرت أول ولا تال*** بيها انكسف بدر الشريعة والهدى زال

وأمت حديث ايسير بالنسوه ولرجال*** انتهكت الزهرا وحتفوا الليي كاد لذياب دخلوا عليها ابغير اذنها داخل الدار*** بضعة رسول الله وهي حسرى بلا اخمار

نادت ابهاميها ونهض حيدر الكرار*** اينادي وگلبيه من عظيم افعالهم ذاب

يرجاس لولا اللي قضى ربي ورسوله*** ما نصب عيني ينكسر ضلع البتوله

ويصعب عليكم منزل الزهرا ادخوله*** و محسن سگط يعفر ابدمه فوگ لتراب ويسأل سليم الخير من سلمان عنها*** يسلمان هجموا
اعلى البتوله ابغير اذنها

گله نعم والضرب أثر في متنها*** والرجس ضاربها ومن الكرار ما هاب

قال سليم: قلت يا سلمان*** هل دخلوا ولم يك استندان

فقال: إي وعزة الجبار*** ليس على الزهراء من خمارة

لكنها لاذت وراء الباب*** رعاية للستر والحجاب

فمد رأوها عصرها عصره*** كادت- بروحي - أن تموت حسره

تصبح: يا فضة أسنديني*** فقد قد وربي قتلوا قتلوا جنيني

فأسقطت بنت الهدى وا حزنا*** جنينها ذاك المسمى مُحسنا

نعم، لقد أسقطت بنت الهدى سلام الله عليها جنينها المحسن وتحملت تلك المصائب والبلايا التي يعجز القلم عن وصفها وبيانها،
وكلما جرى عليها من تلك المصائب قد جرى على ابنتها الصديقة الصغرى زينب الكبرى سلام الله عليها، إلا أنها قد زادت الصديقة
الصغرى على الصديقة الكبرى فيما جرى عليها من تلك المصائب العظام، حيث أنها أخذت أسيرة مسلوبة الى الشام وبصحبته ابن أخيها
الامام علي بن الحسين(عليه السلام) وبنات الرسالة عليهن أفضل الصلاة والسلام. يقول السيد حيدر وهو يصف بنات الزهراء (عليها
السلام) في تلك الحالة المشجية:

ومن مبلغ الزهراء ان بناتها*** عليها الرزايا والمصائب عكف

تطوف بها الأعداء في كل بلدة*** فمن بلد أضحت لآخر تقذف

وقال آخر:

ورحن في الأسر بنات الهدى*** تطوى الفيافي موطناً موطناً

يدعين والعيس تجد السرى *** يا حادي العيس ألا ارفق بنا

يا حادي العيس أتدري بنا *** ربّات خدر لا نطيق العنا

ماذا عليكم لو مررتم على *** سادات فهر قبل أن نطعنا

وقال آخر :

لمن ظعون بأرض الطّف سائرة *** تنحو الشّام فليت الركب لا سارا

وممن النسوة اللاتي يسار بها *** تحالهن على الأقتاب أقمارا

على هزال المطايا لا رحال لها *** تشكو أذى السير اخفاء وإجهارا

حواسراً سلب الأعدا براقعها *** وابتزها القوم أقرطاً وأطمارا

لهفي لزيب إذ قالت مودعة *** والحزن باد ودمع العين قد فارا

هلا تمرّون بالقتلى نودعهم *** ونقض من ترب الخدين أوطارا

وقال السيد أيضاً :

وسبية باتت بأفعى *** الهم مهجتها لسيعه

سُلبت وما سُلبت محاً *** مدعزها الغرّ البديعه

فتلغد أخبية الخدور *** تطيح أعمدها الرفيعه

ولتبد حاسرةً عن الوجه *** الشريفة كالوضيعه

فأرى كريمة من يوارى *** الخدر آمنه منيعه

وكرائم التنزيل بين *** أمية برزت مروعه

تدعو ومن تدعو وتلك *** كُفَاءً دعوتها صريعه

واهاً عرانيين العلى *** عادت أنوفكم جديعه

ما هزّ أضلعكم حذاء *** القوم بالعيس الضليعه

حملت ودائعكم إلى *** من ليس يعرف ما الوديعه

قال المحدث المازندراني (قدس سره): نقلاً عن كتاب العقد الفريد في كيفية حمل بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشام ما لفظه وحمل أهل الشام بنات رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سبايا

ص: 50

على أقتاب الإبل، فلما ادخلن على يزيد قالت ابنة الحسين(عليه السلام) : يا يزيد، أبنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبايا؟! قال : بل حرائر كرام ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت قالت فاطمة : فدخلت فما وجدت فيهن سفينة إلا ملتدمة تبكى .

أقول : إن صاحب العقد الفريد هو على شاكلة يزيد لعنه الله ، فانه فإنه يريد أن يقول : إن يزيد ليس بقاتل للحسين(عليه السلام) ، والدليل على ذلك أنه أكرم بنات الرسول بقوله لهن : بل حرائر كرام ولكننا نقول له : إن تظاهر يزيد لعنه الله تعالى باكرام بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)إن صح ذلك بعد قتله الحسين(عليه السلام) إنما فعله خوفاً على نفسه من انقلاب الرأي العام عليه . وعلى هذا لا يصح لمسلم أن يدعي ليزيد الاسلام، أو يشك في كفره وإذا على سيل المحال وجد من يدعي ذلك فهو على شاكلة يزيد أي أنه ليس بمسلم.

وقال شيخنا المفيد في الارشاد : دفع ابن زياد لعنه الله تعالى رأس الحسين(عليه السلام) مع رؤوس أصحابه سلام الله عليهم إلى زجر بن قيس لعنه الله ، وسرحه إلى الطاغي الباغي يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى والملائكة والناس أجمعين في جماعة من أهل الكوفة .

وقال السيد محسن الأمين الحسيني العاملي(قدس سره)في المجالس السنية ما لفظه : كان ابن زياد لعنه الله كتب إلى يزيد لعنه الله كتاباً يخبره فيه بقتل الحسين عليه الصلاة والسلام فلما وصل إليه الكتاب أجابه يأمره بحمل رأس الحسين عليه الصلاة والسلام ورؤوس من قتل معه وحمل أقاله ونسائه وعياله إلى الشام (فأرسل) ابن زياد لعنه الله تعالى الرؤوس مع زجر بن قيس لعنه الله تعالى، ثم أمر بنساء الحسين عليه الصلاة والسلام وصبائه(عليه السلام)فجهزوا، وأمر بعلي بن الحسين(عليه السلام) فغل بغل إلى عنقه . - (وفي رواية) في يديه ورقبته - ثم سرح بهم في أثر الرؤوس مع محفر بن ثعلبة العاندي وشمر بن ذي الجوشن لعنهم الله تعالى وحملهم على الأقتاب، وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى

لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلم علي بن الحسين (عليه السلام) أحدا منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام، فلما انتهوا إلى باب يزيد لعنه الله تعالى رفع محفر صوته فقال : هذا محفر بن ثعلبة (أتى حمار الفاسدين لعنه الله تعالى بالبررة الكرام) (عليه السلام) هذا قولي لأن ما قاله محفر لعنه الله تعالى: هذا محفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللائم الفجرة! فأجابه مولانا علي بن الحسين : ما ولدت أم محفر أشر والأأم.

ولما جاءت الرؤوس كان يزيد لعنه الله تعالى في منظره له على جيرون! فأنشده لنفسه وقد سمع غراباً ينعب :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت *** تلك الشموس على ربي جيرون

نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح *** فلقد قضيت من النبي ديوني

ولما قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من شمر لعنه الله فقالت له : لى إليك حاجة . فقال : ما حاجتك ؟ قالت : إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة ، وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال. فأمر لعنه الله تعالى في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً ، وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أتى بهم باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي. وجاء شيخ فدنا من نساء الحسين (عليه السلام) وعياله وقال : الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له علي بن الحسين (عليه السلام) : يا شيخ هل قرأت القرآن ؟

قال : نعم .

قال : فهل قرأت هذه الآية : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)؟

ص: 52

قال : قد قرأت ذلك.

فقال له علي : فنحن القريبي ، يا شيخ.

فهل قرأت في سورة بني إسرائيل: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ)؟

فقال : قد قرأت ذلك .

فقال علي(عليه السلام) : فنحن القريبي يا شيخ.

فهل قرأت هذه الآية : (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ).

قال : نعم .

فقال علي(عليه السلام) : فنحن القريبي يا شيخ.

ولكن هل قرأت قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)؟.

قال : قد قرأت ذلك

فقال علي(عليه السلام) : فنحن أهل البيت الذين اختصنا الله بأية التطهير يا شيخ.

قال : فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به وقال : بالله انكم هم؟!!

فقال علي(عليه السلام) : تالله إنا لنحن هم من غير شك ، وحق جدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنا لنحن هم فبكى الشيخ

ورمى عمامته، ثم رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم اني أبرأ اليك من عدو آل محمّد من جن وإنس. ثم قال: هل لي من توبة؟

فقال له : نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا.

فقال : اني تائب.

فبلغ يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى حديث الشيخ فأمر به فقتل رضوان الله تعالى عليه.

وأجلُّ يوم بعد يومك حل في ***الاسلام منه يشيب كلُّ جنين

يوم سرت أسرى كما شاء العدى *** فيه الفواطم من بني ياسين

أبرزن من حرم النبي وإِنَّهٗ *** حرم الإله بواضح التبيين

كَلَّ محصنة هناك برغمها *** أضحت بلا خدرٍ ولا تحصين

سُلبت وقد حجب النواظر نورها *** عن حُرِّ وجهه بالعفاف مصون

قذفت بهنَّ الخطوبِ بقفرة *** هيماء صالية الهجير شطون

فَعُدت بهاجرة الظهيرة بعدما *** كانت بفتح الظلال حصين

حرى متى التهب حشاشتها ظما *** طفقت تُرَوِّح قلبها بأنين

وحدت بها الأعداء فوق مصاعب *** تري السهول من الفلا بحزون

وقال الجمري وهو يصف حال بنات الرسالة وهن على تلك الأقتاب :

زينب اتعابن وليها ولغلال ابرقته *** فوق ناقه امهز له امقيد او تجري دمعه

ينظر اليها او يجرونه او هي تنظره او تتحب *** والحرم تخفي البكا والنوح خوف امن الضرب

نادته يا نور عيني ذوّبت مني القلب *** هلت ادموعه وخذ بيدي الشكاية العمته

عمه يا زينب سفرنا فوق هالهزل طويل ** وانا من كثرة اجروحي هذا دم ساقى يسيل

نحل اعظامي اركوبي اعلى الجمل وانا عليل ** او هالرجس كلساع يضربني او يزجر ناقته

صاحت او طلّت يويلي فوق ناقته انجود *** يا زجر بالله دخفف عن علي من هلقيدود

آه يفرسان نسوني آه يعز ما يعود *** منظرنا ما تخاف الله او ترحم حالته

رد عليه ابن الخنا ومن شاف حاله الغيظ زاد**صاح كتر اللي يوجعك وين يا زين العباد

قال حدر الجامعه او موضع اغلاللي ولقياد**شال سوطه او غابت امن الضرب ويلي ارويحته

نعم ، هكذا كانت حالة النساء والأطفال فوق النياق حتى وردوا الشام، وكانت المصيبة عليهم أعظم وأشد .

يقول سهل بن سعيد الساعدي : خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام ، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار ، وقد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي : ترى لأهل الشام عيد لا نعرفه نحن؟! فرأيت قوماً يتحدثون فقلت: يا قوم، لكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا : يا شيخ، نراك غريباً؟ فقلت : أنا سهل بن سعيد الساعدي قد رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، قالوا : يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها؟ قلت : ولم ذاك؟ قالوا: هذا رأس الحسين عترة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) يهدى من أرض العراق . فقلت : واعجباً يهدى رأس الحسين(عليه السلام)والناس يفرحون؟! ثم قلت من أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات، فبينما أنا كذلك حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً ، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان عليه رأس من أشبه الناس وجها برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا من ورائه نسوة على جمال بغير ، وطاء ، فدنوت من اولاهن فقلت: يا جارية من انت؟ فقالت : انا سكينه بنت الحسين(عليه السلام).

فقلت لها : ألك حاجة إلي ، فأنا سهل بن سعيد الساعدي ممن رأى جدك وسمعت حديثه؟ قالت يا سهل قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس فقلت له : هل لك أن تقضي حاجتي

وتأخذ مني أربعمائة دينار؟ قال : ما هي ؟ قلت : تقدم الرأس امام الحرم، ففعل ذلك
و دفعت إليه ما وعدته.

وروي أنّ بعض فضلاء التابعين وهو خالد بن معدان لما شاهد رأس الامام الحسين

(عليه السلام) بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد إذ فقدوه سألوه عن سبب ذلك فقال : ألا ترون ما نزل بنا ؟ ثم
أنشأ يقول :

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد *** مترماً بدمائه ترميلاً

وكأنما بك يا بن بنت محمد *** قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا *** في قتلك التأويل والتزيلا

ويكبرون بأن قتلت وإنما *** قتلوا بك التك - سبير والتهليلة

بدرؤاة الشام اوقفت ذبح الخواتين *** والشام مرتجه واهاليها معيدين

وكل الخلاق لا بسين اجديد الثياب *** ولا بگی من اهل البلد شيخ ولا شاب

وآل الرسول منكسين الروس بالباب *** وزين العباد يصيح وين الهاشميين

بالأمس حولي من بني هاشم صناديد *** فرسان كلهم والحرايب عندهم عيد

واليوم اعالج فوق ناقه بجامعه وقيد *** القيد حز ساقى وغلهم حز الیدين

واقبل سهل والناس تتراکض بالدروب *** يقولون راس الخارجى فى فى وین منصوب وشاف الاسواق معطلة والكون مقلوب *** والكل ینادى
جو سبایا الخارجيين

وعاین يتاما فوگ هزل فى بكا ونوح *** ومن الضرب والسير ما ضلت لهم روح اوحدہ تنادى عقب عزي وین انا روح *** بينى وبين حجاب
صونى فرق البين

سلم عليها وقال يا لى على المطيه *** والله حسنينك زيد احزاني عليه

يخسون أهل هالبلد منتي خارجة *** كك يا مسبية من أشيوخ المسلمين

قالت انا جدی النبى صفوة الجبار *** وابوي حيدر قاسم الجنة مع النار

ومكسورة الاضلاع شمامة المختار*** امي وانا زينب واخوتي الحسن والحسين

قلها الحسب والنسب هالي تذكرينه*** معروف وان صح الخبر جدك نبينا

ص: 56

لكن يزنب وين خدر اليوصفونه***تركبين حسرا فوق ناقة واخوتك وين

گالت لا تسئلنى وعاین روس الارماح*** ذاك الخدر يا سهل عني قوض اوراح وعمود خيمتنا احسين تزلزل او طاح*** بديار غربة يا سهل ضيعني حسين

وانكان عندك يا سهل شي من المال*** هالرجس خله يميل عنا ابروس الرجال گله يصد ابروس اهلنا عن ها لعيال*** والله اختزينا او ذابت قلوب النساءين

للرجس راح يناشده بالله ورسوله*** والمال سلم له وعبراته هموله

تمرد الطاعي ورد نصب روس الحموله*** بين المحامل والخلق عكفت الصوبين

ما بين ما هي فوگ ناقة تصعد انفاس*** لن الرجس جاها وكل جانب نصب راس واگبالها راس الحسين وراس عباس*** صاحت يخويها لمصائب جتني امنين

ايا بن النبي المصطفى خير من رقى*** على ذروة العليا فجلت مناقبه

وقرة عين المرتضى صنو أحمد*** ومن هو في كل المواطن صاحبه

أرأسك فوق الرمح يشرق مزهراً*** وجسمك فوق التراب رضت ترائبه

وتبقى ثلاثاً بالعراء مرماً*** ولا غسل إلا فايض الدم ساكبه

وتسبي نساك الطاهرات حواسراً*** يجاذبها حادي السرى وتجاذبه

ومن بينها السجاد بالقيد موثق*** يجاوبها طوراً وطوراً تجاوبه

يعزّ على المختار أحمد أن يرى*** جسم الحسين على الرغام معفراً

والرأس منه على السنان مشهراً*** ويرى النساء الطاهرات الحشرا

يندبته بمدامع تروي الثرى*** أنعم جواباً يا حسين اما ترى

شمر الخنا بالسوط كسّر أضلعي

ص: 57

حفرات الرسول في الأسر تجلى *** ارمالات في السبي جاوبن ثكلى

من لها والحماة بالطف قتلى *** نترفق بها فما هي إلا

ناظر داعم وقلب مروع

يا محث المطا بهمة فقر *** طاوياً نشر كل سهل ووعر

أن فوق المطا عقايل فهر *** لا تسمها جذب البرى او تدرى

ربة الخدر ما البرى والنسوع

فادح شب في الحشى بأوار *** ومصاب قد حط كل منار

يوم نادى العلا والدمع جار *** قوضي يا خيام عليا نزار

فلقد قوض العماد الرفيع

واندبي أن ندبت بالحزن قوما *** سامها الدهر بالمصائب سوما

لا تنامي للحشر هاشم يوماً *** واملتي العين يا امية نوما

فحسين على الصعيد صريع

وارفلي في السرور انساً عدي *** وبأنف لك اشمخي يا أمي

واغمدي البيض في الطلا يا قصي *** ودعى صية الجباه لوي

ليس يجديك صكها والدموع

الجلسة الثالثة : مولد الرحمة

وافي بنعت صفاته القرآن*** أنى يحيط بها فم ولسان
نظقت به التوراة قبل وبشر*** الإنجيل فيه وصدق الفرقان
سطعت بغرة آدم أنواره*** فسمأ له بين الملائك شان
ولو أن نوحاً لم يكن متوسلاً*** فيه لأغرق فلكه الطوفان
وبه الكلیم دعا ولولا سرّه*** ما انساب من تلك العصا ثعبان
صدعت به الرسل الكرام ودينه*** جاءت مبشرة به الأديان
زينت بمولده البسيطة بعدما*** قد كان عرش الله فيه يزان
في ليلة ملأ الزمان صباحها*** بسنا فتى فخرت به الأزمان
طاشت بها أحلام قيصر خيفة*** وارتاع من دهش انوشروان
وتيقنوا أن ليس يبقى بعدها*** ملك لهم في الأرض أو سلطان
ولقد تحقق عن محمد عندهم*** ما قاله الكهان والرهبان
ما كاد يشرق في الجزيرة نوره*** حتى خمدن بفارس النيران
وتساقطت شرفات صرح مليكها*** وانشق مرتجاً به الأيوان
ما ان هوى عند الولادة ساجداً*** حتى هوت لوجوها الأوثان
هو رحمة للعالمين وحبه*** في الحشر من هول المعاد أمان
ان تكس الأكوان حلّة زهوها*** فيه فقد خلقت له الأكوان
ما مر ذكر للتبيين الأولى*** إلا وذكر المصطفى عنوان
ما معجزاتهم التي سلفت سوى*** خبر ومعجزة العظيم عيان

هذا الكتاب فهل أتت في آية*** من مثله إنس الورى والجبان
بالسيف أرسله لير شد أمة*** لم تهدها الآيات والبرهان
وجد الأنام على الضلالة عكفا*** وكرامة التوحيد ليس تصان
ورأى الورى في حيرة فبدا به*** نور الحقيقة فاهتدى الحيران
نشر التضامن بينها في دعوة*** طويت بها الأحقاد والأضغان
مارفٌ للتوحيد لولا شرعه*** علم ولا للعدل شيد كيان
ومكارم الأخلاق كانت تشتكي*** نقصاً فتم بأحمد النقصان
من ذا يحيط بكنهه من بعد ما*** أثنى عليه بوحيه الرحمن
بأبي خلائفه التي في وصفها*** قد حارت الأوهام والأذهان
جازى إساءة قومه بتكر*** منه جميل الصنح والاحسان
وأغرّ توجه الجليل بعزه*** فعنت لعز جلاله التيجان
لولا معاجزه وسيف وصيه*** ما دانت الأبطال والأقران
كان المعين له بكل كريهة*** نكصت بها الأنصار والأعوان
صلّى الإله عليهما ما أشرق*** شمس ولاح بأفقه كيوان

بمُحمّدٍ خطرُ المَحَامِدِ يَعْظُمُ*** وَعُقُودُ تيجانِ القَبُولِ تُنظَّمُ
ولَهُ الشَّفَاعَةُ وَالْمَقَامُ الأَعْظَمُ*** يَوْمَ القُلُوبِ لَدَى الحَنَاجِرِ كُظْمُ
صلوا عليه وآله وسلّموا

قَمَرٌ تَقَرَّدَ بِالكَمَالِ كَمَالُهُ*** وَحَوَى المَحَاسِنَ حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ
وَتَنَاولَ الكَرَمَ العَرِيضَ نَوَالُهُ*** وَحَوَى المَفَاخرَ فخرُهُ المُتَقَدِّمُ

صلوا عليه وآله وسلّموا

والله ما ذرأ الإله ولا برا*** بشراً ولا ملكاً كأحمد في الورى

فعلية صلى الله ما قلّم جرى*** وجلّ الدياجي نوره المتبسم

صلوا عليه وآله وسلموا

ص: 60

طَلَعَتْ عَلَى الْآفَاقِ شَمْسُ وُجُودِهِ *** بِالْخَيْرِ فِي أَعْوَاءِ وَجُودِهِ

فَالْخَلْقُ تَزَعَى رَيْفَ رَأْفَةِ وُجُودِهِ *** كَرَمًا وَجَارَ جَنَابِهِ لَا يَهْضَمُ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِّمُوا

سَبَقَتْ نُبُوتُهُ وَآدَمَ طِينُهُ *** بِوُجُودِ سِرِّ وَجُودِهِ مَعْجُونَةٌ

فِيهَا الْمَنَاصِبُ وَالْأُصُولُ مَصُونَةٌ *** وَقُرِيتُ أَرْحَامُ لَدَيْهِ وَمَحْرَمُ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِّمُوا

طُوبَى لِعَبْدٍ زَارَ مَشْهَدَ طَيْبَةٍ *** وَجَلَّابِ نُورِ الْقَلْبِ ظُلْمَةَ غَيْبَةٍ

يَدُنُو وَيَتَنَدَّى السَّلَامَ بِهَيْبَةٍ *** وَيَمْسُ قَبْرَ مُحَمَّدٍ أَوْ يَلْتَمُ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِّمُوا

قَبْرٌ يَحْطُ الْوِزَرَ مَسْحُ تُرَابِهِ *** وَيَنَالُ زَائِرُهُ عَظِيمَ ثَوَابِهِ

لِمَ لَا وَسِرُّ الْمُرْسَلِينَ ثَوَى بِهِ *** قَمَرُ الْمَحَامِدِ وَالرُّوُفِ الْأَرْحَمِ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِّمُوا

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نور

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (1)

جاء في تفسير نور الثقلين (2) نقلاً عن أصول الكافي: عن مولانا أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: حديث طويل في طينة المؤمن والكافر، وفيه: «أو من كان ميتاً

ص: 61

1- سورة البقرة: 257 .

2- 265 / 2

فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله بينهما بكلمته ، كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور ، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور .

وقال العالم الرباني والحجة المفسر مولانا الحاج محمد حسين فضل الله دامت بركاته في تفسيره الجليل (من وحي القرآن)(1) ما لفظه : إنَّ الله تعالى يفتح للمؤمن آفاق النور من خلال هدايته فيما يوحي خلال هدايته فيما يوحي إليه من آياته وفيما يشرع له من شرائعه ، وفيما يقوده إليه النور المتدفق من كلِّ جانب من جوانب الحياة، وأخذوا إلى الأرض، وعاشوا للحظة الحاضرة ، وغرقوا في ظلام الشك .

ويمكن أن يقال في معنى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يراد به إخراجهم من ظلمات الجهل مطلقاً الى نور المعرفة والايمان بالله والايمان بمحمد وآله الذين هم نفس النور.

ويدلّ عليه ما جاء في الحديث عن مسعدة بن صدقة قال: قص أبو عبدالله(عليه السلام) قصة الفريقين جميعاً في الميثاق حتى بلغ الاستثناء من الله في الفريقين فقال : إن الخير والشر خلقان من خلق الله ، له فيهما المشية في تحويل ما شاء الله فيما قدر فيها حال عن حال ، والمشية فيما خلق لها من خلقه في منتهى ما قسم لهم من الخير والشر، وذلك ان الله تعالى قال في كتابه : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) الآية إلى أن قال: فالنور آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) والظلمات عدوهم .

حديث ولادة النور

ومما يدلّ على أن محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) هو النور ما جاء في حديث أبان بن عثمان

ص: 62

رفعه بإسناده، الى أن قال : قالت آمنة(عليه السلام) : لما قربت ولادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأيت جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب، وأتيت بشربة بيضاء وكنت عطشى فشربتها فأصابني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً تحدثني، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام آدميين، حتى رأيت كالديباج الأبيض قد ملأ بين السماء والأرض وقائل يقول : خذوه من أعز الناس، ورأيت رجالاً وقوفاً في الهواء بأيديهم أبريق، ورأيت مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوتة قد ضرب بين السماء والأرض في ظهر الكعبة فخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)رافعاً إصبغه إلى السماء ، ورأيت سحابة بيضاء تنزل من غشيته(صلى الله عليه وآله وسلم)، فسمعت نداء : طوفوا بمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم)شرق الأرض وغربها والبحار لتعرفوه باسمه ونعته وصورته . ثم انجلت عنه الغمامة، فإذا أنا به في ثوب أبيض من اللبن وتحتة حريرة خضراء، وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب، وقائل يقول : قبض محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) على مفاتيح النصر والريح والنبوة ، ثم أقبلت سحابة أخرى فغيبته عن وجهي أطول من المرة الأولى ، وسمعت نداءً يقول : طوفوا بمحمد الشرق والغرب واعرضوه على روحاني الجن والإنس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم، ورقة، نوح، وخلة، إبراهيم ولسان إسماعيل، وكمال يوسف، وبشرى يعقوب، وصوت داود، وزهد يحيى ، وكرم عيسى (عليه السلام). ثم انكشف عنه ، انكشف عنه، فإذا أنا به ويده حريرة بيضاء قد طويت طياً شديداً وقد قبض عليها ، وقائل يقول: قد قبض محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) على الدنيا كلها فلم يبق شيء إلا دخل في قبضته. ثم إن ثلاثة نفر كأن الشمس تطلع من وجوههم، في يد أحدهم إبريق فضة وناقحة مسك ، وفي يد الثاني طشت من زمردة خضراء لها أربع جوانب من كل جانب لؤلؤة بيضاء، وقائل يقول: هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله ، فقبض على وسطها ، وقائل يقول : اقبض الكعبة وفي يد الثالث حريرة بيضاء مطوية فنشرها ، فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين فيه، فغسل بذلك الماء من الابريق سبع مرات مرات ثم ضرب الخاتم على

كتفيه وتقل في فيه فاستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال، إلا أنه قال : في أمان الله وحفظه وكلايته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً و يقيناً وعقلاً وشجاعة. أنت خير البشر ، طوبى لمن اتبعك وويل لمن تخلف عنك ، ثم ادخل بين أجنحتهم ساعة وكان الفاعل به هذا ،رضوان، ثم انصرف وجعل يلتفت اليه ويقول : ابشر يا عزّ بعز الدنيا والآخرة. ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنه شعلة نار نوراً ، ورأيت حولي من القطا أمراً عظيماً قد نشرت أجنحتها.

وجاء في حديث ثانٍ رواه ثقة الاسلام وشيخ الطائفة بأسانيد معتبرة عن الباقر والصادق (عليهم السلام)قال : لما ولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء رجل من أهل الكتاب الى ملاً من قريش فيهم هشام بن المغيرة والعاص بن هشام وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أمية وعتبة بن ربيعة فقال : أولد فيكم مولود الليلة ؟ فقالوا : لا . قال : إذن فولد بفلسطين غلام اسمه أحمد به شامة كلون الخبز الأدكن، ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه. قد أخطأكم والله يا معشر قريش فتفرقوا وسألوا، فأخبروا انه قد ولد لعبد الله بن عبدالمطلب ،غلام، فطلبوا الرجل فلقوه، فقالوا : لقد ولد فينا والله غلام . قال : قبل أن أقول لكم، أو بعد ما قلت لكم ؟ قالوا : قبل أن تقول لنا.

قال : فانطلقوا بنا إليه حتى ننظر إليه ، فجاؤوا إلى أمه فقالت : إن ابني والله لقد سقط وما سقط كما يسقط الصبيان، لقد اتقى الأرض بيديه ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها ثم خرج منه نور حتى نظرت إلى قصور بصرى، وسمعت هاتفاً في الجو يقول : لقد ولدته سيّد الأمة ، فاذا وضعته قولي:

أعيذه بالواحد*** من شر كل حاسد

وسميه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم). قال الرجل : فأخرجته فنظر إليه، ثم قلبه ونظر الى الشامة بين كتفيه فخر مغشياً عليه ، فأخذوا الغلام فأدخلوه إلى امه وقالوا : بارك من مصير ، وفيما يثيره في أفكاره من مفاهيم مضية... .

وبذلك لا يمكن أن يعيش المؤمن معاني القلق والضياع والحيرة، ولا يشعر بالجو الضبابي يغلف رؤيته للأشياء التي حوله، ولا يتخبط في ظلمات الريب والشك والشبهة. ولا يتعقد أمام الأزمات التي تختنق في داخله لتخنق له حياته، لأنه يعرف من خلال إيمانه كيف يخطط لطريقه الذي لا التواء فيه ولا انحراف ويشعر بالنور يقتحم عليه وعيه للأشياء من من حوله، ويزيل عنه كل ريب وشبهة .. ويشعر في الوقت نفسه ان الكون يتحرك بالقوة الحكيمة الرحيمة القادرة التي تسيطر على كل شيء وتضع كل شيء بحساب وتقضى كل شيء بحساب، وبذلك لن تكون الحياة خشبة في مجرى التيارات، بل هي سفينة تسير بقيادة مدير حكيم.

حتى الموت- في وعي المؤمن - ليس ظلاماً وليس نهاية كل معاني الحياة، بل هو انفتاح على الله في حياة جديدة يواجه فيها الانسان نتائج مسؤوليته ، كما كان يواجه في الدنيا حركة المسؤولية ...فهو يعيش في وضوح الرؤية في الدنيا، وينطلق مع وضوح الرؤية في الآخرة ... وفي ضوء ذلك نفهم كيف يخرج الله الذين آمنوا من الظلمات إلى النور.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

وقال أعلى الله كلمته وأمد الله تعالى في ظله الشريف ومتع الله المسلمين بطول بقائه: أما الذين كفروا بالله تعالى فهم الذين أغلقوا عيونهم عن الله لك فيه ، فلما خرجوا أفاق ، فقالوا له : مالك وملك ؟ قال : ذهب نبوة بني اسرائيل الى يوم القيامة، هذا والله من يبيهم . ففرحت قريش بذلك، فلما رأهم قد فرحوا قال : ، فرحتهم ، أما والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب.

من خلال سرد هذين الحديثين نعلم عظمة محمد وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف انهم نور، وكيف ان الله تعالى يخرج بهم الذين آمنوا من الظلمات الى النور، وإن كان الحديث الأول والثاني مخصوصين بجدهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنهما قد بينا لنا الفضائل والمعجز التي قد ظهرت عند ولادته (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما اتضح أيضاً من خلال ذلك ان عصر الجهل

والظلمات وعبادة الأوثان قد ولي بقدم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى دنيا الوجود وتشریفها بطلعته .

قال مولانا الصادق الا في معاجز يوم ولادة جده محمد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): أصبحت الأصنام على وجوهها ، وارتح ايوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرفة ، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ولم يبق سرير لملك إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها.

نعم، إن ولادته قد قصمت ظهور الجبابرة والأكاسرة والقياصرة. وجاءت بالهدى ودين الحق ، فكانت رحمة للعالم الكوني قد محقت الشرك والضلال وقصمت القيود والأغلال من أعناق المحرومين والمظلومين، وحررت البشرية من العبودية الزائفة، ودعتها الى العدل والمساواة، فوحدت بين أفراد البشر أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم ، شرقهم وغربهم، غنيهم وفقيرهم، رئيسهم ومرؤوسهم.... فكلهم في نظر الاسلام الذي شع نوره ببركة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بنو أب واحد حيث إنهم مخلوقين من طينة واحدة ولهم إله واحد ، ومرجعهم الى واحد، ومعاشهم ومعادهم، دنياهم وآخرتهم، حشرهم ونشرهم ، كل ذلك تسود عليه الوحدة الشاملة، من حيث إن الدين والاسلام دين الوحدة الكبرى في هذا العالم الفسيح .

نعم، إنه نور سطع من أم القرى أشرف البلاد وأفضلها على الله سبحانه وتعالى، بلدة فيها الخيرات والبركات، وقد زادت خيراتها وبركاتها وموارد فضائلها فأصبحت نامية طامية ببركة ولادته وبزوغ نوره فيها . بلدة دعائم بيتها بالأمن والطمأنينة مأهولة ، وأدعية العاكف والباد بكعبتها مستجابة ، وقد أجاد في وصفها الخوري يوسف اسطبان حيث قال :

وأم القرى بين الأعراب مكة*** لها الشرف العالي القديم الممجد

أقام بها التوحيد ديناً مشرفاً*** وأثبت مجد العرب فيها محمد

بلدة من أهم أسباب نموها حاجة الحجيج، إذ كانوا يطلبون المأوى والملجأ فلا يجدون سواها، وهي النقطة الواصلة بين الهند والشام ومصر وغيرها.

وكان حكامها في ذلك الوقت من قريش وأما سائر الأمة العربية فكانوا متفرقين قبائل في أنحاء الصحراء، يفصل بعضها عن بعض البيد والقفار وعلى كل قبيلة أمير وأمراء. وأما الحرب بين القبائل فقل أن تخمد جذوتها، ولم يكن يؤلف قلوبهم أي حلف علني سوى تلاقيهم عند الكعبة حيث كانت مجتمعة على اختلاف وثنتهم. وقد ظل العرب على هذه الطريقة من النزاع والتخاصم أحقاباً طويلاً، في قتال مستمر ونزال، متحكم وسلب ونهب وتحاسد وتباغض وتقاتل وتناحر لا تخبو نارها ولا يهدأ سعيها، تلتهم الرجال، وترمل النساء وتيتم حروبهم الأطفال، وخطبائهم وشعراؤهم أسوء حالاً منهم يستحثون العزائم، ويستفزون العواطف، ويشجعون الجبان، ويحضون على الطعن والنزال.

يقول جون لا بوم وهو يصف العالم قبل الاسلام: «كان جو الأرض متلبداً، بسبب الاضطرابات الوحشية في كل جهة، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير، وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة، أشدهم صيحة في ميدان الحروب والمعارك. والعمل الغالب لهم سلب الأمم والشعوب».

نعم، من وسط هؤلاء بزغ النور الإلهي كاشفاً عن الظلمة مبدداً السواد الحالك في قبة السماء، نور من صفوة سلالة قريش ونخبة بني هاشم، وأصلها أشرف العرب بدواً وحضراً وأفضلهم بيتاً وأعزهم نفراً، لم يزل ينتقل من خير الآباء إلى خير الأبناء حتى انتهى إلى كبير مكة عبد المطلب بن هاشم ثم إلى أبيه عبدالله والد المصطفى، أشرف الناس نسباً عجباً وعرباً، فهو ذو نسب زكي؛ إبراهيم خليل الله دعامة وإسماعيل شامه وكنانة ذمامه وقريش نظامه وهاشم تمامه اختاره الله تعالى من أرفع البيوت والمنازل، وإلى ذلك يشير بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا،

واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم؛ فأنا خيار من خيار من خيار. وما أحسن ما قاله عمه أبو طالب (عليه السلام) :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمعشر*** فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حصلت أنساب عبد منافها*** ففي هاشم اشرافها وقديمها

وإن فخرت يوماً فان محمداً*** هو المصطفى من سرها وكريمها

ولقد أشرنا إلى أسماء تلك الصفوة من سلالته في الجلسة المتقدمة.

قال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «مستقره خير مستقر، ومنبته أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار وثبتت إليه أزمة الأبصار، دفن الضغائن وأطفأه الثوائر، ألف به اخواناً، وفرق به أقراناً، أعزّ به الذلة، وأذلّ به العزة، كلامه بيان، وصمته لسان».

هو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي حول نظام العالم من الجهل إلى العلم ومن الوثنية إلى عبادة الخالق عز اسمه ومن العبودية إلى التحرر.

أحدث نوره حدثاً في العالم لانظير له في التاريخ العالمي، إذ ليس هناك مصلح واحد أحدث مثل هذا التغيير الشامل في حياة بأكملها تقطن بلائداً بهذه السعة، وما من منقذ وجد قومه يخرون للأذقان غرقاً في الخسة والدناءة مثلما وجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) العرب.

قال «السير ولم سوير» في كتابه سيرة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): «امتاز محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بوضوح كلامه وبرؤيته وانه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب. لم يشهد الدهر مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق الحسنة ورفع شأن الفضيلة».

وليس ثمة أحد يستطع أن يسمو بقومه مادياً وعقلياً وروحياً إلى الآفاق العليا كما سما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آخذاً بيد قومه إلى رحابها مع ان وثنيتهم وجاهليتهم كانت على حال من التأمل والاستقرار في نفوسهم ومعتقداتهم وعاداتهم كانت على نحو متين من الأحكام والتفلغل فضلاً عن ذلك بأن سلطان التسلط الذي كان في زمنهم

من الروم والفرس والدعاية المسيحية واليهودية. وكل منها مستندة إلى قوى دولها المادية، ومع ذلك لم تستطع أن تحدث أقل تغيير في حالتهم وهذه المحاولات الاصلاحية ، قد خلفت أمة العرب على أسوء حال من المبادئ الدينية والأخلاقية. وتلك التي رشحوا في أغلالها أحقاباً من الدهر.

وعلى كل حال قام بالمهمة حاملاً أثقالها متقلداً زمام الأمر ، ناشراً دعوته سراً وعلناً ، إلى أن بذل الجهد خلال ثلاث وعشرين سنة فبدلهم تبديلاً شاملاً.

فأضحت عبادة الأوثان شيئاً تافهاً . وانمحت معالم الوثنية في بلاد العرب قاطبة. وتيقظ في كل الأمة الشعور بكرامة الانسان الحققة، واستيقنت حماقة السجود للأشياء التي خلقت ليهيمن عليها الانسان ويسخرها ويتسلط عليها ويقهرها .

ولم يتخلص العربي من الرذيلة والفجور العلني فحسب... بل اندفع في قوة وحماس جامع وطموح نحو الاتيان بالفضائل النبيلة في سبيل ما هو اسمى من كل شيء في سبيل الفضيلة الحققة ومثالي الانسانية الصحيحة.

ولفظت العادات الجائرة والقوانين المزيفة أنفاسها وولت بدون رجعة . وكأثما قد مرت بها عصاً سحرية فمحتها عن عالم الوجود كأن لم تكن وأبدلت بالتي هي أحسن قوانين عادلة وأنظمة موافقة لقانون البشر في جميع الأزمنة ، وأما الخمر فقدراختفت رسومه اختفاء عظيماً وأصبح في خبر كان... فدالت دولة الظلم والجور منسحبة بانتظام. أو بقهقرة وانهيار لا تلوى على شيء. مخلية الطريق للعفة في أعلى مراتبها .

سبحانك ... اللهم ربنا مقلب القلوب والأبصار ومغير الأحوال بعد ما كان العربي يعد الجهل والظلم والاستبداد مفخرة وكرامة وشجاعة. استحال إلى كلف بالمعرفة يغترف العلم من كل معين ويرتشفه من كل إناء حيثما وجد إليه سبيلاً .

والذي يحير الفكر ويدهش العقل ويجلب المحبة من قوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاذبيته

واقتراده على أن يخلق من ذلك المجتمع المتفكك قوة عظيمة وصفاً واحداً. انقلاب سريع وتحول مباحث في حياة الفرد وأحوال الأسرة وظروف المجتمع وملابس الأمة ومطالب البلاد.

حياة جديدة بكل معانيها ، ونشاط فكري بكل نواحيه وارتقاء روحي لأعلى مراتب الكمال.

هاهي الساعة الأخيرة الخطر والفيصل النهائي أعلنت بانقلاب اهتز له العالم ، انتصر القائد الملهم ، وفشل العدو ورجع القهقري لا تقوم له قائمة ولا ترفع له راية ، رفعت راية الحق ، نودي بها من السماء....

(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا).

جاء الحق الذي يهدي به الله المؤمنين ويخرجهم من الظلمات إلى النور ببركة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) النبي العظيم والرسول الكريم والمصطفى المؤيد من رب السماء.

لهذا - ولا شك - فإن النفوس في يوم مثل هذا اليوم المبارك بمناسبة ذكرى ولادته (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا بد وأن تكون مبتهجة والقلوب مسرورة مستبشرة بقدوم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى دنيا الوجود بنوره المشرق الذي هو أصل كل نور في الكون.

كل نور في ساحة الكون بادي*** فهو من فضل نور خير العباد

أحمد المصطفى من الله قدماً*** قبل خلق الآزال والآباد

ملاً الكون وهو في حجب الغيب*** سناه بنوره الوقاد

قم نهني من في الوجود جميعاً*** بسنا نور ليلة الميلاد

يا لها ليلة بصبح هداها*** قد تولت غياها بالاحاد

واهتدى كل مهتد بهداها*** حيث لولاه لم يكن من هاد

أول المرسلين والقطب فيهم*** وعليه يدور هدي العباد

بتعليمه النبيون جاؤوا*** فاستتارت بذاك طرق الرشاد

كم له آية بها اخرس العقل*** حديثاً ومنه نطق الجماد

لو أشارت لجامح الدهر يمناه*** لعاد الزمان سلس القيادة
فهو الغوث إن ألمّ ملم*** وهو الغيث إذ تضمن الفوادي
نافذ الأمر لو يشا قال سيرى*** وقفي للأفلاك والاطواد
واجابته طيعاً بل وما اختل*** نظام ولم يكن من فساد
كم له في عروجه معجزات*** وشؤون وكم له من ايادي
وطأ العرش بالنعال فنال*** العرش فخراً على جميع الشداد
اين طه من الكلیم المنادي*** ب- (اخلع) النعل حيث جئت الوادي
ويظن الجهول ان فخر طه*** بارتقاه للعرش دون العباد
ولعمري لقد تشرف فيه*** كيف لا وهو علة الایجاد
دع حديث المكان واذكر حد*** يث القرب من ربه بذاك النادي
كان من ربه تعالى عن القرب*** المكاني في مقام الوداد
ثم قف ان ما وراه مقام*** لم يحم حوله سليم فؤاد
وكفى سيد النبيين فخراً*** بعلي وآله الأمجاد
معشر تدعي الألوهة فيهم*** وهم يفخرون بالانقياد
لا تلم مدعي الألوهة فيهم*** بعد دعوى التثليث والاحاد
هل رأوا من يسوع ما قد رأوه*** منهم في اقتدارهم والأیادي
ليس تحصی مناقب الآل إلا*** حيث تحصی مراتب الأعداد
صاح شتّف بذكر بعض المزایا*** مسمع الدهر تحي قلب الجماد
لا تقل أنه جماد واني*** لجماد قلب يعي انشادي
فلعمري في حبههم كلّ شيء*** ذاق لطفاً حلاوة الایجاد
علماء قد أودع الله فيهم*** كل علم وما له من نفاذ

حجج الله في العوالم طراً***وآليهم إياهم في المعاد

ص: 71

ولائي لآل المصطفى ونيهم*** وعترتهم أزكى الورى وذويهم

بهم سمة من جدهم وأبيهم*** هم القوم أنوار النبوة فيهم

تلوح وآثار الإمامة تلمع

نجوم سماء المجد أقمار تمّه*** معالم دين الله أطواد حلمه

منازل ذكر الله حكّام حكمه*** مهابط وحى الله خزّان علمه

وعندهم سرّ المهيمن مودع

مديحهم في محكم الذكر محكم*** وعندهم ما قد تلقاه آدم

فدع حكم باقي الناس فهو تحكّم*** إذا جلسوا للحكم فالكلّ أبكم

وإن نطقوا فالدهر إذن ومسمع

بحبّهم طاعاتنا تتقبل*** وفي فضلهم جاء الكتاب المنزل

يعمّ شذاهم كلّ أرض ويشمل*** وإن ذكروا فالكون ندو مندل

لهم أرج من طيبهم يتضوّع

دعا بهم موسى ففرج كربه*** وكلمه من جانب الطور ربه

إذا حاولوا أمراً تسهّل صعبه*** وإن برزوا فالدهر يخفق قلبه

لسطوتهم والأشد في الغاب تفرع

فلولا هم ماسار فلك ولا جرى*** ولا ذرأ الله الأنام ولا برى

كرام متى ما زرتهم عجلوا القرى*** وإن ذكر المعروف والجود في الورى

فبحر نداهم زاخر يتدقّع

أبوهم أخو المختار طه ونفسه*** وهم فرع دوح في الجلالة غرسه

وأُمّهم الزهراء فاطم عرسه*** أبوهم سماء المجد والأمّ شمسه

نجوم لها برج الجلالة مطلع

لهم نسب أضحى بأحمد مُعرقاً*** رقا منه للعلياء أبعد مرتقى

وزادهم من رونق القدس رونقا*** فيا نسباً كالشمس أبيض مشرقاً

ص: 72

و يا شرفاً من هامة النجم أرفع

كرام نماهم طاهر متطهر*** وبث بهم من أحمد أحمد الطهر عنصر

وأثمهم الزهراء والأب حيدر*** فمن مثلهم في الناس إن عد مفخر

أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمع

علي أمير المؤمنين أميرهم*** وشبرهم أصل التقى وشبيرهم

بهاليل صوامون فاح عبيهم*** ميامين قوامون عز نظيرهم

هداة ولادة للرسالة منبع

مناجيب ظل الله في الأرض ظلهم*** وهم معدن للعلم والفضل كلهم

وفضلهم أحياء البرايا وبذلهم*** فلا فضل إلا حين يُذكر فضلهم

ولا علم إلا علمهم حين يرفع

إليهم يفر الخاطئون بذنبهم*** وهم شفعاء المذنبين لربهم

فلا طاعة تُرضى لغير محبهم*** ولا عمل ينجي غداً غير حبهم

إذا قام يوم البعث للخلق مجمع

حلفت بمن قد أم مكة وافدا*** لقد خاب من قد كان لآل جاحدا

ولو أنه قد قطع العمر ساجدا*** ولو أن عبداً جاء الله عبدا

بغير ولا أهل العبا ليس ينفع

بني أحمد ما لي سواكم أرى غدا*** إذا جئت في قيد الذنوب مقيدا

أناديكم يا خير من سمع النداء*** أيا عترة المختار يا راية الهدى

إليكم غداً في موقفي أتطلع

فوالله لا أخشى من النار في غدٍ*** وأنتم ولادة الأمر يا آل أحمد

وها أنا قد أدعوكم رافعاً يدي*** خذوا بيدي يا آل بيت محمد

فمن غيركم يوم القيامة يشفع

إن ولاء آل بيت الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرض واجب على كل مسلم ومسلمة بنص

ص: 73

القرآن الكريم: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، ولكن لم يبرح أعداء الاسلام حرمتهم لاسيما حرمة الصديقة فاطمة الزهراء
عزيزة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحببته فإنها قد أوذيت ، ولسان حالها يقول :

حق الرسالة يا محمد ما تأده ***منهم ولا شفنا كرامة او لا موده

جاني الظالم واتبعه غيره ابعده *** او رايات معقودات داروها على الباب

ولا كفاهم غصب ميراثي أو منعي *** حتى اعصروني وكسروا بالباب ضلعي

أو بس ما سمعني يا الأبوابي أو انعي *** قالوا اضربوها لا نصب الدمع سكاب

والله يوبراهيم ما بطل حنيني *** ما دام يطرق مسمعي واتشوف عيني

جماعة اللي اسقطوا بعدك جنيني *** او قادوا وصيك واعصروني ابصائر الباب

قلها يا بنت المصطفى خفي شكاياك *** يوم القيامة تجتمع بالحشر وياك

وابدي الشكاية او ناخذ بحقكم اعداك *** لا بدّ ما ياتون كل من حامل اكتاب

يأتوا بيوم ما يسعهم فيه انكار *** وابدي الشكاية أو يأخذ ابحقك الجبار

وانا خصيم اللي لفي بالحطب والنار *** والكل يذكر ما صنع في يوم الحساب

نعم يأتون في يوم الحشر والحساب ويسألون عما أوصاهم به رسول الله في حق بضعته الزهراء من مراعاتها وحفظها ، ويسألون أيضاً عن
مخالفتهم لتلك الوصية :

ما وصى ابكتاب طه في حياته وعترته *** سيما الكرار حيدر والبتولة بضعته

ما درينا اشها الوصية اللي وصى بيها الرسول *أمر فاطم يحفظوها لو وصى بعصرالبتول

ما وصى ابطاعة وصيه المرتضى فحل الفحول *لووصى تنحرق داره وينسحب بعمامته

ما وصى وحى من الله ليش حبتر غيره *** قبل ما يندفن جسمه صعد حبتر منبره

هتاك حيدر حرق داره ضلع ناظم كسره *** من ضربها اجنينها اللي في بطنها ذبته

ليت يم الباب تصرخ شاف للزهرا الأمين * تنتخي به انكسر ضلعي وسقطو مني الجنين

إلى متى هالصبر دنهض يا أمير المؤمنين *** قام ليث الله لجلها او شهر سيفه ابراحته

آه يا لولا الوصية ما اكفاية اتقربوه *** ذكر طه وحل عزمه وبالحمائل لبيوه

وفرت الزهرا مروعه يوم قاموا يسحبوه *** ورم الفاجر متنها وادمي خدها ابلطمته

ويذكرني يا شيعة فرار الصديقة (عليه السلام) خلف ابن عمها وكفيلها عندما نظرت إليه والقوم يسحبونه بفرار بنات الرسالة وهن مروعات من المخيم إلى كفيلها الحسين وهن حافيات باكيات يمشين في أسر الذلة.

وفي بعض المقاتل: ان زينب الكبرى أقبلت على زين العابدين وقالت: يا بقية الماضين وثمان الباقيين، قد أضرموا النار في مضاربنا فما رأيك فينا؟ فقال (عليه السلام): عليكن بالفرار، ففررن بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صائحات باكيات نادبات:

وتواكل في النوح تسعد مثلها *** رأيت ذا تكل يكون سعيدا

حنت فلم تر مثلهن نوائحا *** إذ ليس مثل فقيدهن فقيدا

لا العيس تحكيها إذا حنت ولا *** الورقاء تحسن عندها التغريدا

ان تنع أعطت كل قلب حسرة *** او تدع صدعت الجبال الميدا

عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن *** زفراتها تدع الرياض همودا

وغدت أسيرة خدرها ابنة فاطم*** لم تلف غير أسيرها مصفودا

تدعو بلهفة تاكل لعب الأسي*** بفؤاده حتى انطوى مفؤودا

تخفي الشجا جلدأ فإن غلب الأسي*** ضعفت فأبدت شجوها المكمودا

نادت فقطعت القلوب بشجوها*** لكنما انتظ انتظم البيان فريدا

إنسان عيني يا حسين أخي يا***ملي وعقد حمائي المنضودا

مالي دعوتك لا تجيب ولم تكن***عودتني من قبل ذاك صدودا

المحنة شغلنتك عني أم قلى*** حاشاك انك ما برحت ودودا

وقال السيد الجليل السيد حيدر الحلي رضوان الله تعالى عليه :

فإن التي لم تبرح الخدر أبرزت*** عشية لا كهف فتاوى الى كهف

لقد رفعت عنها يد القوم سجفها*** وكان صفيح الهند حاشية السجف

وقد كان من فرط الخفارة صوتها*** بغض ففض اليوم من شدة الضعف

وهاتفه ناحت على فقد ألفها*** كما هتفت في الدوح فاقدة الألف

لقد فرغت من هجمة الخيل ولها*** إلى ابن أبيها وهو فوق الثرى مغف

فنادت عليه حين الفته عارياً*** على جسمه تسفي صبا الريح ما تسفي

حملت الرزايا قبل يومك كلها*** فما انتقضت ظهري ولا أوهنت كنفي

وأعظم مصيبة على تلك النساء الهاشميات عندما مروا على القتلى، وذلك عند ما عزموا على الرحيل، إذ طلبت السيدة زينب سلام الله عليها من الحادي أن يمر بهم على كفيهنّ للوداع :

ريض يحادي الظعن خلنا انودع احسين*** ما هي امروه ايظل عاري بغير تكفين

ما هي امروه انشيل عنه او ما نواريه*** جسمه امروض والترائب سافيه اعليه نمشي بلا والي او والينا نخليه*** بالظعن بالله خبروني القصد لاوين

بالله دخبروني قصدكم وين بينا*** مترد جوابي يا الذي اتسوق الطعينة

رايح الكوفه لتودونا المدينة*** بالله درحموا هالعليل او هالنساوين

ص: 76

ثم جعلت تودع الحسين عليه الصلاة والسلام وتقول:

ودعتك الله يا جسد حامي الطعينة *** ساقوا مطايانا العدى او قوه مشينا

ودعتك الله يا ذبيح محتظى ابماي *** عنك ينور العين سافرت ابيتاماي

يمقطع الأوصال لو يحصل على اهواي *** ما فارقت جسمك يسلمطان المدينة ودعتك الله سفرتي صعبه او طويله *** يحجاب صوني ناقتي
عجفا او هزيله

محد بقى منكم يعقلي نلتجي له *** بس العليل او فوق ناقة امقيدينه

ودعتك الله يا طريح ظل عريان *** يا ليت خلّوك يخويه ثيابك اكفان

شال الطعن عنكم او والي الحرم وجعان *** كلما سمع طفله تون ايدير عينه

اوداعة الله يا عرايا ابجر الشموس *** صرعى او عليكم يخوتي خيل العدى ادوس اعد اوياكم لو اقوض واتبع الروس *** بيتامكم شمر الخنا
قوض اطعوته

اوداعة الله الروس شالت ويا ليتام *** ما ظنتي ابها الحال لقشر نوصل الشام حافظكم الله يا علي لكبر او جسام *** او ياللي على المسناة
متقوم انولينه

ودعتك الله يا قمر هاشم يسردال *** نايم ابجنب المشرعة او ظعن الحرم شال

من يعدل الهودج يخويه لو صفى او مال ** قطع الفيافي ابلا ولي ويني اوينه

يا خوي دورات الدهر كلها عجائب *** بالأمس حولي اشبال من فرسان غالب

واليوم راسي امن الهضم والضيم شايب *** نمشي حواسر والولي يبقى رهينه

هذا هو القسم الثاني من الجزء الأول من كتابنا (موسوعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة) وهو يشتمل على ثلاث جلسات مفيدة تتعلق بذكرى مبعث الرسول الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد ختمنا الجلسات المذكورة بموجز يسير من مصيبيته ومصيبة ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليه وعليها أفضل الصلاة والسلام...

كما لا يخفى على القارئ الكريم أن الجلسات المذكورة بموجب تقسيم الكتاب إلى الأقسام الأربعة المشار إليها في المقدمة فإنّ هذا القسم بحسب تنظيم الكتاب وترقيمه يكون مشتمل على الجلسة الرابعة والخامسة والسادسة .

رجب الشريف المشتهر*** فيه لقد زال الكدر
شهر به بعث الرسول*** المصطفى خير البشر
للخلق بالهدى المنور*** للبصائر والفكر
أوحى الجليل إليه انذر*** للعشيرة والأسر
إن المطيع اليك ناج*** والمعاند في سقر
الساعة اقتربت به*** له قد انشق القمر
يا من عليه تنزلت*** بالوحي آيات السور
ما تنطقن عن الهوى*** بل وحي رب قد قدر
ناديت في الملاء القرشي*** ملاء صوت قد جهر
ادعوكم أن تعبدوا*** الله الذي خلق البشر
وبأنني لرسوله*** ودعوا العبادة للحجر
هذا كتاب الله*** معجزه إلى ومفتخر
فأتو بعشر مثله*** سورا كهاتيك السور
عجزوا وكان جوابهم*** حربا يشب بها الشعر
كم حاولوا أطفاء نور*** الله في شتى الصور
لكن أراد الله أن*** يعلو الهدى ولك الظفر
فلترفوا الصوات*** بالصلوات يا من قد حضر

أَعْلَمْتَ مَنْ رَكِبَ الْبُرَاقَ عَنِيْمَا*** وَتَلَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينِ نَدِيمَا

حَتَّى سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ قَدُومَا*** وَدَنَا وَكَلَّمَ رَبُّهُ تَكْلِيمَا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا»

وَمَنْ الْمُخَصَّصُ بِالنُّبُوهِ أَوْلَا*** وَأَبُوهُ آدَمُ طِينُهُ لَمْ يَكْمَلَا

وَمَنْ الَّذِي نَالَ الْعُلَا حَتَّى عَلَا*** شَرَفًا وَحَازَ الْفَخْرَ وَالْتَفَخِيمَا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا»

ذَاكَ ابْنَ أَمِينَةِ الْبَشِيرِ الْمُنْذِرِ*** الصَّادِقِ الْمُزْمَلِ الْمَدْثِرِ

السَّابِقِ الْمُتَقَدِّمِ الْمُتَأَخِّرِ*** حَاوِي الْمَفَاخِرِ آخِرًا وَقَدِيمَا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا»

اخْتَارَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا*** وَاخْتَصَّهُ بِالْمَكْرَمَاتِ وَفَضْلَا

وَهَدَاهُ بِالْوَحْيِ الشَّرِيفِ مُفَضَّلًا*** سُؤْلًا وَذِكْرًا مِنْ لَدِيهِ حَكِيمَا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا»

هُوَ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخَاتَمُ رُسُلِهِ*** وَأَمِينُهُ الْمَخْصُوصُ مِنْهُ بِفَضْلِهِ

لَا دَرُّ دُرِّ الشَّعْرِ إِنْ لَمْ أَمَلْهُ*** فِي مَدْحِ أَحْمَدَ لَوْلَا مَنْظُومَا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا»

يَا مَنْ بَرَامَ اللَّهُ نُورًا لِلْوَرَى*** فَأَقَامَ فِيهِمْ مَنْذِرًا وَمُبَشِّرًا

هَا غَزَسُ جُودِكَ فِي الْعِرَاءِ وَفِي

الثَّرَى وَغَدَاً سَيَجْمَعُنَا الْمَعَادَ عَمُومَا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا»

مَنِي السَّلَامِ عَلَيْكَ مَا هَبَّ الصَّبَا*** وَتَعَانَقَتْ عَذْبَاتُ بَانَاتِ الرُّبَا

وَ تَنَاوَحَتْ وَرَقَ الْحَمَائِمِ فِي رَبَا*** وَأَضَاءَ نُورِكَ فِي السَّمَاءِ نَجُومَا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»

وعليك صَلَّى اللهُ غَالِبَ أَمْرِهِ *** تعداد موجود الوجود بأسره

ص: 82

بالله يا مُتِلذذِين بِذِكْرِهِ*** مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ظَاعِنًا وَمَقِيمًا

«صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) سورة العلق. قبل الشروع في بيان معنى الآية المباركة نشير الى بعض الأوضاع الفاسدة التي سبقت البعثة الشريفة أو رافقتها. وقد أنهاها بعض المحدثين بما يلي:

أ- الوضع الديني عند العرب: المعروف أن الوثنية بشكل عام كانت ديانة العرب، ومكة والكعبة بالذات كانت منطلق تلك الديانة، ففي الكعبة الشريفة ثلاثمائة وستون وثناً تشكل مصدر الحكم الإلهي في نظرهم، والسذج منهم يرونها آلهة فعلاً تضرُّ وتنفع، وأما الواعون فيرون أنها ليست آلهة بمعنى أنها تميت وتحيي، وإنما حلت فيها روح الإله فهم يعبدونها لتشفع لهم، وتقربهم إلى زلفى. بينما يرى فيها أصحاب النفوذ مصدراً من مصادر سلطانهم و ثروتهم، فهي برأس مال التجارة أشبه بها بالآلهة تعبد.

وقد كانت هي العرف القائم -أي عبادة الأوثان- ولم يعثر في الوثنيين على من يعترف بيوم الحساب، أو البعث حتى على طريقتهم وشرائعهم. وقد صرح بعض زعماء الوثنية أيام النزاع بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بأنهم غير مستعدين لترك أصنامهم إذ هي مصدر أمنهم والخيرات التي تدرّ عليهم. ثم هي التي تهيبهم حياتهم الدنيا، كما أن بركتها تمنحهم النصر في الحروب. قال شاعرهم مستنكراً فكرة يوم البعث والحساب والجزاء والحياة بعد الموت: قال

ذرينا نصطيح يا أم عمرو*** فإن الموت نقب عن هشام

ونقب عن أبيك أبي سعيد*** أخي الفتيان والشرب الكرام

يخبرنا ابن كبشة أن سنحياً*** وكيف حياة أصدقاء وهام؟

أقتلني إذا ما كنت حياً*** وتحيني إذا بليت عظامي؟

وأما الديانات السماوية مثل المسيحية واليهودية، فهي وإن كان لها وجود في الجزيرة العربية، إلا أنه وجود يظفي عليه الوجود الوثني، فاليهود كان لهم وجود في يثرب و خيبر، بينما خلت منهم مكة المكرمة على الإطلاق. وعلى الرغم من وجودهم المزاحم على السلطة للعرب الوثنيين «الأوس والخزرج»، إلا أنهم ظلوا مستقلين في عاداتهم وطقوسهم وسلوكهم وأعمالهم اليومية، كعادتهم أينما وجدوا في بلاد العالم قديماً وحديثاً حيث عرف ذلك عنهم على مدار التاريخ، وأنهم شعب يؤثر الإنغلاق على نفسه ويحبّ الإنزواء. ولعلّ مردّ ذلك ما قاسوه من التشريد بسبب الاضطهاد عندما حاولوا الفساد في الشعوب التي عاشوا بينها، ثم الى النزعة العرقية الخبيثة التي صوّرت لهم أنهم أفضل شعوب الأرض، فهم أرقى رتبة وأنقى دماً. ودفعهم على هذا التصور الخبيث الى احتقار سائر أجناس البشر، مما حدا ببعض الجبابرة إلى الانتقام منهم وتفريقهم أيدي سباً.

أما المسيحية فقد انحسرت إلى أقصى الجنوب في اليمن، وأقصى الشمال في بلاد الشام. ويقال إن مكة لم يكن فيها غير أربعة يعتنقون الدين المسيحي.

ب - الوضع الاجتماعي : تبرز الناحية الاجتماعية في أبهى صورها عند الانسان العربي ، إذ تذكرنا نخوته واهتزازه للكرم والضيافة، وهذا أمر تغنى به العرب في أشعارهم وسارت بها الركبان.

وكان مجرد وصف العربي بالكرم كفيلاً بأن تسخو نفسه بما تنتظر منه وما لا تنتظر، ولقد عدوا ذلك لدى تمدحهم في رأس قائمة الفضائل، وقصة الأعشى والمحلّق مشهورة، حيث كان المحلّق فقير الحال مع أخوات له ثلاث بعد أن أتلف أبوهم ماله . ومّرّ الأعشى بديارهم، وهو المعروف عنه أنه ما هجا قوماً قط إلا وضعهم ولا مدح قوماً إلا رفعهم فنصحت المحلّق عمته أن يكرم الأعشى حتى ينال مديحه، فأرسل المحلّق للأعشى جزوراً وخمراً وبردين، فلما شبع الأعشى ونالت

منه الخمر لبس البردين ثم نظر إلى عطفيه وأنشأ يقول :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق*** وما بي من سقم وما بي معشق

نفى الدم عن آل المحلق جفنة*** كجابية الشيخ العراقي تفهق

ترى القوم فيها شارعين وبينهم*** مع القوم ولدان من النسل دردق

العمرى لقد لاحت عيون كثيرة*** إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها*** وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ثدي ام تقاسما*** بأسحم داج عوض لانتفرق

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه*** كما زان وجه الهندواني رونق

يداه يدا صدق فكيف مبيدة*** وكيف إذا ما ضن بالمال تنفق

فسار الشعر هذا في العرب، وقبل مرور عام زوج المحلق أخواته الثلاث وأصبح ذا يسار.

ثم إنهم كانوا ذوي نجدة وبأس لا يتلكأون إذا استغيثوا، وربما كان مآل ذلك إلى فطرتهم التي بنيت على الفروسية والشجاعة، ونشأتهم على إراقة الدماء وقصصهم في هذا الباب لا يأتي عليها حصر ولا حساب.

وقد لوث هذه الصفات سبيل من العادات والخلاتق الجاهلية، لا يحسد شعب على الاتصاف بها، لما لها من أثر سيء في ضعة الإنسان العربي وهدم كرامته وهذه نماذج منها :

1 شاع بينهم الغزو للسلب والنهب شيوخاً بات عندهم كالدّم الذي يجري في عروقهم. وما كانوا ليميزوا في سلبهم بين الأنعام والأموال والذراري والنساء إذ كانت كلها في ميزان واحد لديهم . وربما طلبت جماعة غزو قبيلة فوجدوها قد رحلت، وحتى لا يعودوا بخفي حنين يغيرون على جيرانهم ولا يحفظون فيهم عهداً ولا ذمة . بل ربما أغاروا على أهلهم وذويهم ، كل ذلك لأجل الإغارة . قال شاعرهم:

وكن إذا أغرن على قبيل*** واعوزهن نهب حيث حيث كانا

اغرن من الضباب على حلال*** وضبة إنه من حان حانا

وأحياناً على بكر أخينا*** إذا ما لم نجد إلا أخانا

2- شبت نيران الحروب بينهم بفضاعة وقسوة وكانت الحروب تحصدهم وهم سادرون في غيهم وعنادهم، وقد تدوم الحرب عشرات السنين ولأتفه الأسباب، ولا تجد فيهم أحياناً من يجند نفسه لوقف نرف الدماء والمحافظة على حياتهم.

وحرب البسوس وداحس والغبراء وغيرها كثير شواهد على ما رسخ فيهم من حبههم للحرب وفنائهم تحت ظلال السيوف.

3 - دفنهم لأبنائهم وهم، رضع، فبعضهم من كان يدفن الذكور والإناث مخافة الفقر، وقد نهاهم القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) ، وفي نص آخر: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) وبعضهم كان يئد البنت خاصة بزعم أنهم يخشون عليها من العار والفضيحة إذا كبرت، إذا ربما وقعت في أسر الغزاة قال تعالى: (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) .

4- لم تحظ المرأة عند العرب الجاهلين بحد أدنى من الرعاية والاحترام، بل كانت في نظرهم كأى شيء من ضرورات حياتهم، وأما أن يكون لها كيان مستقل محترم فذاك أمر قد غاب عن أذهانهم، ومن تقاليدهم أن المرأة تورث ضمن بقية الأملاك، ويرث الابن زوجات أبيه، حتى منع منه الاسلام والقرآن الكريم صور من نظرتهم للمرأة تبرز بوضوح مدى قبح تلك النظرة، حيث كانوا يفتخرون بالذكور، بينما يعيبون ربهم بأن عنده ملائكة وهن إناث، حتى لو أن أحدهم بشر بميلاد أنثى كان ذلك يوم عزائه.

قال الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَدَرَ رَبِّ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ

5 - النظام الطبقي البغيض الذي لا يسمح برفعة الإنسان استناداً إلى عمله مهما كان عمله عظيماً ، بسبب الانتساب إلى طبقة معينة من الناس، بل لا يسمح بالمساواة بينه وبين طبقة النبلاء من الأسياد والأشراف، وقد ظهر هذا النظام في مكة بالذات، التي توزعت بين اثني عشر بطناً من قريش، ومجموعة من الموالي والحلفاء ثم طبقة العبيد. وبالرغم من أن جميع البطون شبه عشيرة واحدة إلا أنها كانت تتنافس فيما بينها على الزعامة والوجاهة وإذا حزبهم أمر لجأوا إلى التفاخر بالأحساب والأنساب، جرياً على عادة سائر القبائل العربية. ولا ننسى توتر الجو الذي كاد يلهب مكة يوم بنى الحجر الأسود والمنتبج لقصصهم وحوادثهم يجد الكثير من المواقف التي يعلن فيها كل بطن فخره على الباقيين. وأما الطبقات الدنيا في نظرهم من الموالي والعبيد فقد كانت ترزح تحت نير من الأعراف الجائرة، والتي أدت إلى تحمل هذه الطبقة أصنافاً من المهانة والازدراء حتى باتوا وكأنهم قد سلخت منهم صفة الإنسانية، وكأنهم لم يخلقوا إلا ليكونوا أشبه بالحيوان يؤدون مصالح أسيادهم دون أن يأملوا بشفقة أو رحمة.

ولعلّ هذا الوضع الموهل في العسف والظلم ، هو السبب البارز في سرعه اعتناق تلك الطبقة المهيشة الجناح الإسلام، حيث وجدوا فيه متنفساً من آلامهم وبؤسهم، والمنفذ الوحيد للخلاص من أوضاعهم التعيسة، وباباً من أبواب الفرج يشمون منه ريح الحرية والكرامة .

وبعد ارتفاع راية الاسلام كان لابد من تحطيم هذه الأفكار الجاهلية تشريعاً وتنفيذاً ، لذلك فقد عمل على المساواة بين المسلمين عامة. قال مولانا السيد الأمين قدس الله نفسه عن هذه المساواة ولنعم ما قال: «أخى الإسلام بين عموم أهله قريبتهم وبعيدهم، عربيتهم وعجميتهم، وعجميتهم، شريفهم ووضعيتهم، ملوكهم وسوقتهم، رجالهم ونسائهم من وجد منهم ومن سيوجد إلى

يوم القيامة . اعلن الله تعالى ذلك في كتابه العزيز على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تلاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جهاراً على المسلمين، فسمعوه وقراه وحفظوه، وكرروا تلاوته مجتمعين ومنفردين فقال تعالى : إثم المؤمنون إخوة ، بلفظ إنما المفيد للحصر فأصبح بمقتضى ذلك المسلم الذي في أقصى المغرب أخاً للمسلم الذي في أقصى المشرق، وبهذه الأخوة على أساسها المتين والمحافظة عليها قام الإسلام وظهر وانتشر ، وبالتهاون بها ضعف وتقهقر . ثم جعل لهذه الأخوة حقوقاً وحدوداً ولوازم، فأمر بالإصلاح بين المتخاصمين منهم، وأردف قوله هذا بقوله: فأصلحوا بين أخويكم وفرعه عليه ، منبهاً على أن الإصلاح هو من مقتضى تلك الأخوة وموجبها. وبالنصرة فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، ظالماً بردعه عن الظلم، ومظلوماً بدفع الظلم عنه . وهذه هي الأخوة الصحيحة الشريفة ، لا انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، ظالماً على ظلمه ومظلوماً على من ظلمه . وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه» وحرّم عليه عرضه وماله ودمه، ونهى عن أن يهجر أخاه فوق ثلاث. وهذا يسير من كثير من لوازم الأخوة في الاسلام، فانظر بعين عقلك ، كم في هذه الأخوة من فوائد ومنافع، ومصالح عامة سياسية واجتماعية وأخلاقية ؟ وكم في هذه الأخوة من فوائد ومنافع، ومصالح تثمر تأليف القلوب وحفظ النظام الاجتماعي وحرص على هناء العيش وسعادة البشر ؟

ج - الوضع السياسي : قوتان عظيمتان كانتا تتقاسمان العالم في ذلك الزمان، هما دولتا الفرس والرومان.

وفي البلاد العربية بسط الفرس سلطانهم على منطقة العراق وبعض مناطق الخليج الفارسي، وولوا ملوكاً عرباً من قبلهم يحكمون بأسمهم ويمنحونهم الولاء. ومن أشهر العائلات العربية المالكة ملوك المناذرة الذين كان عرشهم في الحيرة قريباً من عرش كسرى في المدائن . كما بسط الرومان نفوذهم في بلاد الشام، ومن شهر حكامها العرب الدائرين في الفلك الرومي ملوك الغساسنة ذوو المجد في آخر

العهد الجاهلي. كان مقرهم في بادية الشام، وآخر ملوكهم جبلة بن الأيهم ذو النسب العريق في الملك. وكان من المخضرمين الذين عاشوا فترة في الجاهلية ثم في الاسلام. أسلم في عهد عمر بن الخطاب وقدم المدينة ثم ذهب الى الحج في وفد كبير. وفي أثناء الطواف وطأ أطراف ثيابه رجل من بني فزارة فحل إزاره، فغضب جبلة ولطمه على خده فاشتكى الرجل جبلة الى عمر بن الخطاب، وحكم عمر بأن يسترضي جبلة الرجل أو يقيده من نفسه. ولما اعترض جبلة على هذا الحكم بقوله : كيف أقيده من نفسي وأنا ملك وهو سوقه ؟ فقال عمر : قد ساوى بينكما الاسلام فاستمهل جبلة عمر الى الغد.

وفي الليل فرّ جبلة مع أصحابه إلى هرقل الروم وعاد الى النصرانية. ثم ندم وأنشأ يقول :

تنصرت الأشراف من عار لطمة*** وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكفني منها لجاج ونخوة*** وبعث لها العين الصحيحة بالعور

فياليت أمي لم تلدني وليتني*** رجعت الى القول الذي قال لي عمر

وياليتي أرعى المخاض بقفزة*** وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر

وياليت لي بالشام أدنى معيشة*** أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

وأما داخل الجزيرة العربية فقد عاش العرب منتهى التحرر من ربة السلطة والحكم، حيث لم تكن لهم دولة ذات سيادة وقانون لا بالمعنى المعروف اليوم ولا بالشكل الذي عهد في بلاد العراق والشام آنذاك، فكانت كل قبيلة منهم تخضع لسلطان زعيمها الذي يرث الزعامة عن آباءه، لذلك فقد كانت أرضاً خصبة لنمو العقلية العشائرية، التي يعتبر الاعتداد بالنفس والفخر أهم أركانها، وقد قلّ الحضرة في الجزيرة العربية وكانت كبرى المدائن العربية مكة والطائف ويثرب .

وأما القبائل فهي في بيوت الشعر والوبر ينقلونها معهم حيث ارتحلوا طلباً للماء والكلاً.

ولطالما كانت الواحات سبباً للفتنة والحروب، تماماً كحالات الثأر التي لم يعالجها نظام ولا هديتها تربية وباستثناء العادات والأعراف التي تبنى عليها عرب الجاهلية، فقد حرموا مما يسمى بالقانون الذي يحافظ على أمنهم وسلامتهم في أموالهم ودمائهم وأعراضهم . وقد مرّ بنا أن العرف الذي سادهم هو بث الرعب فيما بينهم من جراء الغارات والغزوات.

كذلك لم تقم فيهم محكمة تفصل في خصوماتهم، أو تحافظ على حتى المظلوم والضعيف.

د- الوضع الاقتصادي : تتمتع جزيرة العرب بكنز من الخيرات إلا أن هذا الكنز كان بحاجة الى من يستخرجه، ولما لم تنهياً وسائل العلم في تلك الأزمنة فقد بقي الكنز تحت رمال الصحراء حتى عصرنا هذا. فاقترنت معيشة العرب على ما تنبته الواحات المتناثرة، والمواشي التي كانت عمدة طعامهم ووسيلة تنقلهم في طول الصحراء وعرضها. وأهل البداوة منهم لم يعرفوا سبيلاً للشراء غير الأنعام ، وأما أهل الحضر مثل الطائف والمدينة فقد تهيأت لها الظروف المؤاتية لبث المزارع والبساتين في أرجائها، وكانت الطائف ولا تزال منتجعاً ذا أهمية كبرى، لما تتمتع به من الخيرات ووفرة المياه واعتدال المناخ الطبيعي. وأما مكة فقد حرمت من كل ذلك إذ هي عبارة عن شعاب من الصخور لا تنفجر فيها مياه ولا تنبت أعشاب. لذلك فقد لجأت قريش إلى التجارة والاتكال في طعامهم على ما يمكن تخزينه مما يجلبونه من اليمن أو الشام، وعلى ما يردها من إنتاج الطائف التي لا تبعد عنها أكثر من 80 كلم ، كما كانت مواسم الحج والأسواق الشعرية والخطابية سبباً من أسباب التجارة دون تحمل مشاق السفر إلى الشمال أو الجنوب.

وأما الصناعة على مستوى يرفع من شأنهم، بحيث يصدرون إنتاجهم إلى البلاد المجاورة لهم على أقل تقدير، فلم يعرف ذلك عنهم. نعم، عرف عنهم نسج ثياب الوبر والصوف وخيام الشعر، وصناعة بعض آلات الحرب كالسيوف والرماح،

وإن كانوا كثيراً ما استوردوا من الهند وغيرها بعض قطع السلاح. ولا ننسى تجارة الرقيق أبيضه وأسوده، خصوصاً في مكة حيث اعتبر أهلها أنفسهم كبراء لا يستقيم عيشهم إلا بالتكال على عمل العبيد، مما زاد في غرورهم ونخوتهم الجاهلية التي أوردتهم موارد الهلكة والضلال ورفض دعوة الحق.

والثراء والرفاه بمعناه الشائع اليوم لم يعرفه العرب إلا بعد الاسلام عندما فتحوا البلاد واستولوا على كنوز كسرى وقيصر ودانت لهم الأمم بالطاعة ودفع الجزية.

هـ - - الوضع الثقافي: انتشر العلم في العالم القديم في بلاد الإغريق، التي أنتجت فلاسفة كباراً لا تزال أفكارهم وآراؤهم منهلاً لطلاب العلم إلى يومنا هذا. وفي الهند وبلاد فارس ظهرت علوم وفنون كثيرة، يمكن للمتابع أن يعرف ما شاء عنها من كتب التاريخ. أما بلاد العرب فلم تفتح فيها جامعة أو مدرسة، ومما يسترعي الانتباه أنهم لم ينتقدوا الأمية ولا كانت عندهم يوماً من صفات النقص مثل الفقر أو العاهات البدنية ومكة بالذات لم يكن فيها عدد وافر ممن يجيد القراءة والكتابة، ولما بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وضعوا فيه مجموعة من العيوب، مثل قولهم: «شاعر» ومجنون، وكاهن إلى غيرها من الألقاب، إلا أنهم لم يعيبوه قط بالأمية.

نعم وسط هذه الأجواء ذات الأوضاع الفاسدة بعث الله تعالى محمد الأمي بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله ياذنه وسراجاً، وفي بد الدعوة حينما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعبد في (غار حراء) في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك سنة (610) بالقرآن الكريم، يحمله مسؤولية تبليغ رسالة الله تعالى إلى البشرية كافة، إذ نزل الوحي عليه الا الله وكان أول ما هبط به الوحي من القرآن الكريم سورة الفلق والتي عليه. أولها قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) إلى آخر آيات السورة المباركة.

وقد كانت هذه الآيات السامية افتتاحاً رائعاً يلتقي وحقيقة الانسانية تمام الالتقاء في جميع مقوماتها وخصائصها الرئيسية: الفكر العلم الوحدة الانسانية

الشاملة والمرتبطة بأصرة الاخوة الانسانية وبالصلة بأقوى وأقدر وأفهر قوة في الوجود وهو . أول لحظة الله تعالى . افتتاحاً رائعاً يلمس الانسان في من الدعوة واقعه الانساني، ويضع يده على نقطة الانطلاق إلى الخير والسمو والعزة، وبأول كلمة في دستور الدعوة ... اقرأ: أول كلمة في دستور الاسلام كانت (اقرأ) ولم تكن (قاتل) ولم تكن (اغتن) ولم تكن (سيطر) لأن الاسلام ليس دين قتال، ولا دين مال، ولا دين سيطرة وسلطان، ولكن الاسلام دين العلم والفكر والهدى . (اقرأ) لا- باسم ملك ولا أمير ، ولا باسم حزب، ولا باسم شعب، بل (باسم ربك) (الذي خلق)، لم يقل الذي خلق قريشاً، ولا الذي خلق العرب، بل الذي خلق الخلق جميعاً لأن دعوة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الخلق جميعاً .

فعلى المسلمين كافة ولا سيما شباب الاسلام البواسل وحملة الرسالة الحققة وأبناء أمتنا الاسلامية الكريمة الذين يشكلون الجزء الواعي من الأمة أن يعلموا عظمة الاسلام المحمدي الخالد وعظمة هذه الدعوة التي حمل لواءها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ليعلم البشرية كما علمه الله تعالى ويهذبها ويصلح اعوجاجها.

على أبناء أمتنا خصوصاً في هذه المناسبة مناسبة ذكرى مبعث الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجددوا العهد الله تعالى من أجل الدعوة إليه وأن يعلموا أنه ليس غير الاسلام قادر على الحل الصحيح لمشاكل أمتنا المعقدة بل هو البلسم الشافي لآلامها عليهم أن يبشروا بكلمة الحق ولا ترهبهم قوى الليل مهما تكاثرت وان لا تقعدهم عن متابعة أعمالهم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى دعايات أعداء الرسالة

الاسلامية المقدسة .

عليهم أن يدركوا حقيقة الرسالة المحمدية التي جاءت لتعيد إلى الانسانية كرامتها وعزتها كما عليهم بعد إدراكها تعليم الناس بها غير مكترئين من تلك الدعايات التي يشنها أعداء الاسلام ودعاة الباطل المهزوم ضد الاسلام وأنصاره ودعاته.

ص: 92

عليهم أن يتعلموا التعاليم الاسلامية الصحيحة وعليهم أن يعلمونها الناس وان يضعوا على بالهم بأن تعاليم الاسلام وأنظمتها ليست مرتجلة ابتدعتها عقول البشر القاصرة.

وعليهم أن يعلموا أيضاً أن الاسلام ليس هو النتاج الحتمي لمرحلة تاريخية معينة انتهت وانتهت مهمة النظام بانتهاؤها . وذلك كما يدعيه الماركسيون الذين يقولون بأن الاسلام قد استنفذ أغراضه وانه قد قام بخدمات للانسانية في دور من أدوارها ثم انتهت مهمته هذه فالذين يقولون هذا إنما يفترضون ويشوهون حقيقة واضحة من حقائق الاسلام المشرق العظيم. فالاسلام رسالة الله تعالى شأنه إلى الانسانية المعذبة وهو نظام الانسانية الأخير الذي لا تتلقى الانسانية سواه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . كما على أبناء الاسلام أن يعلموا جيداً أن امتنا الاسلامية قد جربت ألواناً عديدة من الانظمة فلم تحقق لها سعادة ولم تخط بها الى الشفاء المتواصل وكانت الأمة تحس بأنها يجب أن تعود الى دينها لتتملى كنوزه ولتتفهمه ولتتخذ نبراساً يضئ لها الطريق ويزيل الأشواك من دربها ولتستعيد مركزيتها فتعود لتطل على الانسانية فتملاً حياتها رحمة وعدلاً .

نعم، التفتت الأمة لتجد في الاسلام لتجد في الاسلام طريق الخلاص وهذه الالفتاة تعطي الشباب الاسلامي الواعي قوة دفع نحو العمل الأفضل والدعوة إلى الله تعالى اكثر مما كانوا عليه في دعوتهم بل وتعطيهم قوة لتعبئة قوى الامة لكي تنهض وتحقق ما حققته في فجر تاريخها العظيم حيث شهد التاريخ دولة الحق التي كانت قد انبعث من أمة هي خير أمة أخرجت للناس.

على شباب الاسلام أن يبذلوا كل مالمديهم من غال ورخيص في خدمة الاسلام، كما عليهم وهم يمارسون هذه الخدمة الجليلة أن يدركوا جيداً أن المشاكل الخائفة والتيارات الفكرية الغامضة والدعوات المرتجلة قد خلقت من أمتنا أمة لا تحس بأن لديها رصيماً فكرياً عظيماً ولكن الأمة ستتنبه على أصواتكم

وستهب من رقادها لتجاهد في سبيل الله تعالى ومن أجل إعلاء كلمته.

نعم على الشباب المسلم بعد إدراك ذلك أن يذبلوا - كما قلنا - كل مألديهم من غال ورخيص في خدمة الاسلام والامة الاسلامية المبتلية بنظم الاستعمار البغيضة أن تعلم أن وجود الشباب الواعي المهذب بنعمة من نعم الله تعالى عليها، وان تعلم ان الشباب هم النواة لخلق أمة من جديد تحاكي الأمة التي أنشأها الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) في كل صفاتها وهم يستطيعون أن يغيروا مجرى تفكير الامة بعلمهم الواعي إنهم هم القادرون على أن يمسكوا بيدها الى الصراط المستقيم الذي قادها إليه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم أبناء محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)الذين أخذوا على عواتقهم نصره دينه الكامل وشريعته الغراء التي بعث بها. ولا يفوتني في نهاية هذه الجلسة المباركة وبمناسبة هذه الذكرى الجليلة تعطير هذا الحفل ببعض ما جاء في مدح الرسول ومدح شريعته وسلطانة الظافر ودينه الأبدي الخالد وفوز الأنبياء به(صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك ما جادت به قريحة مولانا المقدس نابغة الدهر وفيلسوف الزمان المولى الامام محمد حسين الأصفهاني له في ذلك ولنعم ما قال :

ودينه في رتبة الكمال*** شريعة الجلال والكمال

شريعة الاخلاص والمكارم*** شريعة الآداب والعزائم

شريعة الحقوق والعدل السوي*** في الحكم ما بين الضعيف والقوي

فضائل الشرائع المعظمة*** في طيها بكل معنى الكلمة

فانها خاتمة الشرائع*** كأنها لها من الطلائع

شريعة طيبة الموارد*** زلاله عذب لكل وارد

ماء الحياة من زلال مائها*** وبهجة الفردوس من صفائها

شريعة رياضها أنيقة*** وغرسها على يد الحقيقة

على يد الخبير بالمصالح*** أكرم به من مرشد وناصح

شريعة لا عسر فيها وحرَج*** سمحاء سهلة لكل من ولج

سمحاء لا تمحقها الطباع*** تلتدّ من بيانها الاسماع
له لواء الحمد والنصر معه*** فاز بظله غداً من تبعه
ولاية الله له على الورى*** من غير حد أولاً وآخراً
وكيف وهو ظله الممدود*** انى له الحدود والقيود
كل نبي هو تحت رايته*** كل ولي هو في ولايته
كل شيء خاضع لأمره*** وكل وصف هو دون قدره
وما لشأن الشرّ ما اطراؤه*** لوح الوجود كله ثناؤه
كفاه مدحاً مدح من سواه*** وجل أن يدركه سواه
و من كتابه المجيد ظاهره*** آيات مجده الأصيل الباهرة
يعرب عن شؤون سرّ ذاته*** بمحكّماته وبيّناته
ام الكتاب من شؤون ذاته*** وغاية الاخلاص من صفاته
سموه يعرب بالاسراء*** وكهفه حرز من العلاء
طأطأ كل الأنبيا لطاها*** ذلك عز أن يضاهي
تقبلت تربة آدم الصفي*** ييمنه اكرم به من خلف
سجدة الأملاك لا لفرته*** بل نور ياسين بدا في غرته
به نجا نوح من الطوفان*** بمرسلات اللطف والاحسان
نجى من الريح العقيم هود*** لان لداود به الحديد
وفاز ابراهيم بالامامة*** ومنه نال هذه الكرامة
به نجا من كل كيد وبلا*** يوسف واستوى على العرش العلا
وكان لقمان رفيق نعمته*** اعطى رمزاً من دقيق حكمته
به نجا يونس المسجون*** من ظلمة البحر وبطن النون

حجر على كل نبي وولي

وما ابن البتول الا*** مبشراً من العلى الأعلى

ص: 95

وآل عمران على مائدته*** بل يستفيد الكل من فائدته

والإنس والجن رجال ونساء*** على بساطه صباحاً ومساءً

فليس في الوجود نعمة*** ولا على الأعراف إلا خدمة

وليس قدر ذلك الأنعام*** مختفياً إلا على الأنعام

والفتح والنصر يدوران معه*** فما أعز جاره وأمنعه

وفي اللقاء عونهُ الرحمن*** وفي البلاء حرزه الفرقان

والعاديات خيله المغيرة*** والذاريات جنده الميثرة

و بطشه الشديد بالأحزاب*** كأنه قارعة العذاب

زلزلة الساعة من زلزاله*** وهول يوم الحشر من أهواله

ولا يهوله تكاثر العدى*** وهل ترى فوق يدالله يدا

وكلّما تحزبوا تحزّبوا*** تفرقوا كأنهم أيدي سبا

كأنهم وهم ألوف عادية*** عاد وأحقاف وريح عاتية

جاثية من هول ذلك المطلع*** وانسفطرت قلوبهم من الفزع

حصونهم مثل الجبال الراسية*** خرت كبيت العنكبوت واهية

دانّت له الروم ودانت العرب*** وانخذل الفرس به ولا عجب

وأصبحت بعد حروب غاشية*** من طلقائه قريش الطاغية

نعم لقد أظفر الله تعالى نبيه الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)على قريش بعد أن نال ما نال منهم من الأذى والسخرية والاهانة والاستهزاء. فقد كانوا يضعون الشوك تحت قدميه الشريفتين وقد تجرّوا على أكثر من ذلك فكسروا رباعيته الشريفة حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أوذى نبي مثل ما أوذيت.

نعم، قصدوه بالمكر والاهانة في حياته، وأظفره الله تعالى عليهم، فأضمرُوا الحقد والعداء لآله بعد وفاته.

جاء في الحديث عن صادق آل محمد(عليه السلام) ، عن أبيه، عن جده(عليه السلام) قال :سألت أمير المؤمنين(عليه السلام)عن قريش وما فعلت فقام(عليه السلام) خطيباً : فحمد الله وأثنى عليه

وذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فصلى عليه وقال : أيها الناس مالي ولقريش وما تتكر منا قريش غير انا أهل بيت شيّد الله فوق بنيانهم بنياننا ، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله تعالى عليهم وجعل فينا النبوة والإمامة فحسدونا على ما آتانا الله تعالى وتقموا على الله أن اختارنا وسخطوا ما رضى الله وأحبوا ما كره فلما اختارنا الله عليهم أشركناهم في حريمنا وعرفناهم الكتاب والسنة وعلمناهم الفروض والدين وحفظناهم الكتاب المبين وهديناهم الصراط المستقيم فتواتبوا علينا بعد نبينا وجدوا فضلنا وغصبونا حقنا وسلبونا سلطاننا ومنعونا إرثنا الذي جعله الله لنا . اللهم إني أستعين بك وأشكو إليك قريشاً ، فخذ لي بحقي منها ولا تدع مظلمتي لديها فانك أنت العدل الحكيم .

هكذا فعلت قريش بآل محمد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالأخص من أمير المؤمنين صاحب خلافة الله الكبرى فقد غصبها منه أهل النفاق والجهل والضلالة والحال انهم يعلمون منزلته العظيمة عند الله وعند رسوله، فقدموا عليه من لا يستحق التقديم .

نصبوا الباغي وأعزلوا ذباج الأبطال*** من قبل طه اجنازته بالنعش تنشال

والله هظيمه اعليك تقديم الجماعه*** وما حد سمعنا في الحرب مشتهر ساعه

واللي هدم ركن الهدى وزاد افجاعه*** ضرب البتوله وتنسحب يالفحل بحبال

كل المواقف لوليه انكروها*** وقعة خيابر لمن الرايه خذوها

ابذله وكسيره يم رسول الله ارجعوها*** ونادى ابن عمي يا علي وجيته ابتعجال هذي أفعالك ظاهرة شمس مضيئه*** حاشا ابجبل تنقاد قادتك الوصيه

هذا اللي جسر بن صهاك الحبشية*** يعصر الزهرا ويلطم الخد ابن لنذال

شيمنعه مياذي الزهرا من الضرب*** ذاته رديه لا لشدة باس في الحرب

والكعبه الشريفه ما الله عبد*** ولا عن أصنامه قلبه تغير ولا مال

الها السبب قادك بالحبل يا عمدة الدين*** او سقط الزهرا او النبي من غير تكفين ودارك حرقها ولا شفت في العسكر امعين*** واكتاب فاطم مزقه واستكبر او طال

وردت حزينه اتنوح مقهوره البتولة***والجفن من عين القلب يجري مسيلة
وخلصت حياة الطاهر وماتت عليلة***والجسد منها امورم وتدرى يسردال
ولقد وجهت سلام الله عليها عتاباً ممضاً الى ابن عمها امير المؤمنين (عليه السلام)
ولسان حالها يقول :

يمكلم الأموات يا مخاطب الأذياب***تصبر وضلعي يكسرونه ابصاير الباب
منته الذي مرحب جندله في الحربية***وعمر و ابن ود العامري ليث الكتيبة
شقيت منه هامته ابضربة عجيبة***واليوم يكرر تدخل بيتي اجناب
وين الشهامة والشجاعة والحمية***لجناب تحميها ولا تحمي عليه
يا ليت قبل المصطفى جتني المنية***وداري اختلت مني وشخصي في الثرى غاب
فتح اعيونه والغضب منه تبدى***والسيف سله والقبا الأصفر ترده
ونادى انا المدعو يزهره بكل شدة***سمعي كلامي وتعرفني داحي الباب
لولا تصبري والذي لفلاك بيده***وسكان ارضها والسما كلها عبيده
تدرين ابو زينب أبو الصولة الشديدة***لارجع وقايع لوليه يوم لحراب

وان كان بتعبي يفاطم يا زكية***عتبك على المختار لا اتعتبي عليه

ذاك الذي قصر يميني بالوصية***حاضر وضلعك يكسرونه يام لنجاب

ليلومني امن اعتب وتتجاري ادموعي***من مات أبويه ما احد سكن لروعي

ما نام ليلى كله توجعني اضلوعي***والسبب يا كرارها من عصرة الباب

نعم، لم تذق فاطمة سلام الله عليها حلاوة النوم وذلك لسبب كثرة الأوجاع في بدننا الشريف فالمشتكى إلى الله تعالى مما فعله قنفذ اللعين فإنه طالما كانت سياطه النخبثة تتلوى على متن الصديقة الطاهرة وهي مع ذلك تستغيث فلا تغات غير ما كان من رحمة على عليه الصلاة والسلام بها وشفقته عليها.

وهنا نضيف أيضاً إلى مصيبة الزهراء(عليها السلام) في نفسها مصيبتها بعد وفاتها في بناتها فإنه كما كانت السياط تتلوى على متنها في حياتها من القوم الظالمين كذلك كانت نفس السياط تتلوى على متون بناتها يوم عاشورا وزاد المتأخرون على المتقدمين في ظلمهم وكفرهم وتجبرهم أكثر من ذلك فقد نهبوا الخيام وسلبوا النساء وغير ذلك من الأفعال الشنيعة .

قال المحدث المازندراني نقلاً عن السيد في الاقبال: اعلم أن أواخر النهار من يوم عاشوراء كان اجتماع حرم الحسين عليه الصلاة والسلام وبناته وأطفاله في أسر الأعداء ومشغولين بالحزن والهموم والبكاء وانقضى عليهم آخر ذلك النهار وهم فيما لا يحيطه به قلمي من الذل والانكسار وباتوا تلك الليلة فاقد لحمهم ورجالهم وغرباء في اقامتهم وترحالهم والأعداء يبالبغون في البراءة منهم والاعراض عنهم وإذلالهم ليقربوا بذلك إلى المارق اللعين عمر بن سعد مؤتم أطفال

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومقرح الأكباد والى الزنديق عدو الله ابن زياد الخبيث والى الكافر الزنديق يزيد بن الخنزير معاوية رأس الالحاد والعناد.

ثم قال المحدث المذكور نقلاً عن كتاب «نفس المهوم»: فإذا كان أواخر نهار يوم عاشوراء فقم قائماً وسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى مولانا امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وعلى مولانا الحسين عليه الصلاة والسلام وعلى سيدتنا فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام وعترتهم الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وعزّهم على هذه المصائب بقلب محزون وعين باكية ولسان ذليل بالنوائب ثم اعتذر إلى الله جلّ جلاله وإليهم من التقصير فيما يجب لهم عليك وأن يعفو عما لم تعمله مما كنت تعمله مع من يعز عليك فإنه من المستبعد أن تقوم في تقوم في هذا المصائب الهائل بقدر خطبه النازل. وبعد السلام والتعزية ينبغي أن تجدد الحزن والبكاء وتجري الدمعة والعبركقطر السماء، وتلطم الخد وتشق الجيب كالمرأة الثكلى، وتصيح وتصرخ على ما جرى على بنات فاطمة الزهراء والمخدرات من عقائل سيد الأنبياء فإنها من أعظم المصائب وأشد النوائب التي لا تقوم بحملها الجبال، ويشيب لهولها الأطفال، وهي هجوم الأعداء بعد قتل الرجال على النساء ونهب الأموال وسبي النساء الطاهرات .

قال المرحوم السيد حيدر (رضوان الله عليه) وهو يصف حالة النساء في ذلك الأسر والانكسار والذل:

واجل يوم بعد يومك حل في *** الاسلام منه يشيب كل جنين

يوم سرت أسرى كما شاء العدى *** فيه الفواطم من بني ياسين

ابرزن من حرم النبي وانه *** حرم الإله بواضح التبيين

من كل محصنة هناك برغمها *** أضحت بلا خدر ولا تحصين

سلبت وقد حجب النواظر نورها *** عن حروجه بالعفاف مصون

وقال رحمه الله أيضاً :

وحائرات اطار القوم اعينها***رعباً غداة عليها خدرها هجموا

كانت بحيث عليها قومها ضربت***سرادقا أرضه من عزهم حرم

يكاد من هيبة أن لا يطوف به***حتى الملائك لولا أنهم خدم

فيا له من حرم ما أعظم شأنه وشرف قدره وأعلى مكانه وشيد بنيانه ، حرم سجافه هيبة الله، وسرادقه جلال الله، ورواقه عظمة الله، وأستاره حجاب الله ، وخدامه ملائكة الله ، وهو حرم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وحرم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حرم الله :

حرم لأحمد قد هتكن ستورها***فهتكن من حرم الإله ستور

قال السيد ابن طاووس(رحمه الله) : وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول وقرّة عين الزهراء البتول حتى جعلوا ينزعون ملحفة المرأة عن ظهرها وخرجن بنات آل

الرسول وحريمه يتساعدن على البكاء، يندبن لفراق الحماة والأحباء.

وروى حميد بن مسلم قال : رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها عسكر عمر بن سعد فلما رأّت القوم قد اقتتحموا على نساء الحسين(عليه السلام)وفسطاطهن وهم يسلبونهن أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله ، لا حكم إلا لله ، يا لثارات رسول الله، فأخذها زوجها وردّها إلى رحله .

وقال ابن نما وخرجت بنات سيد الأنبياء وقرّة عين الزهراء حاسرات مبيدات للنياحة والعيول يندبن على الشباب والكهول وأضرمت النار في الفسطاط فخرجن هاربات.

وقال صاحب البحار : رأيت في بعض الكتب ان فاطمة الصغرى قالت: كنت واقفة بباب الخيمة وأنا افكر وأنظر الى أبي وأصحابه مجزرين كالأضاحي على الرمال والخيول على أجسادهم تجول وأنا افكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني امية أيقتلونا أو يأسروننا فاذا أنا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة وهن يصحن :

واجدها، وا ابتاه، واعلياه، واقلة ناصراه، واحسنا، أنا من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يزود عنا؟ قالت: فطار فؤادي وارتعدت فرائصي فجعلت أحيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمتي أم كلثوم خشية منه أن يأتيني، فبينما أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني ففررت منهزمة وأنا أظن أنني أسلم منه وإذا به قد منه وإذا به قد تبعني فذهلت خشبة منه وإذا بكعب الرمح بين كنتفي فسقطت على وجهي فخرم اذني وأخذ قرطي ومقنعتي وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس وولى راجعاً إلى الخيم وأنا مغشي عليّ وإذا أنا بعمتي عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وعلى أخيك العليل، فقممت وقلت: يا عمته هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظار؟ فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك فقممت فرأيت رأسها مكشوفاً ومتنها قد اسود من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمة إلا وهي قد نهبت وما فيها وأخي علي بن الحسين المكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبكي عليه وهو يبكي علينا.

وقد حكى شاعر الحسين عليه الصلاة والسلام الحاج الشيخ ملاعطيہ الجمري البحراني حالة النساء عند هجوم القوم عليها في الخيم بوصف يقرح الأكباد، فقال رضوان الله تعالى عليه هو يخاطب زينب(عليها السلام) وذلك عن لسان العدو:

شبت النيران فرى للفضا يمدخره*** واتركي الخيمة ترى النيران بيه امسعره

للفضا فرى يمدحجوبه او تركيها هالخباء*** وادركي ايتامك ترهى امروعة وامسلبة

ذيك مضروية وطفلها على الترايب تسحبه* اوهاى مسلوبة الستر بين الأعداي امحيره

خلي الخيمة خذتها النار يعزيزة علي*** يعينك الله على الهظايم راح عزك الأولي

كل صنديدك على التربان ما عندك ولي*** او بالهنادي جثة احسين الشهيد اموزعة
نادته او حنت من الفجعة ومدامعهما*** وين يا ظالم ارواح او عندي بالخيمة عليل
حجة الله اشلون أعوفه ومن المرض جسمه نحيل*** بالفلا غصب عليه ايتام أخي امطشرة
هالحرم غصب عليه ابغير والي امشنته*** ما قدر اتركها لولد مادم هذي حالته
حسين وصاني ابعليله واليتاما او نسوته*** اتحيرت مدري شسوي بالذي اعليه جرى
مدري اطلع للحريم الضايعة واترك علي*** لو اظل وياه واترك هالحراير تنولي
لو ارواح المعركة وانخي الضياغم من هلي*** لكن اشلون انتخي بجساد صرعى على الثرى
ها لحمل مقدر اشيله وين طاعون الحرب** جابني ابعزا او جلاله او عافني ابولية غرب
ما يشوف ايتام اخوه اشحل عليها امن الضرب*** بالشريعة اتوسد اذراعه او تركني لميسره
زينب سلام الله عليها تخاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
كم فوق وجه الثرى دمعا لها انهملا*** وكم تضرم فيها الوجد واشتعل
وكم تنادي اذا نجم لها افلا*** يا جدنا يا رسول الله قم عجلا
من باطن القبر واجمع شملنا البددا
من بعد شامخ عزّ حلّ ساحتنا*** عواصف من خطوب باد عزتنا
فقم لتحميننا عن فرط ذلتنا*** وامدد يدك لنا ونقد بقيتنا

فذي يتاماك قد مدت اليك يدا

وكأني بها عليها الصلاة والسلام وقد نظرت الى سكينه وهي تبكي قد أهملت دموعها بالسجام توجهت نحو أخيها الحسين عليه الصلاة والسلام قائلة :

يا أخي هذه سكينه تبكي *** قد أهلت دموعها بالسجام

تستجير العدا بطرف كليل *** وفؤاد مؤله مستهام

يا أخي فاطم تدور وترتاع *** لما نالها من الآلام

خانها دهرها فأضحت بذل *** بعد عز ونعمة واحشام

يا أخي هذه بناتك بالذل *** أسارى وما لهن محامي

يا أخي هذه الاسارى حيارى *** ساترات الوجوه بالأكمام

كم حسان وكم ربيبة خدر *** صرن من غير برقع ولثام

يا أخي لو ترى علياً بقيد *** ناكس الرأس ذلة للرغام

يا أخي هدّ حزن فقدك ركني *** وكساني النحول ثوب سقام

يا أخي خانني الزمان بصبري *** وجفا عن جفون عيني منام

يا أخي اظلم الزمان علينا *** بعد ما كان ضاحكاً بابتسام

ص: 104

الجلسة الخامسة : في ذكرى مبعث النور

فيا بعثة صبح الهدى متنفس *** بها ودجى الالحاد في الكون عاكر

ويا بعثة عمّ الخلائق خيرها *** ودام فلا يلقى له الدهر آخر

بها بالتجلي الأعظم الله خصه *** فأبصر ما لم تكتننه البصائر

فيا بوركت من ليلة نور رشدها *** تعالى بأن يُطفى ويخفيه ساتر

لقد نسخت كل الشرائع شرعة *** بها جاء تبقى ما يقين الزواهر

مكارم أخلاق بها الرسل قد أتت *** مبادو فيما سن طه الأواخر

به تمت الأخلاق وامتاز شرعه *** بألطف شتى مالهن نظائر

وامته بالانتساب اغتدت لها *** خصائص من دون الورى ومآثر

وليس لظه في النعوت مشاكل *** ولو مرسل إلا أخوه الموازر

ولا غرو ان ضاهاه فالنور واحد *** و آثار اجزاء المجزى نظائر

ألم تره في كل خير شريكه *** فأحمد داع للهدى وهو ناصر

وحيدرة هاد وأحمد منذر *** وكلّ لكلّ في الرساد موازر

ولا يته الكبرى بها لم تجد له *** شريكاً سواه فالجميع مظاهر

له عصمة مثل النبي ورتبة *** تضاهيه عنها طائر الوهم قاصر

مظاهرها السبطان التسعة الأولى *** لها صاحب العصر المغيب آخر

وهم سادة الأكوان والرسل شيعة *** إليهم فهم أتباعهم لا نظائر

نطق البعير بفضل أحمد مخبراً *** هذا الذي شرفت به أم القرى

هذا محمّد خير مبعوث أتى *** فهو الشفيع وخير من وطىء الشرى

يا حاسديه تمزقوا من غيظكم *** فهو الحبيب ولا سواه في الورى

يا أيها الراقد في الليل الأجم *** قد بعث الله نبياً في الحرم

من هاشم أهل الوفاء والكرم *** يجلو دجّات الدياجي والظلم

يا أيها الهاتف في داجي الظلم *** الظلم أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم

بين هداك الله في لحن الكليم *** ماذا الذي يدعو إليه ؟ يغتتم

الحمد لله الذي لم يخلق *** الخلق عبث

أرسل فينا أحمداً *** خير نبي قد بعث

صلّى عليه الله ما *** حج له ركب وحث

يا أيها الناس ذوو الأجسام *** من بين أشياخ إلى غلام

ما أنتم وطائش الأحلام *** و مسند الحكم إلى الأصنام

أكلكم في خير النيام ؟ *** أم ترون ما الذي أمامي

من ساطع يجلو دجى الظلام *** قد لاح للناظر من تهام

ذلك نبي سيّد الأنام *** قد جاءنا بالدين والاسلام

أكرمه الرحمن من إمام *** ومن رسول صادق الكلام

أعدل ذي حكم من الحكّام *** يأمر بالصلاة والصيام

والبر والصلات للأرحام *** ويزجر الناس عن الآثام

والرجس والأوثان والحرام *** من هاشم في ذروة السنام

مستعلنًا في البلد الحرام

ألا أيها الركب المعرّسى بلغوا *** إذا ما وقفتم بالحطيم وزمما

مَحْمَد المبعوث منّا تحية*** تشيعه من حيث سار ويمّا

ص: 106

وقولوا له :

إِنَّا لَدِينِكَ شِيعَةٌ***بذلك أوصانا المسيح بن مريما

قل للقبائل من سليم كلِّها***هلك الأنيس وفاز أهل المسجد

أودي «ضمار» وكان يعبد مرّة***قبل الكتاب إلى النبي محمّد

إن الذي ورث النبوة والهدى***بعد ابن مريم من قریش مُهتد

صلّى الإله وكل عبد صالح***والطيبون على السراج الواضح

المصطفى خير الأنام محمد***الطاهر العلم الضياء اللايح

زين الأنام المصطفى علم الهدى***الصادق البرّ التقى الناصح

صلى عليه الله ما هبّت الصبا***وتجاوبت ورق الحمام النايح

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (1) صدق الله العلي العظيم إنّ هذه الآية المباركة قد صوّرت لنا بعثة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) في أمته، وقد خطت لنا مجتمعة والظروف المحيطة به ، كما ذكرت لنا الغاية التي توختها بعثته الشريفة (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فهي صورة رائعة تعرض عليها ملامح المجتمع وحقائق البعثة بإطار أخذ .

وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من مواضيع اللطف الإلهي ، واللطف كما قرره علم الكلام ما يقرب الانسان الى الطاعة ويبعده عن المعصية، ولا شك بأن القرب من الطاعة متفرع على المعرفة الكاملة والمعرفة الكاملة لا تتحقق إلا بتبليغ الرسالة الإلهية بوسيلة أنبيائه ورسله، وإلا فإنّ المعرفة الأولية التي يستخلصها الفكر الانساني بدراسته للمبدء لا تمكن الانسان من الطاعة كما تبعده عن المعصية،

ص: 107

ولذلك يحكم العقل الصحيح بوجوب إرسال الأنبياء لإراءة الطريق الموصلة إلى الطاعة المنشودة، ومن هذه القاعدة العقلية تقطع بأن النبوت لم تفارق الانسان منذ وجوده في الأرض إلى زمان انتهاء النبوت بخاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله وسلم)لأن الغاية التي خلق الله البشر لتحقيقها لا تحصل إلا بالنبوة، ولذلك كانت نبوة أبي البشرية آدم (عليه السلام) من الأمور البديهية، لأنه لا يتمكن من المعرفة إلا بوسيلتها، فهي السبب الوحيد لمعرفة، فكانت نبوته واجبة الوجود لتوقف غاية الخلق عليها، فأدم(عليه السلام) نبي وإن لم تكن له أمة ، انه(عليه السلام)نبي نفسه، لأن المعرفة التي كانت غاية إيجاده متوقفة على النبوة ، فلذلك وجد نبياً منذ يومه الأول وتصاعدت النبوت في معارفها بتصاعد الفكر الانساني، وإن لم تتغير في أصولها، إلى أن انتهى تاريخ البشرية إلى عهد خاتم الأنبياء(عليه السلام)، ذلك العهد الذي وصل به الفكر الانساني إلى دور البلوغ وبهذا الدور تكاملت، قواه و تكاملت له وسائل الاستفادة من العالم الطبيعي، وكان من البديهي حدوث انقلابات عامة في الحكومات والأمم، لأنها اصطدمت بدور البلوغ الذي يمتاز عن أدواره السابقة بالتأملات الواقعية في الحياة وشؤونها العامة والخاصة ، فالشعوب لا تتحمل تكاليف الحكومات والحكومات لا تكتفي بما كانت تجنيه من الشعوب، إن الشعوب تريد أن تحفظ كرامتها الانسانية ، ولا يمكن حفظها

في إطار حكومتها العاتية والحكومات تريد أن تستغل قواها الحاكمة وتس - طاقاتها المسيطرة على الظروف، والوعي الجديد لا يهضم هذا الاستغلال والاستبداد ، ولذلك يلمس المؤرخ في ظروف ذلك العهد تمخض الأوضاع عن عهد غريب عن العهود السابقة ، لأن البشرية كانت تتجاذبها عوامل عهدين : عهد يريد أن يبقيها على طقوسها ، وعاداتها ، وعهد يريد أن يسوقها مع الزمن ونواميسه الانقلابية، فكان من الطبيعي أن يبسد الأمم وتنقرض الحكومات، وتحتل مكانتها أمة جديدة وحكومة جديدة، إن التاريخ كان آنذاك في دور الولادة، ولادة عهد جديد يخالف العهود السالفة في الهيئة والمادة، وفي مثل هذا الدور بعث خاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله وسلم)وبعبارة

أقرب صلة بالموضوع : ولد العهد الجديد.

أما بيئة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد رمزت إليها الآية الكريمة بلفظة (الأميين) فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث من الأميين، والأمي هو الذي لا يحسن القراءة والكتابة، وهما وسيلة التجارب الفكري والعلمي، فاذا فقدت الأمة هذه الوسيلة فقدت وسيلة الحياة، لأن الحياة لا يمكن الاستنتاج منها إلا بوسيلة التجارب الثقافي، والتي لا تستحصل إلا بالقراءة والكتابة، فاذا فقدها الانسان فقد النور الذي يدل على الطريق طريق الحياة، فيبقى تائهاً في مكانه لا يعرف صلاحه من فساده ولا خيره من شره، فيضطرب نظام حياته وتكثر عنده الأحكام الوضعية، وترسب في النفوس حتى تصبح عادات واجبة وتقاليد تقوم عليها الأسر والبيوت، وهكذا كانت الأمة التي بعث الله تعالى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منها فهي أمة أمية، ترسبت فيها التقاليد المسمومة، فالأولاد تقتل خشية إملاق، والبنات توأد خشية العار، والسرقعة مجد من الأمجاد، وقطع الطريق شرف عائلي تتغنى به القبيلة والغارة على القرى الآمنة مفخرة عربية ترددها النوادي والمجتمعات، وهكذا تنعكس المقاييس ويصبح الخير شراً والفساد صلاحاً، وقد بعث الله تعالى النبي له من هذه الأمة نفسها بعث هذا الانقلاب الفكري من هذه الأمة الفاقدة لمبادئ الفكر لفقدانها وسيلة التفكير وهي الثقافة ونفس انبثاق النبوة من هذه الأمة الأمية، من هذا الشعب الجاهل الفاسد معجزة إنسانية كبرى معجزة للسماء فقط ، لأن انبعاث النبي علا الله من هذه الأمة الفاقدة لكل وسائل الحياة، انبعاثه هذه الوسائل الكاملة للحياة الكاملة معجزة يقف عن إدراكها الفكر الانساني في هذا العصر المثقف ، ولم يكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمياً كما هو مشتهر في الأوساط الغافلة من المسلمين.

فقد روى في الكافي بسند متصل إلى الامام الباقر حين سأله جعفر بن محمد الصوفي، وقال له : يا بن رسول الله لماذا سمي النبي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأمي ؟ فقال (عليه السلام): ما يقول الناس ؟ قلت : يزعمون أنه إنما سمي الأمي لأنه لم يحسن أن يكتب.

فقال الامام(عليه السلام): عليهم لعنة الله اتى ذلك ؟ والله يقول في محكم كتابه : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) فكيف كان يعلمهم ما لم يحسن والله لقد كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقره ويكتب باثنين أو بثلاثة وسبعين لساناً، وإنما سمي الأمي، لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عزوجل : (لتنذر أم القرى ومن حولها) .

وإن عارضتها روايات أخرى تثبت قراءته دون كتابته، ويمكن الجمع بينهما بأن الرواية الأولى ناظرة إلى أن ثقافته إنما كانت تنتهي إلى السماء، إلى الاعجاز، ودليلها انه(صلى الله عليه وآله وسلم) يحسن اثنين أو ثلاثة وسبعين لساناً، ولا شك بأن إتقانه هذه الألسنة أو اللغات إنما كان بطاقته النبوية، لا من طريق التلقين والدراسة، لانعدام المجامع اللغوية أو الجامعات التي تدرس فيها اللغات، ولذلك كان إتقانه اللغات وتمكنه من قراءتها وفهمها من طريق الاعجاز، أما الروايات النافية لذلك فإنما كانت تنفي تعلمه إياها من الأساتذة والمدارس، فإنه لم يدخل على كاتب ولم يأخذ من مدرس، وإنما وعى ذلك بوسيلة السماء بطاقته النبوية، وعلى كل حال فإن إنكار ثقافة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع ما أثر عنه من الأحاديث والدروس الخالدة هراء باطل، فالنبي الكريم الا الله كان يقرأ ويعلم، نعم لم تؤثر عنه الكتابة والخط، ولعل انصرافه عنها الحكمة سماوية لا تصل إليها مداركنا المحدودة.

إن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بعث إلى أمة كما يبعث الفجر أنواره في ظلمات الليل الحالك، وكما يفضح النور مخازي الظلام كذلك فضح الاسلام تقاليد الشرك وطقوس الكفر، وكما تستولى أنوار الشمس على أجواء الفضاء وآماد الأرض، هكذا الاسلام استولى على القلوب والعقول فراح يزيل عنها أو صار الجاهلية ورواسبها المسمومة، بعث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ليحدث الانقلاب في تاريخ الانسانية فينهى منها أدوار الجهل والظلم والاستبداد ويفتح عليها عهد العلم والعدالة والانسانية، وكان مفتاح الحياة الجديدة قرآنه الكريم، فقد كانت آياته الكريمة تتغلغل إلى أعماق الأعماق

فتهز المشاعر ثم ترفع الحجب عن الفطرة الإلهية المودعة في كيان الانسان ليرى بها الانسان ما لا يراه ناظره ويحسّ بوسيلتها ما لا تحس به مشاعره إن الآيات الكريمة كانت تنفذ إلى مكامن الأحاسيس وخفاياها فتثير أجواءها القائمة بضباب العادات والتقاليد، فتترك سجنها العفن إلى الحرية الانسانية التي وهبها الله تعالى لكل فرد من أفراد البشر، وان في قصص رجالات العرب ومحاولاتها مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنع مناوئية إياهم من الاستماع إلى قرآنه بل توصيتهم هؤلاء بأن يضعوا القطن في آذانهم عندما يمرون على نادي النبوة، نعم إن في هذه القصص برهاناً صارخاً على أثر القرآن الكريم في عقول العرب ومشاعرهم. إن الآيات القرآنية الكريمة كانت توظف الوعي الانساني في الفرد، فيتجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بصيرته الجديدة طالباً منه تركية وجوده من أضرار الكفر والضلال، فاذا تطهر كيانه من ذلك توجه إلى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) سائلاً منه تلقينه تعاليمه .

نعم، هكذا حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المجتمع القرشي من مجتمع جاهلي لا يعقل ولا يتدبر إلى مجتمع إسلامي متفكر، وأثار له الطريق بتلك التعاليم الاسلامية القيمة، ولم يتمكن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من تحقيق أمنيته المنشودة إلا بعد أن حصل على الأمرين من قريش حتى من أقرب الناس إليه في بدء الدعوة وقبيل البعثة الشريفة، وبعدهما ولكنه صمد ولم يعبأ بمخالفة المعاندون والحاقدون، بل راح يصدع بما أمره الله تعالى مجاهراً بدعوته ومنذراً عشيرته قبل قومه .

جاء عن عبد الله بن العباس، عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : لما نزل قوله تعالى : (وانذر عشيرتک الأقرین علی رسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، دعاني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا عليّ؟ إن الله أمرني أن أنذر عشيرتک الأقرین فضقت بذلك ذعراً وعرفت أنني متى أبادئهم بهذا أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبريل فقال : يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ إنك إلا تفعل ما تؤمر به يُعذّبك ربّك. فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أكلهم

وأبلغهم ما أمرت به .

ففعلت ما أمرني به (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، فلما اجتمعوا وضعته بين أيديهم جميعاً فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) احذية من اللحم فشققها بأسنانه الشريفة ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم. فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكلمهم بذكره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم أن صاحبكم. ففترق القوم ولم يكلمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال في الغد: يا علي؟ إن الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول ففترق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي .

قال (عليه السلام): ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل لا بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): اسقهم. فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا بني عبدالمطلب؟ إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به، إني والله قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصتي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وإني لأحدثهم ستاً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله؟ أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيتي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

وقيل : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لهم : يا بني عبد المطلب ؟ إن الله قد بعثني إلى الناس كافةً وبعثني إليكم خاصة ، فقال تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ لَهُ) وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان : شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فمن يُجيني إلى هذا الأمر ويُوَازرني يكن أخي ووزيرِي ووصتي ووارثي وخليفتي من بعدي . فلم يُجبه أحدٌ منهم ، فقام علي (عليه السلام) وقال : أنا يا رسول الله ؟ قال : اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتموا فقام علي (عليه السلام) وقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال (عليه السلام) : اجلس . ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحدٌ منهم ، فقام علي (عليه السلام) فقال : أنا يا رسول الله .

فقال (عليه السلام) : اجلس فأنت أخي ووزيرِي ووصتي ووارثي وخليفتي من بعدي . ويتضح لنا من خلال ما ذكر قسوة القوم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه قد تحمل المشاق والمتاعب والصعوبات الكثيرة قبيل البعثة الشريفة وبعدها من الأقارب والأباعد وذلك من أجل الاقرار والاعتراف بوجود الله تعالى ومن أجل نشر تعاليم دينه الاسلامي القويم ، ولكنه كما قلنا لم يعبأ بذلك بل راح ينادي في القوم مراراً وتكراراً نادراً إياهم متحملاً أذاهم بصدر رحب وأخلاق عالية وإيمان راسخ بالله تعالى وبال دعوة إليه حتى تم له النصر المؤزر من الله تعالى على القوم وتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، النجاح في دعوته المباركة وتحققت المهمة الجليلة التي بعث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجلها .

وبالمناسبة ونحن في ضلال هذه الذكرى الخالدة ذكرى مبعث الرسول الكريم ، أود أن أتوجّه بهذا النداء إلى إخواني الدعوة إلى الله تعالى في كل مكان من العالم بأن يعلموا أن مهمة الدعوة مهمة كبيرة وخطيرة وبالتالي انها مسؤولية جلية ووظيفة شريفة قد ألقاها الله تبارك وتعالى على عاتق نبيه الكريمه (صلى الله عليه وآله وسلم) وحملها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده إلى أوصيائه الاثني عشر أئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام ، ثم حملها الأئمة الكرام إلى علماء الاسلام ودعاته ، فعليهم أن يتحملوا هذه الدعوة كما

تحملها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متوكلين على الله تعالى أن يمدهم بالقوة الروحية والسداد والنصر المؤزر باذلين كل ما تمتلكه أيديهم في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته في الأرض ومن أجل نشر تعاليم دينه الاسلامي القويم حتى ولو كلفهم ذلك هلاك أنفسهم.

عليهم: أن يصلحوا مفاسد المجتمع الانساني وأن يكونوا من الهداة إلى الحق والرشاد بأي وجه كان لا سيما مهام الأمور كإصلاح ذات البين، والسعي في قضاء حوائج المؤمنين .

عليهم: أن يعلموا الناس الأخلاق الفاضلة الحميدة التي بعث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجلها لكي يتخلقوا بها ويبتعدوا عن أضدادها لكي تسمو بذلك نفوسهم.

عليهم: أن يصبروا على الدعوة، ويتحملوا كلما يصدر عليهم من هفوات الناس أو زلا-تهم أو أذاهم، وأن لا- يكونوا يائسين بذلك من إصلاحهم وتربيتهم وتعليمهم بتعاليم القرآن الكريم والسنة المحمدية المطهرة.

عليهم: بمراعاة الناس ومدارتهم ممثلين بذلك أمر الله تعالى لنبيه الكريم حيث أمره الله تعالى بمداواة الناس، فإنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أمرني ربي بمداواة الناس.

وعلى المسلمين جميعاً أن يبتهلوا الى الله تعالى في كل وقت سيما في أوقات الصلاة بأن يوفق الله حملة الرسالة المحمدية من العلماء والدعاة والمصلحين في القيام بواجبهم على أحسن ما يرام وأن يمن عليهم بالصبر والثبات والاستقامة في دعوتهم المباركة، كما نبتهل إلى الله تعالى جميعاً بأن يرزقنا الخير، وأن يثبتنا على دوام الاستقامة، وأن يوفقنا إلى العمل الصالح، وأن يرنا الحق، وأن يعلمنا شرائع الاسلام اللهم ربنا بصرنا عيوب أنفسنا، حتى لا تشتغل بعيوب الناس، وبعدنا عن الشر، واحفظ ألسنتنا عن الباطل.

يا ربنا! مهد لنا سبيل الرزق، حتى لا نكون كالأعلى الناس، وعبد لنا طريق

الاحسان ، حتى لا يضيع بيننا الفقير المحتاج .

ياربنا علمنا متى نتكلم ومتى نسكت ومتى نعمل، ومتى نقف، ومتى نذهب، ومتى نستقر.

ياربنا اهدنا للفكر الحسن، ثم الكلام على طبعه، ثم العمل على طبقه، وبعدها عن الفكر الزائغ والكلام المائل، والعمل الحائد.

ياربنا ! حَبِّبْ إلينا الثبات في الخير والهزيمة في الشر، وأرنا الفرق بين الخير والشر، والصديق والعدوّ، والحقائق والأوهام والايمان بالحقيقة والتعصب للتقاليد العمياء بظنّ أنّها الحقائق البيضاء.

ياربنا ! أمت في قلوبنا حب الظهور ، وأحيي فيها حب العمل .

ياربنا ! أفض علينا النشاط، واطرد عنا الكسل، وبعدها عن النفاق، وخذ بأيدينا في المزالق ، واجعل أرواحنا خيرة، وعلمنا الحياة والصبر والكفاح.

اللهم اهد شبابنا، ووقفهم لكي يتزوجوا مبكراً، لكي لا- يمدوا أعينهم إلى اعراض الناس ، واهد اللهم فتياتنا، حتى لا يتبرجن ، فيوقعن أنفسهن في سقطه لا مفرّ منها ، واهد اللهم الآباء كي لا يغالوا في مهور البنات.

ياربنا! وفق الأغنياء لمعونة الضعفاء، وادخل أشعة الرحمة في قلوبهم على الفقراء، واخرج حب الدنيا عن أفئدتهم، حتى يبذلوا المال في المشاريع الاسلامية الخيرية، ويُخلدوا أنفسهم في قائمة المحسنين. اللهم أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم إنّ هذه الدعوات الجليلة هي أخلاقيات حبيبك محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) التي قد بعثته من أجلها لكي يعلمها الناس وقد علمتنا إياها بواسطة بعثته الشريفة إلينا رسولاً وهادياً ومبشراً منذراً تلك البعثة الزهراء التي أنارت لنا طريق السعادة وهدتنا إلى سبيل الهدى .

وتلك بعثته الزهراء عليه صلاة*** الله للخلق عربيهما وعجميهما

فصار يدعو إليها من توسم فيه*** الخير سرّاً وخوف الشر يُخفيها

بذا ثلاثة أعوام قضى وله***قددان بعض قريش واهتدوا فيها

وبعدها جاءه جبريل يأمره*** بأن يجاهر بالاسلام مجريها

وقال :

فاصدع بأمر الله إنك مبعوث*** لتدعو إليه الناس تهديها

أنذر عشيرتك الدنيا بشرعتك الفراء*** وأظهر لها أسنى معانيها

ومذ تبلغ أمر الله هم به*** بهمة ما اعتدا الكفار يشيها

ولم يحد عضداً كي يستعين به*** على مجاهرة قد كان خاشيها

إلا العلي فناده وأخبره*** ببغية حسب أمر الله باغيها

وقال هيء لنا في الحال مآدبة*** وليتقنن لها الألوان طاهيها

فرجل شاة على صاع الطعام*** واعساس لها اللبن النوقي يمليها

وادع الهواشم باسمي كي أشافهها*** بأمر ربي بارتى وباريها

قام العليّ بأمر المصطفى ودعا*** إلى وليمته أكرم بداعيها

أبناء هاشم هم كانوا عشيرته*** ولم يكن ن فيهم إلا مُلبتها

وعدهم كان عند الأربعين وهم*** رجالة العرب في إحصاء محصيها

هذي عشيرة طه بل قرابته الدنيا*** التي كان للاسلام راجيها

وإذا أتسته تلقاها على رحب*** يبشره وانثنى صفواً يُحييها

حتى إذا ما استوى فيها المقام لها*** مد السماط وفيه ما يشهيها

فأقبلت ورسول الله يخدمها*** على الطعام ويعنى كي يهنيها

حتى إذا أكلت ذاك الطعام ومن*** ألبانه سُقيت والله كافيها

ظلّ الطعام كما قد كان وهو وأيم*** الله مكان يكفي مستجيعيها

وتلك معجزة للمصطفى وبها***قام العلي وعنه نحن نرويها

وتمّ ابتدر القوم الرسول بذكرى***يمن بعثته يدي خوافها

ص: 116

وإذ أبو لهب في الحال قاطعه *** وموّه الحق بالتضليل تمويها

فقال :

ياناس طه جاء يسحركم *** بذا الطعام احذروا الإضلال والتهيا

هي انهضوا ودعوه أن يغش نفوس *** الغير في هذه الدعوى ويصبيها

وهكذا انفض ذاك الاجتماع وأنفس *** الجمع داجي الكفر غاشيها

وعاد طه إلى تكرار دعوته *** وكان حيدرة المقدم راعيها

حتى إذا اجتمعت للأكل ثانية *** على الخوان انثنى طه يفاهيها

فقال :

ما جاء قبلي قومه أحد *** بمثلها جئت نعماء أسديها

لكم بها الخير في دنيا وآخره *** إذا انضويتم إلى زاهي مغانيها

فمن يوازرني منكم فذاك أخي *** وذاك يخلفني في رعي ناميها

فلم يجد من لبيب راح مقتنعاً *** بصدق بعثته او راح راضيه

وكلما ازداد تبياناً لبعثته الزهراء *** زادته تكذيباً وتسفيها

او ثم بولهب ناداه ويلك لم *** يجيء فتى قومه ما جئتنا ايها

تبت يداه فإنّ الجهل توهه *** والكفر في دركات النار تتويها

وكرر المصطفى أقواله علناً *** وقد توسّع إنذاراً وتنبهيا

فما رأى غير الباب محجرة *** هيهات ليس يلين النصح قاسيها

وأفسأ عن كتاب معرضة *** والكفر قد كان والإشراك معميها

وأحجمت كلّها عن فيض رحمته *** مع يُمن دعوته فالكل آييها

إلا العليّ فنأدى دونها فأنا *** نعماك يا هادي الأكوان باغيها

نادى أن اجلس ثلاثاً وهو يعرض *** دعواه على القوم بيغي مستجيبها

حتى إذا بات مأیوساً ومنزعجاً*** من الهواشم معي عن ترضيها

عنها تولّى إلى حيث العلمي منوهاً*** به بين ذلك الجمع تنويها

ص: 117

وكان ماسكه من طوق رقبته*** يقول هذا لها والله يحميها

وقال هذا أخي ذا وارثي وخليفتي*** على أمتي يحمي مراعيها

وقال فرضٌ عليكم حسن طاعته*** بعدي وإمرته ويل لعاصيها

فانفض جمعهم والهزء آخذهم*** إلى الغواية في أدجى دياجيها

وهم يقولون: أحكام الامام*** علي يا أبا طالب كن مطيعها

كذلك حيدرة ماشي النبوة مذ*** نادى بها المصطفى لبي مُناد بها

وشارك المصطفى من يوم أن وضع*** الأساس حتى انتهت عليا مبانيها

نعم من لتلك الدعوة غير ابي الحسن (عليه السلام) يكون ناصراً ومؤازراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتحمل الأذى معه في جنب الله تعالى ومن أجل إعلاء كلمته، نعم انه أبو الحسن ذلك الامام العظيم الذي حطم صنائد المشركين من قريش، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقذفه في لهوات الحرب فيخمد لهيبتها بسيفه حتى اقام دعائم الاسلام و ثبت قواعده بمواقفه الجليلة وخدماته المشهودة المشكورة للاسلام، ففي يوم أحد بذل نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى ومواساة رسوله ، وفي يوم خيبر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وفي يوم الخندق كان يضرب بالسيف ويحامي عن دين خاتم الأنبياء وقد قتل بسيفه الشريف عمرو بن عبدود العامري ذلك الرجل الشجاع، وعندما برز (عليه السلام) إلى مقاتلة إلى مقاتلة عمرو وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): برز الاسلام كله إلى الشرك كله .

فالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المبلغ بالرسالة والصادع بالندارة والامام علي (عليه السلام) المصدق به والمواسي له بنفسه.

قالت السيدة الجليلة والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء في نعت أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصف ابن عمها وزوجها في خطبتها الشريفة المشهورة : (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيمٌ) فإن تُعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخي ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي

إِلَيْهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَآلِهِ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِالنِّدَارَةِ مَائِلاً عَنِ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ ضَارِباً تُبْجَهُمْ آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ يُكَسِّرُ الْأَصْنَامَ وَيُنْكَسِرُ الْهَامَ حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدَّبْرَ حَتَّى تَعَزَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ وَخَرُسْتُ شِقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشَيْطُ النِّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقْدُ الشَّرِكِ وَالشَّقَاقِ، وَفُهِتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِمَاصِ، وَكُنْتُمْ عَلَى شِفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ مَذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنَهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقَيْسَةَ الْعَجْلَانِ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ، تَشْرِبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ، أَذَلَّةٌ خَاسِئِينَ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ فَأَنْقِذْكُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ بَعْدَ التِّيَا وَالتِّيَا وَبَعْدَ أَنْ بَلَى بِبِهِمُ الرِّجَالَ وَذُؤْبَانَ الْعَرَبِ وَمَرْدَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ أَوْ نَجَّمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ أَوْ فَغَرَّتْ فَاعْرَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذْفَ أَخَاهُ فِي لَهْوَاتِهَا فَلَا يَنْكُفِي حَتَّى يَطَّأ صِمَاخَهَا بِأَخْمُصِهِ وَيُحْمَدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللَّهِ قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُشْمِراً نَاصِحاً مُجْداً كَادِحاً».

نعم، هكذا كان أبو الحسن (عليه السلام) في ثباته وتحمله المتاعب من أجل نصرة سيد

المرسلين وإظهار هذا الدين فلقد كان عليه اسلام كما وصفته الصديقة (عليه السلام)، يزج

له بنفسه في لهوات الحروب فلا ينكفيء حتى يطأ صمماخها بأخمصه، ويحمد لهبها بسيفه، ولكن أين هو عن بنت الرسالة الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) عندما نفذ صبرها عمّا نالها وأصابها من القوم وذلك من كسر ضلعها وضرب متنها وإسقاط جنينها وأعظم الأمور عليها لما رأته (عليه السلام)، وهو لا يقدر على دفع ذلك خرجت تدافع القوم عنه ولكن بدون جدوى، فقال علي (عليه السلام) لسلمان: يا سلمان قل لفاطمة أن القوم لا يفقهون ما تقولين قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله تعالى فلافائدة في مفاوظتهم، واعلمي أنهم قد استحقوا العذاب قد استحقوا العذاب من الله تعالى .

من شاف الولي لكون أظلمت صاح يا سلمان**روح الفاطم الزهرة وردها خيرة النسوان

أشوف الكون متزلزل لجلها والبلا حول*** حسها الضايعة تعول لو ايعود الزمن لول
رحمه المصطفى المرسل ومنها الكون يتزلزل* ومن جاها جذب زفرة وشبت بالقلب نيران
ردي للخدر خدر بالهون نادت به نفذ صبري*** من ضرب الدعي الملعون دمي ومدمعي يجري
لطني ابكفه الملعون لطفة واحراق الخدري*** وحلمي راح بالعصرة وعفني على الترابان
صبرت على الهظم والجور سلمان ولطم خدي** صبرت على الضلع مكسور وترويع العدى ولدي
ما اصبر يذبح المذحور حيدر واستوى وحدي** بعده عيشة القشره عمري ليت فدوه چان
يا سلمان صباره على كلما جرى من افعال*** ادهري صبرت محتاره مصايب يا علي وأهوال
حيدر لا اختلت داره يتاما ظلّت الأطفال*** عسى كاسم اليتيم ما اتذوق يا سلمانها الشبان
ما صالح لدا الجبار باكرم في الورى مني*** ولا ذاك الفصيل الكان عنده افضل من ابني
يرتاعوا وانا المحسن رميته من وسط بطني*** ما ظن لو دعوت الله واحد يظل بالأكوان
ناداها اصبري وردي عن أمر البطل حيدر*** قالت صابرة وأطيع لامره والتصبر مرّ
وردت بالخدر بالحال بذيال البلا تعثر*** محلا الموت من قبلك يليت الأجل مني حان

مصايب لو على الجبال ذابت داخل افوادي***فقد المصطفى وبحبال سحب المرتضى الهادي

في داري ورض الباب ضلعي وذلة أولادي**ولطمي من علا خدري وحرق الباب بالنيران

نعم، أن المصائب التي جرت على الصديقة الطاهرة والسيدة الجليلة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام مصائب عظيمة ولكن مصيبتها في أولادها يوم عاشور أعظم وأجل وأفجع.

انظروا كيف أن الامام الحسين عليه الصلاة والسلام قد أحضر أصحابه وأطلعهم عليها قبل حدوثها ووقوعها حتى يكونوا على علم بما يقع عليه وعليهم ليكونوا على أهبة الاستعداد لذلك.

قال المحدث المازندراني (رحمه الله) في المعالي نقلاً عن مدينة المعاجز مرسلًا عن أبي حمزة الشمالي قال : سمعت علي بن الحسين زين العابدين عليهما الصلاة والسلام يقول : لما كان اليوم الذي استشهد فيه الحسين صلوات الله وسلامه عليه جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم فقال لهم : يا أهلي وشيعتي اتخذوا هذا الليل جمالكم وانجوا بأنفسكم فليس المطلوب غيري ولو قتلوني ما فكروا فيكم فانجوا رحمكم الله وأنتم في حل وسعة من بيعتي وعهدي الذي عاهدتموني.

فقال اخوته وأهله وأنصاره بلسان واحد والله يا سيدنا يا أبا عبدالله لا خذلناك أبداً والله لا قال الناس تركوا إمامهم وكبيرهم وسيدهم وحده حتى نقتل ونبلو بيننا وبين الله عذراً ولا نخليك أو نقتل دونك.

فقال لهم : يا قوم إنني غداً أقتل وتقتلون كلكم معي ولا يبقى منكم واحد .

فقالوا : الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك أو لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله ؟

فقال : جزاكم خيراً، ودعا لهم بالخير، فأصبح سلام الله عليه وقتل وقتلوا معه أجمعون عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وفي نفس الخبر أنه قام إليه القاسم ابن الحسن صلوات الله عليهما فقال: وأنا فيمن يقتل؟ فأشفق عليه فقال له: يا بني كيف الموت عندك؟

قال: يا عم فيك أحلى من العسل.

فقال عليه الصلاة والسلام: أي والله فذاك عمك إنك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلو ببلاء عظيم ويقتل ابني عبد الله. فقال: يا عم ويصلون إلى النساء حتى يقتل عبد الله وهو رضيع؟ فقال: فذاك عمك يقتل ابني عبد الله إذا جفت روحه عطشاً وصرت إلى خيمنا فطلبت له ماء ولبناً فلا أجد قط فأقول: ناولوني ابني لأشربه من فيي إلى آخر كلامه عليه الصلاة والسلام فتعجلني الأسنة منهم والنار تسعر في الخندق الذي في ظهر الخيم فأكرّ عليهم في أمر أوقات في الدنيا فيكون ما يريد الله فبكى وبكىنا وارتفع البكاء والصراخ من ذراري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخيم. ولله در القائل:

بنفسي شفاها ذابلات من الظمأ*** ولم تحظ من ماء الفرات بقطرة

بنفسي عيوناً غايرات سواها*** إلى الماء منها نظرة بعد نظرة

وقالت سكينه بنت الحسين عليه الصلاة والسلام عز ماؤنا ليلة التاسع من المحرم فجفت الأواني ويست الشفاه حتى صرنا نتوق الجرعة من الماء فلم نجدها فقلت في نفسي: أمضي إلى عمتي زينب لعلها ادخرت لنا شيئاً من الماء فمضيت إلى خيمتها فرأيتها جالسه وفي حجرها أخي عبد الله الرضيع وهو يلوك بلسانه من شدة العطش وهي تارة تقوم وتارة تقعد فخنقتني العبرة فلزمت السكوت خوفاً من أن تفيق بي عمتي فيزداد حزنها، فعند ذلك التفتت عمتي وقالت سكينه: قلت لبيك، قالت: ما يبكيك؟ قلت: حال أخي الرضيع أبكاني، ثم قلت عمته قومي لنمضي إلى خيم عمومتي وبني عمومتي لعلهم ادخروا شيئاً من الماء.

قالت: ما أظن ذلك، فمضينا واخرقنا الخيم بأجمعها فلم نجد عندهم شيئاً من الماء فرجعت عمتي إلى خيمتها فتبعها من نحو عشرين صبياً وصبية وهم يطلبون منها الماء وينادون: العطش العطش، فكثر الضجيج والبكاء.

يا من إذا ذكرت لديه كربلا *** لطم الحدود ودمعه قد أهمل

مهتما تمر على الفرات فقل ألا *** بعداً لشطك يا فرات فمر لا

تحلو فإنك لا هني ولا مري

أيذا نسل الطاهرين ابا وجد *** عن ورد ماء قد أبيض لمن ورد

لو كنت يا ماء الفرات من الشهد *** يسوغ لي منك الورود وعنك قد

صدر الامام سليل ساقى الكوثر

نعم لا يسوغ لأحد من المحبين أن يشرب المحبين أن يشرب الماء بدون أن يذكر عطش الحسين عليه الصلاة والسلام وعطش أهل بيته عليهم الصلاة والسلام ويبكي ويتمثل المصيبة قائلاً:

بنفسي نساء السبط يبكين حوله *** ظمأيا حيارى حاسرات وثكلا

عطاشا على شاطي الفرات فما لهم *** سبيل إلى قرب المياه ورود

ويل الفرات أباد الله غامره *** ورد وارده بالرغم ظمأنا

لم يطف حر غليل السبط بارده *** حتى قضى في سبيل الله عطشاننا

فعرّ أن تتلظى بينهم عطشاً *** والماء يصدر عنه الوحش ريانا

في المعالي نقلاً عن كتاب الناسخ قال : منع الحسين عليه الصلاة والسلام عن الماء في يوم الثلاثاء السابع من المحرم ؛ ورد كتاب عدو الله ابن زياد لعنه الله تعالى إلى عدو الله عمر بن سعد لعنه الله تعالى : أما بعد فحل بين الحسين (عليه السلام) وأصحابه الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان، فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج لعنه الله في خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين عليه الصلاة والسلام وأصحابه صلوات الله عليه وعليهم جميعاً وبين الماء، ومنعواهم أن يسقوا منه قطرة ونادى عدو الله ابن الحصين الأزدي لعنه الله بأعلى صوته : يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً .

فقال الحسين عليه الصلاة والسلام : اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً.

قال حميد بن مسلم : والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتَه يشرب الماء حتى يبغر ثم يقينه ويصيح لعنه الله تعالى : العطش ، يفعل ذلك مراراً ويتلظى عطشاً ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى هلك لعنه الله تعالى . وفي نفس الكتاب أيضاً : نادى عمرو بن الحجاج لعنه الله : يا حسين هذا الماء يلغ فيه الكلاب وخنازير السواد والذئاب وما تذق منه والله قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم . بأبي أنت وأمي ونفسي يا حسين الله درك وعليه أجرك .

نقل المازندراني عن المرحوم الحاج الشيخ جعفر (قدس سره) أنه قال : ولأن القوم الظالمين قد منعوا الامام الحسين عليه الصلاة والسلام من الفرات فقد أعطاه الله من المياه أربعة أنواع :

(الأولى) ماء الدموع جعلها الله له فإنه صريع الدمعة وقتيل العبرة، ولذا ورد في الخبر : كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين (عليه السلام).

(الثانية) ماء الحيوان وهو في الجنان مخصوص بالحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته يمزج بماء دموع شيعته، إن الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا الدموع المصبوبة لقتل الحسين عليه الصلاة والسلام فيدفعونها إلى الخزان في الجنان فيمزجونها بماء الحيوان فتزيد في عذوبتها وطيبها ألف ضعفها .

(والثالثة) كل ماء بارد يشربه أحبته فإن للحسين (عليه السلام) فيه حتى الذكر لأنه قال :

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني *** أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

ومن هنا فإن مولانا الامام زين العابدين عليه الصلاة والسلام ما شرب ماءً بارداً إلا وذكر الحسين (عليه السلام) ، وكذلك الصادق عليه الصلاة والسلام قال: ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت جدي الحسين عليه الصلاة والسلام.

(الرابعة) الكوثر جعله الله له ولعطشة شهدائه عليهم السلام أرواهم عنه في الطف حين وقوعهم على الأرض.

ومن هنا ينبغي للمحيين للمحيين أن لا يتركوا البكاء والجزع على سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في كل وقت بل عليهم أن يذوبوا في حبّ الحسين (عليه السلام) عليهم أن يبكون على الأرض والسماء والجمادات النامية وغير النامية .

بكت الأرض والسماء عليه*** بدموع غزيرة ودماء

بيكيان المقتول في كربلاء*** ين غوغاء أمة أدياء

بين منع الماء وهو عنه غريب*** عين ابكي الممنوع شرب الماء

ولقد كان مولانا السجاد زين العابدين عليه الصلاة والسلام حليف النوح والجزع على أبيه الحسين عليه الصلاة والسلام ، وكان (عليه السلام) يردّ عليه من يعاتبه في بكائه وجزعه بقوله (عليه السلام) : ان مصائب كربلاء لا تزال ماثلة أمام عيني، وانّ القتل لناعادة وكرامتنا من الله الشهادة، لكن هل سمعت يا أبا حمزة انّ رضّ الصدور لناعادة؟

لا تهيجني ترى سيف الصبر قلبي فرى*** اتلومني كنك متدري بالمصاب اللي جرى

لاتهيجني ترى من النوح كيدي اتفطرت*** عاينت عيني مصايب بالبرايا ما جرت

ايوم واحد كل عشيرتنا ابصعيد اتعفرت*** روسهم فوق العوالي والجساد اعلى الثرى

بشوف عيني من وقع بوالفضل شيال اللوى** راح ابويه احسين شافه ادمومه ومخه سوى

اورجع محني الظهر ويصيح طود العز دوى*** وانا بس اجذب اللونه والدموع امنشره

ويشوف عيني ابن الحسن من طلع كنه غصن بان*** لابس اثابه يبوا حمزة مثل لبس لكفان

والوجه مثل البدر ياضي على بخت الزمان*** ظل رميه على الوطية والحدود امعفرة
وعاينت عيني ببواحمزة علي الأكبر الشاب*** وقع بالعركة اوجابه والدي يم لطناب
بالسيوف امبطعينه وراس أبوه إحسين شاب*** شعب قلبي حال ليلا اتحوم حوله امحيرة
وكان بين مصاب اللي صدر رايك يضيع*** جاهدوا حتى تقانوا والغسل فيض النجيع
يابوا حمزة ما تقلي أشذنب عبدالله الرضيع*** بيد ابوى حسين شفته السهم فاري منحره
والمصبيه اللي تهز العرش وانتقت الصخر*** من شفت طاح الشهيد ابسهم من ظهر المهر
ومض منها يوم شفته ايهرير أوداجه الشمع*** والحراير نصب عيني بالبرور امطشره
وكان متدري اخبرك والخبر صعب وشديد*** نادوا علينا خوارج بالسكاك مثل العبيد
وقفوا بنت الرساله امكتفة بمجلس يزيد*** مالها ساتر ذليله وباليتاما امرمة

ولكن يا شيعة آل محمد لأن بكى مولانا السجاد صلوات الله وسلامه عليه على أبيه الحسين عليه آلاف الصلاة والسلام فلقد بكى مولانا
صاحب العصر والزمان عجل فرجه الشريف وأرواحنا له الفداء على جده الامام الحسين (عليه السلام) الدهر كله ، وهو يقول: «فَلَيْتُنْ أُخْر
ثِي الدَّهْرُ ، وَعَاقِبِي عَنْ نَصْرِكَ المَقْدُورُ ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارِبَكَ مُحَارِباً ، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ العِدَاوَةَ مُنَاصِباً ، فَلَأُنْدَبَنَّكَ صَبَاحاً وَمَسَاءً ،
وَلَأُبْكِينَ لَكَ بَدَلَ الدَّمِوعِ دَمًا حَسْرَةً عَلَيْكَ وَتَأْسَفًا عَلَيَّ مَا دَهَاكَ وَتَلْهَفًا حَتَّى أَمُوتَ

بلوعة المصاب وغصة الاكتاب».

ولهذا تجد شعراء آل محمد يعزّونه ويستنهضونه من أجل الطلب بكل دم هدر أريق في كربلاء، وغيرها، فهذا هو شاعر آل محمد شيخنا الجليل والامام الكبير العلامة المرحوم الشيخ علي بن حسن الجشي رضوان الله تعالى عليه يخاطبه عجل الله تعالى فرجه الشريف بقوله :

طال انتظار الهدى من سيفك الفرجا*** فقم أقم بالضبا من ديننا العوجا

واطلب بكل دم هدر أريق لكم*** حتى تعود الفيافي بالدماء لججا

واملاً بقتلى العدى الدنيا فقد ملؤا*** بقتل جدك أقطار الوجود شجا

تلك العوالم قد قام النعات بها*** للحشر تنعى نهراً من أسى ودجا

وكل شيء له حتى الجماد بكى*** ودمعها بدما أحشائها امتزجا

لولا انتظارك من كل منية*** حانت ولكن لكل في النهوض رجا

فانهض فهذي جنود الله هاتفة*** بأن أرخص شيء بذلنا المهيجا

لم يذكر الطفّ إلا طاف جيش أسى*** بالقلب قد منع الأفراح أن تلجا

فكم أريق لكم يوم الطفوف دم*** وكم حصان عليها خدرها ولجا

حيث الهدى حجبت أنواره فغدا*** مستصرخاً وبكهف ابن النبي لجا

فهب من غابه غاب النبوة لا*** يشيه شيء وبالكفر الوجود دجا

فأرسلت غيرة التوحيد عاصفة*** من وعظه مزقت في مرها الرهجا

فاسفر الحق لكن ما ارعوا فغدا*** دون الهدى للمنايا خائضاً لججا

غداة انهض حرباً بغيها فأتت*** تقود جيشاً ملاً الأرجاء والفرجا

وخيرة واحد الدنيا وأكرمها*** بين الهوان وحرب يسلب المهيجا

ما كان في خلد حرب أن تقاوم من*** لو قابل الموت أرداه لقي ونجا

لكنها علمت عهد النبي له*** وانه للفنا في الله قد خرجا

فشمرت من لوي فتية حسبت*** وصل المنون مني والعثير الأرجا

وصافحت صفحات البيض واعتقت*** صدر الرماح بصدر لم يكن حرجا

ص: 127

من كل شهيم إذا اشتد الأوام به*** روى الحسام فأمسى قلبه ثلجا
وكل طلق المحيا لم يرع بوغى*** قد اكتسى برد عزّ بالضبا نسجا
وكل نجم بأفق المجد متخذ*** قب البطون بميدان الوغى برجا
حتى بدت لهم أعلام منزلة*** في مقعد الصدق كل نحوها درجا
فصر عوا في الثرى لكن أنفسهم*** بها إلى العالم العلوى قد عرجا
ثوروا ثلاثاً ولكن ما خبالهم*** نور وقد زادهم طول البقا أرجا
وصال شبل على غير مكترث*** فكلمّا عبست أبطالها ابتهجها
ظمان يدخل في أوساطها فإذا*** روى ظما السيف من أعراضها خرجا
آلى بأن يملأ الدنيا بموقفه*** في الطق فخراً وأقطار الوجود شجعا
حتى أقام بمعوج الضبا عوجا*** في الدين من معشر ما بارحوا العوجا
وحين أدى فروضاً قد تنزل عن*** لاهوته لأداها عائداً عرجا
فلم يزل يترقى في تنزله*** وعوده وسوى العلياء ما انتهجها
كأنه الشمس والعليا له فلك*** ما سار من برج إلا أتى برجا
فإن تجد هيكل التشكيل منعراً*** فإنه لمقامات العلى درجا
يا دارجاً سلب الأكوان بهجتها*** ما افتقر ثغر العلا والمجد ما ابتهجها
وصاعداً صعدة للدين بعدك لم*** يرفع لواء ولا وقت الهنا بلجا
لئن قضيت لهيف القلب من عطش*** فالأرض صيرت من فيض الدما لرجا
وإن قتلت فقد خلفت بعدك في*** الأحياء ذكراً جميلاً قد زكا أرجا
فيا قتيلاً غدا للدين شمس ضجى*** من بعد أن كان للاسلام بدر دجا
لم يبك باك لوهن قد عراك فقد*** شيّدت بالسيف في أفق العلا برجا
وعاد ثقل بنات الوحي بين بني*** عبادة اللة نهياً لا ترى حرجا

فكم حصان من الأستار قد برزت *** حسرى غداة عليها خدرها ولجا

فرت من الرعب في البيداء عالمة *** أن ليس ملجأً ولا عن سلبهن نجا

كلّ تلوذ بأخرى خيفة أترى *** ينجي المخوف مخوفاً أن إليه لجا

ص: 128

وعرجت نحو مئوى الآل عاتبة*** وجداً وتعلم لا عتبي وليس رجا
أيا حماة لو الداعي بمغربها*** وفي المشارق كنتم أدرك الفرجا
ودائع الله تسيى نصب أعينكم*** بالوهم هذا لعمر الله ما اختلجا
لم أنس ساعة ترحال العدو بها*** عن فتية بذلت من دونها المهجا
همت تودّع قبل الطعن فتيتها*** فصدها السوط والحادي بها دلجا
ما صرّ أعداءها لو أنها سمحت*** بوقفة الركب ليت الركب لا درجا
فودعتها على بعد وما اعتنقت*** جسماً ولا قبلت ثغراً ولا ودجا
وأرسلت نظرة نحو الجسوم أسى*** وأسبلت عبرة من حرقة وشجا
أيا بدور سما العلياء ما لكم*** تخذتم فلك السفلى لكم برجا
وما لوت جيدها عنها وإذ بعدت*** أجسادها خلفت في كربلا المهجا
وسرن بالرغم بعد الصون حاسرة*** وما لها ساتر إلا ودجى
عفائف ظلمات الليل تؤنسها*** والصبح يوحشها إن نوره بلجا
فالليل ينسج أبراداً تحجبها*** والصبح ينزع عنها كلّمنا نسجا
وصيبة بحجور الغرقد نشأت*** تراع بالسوط مهما ناشج نشجا
وموثق فلك الأكوان داربه*** وقد أمارت يدها السحب واللججا
لم يلو جيداً ليرعى المحصنات وما*** ألواه عجزاً فأبكى الكائنات شجا
ولم يدر طرفه عما عراه إذا*** هتفن إلا ومنها أحرق المهجا

وله (قدس سره) قصائد كثيرة في استنهاض مولانا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف غير هذه القصيدة سوف نذكرها في
الجلسات المقبلة إن شاء الله تعالى كما ان السيد حيدر الحلي رضوان الله عليه وكذلك غيره من الشعراء مئات القصائد في تعزية صاحب
الزمان عجل الله تعالى بجده الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين وكذلك في استنهاضه
وهنا يشير شيخنا الجشي قدس سره في قصيدته المذكورة في الأبيات الأخيرة منها إلى وصف حالة مولانا الامام زين العابدين وهو فوق الناقة
(موثوقاً) وكيف انه لا

يستطيع أن يلورقبته إلى الهاشميات إذا أراد النظر إليها وإنما يحاول ذلك بصعوبة - بالغة كما يحكي ذلك أيضاً شاعر أهل البيت الحاج ملا عطية الجمري (رحمه الله) في الأبيات المسماة بالحسكة فهو أيضاً يصف حالة الامام والهاشميات وهن فوق النياق بنفس الوصف المذكور لشيخنا الجشي قدس سره ولسان حاله يقول :

زينب اتعابن وليها ولغلال ابرقبته*** فوق ناقة امهزله امقيد او تجري دمعتة

ينظر الها او يجرونه او هي تنظره او تتحب*والحرم تخفي البكا والنوح خوف امن الضرب

نادته يا نور عيني ذويت مني القلب*** هلت ادموعه وخذ بيدي الشكاية العمته

عمة يا زينب سفرنا فوقها لهزل طويل*** وانا من كثرة اجر وحي هذا دم ساقى يسيل

نحل اعظامي اركوبي اعلى الجمل وأنا عليل* اوها الرجس كلساع يضرب بني او يزجر ناقتة

صاحت او ضلت يويلي فوق ناقتها اتجود*** يا زجر بالله دخفف عن علي من هلقود

آه يفرسان نسوني آه يعز ما يعود*** منظرنا ما تخاف الله او ترحم حالته

رد عليه ابن الخنا ومن شاف حاله الغيظ زاد*** صاح كتر اللي يوجعك وين يا زين العباد

قال حدر الجامعة او موضع اغلالى ولقياد* شال سوطه او غابت امن الضرب ويلى ارويخته

الجلسة السادسة : في ذكرى مبعث الرحمة

في كلّ فاتحة للقول معتبرة ***حق الثناء على المبعوث بالبقرة
في آل عمران قدماً شاع مبعثه ***رجالهم والنساء استوضحوا خبره
مد للناس من نعماء مائدة ***عمّت فليست على الأنعام مقتصره
أعراف نعماء ما حلّ الرجاء بها ***إلا وأنفال ذاك الجود مبتدرة
به توّسل إذ نادى بتوبته ***في البحر يونس والظلماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به امنا ***ولن يروّع صوت الرعد من ذكره
مضمون دعوة إبراهيم كان وفي ***بيت الإله وفي الحجر التمس أثره
ذو أمة كدوي النحل ذكرهم ***في كل قطر فسبحان الذي فطره
بكهف رحماه قد لاذ الورى وبه ***بشرى ابن مريم في الإنجيل مشتهرة
سمّاه طه وخص الأنبياء على ***حج المكان الذي من أجله عمره
قد أفلح الناس بالنور الذي عمروا ***من نور فرقانه لمّا جلا غرره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا ***كالنمل إذ سمعت آذانهم سوره
وحسبه قصص للعنكبوت أتى ***إذ حاك نسجاً بباب الغار قد ستره
في الروم قد شاع قدماً أمره وبه ***لقمان وفق للدرّ الذي نثره
كم سجدة في طلى الأحزاب قد سجدت ***سيوفه فأراهم ربه عبره
سباهم فاطر السبع العلا كرمًا ***لمن بياسين بين الرسل قد شهره
في الحرب قد صفت الأملك تنصره ***فصار جمع الأعداي هازماً زمره
الغافر الذنب في تفضيله سور ***قد فصلت لمعان غير منحصرة

شوراه أن تهجر الدنيا فزخرفها*** مثل الدخان فيعسى عين من نظره
عزّت شريعته البيضاء حين أتى*** أحقاف بدر وجند الله قد نصره
فجاء بعد القتال الفتح متصلاً*** وأصبحت حجرات الدين منتصره
بقاف والذاريات الله أقسم في*** أن الذي قاله حق كما ذكره
في الطور أبصر موسى نجم سؤدده*** والأفق قد شق إجلالاً له قمره
أسرى فنال من الرحمن واقعة*** في القرب ثبت فيه ربه بصره
أراه أشياء لا يقوى الحديد لها*** وفي مجادلة الكفار قد أزره
في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في*** صف من الرسل كلّ تابع أثره
كف يسبح الله الحصاة بها*** فأقبل إذا جاءك الحق الذي قدره
قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها*** نالت طلاقاً ولم يصرف لها نظره
تحريمه الحبّ للدنيا ورغبته*** عن زهرة الملك حقاً عندما نظره
في نون قد حقت الأمداح فيه بما*** أثنى به الله إذ أبدى لنا سيره
بجاهه شال نوح في سفينته*** سفن النجاة وموج البحر قد غمره
وقالت الجن: جاء الحق فاتبعوا*** مزماً تابِعاً للحق لن يذره
مدثراً شافعاً يوم القيامة هل*** أتى نبي له هذا العلا زخره
في المرسلات من الكتب انجلى نبأ*** عن بعثه سائر الأخبار قد سطره
الطافه النازعات الضيم في زمن*** يوم به عبس العاصي لما دعره
وكوّرت شمس ذات اليوم وانفطرت*** سماؤه ودعت ويل به الفجره
وللسماء انشقاق والبروج خلت*** من طارق الشهب والأفلاك مستتره
فسبح اسم الذي في الخلق شفّعه*** وهل أتاك حديث الحوض إذ نهره
كالفجر في البلد المحروس غرته*** والشمس من نوره الوضاح مستتره

والليل مثل الضحى إذ لاح فيه ألم*** نشرح لك القول في أخباره العطره

ولو دعا التين والزيتون لا ابتدرا*** إليه في الحين وقرأ تستبين خبره

ص: 132

في ليلة القدر كم قد حاز من شرف*** في الفخر لم يكن الإنسان قد قدره

كم زلزلت بالجياد العاديات له*** أرض بقارعة التخويف منتشره

له تكاثر آيات قد اشتهرت*** في كل عصر فويل للذي كفر

ألم تر الشمس تصديقاً له حبست*** على قریش وجاء الروح إذ أمره

أرأيت أن إله العرش كرمه*** بكوثر مرسل في حوضه نهره

والكافرون إذا جاء الوری طردو*** عن حوضه فلقد تبت يد الكفره

إخلاص أمداحه شغلى فكم فلق*** للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره

أزكى صلاتي على الهادي وعترته*** صلى عليهم إله العرش في سوره

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (يَا أَيُّهَا الْمَذْكُورُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ*) (1).

جاء في تفسير الميزان(2) : إن المدثر بتشديد الدال والثناء أصله المتدثر اسم فاعل من التدثر بمعنى التغطي بالثياب عند النوم.

وفي التبيان: انه خطاب من الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له: (يا أيها المدثر) وأصله المتدثر بثيابه، فأدغمت التاء في الدال، لأنها من مخرجها مع أن الدال أقوى بالجهر فيها ، يقال : تدثر تدثراً ودثره تدثيراً ، ودثر الرسم يدثر دثوراً إذا محي أثره ، فكأنه قال : يا أيها الطالب صرف الأذى بالدثار اطلبه بالانذار.

قال : وقوله تعالى : (قم فأندِر) هو أمر من الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم وينذر قومه، والانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقي ، فلما كان لا مخافة أشد من الخوف من عقاب الله تعالى كان الانذار منه أجل الانذار، وتقديره قم فأندِر من النار.

وقيل: إنها أي سورة المدثر هي أول سورة نزلت على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء ذلك عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من

ص: 133

1- سورة المدثر : 1 - 3 .

2- 79 / 20

القرآن فقال : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قلت : يقولون : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ؟

فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، قلت له مثل ما قلت فقال جابر : ألا أحدثك بحديث رسول الله ؟ أو قال : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال : جاورت ، بحراء ، فلما قضيت جوارى نوديت فنظرت عن يميني فلم شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئت منه رعباً فرجعت فقلت : دثروني دثروني فنزلت : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) إلى قوله تعالى : (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) (1)

أقول : ولكن الصحيح أن أول سورة نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي سورة اقرأ.

ويؤيده معارضة الحديث المذكور بغيره.

قال في الميزان : إن الحديث معارض بالأحاديث الأخر الدالة على كون سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن.

ففي الدر المنثور للسيوطي : أخرج عبدالرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه والبيهقي من طريق ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أنها قالت : عائشة أنها قالت : أول ما بدى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد في الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة أم المؤمنين سلام الله عليها فيتزود لمثلها حتى جاء الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له : اقرأ . قال : فقلت : ما أنا بقارىء .

ص : 134

قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) الايات المتقدم ذكرها.

تقول : الرواية فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرجف بها فؤاده فدخل على أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (عليها السلام) فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة (عليها السلام) وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة (عليها السلام) : كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة (عليها السلام) حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة (عليها السلام) وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة (عليها السلام) : يا بني اسمع من أخيك فقال له ورقة : ما ترى يا ابن أخي ؟ فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خبر ما رأى فقال له : ورقة هذا والله الناموس الذي أنزل الله على موسى ياليتني أكون فيها جذعاً ياليتني أكون فيها حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

وقد علق سماحة الحجة الاستاذ الجليل السيد محمد حسين فضل الله دامت بركاته العالية على هذا الحديث المذكور بقوله : إن هذا الحديث وإن كان يدل دلالة واضحة على أن سورة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) هي أول سورة نزلت من القرآن الكريم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنه يصور لنا في الوقت نفسه ضعف شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى هذا فلا يصح التسليم بكل ما يحكيه لنا المؤرخون في قصة

المبعث إلا بعد الثبوت من صحة الجبر في ذلك .

وفي حديث ثان رواه ابن مردويه عن عائشة أيضاً: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اعتكف هو وخديجة شهراً فوافق ذلك شهر رمضان فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع السلام عليكم قالت: فظننت أنه فجة الجبن فقال: أبشروا فإن السلام خير ثم رأى يوم آخر جبرئيل على الشمس له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب قال: فهبت منه فانطلق يريد أهله فإذا هو بجبرئيل بينه وبين الباب قال: فكلمني حتى أنست منه ، ثم وعدني وعداً فجئت لموعده واحتبس على جبرئيل ، فلما أراد أن يرجع إذا به وبميكائيل فهبط جبرئيل إلى الأرض وميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبرئيل فصلقني لحلاوة القفا وشق عن بطني فأخرج منه ما شاء الله تعالى ، ثم غسله في طست من ذهب ثم كفاني كما يكفأ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم ثم قال لي : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ولم اقرأ كتاباً قط فأخذني بحلقي أجهشت بالبكاء ، ثم قال لي : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) إلى قوله تعالى : (وما لم يعلم) : قال فما نسيت شيئاً بعده ، ثم وزني جبرئيل برجل فوازنته ثم وزني بآخر فوازنته ، ثم وزني بمائة فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة.

قال : ثم جئت إلى منزلي فلم يلقيني حجر ولا شجر إلا قال: يا رسول الله حتى دخلت على خديجة فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

قال سيدنا الجليل والعلامة النبيل مولانا الحاج محمد حسين فضل الله أدام الله تعالى توفيقاته في تعليقه على هذا الحديث أيضاً : ان هذا الحديث وإن كان أيضاً يؤيد الأحاديث القائلة بأن أول ما نزل من القرآن الكريم سورة اقرأ إلا أنه يصور لنا الرسالة والنبوة تتوقف على عملية جراحية تطهر الجسد من بعض الأشياء التي لا تتناسب ومقام النبوة. ولذا قال رفع الله درجاته وأمد الله تعالى في ظله الشريف في قصة المبعث ما لفظه ليست صلتنا بقضية المبعث النبوي صلة ذكرى نعيشها فتستوقفنا قليلاً ثم لا تلبث دون أن يلفها الصمت في غمار النسيان وإنما هي صلة

العقيدة بمولدها والرسالة بمنطلقها والانسان بانطلاقة كيانه وباعثة مجده.

انها الحدث الذي هزّ كيان الانسانية، بعد أن غفا مدة من الزمن وفتح كل جانب من جوانب الحياة على الحق والخير والجمال، وانطلق بالانسان إلى حياة مثلى يسودها العدل والأمن بينما تنفجر أعماقها بالفكر النير والروحية الخلاقة المبدعة، في عملية خصب وعطاء.

وهي - بعد ذلك - قضية الحياة الكبرى التي تتطرق لتبلغ بنا شاطئ الأمن والسلامة .

تلك هي قصة المبعث، كما تتمثلها في أعماقنا، وكما يعيها الفكر الناقد، الذي يلائم بين البداية والنهاية، فلا يتصور البداية إلا بالعظمة التي تسير بها النهاية لا سيما إذا كانت البداية بداية نبوة ورسالة تستهدف إعداد انسان ما لحمل فكرة السماء إلى الأرض، ولتبدل لقيم الجاهلية، بقيم اسلامية جديدة، ولتهز الضمير الانساني في عملية تجديد وإبداع.

لابد لهذه البداية من أن تكون رائعة في جوها وتفصيلها، ولا بد لهذا الانسان أن يكون عظيماً في وعيه وتفكيره وقوته، لأن قضية النبوة تختلف عن آية قضية أخرى من حيث طبيعة المرسل والرسول والرسالة. أما أن يكون تلك البداية مسرحاً لحركات بهلوانية وتفصيلات مسرحية، اما أن تكون تفاصيلها أشبه بتفاصيل قصة تمثيلية يراد منها خلق جو من الرعب في نفوس الجمهور فهذا ما لانستطيع أن نصدقه بالنسبة إلى قضية عادية، فكيف بقضية الحياة الكبرى.

ثم قال حفظه الله تعالى وزاد في توفيقاته في تعليقه على الحديث الأول المتقدم ذكره المرفوع الى عائشة ما لفظه : «هذه إحدى الصور التي رويت في قصة مولد البعثة . وأنت إذا تأملت فيها فلن تجد أمامك الجو الذي يسوده الهدوء والطمأنينة والوداعة التي تنسجم مع طبيعة القضية التي يناط بالنبوي(صلى الله عليه وآله وسلم)أمر القيام بها والدعوة اليها، وإنما تجد بدل ذلك جواً يسوده الرعب والخوف والترجيع ، كأن

الغرض منه بث الرعب والخوف في قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإظهار القوة والرهبنة أمامه من قبل الملك .

ولن تجد في الوقت نفسه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يثق بنفسه ما حوله ويفكر

ويعي فيما رأى - وقد رأى حقاً - كما تقول الرواية وإنما ترى أمامك الانسان الخائف الرجل الذي يرجف فؤاده وقلبه ويخشى على نفسه أن يكون قد عرض له عارض من مس، لولا أن ثبتته خديجة (عليها السلام) بكلامها ولسنا ندرك مناسبة ذلك الكلام لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يخشى على نفسه كأن تلك الاعمال تمنع من هذا العارض أو انها تتق بالله وعدم خذلانه لعبده الذي يعمل برضاه أكثر من ثقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) به ، وهكذا يتمثل لنا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الرواية في موقف الحائر الذي لا يدري ماذا يصنع وماذا يفعل به فتقوده خديجة إلى ورقة الذي فرضته القصة نصرانياً يكتب الإنجيل بالعبرانية - فلا يلبث بعد سماعه كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يجزم له بأنه نبي يدري بتفاصيل البعثة قبل ذلك ، وكأن التفاصيل المذكورة في الكتب المقدسة السابقة، لا مجرد الاشارة إلى نبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفاته ، ثم لا نعرف معنى قوله : وأن يدركني يومك ... بعد أن كان يومه قد حان في نفس ذلك الوقت.

والواقع إننا لا نعقل أن يبعث الله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أفضل أنبيائه بأفضل رسالاته . ثم يحوجه إلى أن يثبت نبوته لنفسه لا للآخرين بواسطة خديجة (عليها السلام) أو ورقة ، دون أن يظهر له البرهان الواضح من قبله تعالى شأنه.

وفي تعليقه دام ظله على الحديث الثاني المروي عن ابن مردويه عن عائشة أيضاً قال : «هذا هو اللون الآخر يعرضه لنا المؤرخون بقصة مولد الرسالة، وهو يختلف عن اللون الأول بالطريقة التي ابتداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بها أمره فقد كان السلام هو أول ما بدأ به الملك وهو تمهيد جميل للتعارف ولياً من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جانب ، ليستطيع أن يأتي به إلى مواعده حيث أجرى له تلك العملية الجراحية فأخرج من بطنه ما شاء مما لا نعرف كنهه كأن النبوة تتوقف على عملية جراحية تطهر الجسد من بعض

الأشياء التي لا تتناسب ومقام النبوة، أولاً تتفق مع بعض مقتضياتها، ولا نعرف ما هو السبب لطريقة العنف هذه التي اتبعها جبرئيل مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (فكفأني كما يكفأ الإناء) ألم يكن بإمكانه أن يطلب له أن يكشف عن ظهره ليختم عليه بدلاً هذه

من الطريقة ثم الطريقة التي اتبعها مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقر حتى ليقر حتى أجهش بالبكاء.

وتأتي بالآخرة عملية الوزن والمكيال - فلا ندري ما معناه وهل أن القضية كانت قضية اختبار لمدى نجاح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعوته واتباع أمته له... كأنهما لا يدريان عن ذلك شيئاً إلا إذا بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وزناً مخصوصاً حتى إذا بلغه صاح ميكائيل فرحاً (تبعته أمته ورب الكعبة كأن الأمر مفاجأة طيبة له).

وقال شيخنا الطبرسي قدس الله سره في كتابه تفسير مجمع البيان تعليقاً على الأحاديث المذكورة. قال بعد نقلها وفي هذا ما فيه لأن الله تعالى لا يوحى إلى الرسول إلا بالبراهين النيرة والآيات البينة الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى. ومن هنا يتجلى لنا عظمة البعثة الشريفة ونعلم أنها نفحات الإصلاح، وشعاع الرشاد، جاءت لتصلح النفوس العليلية السقيمة من الضلال والعمى، فلا يصح أن يوصف المبعوث بالضعف كما تقول تلك الأحاديث كيف والحال أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طيب النفوس.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وهو يصف لنا المبعوث بالهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال أبو الحسن في وصفه: طيب دوار بطبته، قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي وأذان صم وألسنة بكم فيصف النبي المبعوث (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه كان طبيباً سياراً، يحمل معه في حقيقته المعاجين اللازمة للتضميد والمعالجة، فإذا وجد قلوباً عمياء، أو أرواحاً، صمّاء قام بمعالجتها وأنقذ الناس من الموت المعنوي والانهيار الخُلقي هذه هي مهمة الرسول المبعوث إلينا فلا بد أن يكون موصوفاً بالأوصاف اللانقة بمقامه، ومؤيداً فيما يوحى إليه بالبراهين والآيات البينات الدالة على أنه مبعوث من عند الله تعالى.

وبالمناسبة ونحن نعيش هذه الذكرى الجليلة - ذكرى مبعث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بد وأن نستلهم من خلالها كيف كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رحيم بالناس عطوفاً عليهم، وذلك لكي نتعلم منه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نكون رحماء أن نكون رحماء يرحم بعضنا بعضاً، وأن يعطف بعضنا على بعض .

نتعلم منه كيف نصلح ما فسد من أوضاعنا، وتعديل ما اعوج من أعمالنا وأفعالنا وأقوالنا .

وعلينا في الوقت نفسه أن ندرك مأساة المسلمين لكي نلتمس لها . طريق النجاة من الاسلام الذي بعث به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلينا .

علينا: أن ندرك ونفهم أن المسلمين اليوم شلواً متقطع تهشبه الذئب من كل عصابة أو فرقة أو أمة، فلقد أصبحوا نزهة كل طامع أو مستعمر أو انتهازي أو مستغل ومصّب المؤامرات والأحقاد والأطماع لمختلف الكفار المحذقين بهم من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب .

فهناك الحرب سجال بين المسلمين، وبين المشركين والملحدين، من كل جنس ولغة ودين . فتساقط ضحايا المسلمين كورق الخريف، في كل من فلسطين، ولبنان وغيرهما . . ولم يكتف أعداء الاسلام بذلك بل راحوا لينهبوا ثرواتنا، وكراماتنا، ومبادئنا وأفكارنا ... ويعوضونا عنها السجون، والأغلال، والسياسم والرصاص، والعراقيل والمشاكل ...

ومن كل صوب وحذب تنهال علينا التيارات الكافرة، لاجتياح كياننا باسم الثقافة والحضارة، والأدب والفن والغزو الفكري مسلح بأوسع الصلاحيات والضمانات، والحريات والكفالات المادية والمعنوية .

والاسلام: منقذ البشرية الوحيد، وخالصة الرسالات اتفق المستعمرون والطامعون والعملاء على إزاحته عن المجال الفكري والتشريعي والسياسي .

ثم أصدروا إلى البلاد الإسلامية، ما عثروا عليه في بطون التواريخ من المبادئ، والقوانين، والسياسات، الرجعية، البالية، السخيفة التي تهد في كيانتنا الشامخ الوطيد، حتى أصبحت بلادنا كلها سوقاً ومعرضاً، لشتى أفكار ومبادئ الأجنب والدخلاء الذين انقضوا في ذمة التاريخ.... والمسلمون: الذين أشرف الاستعمار على تربيتهم وتثقيفهم، يعيدون عن روح الإسلام ومعارفه هم رواد هذا السوق والمعرض، وسيظلون يزدحمون على هذا السوق والمعرض، ماداموا مجردين عن مبادئ الإسلام وأفكاره ومعارفه... فلانسان جوع إلى المبدأ، والأفكار والمعارف، لتشربها جوارحه ومشاعره، كما له جوع إلى المآكل والمشارب فان استطاع إشباع هذه الغريزة عن طريق الخير، بادر إليه، وفضله على غيره، وإلا لم يتورع - في إشباع هذه الغريزة - عن الاعتراف من أي مستنجع عرض عليه، مهما كان آسناً عفناً مريراً... والمسلمون - رغم ذلك كله - ظلوا معتقنين لأصول الإسلام وفروعه ومحتفظين بمقدساته وطقوسه. ولكنها - على أي حال - طقوس، لا تحمل روحاً، ولا تعصمهم من الانجراف والانهيال بعد ما جرّهم الاستعمار - بما لديه من طاقات وإمكانيات - عن ركائز الإسلام، فهم يقولون: نحن مسلمون ويحبون أن يستوعبوا الإسلام، ويمتصوا بطولاته من يبايعه النقية ولكن الاستعمار حدّد لهم حدوداً... وأرصد لهم سلطاناً... وألف سلطان، وزجّ بهم في حلقة في مفرغة متسلسلة لا تستقر في مكانها، ولن تخرج من مكانها...

بقي هناك شيء واحد - بعد إزاحة الإسلام عن المجال التشريعي والسياسي هو أن الدولة الإسلامية المتمزقة إلى دول كانت تسجل في دستورها: أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة. ثم رأى المستعمرون أن هذا - وإن كان لا يعدو ونقشاً على ورق - ولكنه ظاهرة حسنة، ربما تساعد على انبعاث حقيقة يربها الاستعمار، وهي أن ينهض الإسلام ليستعيد سيادته في المجال التشريعي والسياسي. فتحالف المستعمرون على اختلاق ثورات وقتية محلية، تبدل أفراداً

بأفراد، وأسماءً بأسماء . لا لأيّ شيء إلا للقضاء على هذه الحسننة الأخيرة وهكذا أصبح كثير من الدول الاسلامية، وهي لا تعتبر الاسلام دينها الرسم اعتذاراً بأعداء كاذبة كافرة، لا يقتنع بها غير الاستعمار، وزبانيته وأذنا به... فالاسلام ليس الدين الرسمي للدولة في أندونيسيا، وفي الحبشة، وغيرهما... وفي حكومات وأقاليم أخرى، رغم أن الأكثرية الكاسحة من شعوبها كلها مسلمة، تطالب بحكم الاسلام وتفضله على سائر المبادئ والقوانين.

ذلك شطر من مأساة المسلمين الطويلة فهل من وضع حداً لهذه المأساة نعم، ان هناك طريقاً واحداً لوضع حدّ لهذه المأساة، وهو أن نخلص عن ذلك الشيء الوحيد الذي سبب للمسلمين هذا التدهور والانحلال، والسلبية، ثم نكافحه مكافحة جذرية أصيلة إن ذلك العامل أصاب المسلمين بهذا التأخر والانحطاط، هو إزاحة الاسلام عن المجال التشريعي والسياسي، ومعالجة الظاهرة السيئة المذكورة لن تكون إلا بإعادة الاسلام الى المجال التشريعي والسياسي... ومتى تم ذلك اندحر الاستعمار وانثنى على أعقابها واستطاع المسلمون أن يرفعوا رؤوسهم على الملأ العالمي مردين: أننا انتصرنا على الاستعمار، واكتسحناه من الطريق، ولن يستطيع أن يسيطر علينا بعد ذلك أبداً.

ولن يكون ذلك إلا- إذا تشبع المسلمون بأفكار الاسلام ووقفوا على ما في المبادئ والأفكار العميلة المستوردة من طيش، وعجز، ومناقضات... وقارنوا بين ماضيهم وحاضرهم، ومستقبلهم، وعرفوا ماذا خسروا بفصل الدين عن السياسة والتشريع!؟

فالخطوة الأولى نحو نجاة المسلمين: هي تنوير الرأي العام، وتنقيفه بالثقافة الاسلامية، الدقيقة العميقة. والخطوة الثانية: هي إعادة الاسلام إلى المجال التشريعي والسياسي.

هنالك يكون الأمل المنشود، وحلم الملايين...

وهناك تحقق شعوب العالم الاسلامي النجاح الباهر على قوى الاستكبار العالمي ويحصلوا بذلك على سعادة الدارين ...

ولهم في الثورة الاسلامية الايرانية بقيادة إمام المسلمين وحجة الله على الخلق أجمعين الامام روح الله الموسوي الخميني العظيم مؤسس الجمهورية الاسلامية وحكومة العدل الإلهي في إيران الاسلام أكبر قدوة، تلك الحكومة التي أعادت للمسلمين في إيران عزتهم، وأيقظت شعوب العالم الاسلامي من رقادهم وسباتهم وعلمتهم عظمة الامام الخميني المستمدة عظمة من جده الرسول الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المبعوث بنفحات الإصلاح لإقامة حكم الله تعالى في الأرض. وبالمناسبة ونحن نعيش هذه اللحظات لنحيي هذه الذكرى العظيمة لابد لنا من تعطير جلستنا بهذه الآيات الجليلة لشيخنا الحكيم الفرطوسي ... وكذلك للأديب السلامة في المبعث النبوي الشريف : قال الفرطوسي :

نفحات الإصلاح هبت بأرض *** تصطلي بالفساد والشحناء

وشعاع الرشاد، والفي ضافٍ *** شق بالنور بردة الظلماء

واستفاضت من الهدى نبغات *** لنفوس من الضلال ظماء

فازدهى الخصب والرسالة غرس *** في ربوع الجزيرة الجرداء

بعث الصادق الأمين رسولاً *** للبرايا من صفوة الأئمة

حين وافى الروح الأمين إليه *** هو الله خاشع في حراء

وأناه النداء بالوحي اقرأ *** باسم ربّ أوحى بهذا النداء

فأتى والجبين ينضح منه *** رقاٌ يستفيض فوق الرداء

إنّما أنت منذر وصفي *** ولكلّ هادٍ من الأصفياء

قد بعثناك شاهداً ورسولاً *** قم وأنذر وابدأ من الأقرباء

وقال السلامة :

كل عام يرتاد غار (حراء) *** مفعم الروح ملهم التفكير

يرسل الطرف للسماء كلاماً *** ليس تجلوه صنعة التعبير

ذلك الصمت دونه جهر موسى *** بالدعاء الحميم فوق الطور

فالصلاة الصلاة خفقة قلب *** وهيام مفلفل في الشعور

قال : عيسى ملك الإله لديكم *** لو نبشتم عن كنزه في الصدور

هذا الكون وامحى الصوت حتى *** لتحش الأذان همس العطور

وإذا صوت هاتف يهتف اقرأ *** فير الصدى نداء البشير

فتهاوى محمد و تمشت *** في حناياه رعشة المقرور

ما أنا قاري أجاوب فرد *** الصوت: اقرأ، يا للدعاء الخطير

فأجاب الأُمى لم أتل حرفاً *** لا ولا جال ناظري في السطور

قال جبرئيل: يا محمد كبير *** باسم رب ملء الوجود قدير

صفحة الكون بدلت في ثوان *** بين مراتها ضمير الدهور

فإذا أحمد العظيم نبي *** والمجيد القرآن حلم العصور

وقد تكرر نزول الأمين جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقيل : إنه كان يأتيه في صورة دحية الكلبي .

جاء في الخبر عن شقيق البلخي، عن عبد الله بن سلمة الأنصاري، عن حذيفة بن اليماني قال : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهانا أن ندخل عليه وعنده دحية الكلبي وأخبرنا ان جبرئيل (عليه السلام) ينزل عليه في صورته .

وقد هبط عليه في اليوم الثاني من دخوله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة الأمين جبرئيل (عليه السلام) بأول سورة العنكبوت فقال : يا محمد العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك : اقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أخي جبرئيل ما هذه الفتنة ؟ فقال : يا محمد العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك : ما أرسلت نبياً قط إلا أمرته عند انقضاء أجله أن يستخلف على أمته من بعده من يقوم مقامه فالمطيعون لما يأمرهم به هم الفائزون

الصادقون والمخالفون لأمره هم الكاذبون وقد آن لك يا محمد أن تصير إلى ربك وهو يقول لك: انصب لأمتك من بعدك على بن أبي طالب (عليه السلام) إماماً فهو المهيمن عليهم القائم فيهم بأمرك إن أطعوك وإلا فهي الفتنة.

نعم، لقد فعل رسول الله ما أمره به الله تعالى ولكن القوم لم يطيعوا ولم يحفظوا حتى وصيته المتكررة في حق ابنته الصديقة فاطمة الزهراء سيدة النساء سلام الله عليها، وكأني به يقول :

يصحاب فاطم بضعتي بعدي احفظوها*** داروا عليها عقب عيني وارحموها

عظمو اجرها لو حوت شخصي المقابر*** سمعوا وصيتي ابضعتي غايب وحاضر

ليكون عندي اتعود مكسورة الخاطر*** مقدر على ذلها ولارضى تهضموها

يصحاب من بعدي وصيي ليث غالب***فصل القضا الكرار فلأل الكتائب

مرجعكم وكاشف الشدة في النوايب*** عزوا جنباه والبتوله كرموها

ما جاهدة عنكم بسيفي ويمنى*** وفي يوم أحد بالثرى اتعفر جبيني

واستوحدوني وبالحجر كسروا اسنوني*** وعن منبري الكرار يصحاب توخروه

وشبتي ابفيض ادماي مني خضبوها*** ليكون جسمي بس وسط لحد تقبره

چتي أشوفه بالحبل قتمتم تجروه*** مثل الجبل صاير و داره تحرقوها

اينادي ابن أمي القوم والله استضعفوني*** غاروا عليه وبالمذلة استخرجوني

من غير طيبي ومنبري منه نفوني*** وأضلاع بنتك يا رسول اكسروها

نعم ، لقد هجم أولئك الأندال على بيت الوحي وهتكوا حرمة وأخرجوا علياً عليه الصلاة والسلام ملبياً قد وضعوا عمامته في رقبتة وقد أضرمو النار في ذلك البيت الطاهر ، وكما أخرج القوم المتقدمون الأندال عليا (عليه السلام) من بيته وأضرمو النار في بيت الزهراء عليها الصلاة والسلام فكذاك أبناء القوم الكافرين قد أخرجوا النساء في اليوم العاشر من المحرم الحرام قهراً من المنخيم عندما أشعلوا فيها النار ، وقيل في اليوم الحادي عشر .

قال المحدث المازندراني نقلاً عن السيد في اللهوف ما لفظه ثم أخرجوا النساء وأشعلوا في الخيم ناراً فخرجن بنات الرسالة حواسر حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة.

السماء

قال : وفي بعض المقاتل : ان زينب الكبرى (عليها السلام) أقبلت على زين العابدين (عليه السلام) وقالت : يا بقية الماضين وثمان الباقيين قد أضرموا النار في مضاربنا فما رأيك فينا فقال (عليه السلام) : عليك بالفرار ، ففررن بنات رسول الله صائحات باكيات نادبات إلا زينب الكبرى (عليها السلام) فإنها كانت واقفة تنظر إلى زين العابدين عليه الصلاة والسلام لأنه لا يتمكن من النهوض والقيام قال بعض من شهد : رأيت امرأة جليلة واقفة بباب الخيمة والنار تشتعل من جوانبها وهي تارة تقوم تنظر يمنة ويسرة وأخرى تنظر إلى ء وتصفق بيديها وتارة تدخل في تلك الخيمة وتخرج فأسرعت إليها وقلت : يا هذي ما وقوفك هاهنا والنار تشتعل من جوانبك وهؤلاء النسوة قد فررن وتفرقن ولم تلحقي بهن وما شأنك فبكت وقالت يا شيخ ان لنا عليلاً في الخيمة وهو لا يتمكن من الجلوس والنهوض فكيف أفارقه وقد أحاط النار به .

وصيح في رحله نهياً وما تركوا*** على عقايل بيت الوحي من حجب

وأعظم الخطوب على بنات الرسالة عند ما أتى لهنّ جواد الحسين عليه الصلاة والسلام إلى المخيم وهو يصهل ويبكي بكاء الثكلى وقد ملأ البيداء صهيلاً.

وأعظم خطب لا تقوم بحمله*** مستون الجبال الراسيات العظام

عويل بنات المصطفى مذ أتى لها*** جواد قتيل الطف دامي القوائم

ينحن كما ناح الحمام وبالبكاء*** لا غزر دمعاً من بكاء الحمائم

وقال آخر:

وراح إلى الفسطاط ينعي جواده*** ففرت بنات الوحي شابكة العشر

فتلك تنادي واحماي وهذه*** رجاي وهذي لا تفيق من الذعر

والآخر يقول في ذلك :

ص: 146

وراح جواد السبط نحو نسائه***ينوح وينعى الظامي المترملا

خرجن بنيات الرسول حواسراً***فعاين مهر السبط والسرّج قد خلا

فأدمين باللطم الخدود لفقده***واسكبن دمعاً حره ليس يصطلي

وفي المعالي : قال المازندراني :فسمعت زينب (عليها السلام)صهيله وأقبلت على أم كلثوم وقالت: هذا فرس أخي الحسين(عليه السلام)قد أقبل لعل معه شيئاً من الماء،فخرجت متخمرة من باب الخباء تطلع إلى الفرس، فلما نظرت اليه فإذا هو عار من راحبه والسرّج خال منه فهتكت عند ذلك خمارها ونادت قتل والله الحسين(عليه السلام)فسمعت زينب (عليها السلام)فصرخت وبكت وأنشأت تقول:

جاء الجواد فلا أهلاً بمقدمه***إلا بوجه حسين مدرك الثار

يا نفس صبراً على الدنيا ومحنتها***هذا الحسين قتيل بالعرا عار

وفي المعالي : قال المازندراني(رحمه الله): وفي رواية : أقبلت زينب(عليها السلام) على سكينه وقالت لها : هذا فرس أهلك الحسين عليه الصلاة والسلام قد أقبل فاستقبله لعله أتاك بالماء، فخرجت سكينه فرحانة بذكر أبيها والماء فرأت الجواد عارياً والسرّج خالياً من راحبه فهتكت عند ذلك خمارها وصاحت: قتل والله أبي الحسين عليه الصلاة والسلام ونادت واقتيلاه واأبتاه واحسيناه واغربتاه، فخرجن عند ذلك النساء فلظمن الخدود وشققن الجيوب وصحن وا محمدها وا عليها وا فاطمته وا حسناه واحسيناه، وارفع الضجيج وعلا الصياح.

وجاء في الزيارة المروية عن الناحية المقدسة : وأسرع فرسك شارداً الى خيامك قاصداً محمماً باكياً، فلما رأين النساء جوادك مخزياً ونظرن سرجه عليه ملوياً برزن من الخدور ناشرات الشعور على الخدود لاطمات وبالعويل داعيات وبعد العز مذلات وإلى مصرعك مبادرات والشمر جالس على صدرك مولع سيفه على نحر كقابض على شيبتك بيده ذابح لك بمهنده قد سكنت حواسك وخفيت أنفاسك ورفع على القنارأسك.

وفي الاختصاص : سئل أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: ما يقول الفرس

في صهيله؟ فقال(عليه السلام) : إن الفرس في كل يوم ثلاث دعوات مستجابات يقول في أول نهاره اللهم وسع على سيدي الرزق، ويقول في وسط النهار: اللهم اجعلني إلى سيدي أحب من أهله وماله ، ويقول في آخر نهاره :اللهم ارزق سيدي على ظهري

الشهادة.

وقال شيخنا الصدوق(رحمه الله): إنه لما صرع الحسين عليه الصلاة والسلام جعل الفرس يحامي عنه ويشب على الفارس فيخبطه ويدوسه حتى قتل الفرس أربعين رجلاً ، ثم عدا من بين أيديهم ان لا يؤخذ وأقبل حتى إذا وصل الى الحسين عليه الصلاة والسلام جعل يشم رائحته ويقبله بغمه ولطخ عرفه وناصيته بدم الحسين عليه الصلاة والسلام وجعل يركض ويصهل ويضرب بيديه الأرض وقصد نحو خيمة النساء.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام : انه قال وكان أيضاً يقول في صهيله : الظليمة الظليمة من امة قتلت ابن بنت نبيها ، ولما وصل الى المخيم جعل يضرب رأسه الأرض عند الخيمة حتى مات فسمعت بنات النبي صهيله فخرجن فاذا الفرس بلا راكب. ولنعن ما قاله أبو يوسف الحاج الشيخ ملا عطية الجمري قدس الله نفسه الزكية في وصف الجواد بعد مقتل الامام الحسين عليه الصلاة والسلام في ملاقاته إلى بنات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

حس جواد حسين يصهل حي أخونا وجيته*** قوموا نتلقا ولينا يا بناته او نسوته

قومي يسكينة اطلعي له ابغير مهله وانظريه***كته متنكر صهيله اشصار ما ندرى عليه

أظن قحم والذعر من عسكر المحتاط بيه*** يكثر الصيحات مهر حسين ماهي عادته

طلعت اسكينة ومدامعها على خدها تسيل***ووقفت والعين مشبوحة على حس الصهيل

ص: 148

شافته يسحب اعنانه امزلزل البر بالعويل***ودم ابوها حسين يجري فوق عرفة ورقبته

اندهشت اسكينة او صرخت بس يعمه من الخدر***راح والينا يعمه او صار والينا زجر

طاح ابويه حسين واقبل يسحب عنانه المهر**صرخت وجيب القلب والثوب عاجل شفته

صرخت ودم القلب من عينها انهل وجرى*احسين يا ابن انهتكنا كان طحت اعلى الثرى

باكر العدوان تأخذها لحريم اميسره*** او عقب عزى والخدر تصبح احوالي امشنته

وصل مهر احسين خالي يا بنات المرتضى***اتحيرت مدري شسوي اوضاق بي ربح بي ربح الفضنا

ابها لخيم نقعد حيارى لو انروح انغمضه*** مقدر اقعده كان ها لونة الخفية ونته

فرت او شبكت على الهامه اليسرى واليمين***نوب تمشي ونوب تعثر قاصد حس الونين اتصيح ذابت مهجتي يا خلق من ونة احسين***

وصلت التل باليتاما او طود عزها نادته

جيت بيتامك ولا ظل بالخيم غير العليل***وانته مدري ايبا كتر طايح ولاليه دليل

صاح ردي باليتاما لا تموت من العويل***وانا تركوني لي الله وابني باروا علتة

وأشأت سكينه (عليه السلام) تقول :

مات الفخار ومات الجود والكرم*** واغربت الأرض والآفاق والحرم

واغلق الله أبواب السماء فلا*** ترقى لهم دعوة تجلى بها الغمم
مات الحسين فيا لهفي لمصرعه*** وصار يعلو ضياء الامة الظلم
ولقد أحسن وأجاد القائل :

من للهدى والدين بعد العماد*** وللندی والجود بعد الجواد
وللظبا والسمر حيث الوغى*** تقدح بالأبطال نار الزناد
بعد نزوح الشهم من هاشم*** فارسها الفتاك عند الجلاد
قطب رحى الأقدار والعالم الغيب*** وسرّ الله في ذي البلاد
فتى لو الموت رأى شخصه*** لفر منه خائفاً ذا ارتعاد
رامت أُمي قوده ضارعاً*** فقادها شعث النواصي عواد
لم أنس للأنصار إذ دونه*** قد عانقوا البيض وسمرالصعاد
قوم راوا شرع الهدى نكست*** راياته والفي غطى الرشاد
فتار منهم كل ذي شيمة*** عبل الذراعين طويل التجاد
يحسب مرّ الطعن شهداً إذا*** طار شرار من نعال الجياد
ويفرغ القلب على جسمه*** درعاً من الفولاذ بالصبر حاد
والتقوا الموت بعزم لو التقى*** برضوى عاد منه رماد
آساد غاب لن يروا للظبا*** غمداً سوى هامات أهل العناد
كأنما السمر قدود الدمى*** لديهم والراح قطر الحداد
لم يبرحوا حتى دعوا للعدى*** تنعبها الغربان في كلّ ناد
حتى إذا ما آن حتم القضا*** فضوا عطاشى تحت ظلّ الصعاد
من بعد ما اروو اعطاش الظبا*** والسمر من قانى ليوث الطراد
وظلّ ذاك الفرد مستو مستوحشاً*** انيسه الطرف ووحش البواد

ندب رأى ركن الهدى مائلا*** والجور قد عمّ وشاع الفساد

فهبّ بالسيف لتقويمه*** ما عوّج منه من بناء مشاد

وانصاع في القوم بضرب الطلاء*** يخطب كالواعظ فوق الجواد

ص: 150

كأنه في جمعهم ضيغم *** في سرب شاء صال صادي الفؤاد
ما ولد الدهر له موقفاً *** به فنا الأبطال والأسد ساد
فكم سقى لما سطي ضيغماً *** كأساً الموت وكم قد أباد
من حتى إذا اشتاق لقا ربّه *** أتاه سهم في سويدا الفؤاد
فخر عن صهوة ميمونه *** كالشمس عن أوج العلى بالوهاد
فيا لها من نكبة ألبست *** هاشم للحشر ثياب السواد
ويا له من فادح قادح *** لأجله كادت تمور الشداد
عجبت والدهر يرى دائماً *** عجائباً تصدع قلب الجماد
من بعد تقبيل النبي نحره *** يحزّه بالسيف شمر عناد
ورأسه يصعد في صعدة *** وهو ابن من أصدع صبح الرّشاد
وتركب الهزل نسوانه *** أسرى إلى الشام حيارى بواد
تبكي فتذري الدمع من عينها *** كالجمر حزناً لفراق العماد
فدمعها لو لم يكن من دم *** أعشب فيه كل قفر وواد
والعابد السجاد في قيده *** يندب من حزن يذيب الصلاد
يا ليت عينيك رأّت ما جرى *** يا جدم من بعد أبي القياد
تلك عزيزاتك أضحت بلا *** حام تراها حضرها والبواد
ما راقبت قربك منها العدى *** ولا رعيت في حق ملح وزاد
فلا لعا الوغد يزيد الخنا *** ولا رعاه الله يوم التناد
يجلس مسروراً يبسط الهنا *** والسبط ملقى فوق شوك القتاد
لهفي لأسد بالثرى وسدت *** تعدو عليها العاديات الجياد
لهفي لأقمار خبا نورها *** من بعد ما عم ضياً كلّ ناد

لهفي لرؤوس كشموس الضحى *** أبراجها صارت رؤوس الصعاد

يا نفس ذوبي في زفير أسي *** عليهم واحترقن يا فؤاد

وأنت يا عين دماً دائماً *** ابكيهم واسلى لطيب الرقاد

ص: 151

نعم ، لو فكر المحب الولهان فيما جرى على سادات الزمان وما أصابهم من البلاء والمحن لقال لروحه أن تخرج من البدن، عندما يتذكر المحب إنهم(عليه السلام) في كربلاء كيف أنّ القوم الظالمين قد قطعوا منهم الأوصال، وجد لوهم على الرمال وجرّعوهم الحتوف بأرض الطفوف، فكم وكم من نفس معصومة أزهقوها؟ وكم دماء محرمة أراقوها؟ وكم من رؤوس شريفة فوق الأسنة رفعوها؟ وأخذوها بالأسنة الحداد كما يفعل بأهل الإلحاد هذا مع علمهم بأنهم الذرية النبوية والعترة الهاشمية، فيالها من مصيبة ما أعظمها في الاسلام وأعظم رزيتها بين سائر الأنام .

تأوب همي والفؤاد كئيب*** وأزق نومي فالرقاد غريب(1)

ومما نعى جسمي وشيب لمتي*** تصاريف أيام لهن خطوب

فرى كبدي من حزن آل محمد*** ومن زفوات ما لهن طيب

فمن مبلغ عني الحسين رسالة*** وإن كرهتها أنفس وقلوب

قتيل بلا جرم كأن قميصه*** صبيغ بماء الأرجوان خضيب

فللسيف أحوال وللرمح رنة*** وللخيل من بعد الصهيل نحيب

تزلزلت الدنيا لآل محمد*** فكادت لها صمّ الجبال تذوب

وغابت نجوم واقشعرت كواكب*** وهتك أستار وشق جيوب

يصلي على المهدي من آل هاشم*** ويغزى بنوه إن ذا لعجيب

لئن كان ذنبي حب آل محمد*** فذلك ذنب لست عنه أتوب

ص: 152

هذا هو القسم الثالث من الجزء الأول من كتابنا (موسوعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة (عليهم السلام) وهو يشتمل على ستة جلسات تكون بحسب تنظيم هذا الجزء من الموسوعة مشتملة على الجلسة السابعة، والثامنة، والتاسعة، والعاشر، والحادية عشر، والثانية عشر، ثلاث منها متعلقة بموضوع المعراج المبارك، والثلاث الجلسات الأخرى الأولى منها تتعلق بموضوع النبوة العامة، ونبوة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والثانية تتعلق بموضوع الارسال والدليل عليه، والثالثة تتعلق بموضوع فضل النبي والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام على الملائكة (عليه السلام).

جاء جبريل بالبراق إليه*** وهو في موكب من الأمناء
قال هذا محمّد حين أبدى*** شدة الامتناع في الابتداء
فهوى خاشعاً على الأرض حتى*** مس في بطنه ثرى الحصباء
فارتق فوق ظهره فتسامى*** يسبق البرق طائراً في الهواء
فانتهى بالمسير فيه لبيت*** المقدس الطهر ليلة الاسراء
فرأى فيه ما رأى حين أسرى*** من عجيب الآيات والأنباء
وتعالى به البراق ارتفاعاً*** لسماء تلوح بعد سماء
وإذا بالنداء يمني ويسرى*** هاتقاً بالنبي إثر النداء
وتلقته في الفضاء فتاة*** تتجلى بصورة الحسناء
قال جبريل لو أحببت لحاد*** الناس زيفاً عن شرعة الحنفاء
وأحبوا الدنيا وكانوا يهوداً*** أو نصارى جهلاً بغير اهتداء
فرأى في الطباق حين علاها*** سبعة من أكابر الأنبياء
ورأى آدمًا قريباً حزينا*** فهو ما بين حسرة وهناء
وحباه تفاحة جبرئيل*** هي أصل الصديقة الزهراء
وانتهى فيه بالمسيرة حتى*** سدرة المنتهى وأسمى العلاء
قال هذا حدّي فلا أتعدّي*** درجاتي في البدء والانتهاء
حينما كان قاب قوسين قريباً*** باصطفاء من ربّه واجتباء

قال سلني فسوف اعطيك فضلاً*** قال يا رب أنت أهل العطاء

قد تخصصت في كليم وروح*** وخليل مكرم بالثناء

وإذا بالنداء أنت حبيبي*** في البرايا وسيد الأوصياء

واتخذ للورى علياً ولياً*** فهو عندي من أفضل الخلفاء

وانثنى عائداً إلى الأرض منها*** وهدى الفجر مشرق بالضياء

معلنناً في قريش ما كان منه*** من حديث المعراج والارتقاء

وأبو طالب مدى الليل يرعى*** غيبة المصطفى عن البطحاء

حذراً أن يصاب طه بسوء*** من قريش وسائر الأعداء

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)(1).

قال صاحب الميزان: سبحان اسم مصدر للتسييح بمعنى التنزيه ويستعمل مضافاً وهو

مفعول مطلق قائم مقام فعله فتقدير «سبحان الله» سبحت الله تسييحاً أي نزّهته عن كلّ ما لا يليق بساحة قدسه وكثيراً ما يستعمل للتعجب.

والاسراء والسرى السير بالليل يقال: سرى وأسرى أي سار ليلاً وسرى وأسرى به أي سار ليلاً، والسير يختص بالنهار. وقوله تعالى: (ليلاً) مفعول فيه ويفيد من الفائدة أن هذا الإسراء تم له بالليل فكان الرواح والمجيء في ليلة واحدة قبل أن يطلع فجرها. وقوله تعالى: (إلى المسجد الأقصى) هو بيت المقدس بقرينة قوله: (الذي باركنا حوله) والقصي البعد، وقد البعد، وقد سمي المسجد الأقصى لكونه أبعد مسجد بالنسبة إلى مكان النبي له ومن معه من المخاطبين وهو مكة التي فيها المسجد الحرام.

وقوله تعالى: (لنريه من آياتنا) بيان غاية الإسراء وهي إراءة بعض الآيات

ص: 156

الإلهية - لمكان من - وفي السياق دلالة على عظمة هذه الآيات التي أراها الله سبحانه كما صرح به في موضع آخر من كلامه تعالى يذكر فيه حديث المعراج بقوله تعالى: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (1).

وقوله تعالى: (إنه هو السميع البصير) تعليل لإسرائه به لإراءة آياته أي إنه تعالى سميع لأقوال عباده بصير بأفعالهم وقد سمع من مقال عبده ورأى من حاله ما استدعى أن يكرمه هذا الإكرام فيسرى به ليلاً ويريه من آياته الكبرى.

قال: وفي الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير في قوله تعالى: ب- (باركنا حوله لنريه من آياتنا) ثم رجوع إلى الغيبة السابقة والوجه فيه الإشارة إلى أن الإسرائ وما ترتب عليه من إراءة الآيات إنما صدر عن ساحة العظمة والكبرياء وموطن العزة والجبروت فعلمت فيه السلطنة العظمى وتجلي الله بآياته الكبرى، ولو قيل: ليريه من آياته أو غير ذلك لفاتت النكتة.

والمعنى: لينزه تنزيهاً من أسرى بعظمته وكبريائه وبالغ قدرته وسلطانه بعبده محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في جوف ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذي بارك حوله يريه بعظمته وكبريائه آياته الكبرى، وإثما فعل به ذلك لأنه سميع بصير علم بما سمع من مقاله ورأى من حاله أنه خليق أن يكرم هذه التكرمة.

ويمكننا بيان الحديث حول الرحلة المباركة الميمونة بثلاثة أمور ذكرها بعض الباحثين نجتمعها فيما يلي:

الأمر الأول: إمكانية الإسرائ والمعراج.

الأمر الثاني: الروايات الناقلة للخبر.

الأمر الثالث: أنباء القرآن الكريم.

وتفصيل ذلك ان الأمر الأول: «الذي هو امكانية الاسراء والمعراج»: نقول

ص: 157

1- سورة النجم: 8

انه أحد اثنين نحاول أن نثبت له إمكانية وقوع الاسراء والمعراج : إما رجلٌ مؤمن بالله تعالى وقدرته ، وإما بعيد عن هذا الجو... أما الرجل المؤمن بالله وأنه القادر على كل شيء، فلا يستبعد حصول هذا الأمر مهما كان مخالفاً لقوانين الطبيعة وأحكام العادة ، لأن القدرة الالهية لا تنحصر أو تتكيف بالعادة وما يألفه الإنسان.

ثم إن الله تعالى الذى ركب في الكون قوانينه الطبيعية لا يعجز عن خرق تلك القوانين ... وفي الكتب السماوية كثير من مثل هذه الأمثلة ، فنار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم تحرقه مع أنها لم تنطفئ، فكانت عليه برداً وسلاماً . وعصا موسى (عليه السلام) تحولت إلى حية لقت ما أفكه سحرة فرعون ثم فلقت البحر إلى شقين واستوى بينهما طريق يبس عبره موسى وقومه . وكان عيسى (عليه السلام) يلمس المريض فيبراً ، مهما استعصى مرضه على الدواء والعلاج، كما كان يحيي الموتى بإذن الله . وهذا عرش بلقيس ملكة اليمن نقله الذي عنده علم من الكتاب من اليمن إلى فلسطين تلبية، الطلب سليمان(عليه السلام) ولم تستغرق عملية النقل أكثر من طرفة عين ... كل ذلك مما لم يعهد عادة ولا قوي الإنسان بإمكاناته المعروفة على مثله .

وما حادثة الإسراء والمعراج إلا واحدة من مثل هذه الأحداث الخارقة لقوانين الطبيعة، والخارجة على أحكام العادة وما يعرفه البشر ويطيقونه وهذا هو معنى الإعجاز الصادر على أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأما الذي لا يؤمن بالله تعالى فإن الحديث معه على مستوى أن نقل له خبراً مصدره عبدالله بن عباس، لأنه ثقة المسلمين المؤتمن على رواية الحديث، أو نص آية من القرآن الكريم بحجة أنه لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، كل ذلك حديث عبث لا طائل تحته . وإنما يقال لمثل هذا الانسان : هل يحيل العقل ويمنع مثل هذه الأمور؟ أم أن إنكارها لمجرد الاستغراب وأن العادة لم تجر بأمثالها؟ أما العقل فلا مجال لحكمه بالاستحالة ، كيف؟ وقد استطاع إنسان القرن العشرين بفضل التقدم العلمي الهائل أن يخرج من الأرض سائحاً في الكون الفسيح ، وإذا كانت سرعة سيره اليوم

لا تزال بطيئة بالقياس إلى سعة الكون، فقد يخطو خطوات أوسع في المستقبل ويقطع في ساعة ما يقطعه اليوم في سنة . على أن الحديث معه عن وجود الله أجدى وأنفع من فتح حديث الاسراء والمعراج الذي سيبقى مجالاً للأخذ والرد دون الوصول إلى نتيجة مرضية.

الأمر الثاني : الروايات الناقلة للخبر : نقل منها حديثين :

الحديث الأول : عن صادق آل محمد(عليهم السلام) ما مضمونه : ان جبرائيل وميكائيل

وإسرافيل جاؤا بالبراق إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فحملوه عليها حتى انتهى إلى بيت المقدس، ودخل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع جبريل (عليه السلام)فوجد ثلثة من الأنبياء(عليه السلام) ، فيهم إبراهيم وموسى وعيسى، فلما أقيمت الصلاة تقدمهم النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)فصلى بهم جماعة ، ثم صعد به جبريل(عليه السلام) إلى السماء وأخذ يريه آيات الله وعظيم صنعه والتقى هناك بالملائكة والأنبياء وهم يستبشرون به والتقى بالملك عزرائيل - ملك الموت - فقال له : أبشر يا محمد فإنني أرى الخير كله في أمتك.

فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته عليّ. ثم سأله النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): أكل من مات أو هو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه ؟ فقال نعم . ثم أردف: ما الدنيا كلها عندي فيما سخره الله لي ومكنني عليها إلا كالدرهم في كف الرجل، يقلبه كيف يشاء، وما من دار إلا وأنا أتصفحها كل يوم خمس مرات، وأقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم : لا تبكوا عليه فإن لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد.

فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): كفى بالموت طامة يا جبرئيل - فقال جبرئيل : إن ما بعدالموت أطم وأطم من الموت.

الحديث الثاني : جاء أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)اطلع على عذاب عدة مجموعات من الناس، وكلما رأى جماعة سأل جبرئيل عن سبب عذابهم فيشرح له ؛ من ذلك أنه رأى قوماً يقطع اللحم من جنوبهم ويوضع في أفواههم، فقال جبرئيل : هؤلاء

ومنها أنه رأى قوماً تقذف النار في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقال جبرئيل : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

ومنها أنه رأى قوماً إذا أراد أحدهم أن يقوم لا يقدر بسبب كبر بطنه، يعرضون على النار غدواً وعشياً مع آل فرعون وهم يصيحون ربنا متى تقوم الساعة (حتى يتخلصوا من هذا العذاب، وكأن عذاب الساعة ليس أعظم ولا أشد آلاف الأضعاف). فقال جبرئيل : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس.

ومنها أنه رأى نساء قد علقت الواحدة منهن بثدييها . فقال جبرئيل : هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم. (أي تزني المرأة فتأتي بولد من غير زوجها وتنسبه إليه فيرثه ثم قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): اشتد غضب الله تعالى على امرأة

، أدخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم، فاطلع على عوراتهم وأكل خزائهم. قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : وعلمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت :

«اللهم إن ظلمي أصبح مستجيراً بوجهك، وذبني مستجيراً بمغفرتك، وذلي أصبح مستجيراً بوجهك الباقي الذي لا يفنى». وسوف يمر عليك كلما رآه رسول الله في رحلته المباركة الميمونة وذلك في الجلسة القادمة إن شاء الله لكن كيف كان موقف المشركين من الاسراء والمعراج ؟ : جاء في الروايات أن موجة عارمة من الاستنكار والرفض، علت المشركين لما سمعوا نبأ الإسراء، وراحوا يطالبون بالدليل على صدق ذلك ، في الوقت الذي يكذبون الخبر . ولم تشر تلك الروايات أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرهم بالمعراج، وإنما أخبر عن معراجه أصحابه بعد الهجرة ولعلّ مرد ذلك إلى أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، لما رأى عناد القوم واستنكارهم للإسراء رغم وضوح الدلائل، أثر السكوت عن المعراج - وذلك بناءً على أنهما حادثة واحدة - حتى يستطيعوا

استيعاب الخبر الأول، ثم يلقي عليهم ثقل الخبر الآخر .

أصبح رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وقال لقريش : إن الله جل جلاله قد أسرى بي إلى : بيت المقدس، وأراني آثار الأنبياء ومنازلهم. وإني مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا، وقد أضلوا بعيراً لهم فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك. فقال أبو جهل لعنه الله تعالى : قد أمكنتكم الفرصة منه ، فاسألوه كم الأساطين فيها والقناديل ؟ فقالوا : يا محمد ، إن هاهنا من قد دخل بيت المقدس، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاربهه ؟ فجاء جبرئيل فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه المبارك . فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه. فلما أخبرهم قالوا حتى يجيء العير فنسألهم عما قلت. فقال لهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): تصديق ذلك ان العير تطلع عليكم من طلوع الشمس يقدمها جمل أورك.

فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع الساعة . فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلوع القرص، يقدمها جمل .أورك فسألوهم عن قول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : لقد كان هذا ضل جمل لنا في موضع كذا وكذا ، ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أهريق الماء. فلم يزداهم ذلك إلا عتواً . قال بعض العارفين : إن القلوب إذا أغلقت والعقول إذا صدأت والنفوس إذا أظلمت، ذهبت عندها دعوة الحق صرخة في واد سحيق ليس لها قرار.

وأنتى لأمثالها أن تدعن للحق رغم ما بهرها من نوره، وكشف لها عن محضه ... وقريش العاتية الظالمة يزيدنها وضوح الحق إدغالاً في الباطل، وتكباً لجادة الصواب.

ولعمري إنها معجزة للإسلام، جديرة بالدراسة والعناية، حيث صاغ من تلك الأمة الجاهلة العمياء الصماء، أمة أشرقت بنورها على العالم، تهديه سبيل الرقي والحضارة، وترسم له خطوط التمدن والازدهار، ثم ترفع له من المثل والأخلاق والفضائل في كل يوم علماً .

لقد جاء نأ الاسراء والمعراج في القرآن الكريم في آيات منها الآية الكريمة المطروحة للبحث والمتقدم ذكرها في أول الجلسة قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وقد مر تفسير بعض جوانب الآية المباركة، وهنا نقول : إنها دالة على وقوع المعراج حيث أسرى الله تعالى بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة (المسجد الحرام إلى القدس (المسجد الأقصى) وقد أجمع عامة المفسرين على هذا المعنى وقول بعض من لا نظر عنده أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى في المنام اسراء و معراجاً هذا القول فاسد. إذ أنّ ذلك يخرج هذا الحدث العظيم عن الاعجاز. ثم أي خصوصية فيه عندئذ حتى يمتن به الله تعالى على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أو على أمته بقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) فإن رؤيا المنام قد تحصل لأي من الناس ، ولا غرابة فيها ولا إعجاز . على أن إطلاق كلمة بعبد ترمي إلى أن الاسراء كان بجسد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا بالوهم والأحلام كما ان كلمة (عبده) اسم من أسمائه (صلى الله عليه وآله وسلم) المحبوبة إلى الله تعالى وقد نزل في قوله تعالى: (نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تدعني إلا بيا عبده لأنه أشرف أسمائي . وإن كان أشهر أسمائه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد نطق به القرآن المجيد، واشتقاقه من الحمد يقال : حمدته أحمده إذا أثبت عليه بجميل وبجليل خصاله، وأحمدته إذا صادفته محموداً، وبناء اسمه يعطي المبالغة في بلوغه غاية المحمودة.

وقد جاء في كتب الحديث والتفاسير وغيرها أنّ له صلى الله عليه وآله بالاضافة إلى الاسمين المتقدم ذكرهما ما يقرب من خمسة وعشرين اسماً نذكر بعضها فيما يلي التبرك والتميم فنقول :

الأول بعد الاسمين المتقدم ذكرهما : «أحمد» وقد نطق به القرآن الكريم واشتقاقه من الحمد كأحمر من الحمرة، ويجوز أن يكون لغة في الحمد....

الكفر ، وقيل :

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : اسمه في التوراة أحمد الضحوك القتال، يركب البعير ، ويلبس الشملة ، ويجتري بالكسرة، سيفه على عاتقه .

الاسم الثاني: «الماحي» جاء عن جبير بن مطعم، عن أبيه قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ان لي أسماء انا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحي بي تمحي به سيئات من اتبعه، ويجوز أن يمحي به الكفر وسيئات تابعيه .

الاسم الثالث : «الحاشر» قال(صلى الله عليه وآله وسلم): وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي.

الاسم الرابع: «العاقب» ومعناه، هو الذي لا نبي بعده، وكل شيء ء ، وكل شيء خلف شيئاً

فهو عاقب.

الاسم الخامس: «المقفي» وهو بمعنى العاقب لأنه تبع الأنبياء يقال : فلا يقفو أثر فلان أي يتبعه .

الاسم السادس: : «الشاهد» لأنه(صلى الله عليه وآله وسلم) يشهد في القيامة للأنبياء بالتبليغ على الامم بأنهم بلغوا قال الله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) أي شاهداً ، وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)

الاسم السابع : «البشير» وهو من البشارة لأنه يبشر أهل الايمان بالجنة.

الاسم الثامن: «الناذير» ومعناه أنه(صلى الله عليه وآله وسلم) ينذر أهل النار بالخزي نعوذ بالله تعالى من الخزي.

الاسم التاسع: «الداعي» ومعناه أنه(صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو الناس الى الله وتوحيده

وتمجيده .

الاسم العاشر : «السراج» ومعناه أنه(صلى الله عليه وآله وسلم)سراج يبين لأهل الدنيا فقد جعله الله تعالى السراج المنير لإضاءة الدنيا به ومحو الكفر بأنوار رسالته، كما قال العباس عمه رضي الله تعالى عنه يمدحه :

وأنت لما ولدت أشرققت الأرض *** وضاءت بأنوارك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي *** النور وسبل الرشاد نخترق

ص: 163

الاسم الحادي عشر: «نبي الرحمة» قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) . وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنما أنا رحمة مهداة ، والرحمة في كلام العرب العطف والرأفة والاشفاق ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمؤمنين رحيماً كما وصفه الله تعالى ، وقال عمه أبو طالب (عليه السلام) يمدحه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه*** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الاسم الثاني عشر: «نبي الملحمة» ورد في الحديث، والملحمة الحرب، وسمي بذلك لأنه بعث (صلى الله عليه وآله وسلم) بالذبح.

وروي أنه سجد (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فأتى بعض الكفار بسلا ناقة فألقاه على ظهره، والسلا: بالقصر الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا معشر قريش أي جوار هذا والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ، فقام إليه أبو جهل ولاذ به من بينهم وقال : يا محمد ما كنت جهولاً ، وسمي نبي الملحمة بذلك.

الاسم الثالث عشر: «الضحوك» وإنما سمي بذلك لأنه كان طيب النفس وقد ورد أنه كان فيه دعابة وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً ، وقال لعجوز : لا تدخل الجنة العجوز فبكت فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): انهن يعدن أبكاراً . وروي عنه مثل هذا كثير .

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يضحك حتى يبدو ، ناجذه وقد ذكر الله سبحانه لينه ورفقه فقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) . وكذلك كانت صفته على كثرة من ينتابه من جفاة العرب وأجلاف البادية لا يراه أحد ذا ضجر ولا ذا جفاء ولكن لطيفاً في المنطق رقيقاً في المعاملات لينا عند الجوار كأن وجهه الشريف إذا عبست الوجوه دائرة القمر عند امتلاء نوره (صلى الله عليه وآله وسلم).

الاسم الرابع عشر: «القتال» سيفه على عاتقه ، سمي بذلك لحرصه بذلك الحرصه (صلى الله عليه وآله وسلم) على الجهاد ومسارعة الى القراع ودوبه في ذات الله وعدم إحجامه، ولذلك قال علي (عليه السلام): كنا إذا احمر البأس اتقيناه برسول الله لم يكن منا أحد أقرب إلى العدو منه ، وذلك مشهور من فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد ، إذ ذهب القوم في سمع الأرض وبصرها، ويوم حنين إذ ولوا مدبرين وغير ذلك من أيامه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أذل يأذن الله صناديدهم،

وقتل طواغيتهم ودوخهم واصطلم جماهيرهم، وكلفه الله القتال بنفسه فقال تعالى: (لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) فسمى القتال .

الاسم الخامس عشر: «المتوكل» وهو الذي يكل أمور الى الله تعالى، فإذا أمره الله تعالى بشيء نهض به غير هيب ولا خائف، واشتقاقه من قولنا رجل وكل، أمر عظيم أو نزلت به ملمة راجعاً الى الله عز وجل أي ضعيف وكان له إذا دهمه غير متوكل على نفسه وقوتها، صابراً على الضنك والشدة، غير مستريح الى الدنيا ولذاتها، لا يسحب إليها ذيلاً، وهو القائل: مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب أدركه المقبل في أصل شجرة فقال في ظلها ساعة ومضى.

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): إذا أصبحت آمناً في سربك، معافي في بدنك، عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفا.

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): لبعض نسائه: ألم أنك أن تحبسي شيئاً لغد فإن الله تعالى يأتي برزق كل غد .

الاسم السادس عشر: «القثم» وله معنيان أحدهما من القتم وهو الاعطاء لأنه كان(صلى الله عليه وآله وسلم)بالخير من الريح الهابة يعطي فلا يبخل، ويمنح فلا يمنع. وقال الأعرابي الذي سأله: ان محمداً يعطي يعطى عطاء من لا يخاف الفقر، وروي أنه أعطى في يوم هوازن من العطايا ما قوم بخمس مائة ألف وغير ذلك مما لا يحصى، والوجه الآخر: أنه من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم كذا حدث به، الخليل، فإن كان هذا الاسم من هذا فلم تبق منقبة رفيعة ولا خلة جليلة ولا فضيلة نبيلة، إلا وكان لها جامعاً، قال ابن فارس والأول أصح وأقرب.

الاسم السابع عشر: «الفتاح» لفتح(صلى الله عليه وآله وسلم)أبواب الايمان المنسدة، وإنارته الظلم المسودة قال الله تعالى في قصة من قال: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي أحكم، فسمى(صلى الله عليه وآله وسلم)فاتحاً لأن الله تعالى حكمه في خلقه يحملهم على المحجة البيضاء، ويجوز أن يكون من فتحه ما استغلق من العلم، وكذا روي عن

الامام(عليه السلام) أنه كان يقول في صفته: الفاتح لما استغلق، والوجهان متقاربان.

الاسم الثامن عشر: «الأمين» وهو مأخوذ من الأمانة وأدائها، وصدق الوعد وكانت العرب تسميه بذلك قبل مبعثه، لما شاهدوه من أمانته وكلّ من أمنت منه الخلف والكذب فهو أمين ، ولهذا وصف به جبرئيل (عليه السلام) قال الله تعالى: (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ).

الاسم التاسع عشر: «الخاتم» قال الله تعالى: (خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) من قولك : ختمت الشيء أي تممته وبلغت آخره، وهي تممته وبلغت آخره، وهي خاتمة الشيء وختامه، ومنه ختم القرآن وختامه مسك أي آخر ما يستطعمونه عند فراغهم من شربه ريح المسك ، فسمي به (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه آخر النبيين بعثة ، وإن كان في الفضل أولاً، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنّهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتينا من بعدهم.

الاسم العشرون: «المصطفى» وفي هذا الاسم شاركة الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ومعنى الاصطفاء الاختيار، وكذلك الصفة والخيرة إلا- أنّ المصطفى اسم ليس إلا له الله على الإطلاق، لأننا نقول آدم مصطفي ، نوح مصطفي ، إبراهيم مصطفي، فإذا قلنا المصطفى تعين (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك من أرفع مناقبه وأعلى مراتبه .

الاسم الواحد والعشرون: «الرسول والنبى الأمي» وقد شاركة فيهما الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام أيضاً، والرسول من الرسالة والإرسال، والنبى يجوز أن يكون من الانباء وهو الأخبار ، ويحتمل أن يكون من نبأ إذا ارتفع، سمي بذلك لعلو مكانه ولأنه خيرة الله من خلقه .

وأما «الأمي» فقال قوم: انه منسوب الى مكة وهي أم القرى ، كما قال تعالى : (بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا) وقال آخرون: أراد الذي لا يكتب، قال ابن فارس: وهذا هو الوجه لأنه أدلّ على معجزة، فإن الله تعالى علمه علم الأولين والآخرين، ومن علم مالا يعلمه إلا الله تعالى وهو أمّتي والدليل عليه قوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِّلُونَ) . وجاء عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : نحن أمة أميّة لا نقرأ ولا نكتب ومن أراد التوسع في معرفة ذلك والدليل عليه أكثر فعليه أن يرجع الى كتاب (النبى الأمي) لشهيد الاسلام الفيلسوف الإلهي

آية الله الحاج الشيخ مرتضى المطهري رضوان الله تعالى عليه وقدس نفسه الزكية وطيب الله تربته ، فسوف يجد في الكتاب المذكور بغيته من الأدلة الواضحة على أن الأرحح في معنى (الأمي) هو نسبته(صلى الله عليه وآله وسلم)الى عدم القراءة والكتابة لا لكونه من أم

الى القرى، كما ان في الكتاب المذكور تفصيل شامل حول اميته(صلى الله عليه وآله وسلم) هل كانت قبل البعثة أو بعدها .

وقد أشرنا إلى ذلك أيضاً في بعض الجلسات المتقدمة.

الاسم الثاني والعشرون: «المزمل والمدثر» ومعناها واحد ، يقال زملة في ثوبه أي لفه، وتزمل بثيابه أي تدره.

الاسم الثالث والعشرون: «الكريم قال تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) .

الاسم الرابع والعشرون: «النور» قال الله تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ).

الاسم الخامس والعشرون: «عبدالله» قال تعالى: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) وسماه الله تعالى أيضاً «طه» و «ياسين» و «منذراً» و«نعمة» كما في قوله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا =) وقوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَذْكَرٌ) . وانه(صلى الله عليه وآله وسلم)قال كما جاء في كتاب دلائل النبوة باسناده عن ابن عباس: إن الله خلق الخلق - الخلائق - على قسمين فجعلني في خيرهما قسماً وذلك قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ) فأنا من أصحاب اليمين وأنا من خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب، وقد رواه ابن الأخرى الجنازدي وذكره في كتابه معالم العترة النبوية .

وقال عمه أبو طالب رضوان الله تعالى عليه وأرضاه وجعل الجنة مأواه،

وحشرنى وإياه، في هذه الآيات الجليلة :

وشق له من اسمه كي يجله*** فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل ان الآيات لحسان من قصيدة أولها :

ألم تر ان الله أرسل عبده*** وبرهانه والله أعلى وأمجد

الآية الثانية في المعراج : قوله تعالى في سورة النجم : (أَفْتَمَّازُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى *وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى *عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى *إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى *مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى *لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) . والآيات الكريمة صريحة الدلالة في ثبوت المعراج خصوصاً الآية رقم 14 قوله تعالى : (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) فإن سِدْرَةَ المنتهى في السماء السابعة وجنة المأوى عندها .

ويعضد ذلك ما جاء في العلل عن مولانا الامام محمد بن علي الباقر عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى) يعني عندما وافى به جبرئيل عند سِدْرَةَ المنتهى وذلك حين صعد إلى السماء - قال : فلما انتهى الى محلّ السدرة وقف جبرئيل دونها وقال : يا محمد إن هذا موقفى الذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه ولن أقدر على أن أتقدمه ولكن امض أنت أمامك إلى السدرة فوقف عندها قال : فتقدم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)إلى السدرة وتخلف جبرئيل، قال : إنما سمّيت سِدْرَةَ المنتهى لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة الى محلّ السدرة والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفع اليهم الملائكة من أعمال العباد في الارض قال : فينتهون الى محلّ السدرة بالأعمال ، قال : فنظر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فراى أغصانها تحت العرش وحواله قال : فتجلّى لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم)نور الجبار عزوجل، فلما غشى محمد النور شخص ببصره وارتعدت فرائضه قال : فشدّ الله عزّ وجلّ لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم) قلبه وقوى له بصره حتى رأى من آيات ربه ما رأى، إلى آخر الحديث.

وخلاصة ما ذكره المفسرون في دلالة الآيات المذكورة على ما نحن بصدده هو أن جبرئيل كان يأتي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)في صورة رجل من العرب جميل الشكل،

يسمى دحية الكلبي فأحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرى جبرئيل على الصورة الحقيقية التي خلقه الله عليها . فطلب منه ذلك، وكان له ما أراد في قصة مثبتة في كتب التفاسير والسير . وأول الآيات الكريمة المذكورة تسأل المشركين سؤال توبيخ وتقريع . أفتمارونه على ما يرى ؟ والمعنى أفتجادلونه عليه من المرء وقرىء أفتمرونه أي أفتغلبونه في المرء أو أفتجحدونه، وعلى لتضمين معنى الغلبة . ثم تؤكد الآيات أنه راه مرة ثانية، وذلك عندما نزل عليه ليعرج به إلى السماوات العلى . فرآه عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . ولقد كان عروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجسد الشريف والروح الطاهرة ، ومما يشير إلى أن العروج بالجسد والروح معاً قوله تعالى : (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) . وحمل هذا الكلام على الرؤيا الروحية يحتاج إلى كثير من عناء التأويل . ومما يشد الانتباه أن الله تعالى ذكر في الإسراء أنه أسرى بعبده إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته .. وفي هذا المقام ذكر أنه رأى من آيات ربه الكبرى . ولا جدال أن مرأى السماوات والجنة والنار والملائكة وما يحف بذلك من العوالم الرهيبة المدهشة، آيات أكبر من القدس الشريف .

ومن هنا لا بد أن نعلم بأن كلية المعراج على نحو الاجمال مما اتفقت عليها كلمة المسلمين من جميع أصنافهم ونطقت بها أخبارهم، وصريح القرآن المجيد، ومن عمدة معاجز نبينا الله ، وإنكاره إنكار لضرورة الدين، والتفصيل من حيث كيفية المعراج ، بأنه هل كان بالروح فقط ، أو مع الجسم والجسد بلوازمه . ومن حيث المسافة بأنه هل كان للمسجد الأقصى أي البيت المقدس فقط، حتى يكون طياً في الأرض ويكون إطلاق المعراج عليه تجوزاً أو للعروج المعنوي، أو هو مع العروج إلى بعض الكرات والسماوات، أو جميعها إلى العرش ، حتى دنا فتدلى فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، ومن زمانه بأنه هل كان بعد البعثة بسنتين ليلة المبعث أي الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب المبارك أو غير ذلك . ومن حيث مدة المعراج بأنها مقدار لمحة أو شطر من الليل أو ثلث الليل أو جميعه حتى مطلع الفجر .

كلّ هذا غير خال عن الكلام والتأمل من فرق المسلمين في تلك الشقوق يظهر لمن تتبع السير والتواريخ والأخبار، وكتب علم الكلام في هذا المقام، ولسنا في صدد التعرض لجميع الشقوق، إنّما المهم والعمدة والمعركة للآراء والأفكار ومحطّ البحث والأنظار هو: الكلام في المعراج من حيث كلفيته، هل هو روحاني أو جسماني وجسداني؟ نقول: الذي عليه مذهبنا نحن الامامية أن نبينا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب (صلى الله عليه وآله وسلم) المتولد آمنه بنت وهب في مكة، قد عرج في تلك من الليلة بروحه وجسده الشريف مع ثيابه وعمامته ونعليه وجزاز الكرات وصعد إلى السموات وخرق الحجب والسرادات ووصل إلى العرش، وشرفه وزينه، وصعد إلى مقام قاب قوسين لحكم ومصالح لا تعد ولا تحصى، راجعة لنفسه الشريفة، وراجعة الى الخلق، وإدراك جميع تلك المصالح والحكم ربما يكون خارجاً عن طوق البشر، فمن أنكر عروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا البدن وهذا الجسم وتلك الروح الطاهرة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

نعم، هذه عقيدتنا في المعراج الذي يُعد بحق من معاجز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) العظيمة وذلك لأنه قد شاهد بواسطته الكنز الخفي ونال من الله تعالى أقصى الشرف والمكانة، وفاز بأرقى رتب الشهود. قال مولانا الامام الفيلسوف محمد الحسين الأصفهاني قدس الله نفسه وطيب الله تربته، قال ولنعم ما قال:

وما المسيح والعروج في السما*** فهو الى فوق السموات سما

وجاز من سرادات العظمة*** وحاز ما يجلب عن كل سمة

فاز بأرقى رتب الشهود*** وغاية الغايات في الصعود

شاهد في عروجه الكنز الخفي*** ونال من أدناه أقصى الشرف

واتصل الظل بذي الظل فلا*** أرفع منه منزلاً وموئلاً

هو النبي حين لا آدم بل*** ولا وجود غيره عز وجل

كان ولم يكن مع الله أحد*** والواحد المطلق أول العدد

بل هو في مراتب الأمجاد*** وجوده مقوم الأعداد

وقال الحكيم الحاج الشيخ عبد المنعم الفرطوسي طاب ثراه وحشرني الله تعالى وإياه، قال ولنعم ما قال أيضاً :

وثبوت المعراج بالجسم حق *** حين أسرى النبي نحو السماء

حيث ان المعراج بالروح وهم *** فيه تخفى حقيقة الإسراء

وحديث الرسل عمّا رآه *** عن عيان مشاهد وهو رأيي

من ركوب البراق في حين أسرى *** ودخول للجنة الفيحاء

وسماع النبي في رؤيه النار *** دويّاً للصخرة الصماء

وحديث التفاحة الحق أكلاً *** أصل لنطقة الزهراء

كلّ هذي حقائق ليس فيها *** من خيال يحيلها كالهباء

وقال العالم الجليل ثقة الاسلام مولانا الحاج الشيخ فرج آل عمران قدس نفسه الزكية في حلّ طلسم المعراج ولنعم ما قال :

اليوم نعرف كيف نعرج للعلی *** ونحل طلسم العروج المعضلا

تاهت عقول الناس في تحليه *** فغدت حيارى في الحنادس ضللا

عقل يرى المعراج حلماً صادقاً *** وأراه قولاً للعروج تأولا

يا عقل كيف يصح تأويل ارتقا *** فنن الكمال بأنه حلم جلا

يا عقل كيف تظن. رؤية عالم *** الملكوت طيفاً في تمثلا

يا عقل كيف تظن نيل المجد *** والشرف الصميم يكون حلماً خيلا

يا عقل انك حالم أو غانظ *** أو هازل وتجلّ أن تستجهلا

اليوم نعرف كيف نعرج للعلی *** ونحل طلسم العروج المعضلا

ويراه عقل كان سيرالفكر في *** طلب الحقيقة سائحاً متجولا

حتى إذا قنص الحقيقة صح أن *** يرقى بها نحو السماء وينزلا

هو في الثرى هو في الهواء هو في *** السماء هو فوق ذلك مجملا ومفصلا

وأراه قولاً قد رآه مجازف *** متأول أخلق به متأولا

ص: 171

لكنّه لا ترتضيه عقيدتي *** أنا في العقيدة لا أجازف مقولا

اليوم نعرف كيف نعرج للعلی *** ونحل طلسم العروج المعضلا

ويراه عقل سير روح المرء لا *** بطاعة وأراه قولاً فيصلا

وأراه يدركه الفتى بجهوده *** في العلم لا ينفك يد أب مقبلا

حتى يصير مضاهياً ناسوته *** لا هوته فهنا ارتقى وتكملا

ويرى هناك الجمع أصبح وحدة *** والخلق بالحق الصراح تبدلا

بل لا يرى إلا الحقيقة وحدها *** بجمالها وكمالها فتجملا

لكن ذالاً ارتضيه وأنتي *** حرّ ولم أك في القيود مكبلا

اليوم نعرف كيف نعرج للعلی *** ونحل طلسم العروج المعضلا

ويراه عقل انه سير الفتى *** نحو العلو بجسمه متغلا

وأراه معنى لا يصح لغير من *** لطف طبايعه ودق تمقلا

إلا لمن رفض الطبيعة وارتقى *** اللاهوت ثم أتى ملاكاً مرسلا

أعني بذا رمز الكمال محمد *** العربي أصفى العالمين وأكملا

خرق السماء والحجب حتى اجتاز *** ما شاء الإله بجسمه متنقلا

حتى دنا من قاب قوسين استمع *** ماذا جرى لما دنا متدللا

نودي بنعلك وطأ بساط كرامتي *** وأسأل تنل واشفع تشفع في الملا

أنت الحبيب وتلك تلك خزائني *** وذخائري خذ ما تشاء لن تحظلا

فأحاط علماً ما مضى وبما بقي *** من كائنات الكون حتماً أولاً

ودرى بما في عالم الملكوت من *** ملك ومن فلك وخلق قد علا

حتى إذا استوفى الشؤون بأسرها*** وقضى لبانات الفؤاد تنزلاً

ذا صاحب المعراج حقاً فافهموا*** معراجيه كي لا تكونوا ضللاً

فالآن أوضحت العروج إلى العلا*** وحللت طلسم العروج المعضلاً

ص: 172

نعم، لقد أوضح لنا هذا الشيخ الجليل ما كان خفياً علينا من أسرار المعراج وخفائيه وحل طلسمه وأبان لنا من خلال هذه الآيات الجليلة أيضاً ما جعله الله لرسوله الكريم والصادق الأمين من العظمة حيث أعطاه المنزلة الرفيعة وقربه إليه وأدناه من حضرته حتى كان قاب قوسين ثم أملا عليه ما فرضه عليه وعلى أمته من واجبات معللة بالمصالح وما حرم عليه وعليهم وأباح وكره له ولهم من الأعمال المعللة بالمفاسد لتتنظم بذلك أمور دنياهم وآخرتهم ليحصلوا بذلك على سعادة الدارين الدنيا والآخريين وشرط الله تعالى لنبيه الكريم جزاء ذلك على العباد من أمته مودة قرباه والتمسك بحبل ولائهم والصلاة عليهم لا سيما علي وفاطمة وأبنائهم الأئمة المعصومين عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

ولقد بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك وعرفهم ما يجب عليهم من التمسك بأمر المؤمنين والزهراء (عليها السلام) والأئمة (عليهم السلام) فقد جاء أنه في غدیر خم نادى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأعلى صوته ويده في يد علي (عليه السلام) وقال: أيها الناس ألسن أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فرفع بضبع علي (عليه السلام) حتى رأى الناس بياض إبطيهما وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله والعن من خالفه، وأدر الحق معه حيث ما دار، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

وأما في حق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها، فلقد جاء عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) الله الشيء الكثير من المقالات الشريفة الآمرة للقوم بمودتها والتمسك بها وحفظها والعناية التامة بها، ويكفي من ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني، والحديث الشريف هذا ورد بألفاظ متنوعة ومعاني متعددة كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة بضعة مني يؤذي مني ما يؤذي مني، ما أذاها ويغضبني ما أغضبها. فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها. فاطمة شحنة مني فاطمة مضغة مني فمن أذاها فقد أذاني فاطمة مضغة مني يسرني ما يسرها.. يا فاطمة إن الله

تعالى يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، فمن عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعة مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني . فلو أخذ القوم بهذا الحديث فقط وعملوا بمقتضاه وحفظوا وصية الرسول في حق الصديقة لأوجب الله تعالى لهم بذلك الجنة والرضوان ولكنهم لم يعملوا بموجب تلك الوصية ولم يحفظوا وديعة نبيهم، ولم يجعلوا لها حرمة ولم يحصوا على إذن منها عندما دخلوا دارها وإنما هجموا عليها وأحرقوا الدار بمن فيها ولسان حالها يخاطبهم ألم يأمركم أبي بحفظي ومودتي وكأنني بها تنادي أبأها وهي حزينة بقولها :

دار الوحي دخلوها دار الوحي دخلوها*** والبضعة المعصومة يا والدي ضربوها

وصيت فوق المنبر بالدرة المعصومة***أوجوني يبويه بعدك ها لعصبة الميشومة

ليتك تشوف الغالية فوق الوجه ملطومة*** اوجابوا الحطب بالوالي ودار الوحي حرقوها

فزيت يوم الجوني وأنى أهل ادموعي*** وأنى يبويه الفقدك بعده ميسكن روعي

فزيت ابلزم بابي او كسروا يبويه اضلوعي*** ترضى يبويه داري من بعدك ايدخلوها

يا بوي يوم الاجوني او دخلوا عليه داري*** واني حزينة او فاقدته خير انبياء الباري

هتكوا يبويه احجابي او هتكوا يبويه اخداري*** او كل الوصية اتخالفت دار الوحي دخلوها

نادى الحسن واجدي واحسين اينادي بأمه*** أو هذا يجي للثاني ايكفكف دموعه ابكمه

ياهي امصبيه عظمى او ياهي علينا ملمه***يوم العدى وصلتنا او دار الوحي دخلوها

الله يحيدر صبرك مثل الصخر بل زايد***انته الاسود اتهابك وانته إليهم قايد

كيف الأعداي تهجم بالدار وانته قاعد***ايدخلوا عليك ابدارك او دار الوحي احرقوها

أقول: وهذه النار التي اشتعلت في بيت الزهراء(عليها السلام) دار الوحي شرارها قد وصلت الى مخيمات بنات الرسالة في كربلاء واشتعلت في أخمر واقنعت النسوة الهاشميات حتى أجبرت زينب وأخوات زينب وبنات الحسين عليه وعليهن أفضل الصلاة والسلام على الخروج من المخيمات ولم يبق إلا ذلك العليل مكبوب على وجهه قد سحب الأشرار من تحته ، فراشه، استأنفت زينب(عليها السلام) الرجوع إلى الخيمة مرة ثانية لكي تنظر الى حاله وما جرى عليه فوجدته مكبوباً على وجهه والنار تشتعل في ملابسه وليس تحته فراش ولا توجد عنده وسادة فبكت ولطمت وجهها ونادت وا ابن أخوا، واعزيزا...

دشت الحورا على ذاك العليل اتوقضه***شافته امسجا ولا عنده صديق ايمرضه

لا فراش او لا وساده فجعها ابكثر الونين***نوب يتقلب على اشماله او نوب على اليمين

صاحت اتوعا يعز الحرم يخليفة احسين***او شوف حالة هاليتامى اوها الخيم لمقوضه

فتح عينه او صاح يا عمه ابويه احسين وين***ما يسكت هاليتامى ذبونى من الحنين

قالت الله يعظم أجرك طاح عن مهره طعين*** بالرمح راسه او جثته بالعوادي امراضه
صاح وين القمر لزهرو الفضل راعي الزود*** ما نريد الماي خل يرجع ولا يملي الجود
قالت الجود امتلا وانقطعت اعليه الزود*** ملك والينا الشريعة او بالعطش وسفه قضى
صاح قول لبن عمي جاسم ايلم هلطفال*** ما هو لازم هالعرس واحنا يعمة ابهالحوال
قالت الجاسم ترك سكنه ورم لها او شال*** او بالثرى اتخضب ابدمه ومات محد غمضه
قال وين حزام ظهري وساعدي لكبر علي*** ايقوم يدرك هاليتامى او هالحرم لا تنولي ابوفاضل
قالت اسكت لا تسائل ما بقى عندي ولي*** شيل راسك شوف عماتك حواسر بالفضا
رفع راسه او عاين النسوان كلها امطشره*** او شاف روس أهله ابعوالي والجثث فوق الترا
صاح تكي لي يعمة اشهالمصاب اللي جرى** يهجم العسكر علينا اشلون ابوفاضل رضى
اشهالحريم الفارات اشهاليتامى اللي تنوح*** اشها لكريم اللي على الخطى يمحزونه يلوح
واشهالجساد السلبيه الموزعة أبكثر الجروح*** للسبا شدي اعصابه او سلمى لامر القضى

إشارة

عرج النبيّ إلى السموات العلا*** وهفت له الأفلاك والأبراج
ليقيس من حركاتها ويكون في*** غزو الفضاء لأولي النهى منهاج
حث الكتاب على التفكير في السما*** فيها نجوم أزهرت وسراج
وعلى التقدم حبّ طه قومه*** وبحثه فتحت لهم ارتاج
قال اسلكوا نهج العلوم وإن يكن*** في الصين فهو إلى المعالي تاج
بالعلم ترتفع الشعوب وترتقي*** بالعلم تقطع للشقا أوداج
بالعلم سارت في البحار بوارج*** بالعلم ناطحت السما اثباج
بالعلم تسمع في مكانك كلما*** في الكون يجري ليس فيه لجاج
بالعلم تبصر في العراق لما جرى*** في لندن فتشق عنه فجاج
بالعلم تستوحي الحرارة في الشتاء*** والصيف ينزع حرّه الوهاج
أنظر لآثار العلوم فكم أتى*** بمعاجز مصباحها البراج
هذي فنون الكهرباء فكم بها*** من أنعم هي للسقام علاج
والذرة القعساء كم عم الورى*** من فضها وزكي بها الانتاج

له هذا هو العلم الذي يدعو له*** من هدى طه علمه التجاج
يدعو إلى طلب العلوم فريضة*** فيها الرجال مع النساء أمشاج
فهو الذي رقت الشعوب بفضله*** وهو الذي الثروات منه تراج

والجهل لهو أساس كل نقيضة*** منه البلا والسقم والأحراج

لكن فضل العلم ليس له غنى*** عن دين حق عمه الابلاج

فالدين روح العلم وهو قوامه*** وبه يكون عن النهى أفرج

الدين منطلق الشعوب إلى العلى*** وبدونه يهوى بها الادلاج

بين البهائم والورى هو فارق*** وبه عن الفوضى لهم إخراج

القصد

والدين ليس يقوم مرفوع الذرى*** حتى يقوم له البناء والساج

بالذكريات وبالشعائر يعتلي*** والخير ذكرى للهدى المعراج

فيه تجلت للنبي فضيلة*** منها عرى فهم الورى ازعاج

فيه تبلبلت العقول فواحد*** قد شك فيه وآخر مرتاج

وجميعهم لم يعلموا الأسرى ولا*** ما القصد منه كما غوى الحلاج

القصد منه بعثة ونبوة*** منها يرف على الرسول التاج

إن اللبيب وإن يكن فوق الثرى*** فله لما فوق النجوم هياج

أتى برسالة قدسية*** فالناس كلهم لها حجاج

دانت لسلطته الملوك وذلّ من*** صفى له النعمان والحجاج

يسرى به خلواً ويرجع مبطناً*** بالعلم فيه لقلبه إدماج

علم به انبهرت عقول اولى النهى*** فغنيهم لأقله محتاج

حفت به رسل الإله كأنه*** بدر عليه من النجوم سياج

مثل المليك تحفه وزراؤه*** أو كعبة من حولها الحجاج

صلّى بهم وولّادهم لم تسجد*** الأملاك لولا نوره الوهاج

ولذلك لما ان إلى العرش ارتقى *** جاء النداء تجله الأفواج

كل الملائك والنبیین أوقفوا*** والعرش يصعد من علیه التاج

ص: 178

قال الله تعالى في كتابه المجيد : (امنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)(1)

وجاء في كتاب حق اليقين(2)لسيدنا المقدس السيد عبد الله شبر رضوان الله تعالى عليه عند ذكر قوله تعالى: (قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)(3) : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: فناداني ربي تبارك وتعالى : (امنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) فقلت : أنا مجيب عني وعن أمتي (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) فقلت: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فقال الله بين تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) فقلت: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)فقال الله تعالى : لا أو اخذك ، فقلت: (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا)فقال الله تعالى : لا احملك ، فقلت: (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) ، فقال الله تبارك وتعالى : قد أعطيتك ذلك لك ولأمتك.

قال الصادق(عليه السلام) : ما وفد الى الله تبارك وتعالى أحد أكرم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)حين سأله لأمته هذه الخصال. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا رب أعطيت انبياءك فضائل فأعطني ، فقال الله تعالى : وقد أعطيتك كلمتين من تحت عرشي ولا حول ولا قوة

ص: 179

1- سورة البقرة : 285 و 286 .

2- ص 240 .

3- سورة النجم : 9 .

إلا-بالله ولا منجا منك إلا إليك ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وعلمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت وهو : «اللهم إن ظلمي أصبح مستجيراً بعفوك، وذنبي مستجيراً بمغفرتك، وذلي مستجيراً بعزتك وفقرتي أصبح مستجيراً بفناك، ووجهي البالي أصبح مستجيراً بوجهك الباقي الذي لا يفنى ، يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): فكنت أقول ذلك إذا أصبحت وأمسيت.

ولقد تحدثنا عن حقيقة وقوع المعراج فيما تقدم وأقمنا الأدلة القرآن من الكريم والسنة النبوية على ذلك بما لا مزيد عليه وقلنا: إنه في الجملة من ضروريات الدين ومنكره خارج عن ربة المسلمين. وهنا نتحدث للقراء عن صورة وكيفية عروجه صلى الله عليه وآله فنقول: إنه جاء في تفسير علي بن ابراهيم القمي ، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله(عليه السلام)قال: جاء جبرائيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق الى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخذ واحد بالجام وواحد بالركاب وسوى الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها جبرائيل ثم قال : اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله ، قال : فرقت به ورفعته ارتقاعاً ليس بالكثير ومعه جبرائيل يريه الآيات من السماء والأرض، قال: فبينما أنا في مسيري إذ نادى عن يميني مناد: يا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلم أجبه ولم ألتفت، ثم نادى مناد عن يساري: يا محمد ، فلم أجبه ولم ألتفت إليه ، ثم استقبلتني امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة فقالت : يا محمد انتظرنى حتى اكلمك ، فلم ألتفت إليها ، ثم سرت فسمعت صوتاً أفزعني فجاوزت به فنزل بي جبرائيل فقال :صل، فصليت فقال: أتدري أين صليت ؟

فقلت : لا ، فقال : صليت بطيبة وإليها مهاجرتك .

ثم ركبت فمضينا ما شاء الله تعالى ثم قال : انزل فصل، فنزلت فصليت، فقال لي: أتدري أين صليت ؟ فقلت : لا . فقال : صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى تكليماً .

ثم ركبت فمضينا ما شاء الله تعالى ثم قال لي : انزل فصل، فنزلت وصليت، فقال لي : أتدري أين صليت ؟ فقلت : لا . فقال : صليت بيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس من حيث ولد عيسى بن مريم (عليها السلام).

ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا إلى بيت المقدس فربطت البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها ، فدخلت المسجد ومعني جبرئيل إلى جنبي فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى وما شاء الله وما شاء الله من أنبياء الله تعالى فقد جمعوا إلي وأقيمت الصلاة، ولا أشك إلا وجبرائيل يستقدمنا ، فلما استنوا أخذ جبرائيل بعضدي فقدمني واممتهم ولا فخر، ثم أتاني الخازن بثلاثة أواني إناء فيه لبن ، وإناء فيه ماء، وإناء فيه خمر، وسمعت قائلاً يقول : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوى وغويت أمته، وإن أخذ اللبن هدي وهديت أمته، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فأخذت اللبن وشربت منه، فقال لي جبرئيل: هديت وهديت أمتك، ثم قال لي : ماذا رأيت في سيرك ؟ فقلت : ناداني مناد عن يميني ، فقال لي : أو أجبتة ؟ فقلت : لا ولم ألتفت إليه ، فقال : داعي اليهود ولو أجبتة لتهودت أمتك من بعدك، ثم قال لي : ماذا رأيت في سيرك فقلت : ناداني مناد عن شمالي، فقال لي : أو أجبتة ؟ فقلت : لا ولم ألتفت إليه ، فقال : ذاك داعي النصارى ولو أجبتة لتنصرت أمتك من بعدك ، ثم قال : ماذا استقبلك فقلت : لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت : يا محمد انتظرنى حتى اكلمك ، فقال لي : أفكلمتها ؟ ، فقلت لم اكلمها ولم ألتفت إليها ، فقال : تلك الدنيا ولو كلمتها لاخترت أمتك الدنيا على الآخرة، ثم سمعت صوتاً أفرعني فقال لي جبرئيل تسمع يا محمد ؟ قلت نعم قال : هذه صخرة قدفتها على شفير جهنم منذ أربعين عاماً فهذا حين استقرت ، قال : فما ضحكك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قبض .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فصعد جبرئيل وصعدت معه الى سماء الدنيا وعليها ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب الخطفة الذي قال الله عز وجل: (﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾

فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (1) وتحتته سبعون ألف ملك تحت كل ملك ألف ملك ، فقال : يا جبرئيل من هذا معك ؟ فقال : محمد هذا معك ؟ فقال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الله ، قال : وقد بعث ؟ قال : نعم ، ثم فتح الباب فسلمت عليه وسلم عليّ ، واستغفرت له واستغفر لي ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، وتلقنتي الملائكة حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم لم أر أعظم خلقاً منه كرهه المنظر ظاهر الغضب ، فقال لي مثال ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه الاستبشار مما رأيت ممن ضحك من الملائكة ، فقلت : من هذا يا جبرئيل فأني فزعت منه ؟ فقال : يجوز ان تفزع منه فكلنا نفزع منه إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغضباً على أعداء الله وأهل معصيته وبه ينتقم الله منهم ، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك ، فسلمت عليه فردّ السلام عليّ وبشرني بالجنة ، فقلت لجبرائيل وجبرائيل بالمكان الذي وضعه الله تعالى مطاع ثم أمين : ألا تأمره أن يريني النار ، فقال له جبرائيل : يا مالك أر محمد النار ، فكشف غطاء وفتح باباً منها فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا جبرائيل قل له فليرد عليها غطاءها ، فأمرها فقال : ارجعي فرجعت الى مكانها الذي خرجت منه .

ثم مضيت فرأيت رجلاً جسيماً فقلت : من هذا يا جبرائيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم فإذا هو يعرض عليه ذريته فيقول : ريح طيبة من جسد طيب ، ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سورة المطففين على رأس سبع عشرة آية كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون إلى آخر الآية ، قال له : فسلمت على أبي آدم وسلم عليّ واستغفرت له واستغفر لي ، وقال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح والمبعوث في الزمن الصالح .

ص: 182

ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح مكتوب فيه كتاباً ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً إلا مقبل عليه به كهينة الحزين فقلت : من هذا يا جبرائيل ؟ فقال : هذا ملك الموت نائب في قبض الأرواح، فقلت: يا جبرائيل ادني منه فسلمت عليه، وقال له جبرائيل : هذا نبي الرحمة الذي أرسله الله إلى العباد فرحب بي وحياني بالسلام وقال : أبشر يا محمد فإنني أرى الخير كله في أمتك ، فقلت : الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته عليّ ، فقال جبرائيل : هو أشد الملائكة عملاً فقلت : أكلّ من مات أو هو ميت فيما بعد هذا يقبض روحه ؟ فقال : نعم ، قلت : وتراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك ؟ فقال : نعم ، ثم قال ملك الموت ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنتي عليها إلا كالدرهم في كفّ الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دار إلا وأنا أتصفحه كل يوم خمس مرات وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم : لا تبكوا عليه فإن لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): كفى بالموت طامة يا جبرائيل . فقال جبرائيل : ان ما بعد الموت أطم وأطم من الموت.

ثم مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبث، يأكلون اللحم الخبيث ويدعون الطيب فقلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من أمتك يا محمد، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ثم رأيت ملكاً من الملائكة جعل الله أمره عجياً نصف جسده من النار ونصفه الآخر ثلجاً ، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو ينادي بصوت رفيع ويقول: سبحان الذي كفّ حرّ هذه النار فلا يذيب الثلج وكفّ هذه النار فلا يذيب الثلج وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفى حرّ هذه النار، اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا ملك وكله الله تعالى بأكناف السماء وأطراف الأرض وهو أنصح ملائكة الله تعالى لأهل الأرضين من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع

منذ خلق، وملكان يناديان في السماء أحدهما يقول: اللهم أعط كل منفق خلفاً، والآخر يقول: اللهم أعط كل ممسك تلفاً.

ثم مضيت فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشفر الإبل يقرض اللحم من جنوبهم ويلقي في أفواههم فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الهمازون اللمازون. ثم مضيت فإذا أنا بأقوام ترضح رؤوسهم بالصخر فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء.

ثم مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النار في أفواههم وتخرج من أدبارهم فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا- كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً يقولون: ربنا متى نقم الساعة.

قال: ثم مضيت فإذا بنسوان معلقات بئديهن فقلت من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال جبرائيل: هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم فاطلع على عوراتهم وأكل خزائهم.

قال الله ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله عزوجل خلقهم الله تعالى كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتمجيد والبكاء من خشية الله تعالى فسألت جبرائيل عنهم، فقال: كما ترى خلقوا ان الملك منهم الى جنب صاحبه ما كلمه قط ولا-رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتها خوفاً لله وخشوعاً، فسلمت عليهم فردوا عليّ إيماءً برؤوسهم لا ينظرون إليّ

من الخشوع، فقال لهم جبرائيل : هذا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) نبي الرحمة أرسله الله تعالى الى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم النبوة وسيدهم أفلا تكلمونه ؟ قال : فلما سمعوا ذلك من جبرائيل أقبلوا عليّ بالسلام واکرموني وبشروني بالخير لي ولأمتي.

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا فيها رجالان متشابهان فقلت من هذان يا جبرائيل؟ قال : أبناء الخالة يحيى وعيسى، فسلمت عليهما وسلّما عليّ، واستغفرت لهما واستغفرا لي، وقالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، وإذا فيها من الملائكة وعليهم الخشوع قد وضع الله تعالى وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلا يسبح الله ويحمده بأصوات مختلفة .

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل فضل حسنه على سائر الخلق كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم فقلت من هذا يا جبرائيل ؟ فقال : هذا أخوك يوسف، فسلمت عليه وسلم علي، واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الناصح والمبعوث في الزمن الصالح ، وإذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مثل ما وصفت في السماء الأولى والثانية ، وقال لهم جبرائيل أمري ما قال للآخرين وصنعوا لي مثل ما صنع الآخرون.

ثم صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها رجل فقلت : من هذا يا جبرائيل ؟ فقال : هذا أخوك إدريس الا رفعه الله مكاناً علياً ، فسلمت عليه وسلم عليّ، واستغفرت له واستغفر لي فإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات فبشروني بالخير لي ولأمتي، ثم رأيت ملكاً جالساً على سرير تحت يده سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك، فوقع في نفس رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه هو، فصاح به جبرائيل فقال : قم، فهو قائم إلى يوم القيامة .

ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم لم أركهلاً أعظم منه حوله ثلثة من أمته فأعجبني كثرتهم فقلت: من هذا يا جبرائيل ؟ فقال : هذا المجيب لقومه هارون بن عمران فسلمت عليه وسلم عليّ ، واستغفرت له واستغفر لي، وإذا

فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات.

ثم صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل كأنه من سمرة لونه عليه قميصين لنفذ شعره فيهما وسمعته يقول : يزعم بنو إسرائيل أنني اكرم ولد آدم على الله وهذا رجل أكرم على الله مني، فقلت : هذا يا جبرائيل ؟ فقال : أخوك موسى بن عمران فسلمت عليه وسلم علي، واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات.

ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة إلا قالوا: يا محمد احتجم وأمر أمتك بالحجامة، وإذا فيها رجل أشمط الرأس واللحية جالس على كرسي فقلت: يا جبرائيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله تعالى ؟ فقال : هذا يا محمد أبوك إبراهيم، وهذا محلك ومحل من اتقى من أمتك، ثم قرأ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (1) فسلمت عليه وسلم علي، وقال: مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح والمبعوث في الزمن الصالح، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات فبشروني بالخير لي ولأمتي.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ورأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلأأ يكاد تألؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحار مظلمة وبحار ثلج ترعد، فلما فرغت ورأيت

هؤلاء سألت جبرائيل، فقال : ابشر يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واشكر كرامة ربك واشكر الله على ما صنع إليك، قال : فثبنتي الله بقوته وعونه حتى كثر قولي لجبرائيل وتعجبي، فقال جبرائيل: يا محمد تعظم ما ترى ! إنما هذا خلق ربك، فكيف بالخالق الذي خلق ما : ترى وما لا ترى أعظم من هذا خلق من خلق ربك، إن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب، حجاب من نور وحجاب من ظلمة، وحجاب من الغمام وحجاب من ماء، قال(صلى الله عليه وآله وسلم)

ص: 186

وأريت من العجائب الذي خلق الله وسخر به علي ما أراه ديكاً رجلاه في تخوم الأرض السابعة ورأسه عند العرش، وملكاً في ملائكة الله تعالى خلقه الله كما أراد رجلاه في تخوم الأرض السابعة ثم أقبل مصعداً حتى خرج في الهواء إلى السماء السابعة وانتهى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه إلى قرب العرش، وهو يقول: سبحان ربي حيث ما كنت لا تدري أين ربك من عظم شأنه، وله جناحان في منكبه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فإذا كان في السحر نشر جناحيه وخفق بهما صرخ بالتسبيح يقول: سبحان الله الملك القدوس، سبحان الله الكبير المتعال، لا إله إلا الله الحي القيوم وإذا قال ذلك سبحت ديوك الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت بالصرخ، فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكتت ديوك الأرض كلها، ولذلك الديك زغب أخضر وريش أبيض كأشد بياض رأيت له وله زغب أخضر أيضاً تحت الريش الأبيض كأشد خضرة رأيتها قط .

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ثم مضيت مع جبرائيل فدخلت البيت المعمور فصليت فيه ركعتين ومعني أناس من أصحابي عليهم ثياب جدد وآخرون عليهم ثياب خلقان فدخل أصحاب الجدد وحس أصحاب الخلقان، ثم خرجت فانقاد لي نهران، نهر يسمى الكوثر ونهر يسمى الرحمة فشربت من الكوثر واغتسلت من الرحمة، ثم انقادا لي جميعاً حتى دخلت الجنة وإذا على حافتيها بيوتى وبيوت أزواجي وإذا ترايبها كالمسك، وإذا جارية تنغمس في أنهار الجنة فقلت لمن أنت يا جارية؟ فقالت لزيد بن حارثة فبشرته بها حين، أصبحت، وإذا بطيرها كالبحر، وإذا رمانها مثل الدليّ العظام وإذا شجرة لو أرسل طائر في أصلها ما دارها سبعمائة سنة وليس في الجنة منزل إلا وفيه فتر منها فقلت ما هذه يا جبرائيل؟ فقال: هذه شجرة طوبى قال الله: طوبى لهم وحسن مآب(1).

وفي ذيل الخبر المتقدم عن الصادق(عليه السلام) قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ثم أمتت الملائكة في

ص: 187

السماء كما أمت الأنبياء في بيت المقدس، ثم قال : ثم غشيتني صباة فخررت ساجداً فناداني ربي : اني قد فرضت على كل نبي قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى أمتك فقم بها في أمتك ، فقال رسول الله(عليه السلام) : فانحدرت حتى مررت على إبراهيم الفلم يسألني عن شيء حتى انتهيت الى موسى فقال : ما صنعت يا محمد؟ فقلت : قال :ربي فرضت على كل نبي كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها

: عليك وعلى أمتك فقم بها في أمتك ، فقال موسى يا محمد إن أمتك آخر الامم وأضعفها وإن ربك لا يرد عليك شيئاً وإن أمتك لا تستطيع أن تقوم بها فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف إلى أمتك.

فرجعت إلى ربي حتى انتهيت الى سدرة المنتهى فخررت ساجداً ثم قلت: فرضت عليّ وعلى أمتي خمسين صلاة ولا أطيق ذلك ولا أمتي فخفف عني ، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فرجعت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع لا تطيق، فرجعت إلى ربي فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع وفي كل رجعة أرجع إليه آخر ساجداً حتى رجع إلى عشر صلوات فرجعت إلى موسى وأخبرته، فقال : لا تطيق، فرجعت إلى ربي فوضع عني خمساً، فرجعت إلى موسى وأخبرته فقال : لا تطيق، فقلت: قد استحيت من ربي ولكن أصبر عليها فناداني مناد: كما صبرت عليها فهذه الخمسة بخمسين كل صلاة ، بعشر ، ومن هم أمتك بحسنة يعملها فعملها كتبت له عشراً وإن لم يعمل كتبت له واحدة، ومن هم من أمتك بسيئة فعملها كتبت عليه واحدة وإن لم يعملها لم أكتب عليه ، فقال الصادق : جزي الله موسى عن هذه الأمة خيراً.

وجاء في كتاب كشف الغمة : عن ابن عمر قال :سمعت رسول الله(عليه السلام)وقد سئل : بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ فقال : خاطبني بلغة علي بن أبيطالب (عليه السلام) فألهمت أن قلت يا ربي أنت خاطبتي أم علي(عليه السلام)؟ فقال : يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء ولا أفاق بالناس ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري

وخلقت علياً من نورك فأطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب (عليه السلام) فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك.

وقال سيدنا المقدس السيد عبد الله شبر (رضوان الله تعالى عليه) بعد ذكر كيفية المعراج وأعلم أنّ المشهور في أنّ المعراج وقع قبل الهجرة ؛ وقيل إنّه وقع مراراً . ويؤيده ما رواه الصدوق والصفار عن الصادق (عليه السلام) انه عرج برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مائة وعشرين مرة، والله العالم.

طار البراق به

والنور شع لنا*** والنور يشرق في علم وفي أدب

المصطفى للسماوات العلا مضي*** لينقذ الدين من شك ومن كذب

مضا وصلى بأملك السما وقد*** حاز المعارف في القرآن والكتب

وطا البساط وقد ناجاه خالقه*** وخصه بعلوم الأرض والشهب

هذا الرسول وهذا معجز صدرت*** منه المكارم في عجم وفي عربي

جاء الرسول إلى قوم أطاحهم*** جهل وتعبد أصناماً من الخشب

لا عقل يمنعهم عن كل ما عبدوا*** كأنما خلقوا للهزل واللعب

اللات أسقط في نار وتتبعه*** أوثانهم وقد انهارت قوى الكذب

وأقبلت بعثة المختار في حكم*** نبراسها شع في أفكار كل صبي

به سعدنا فلا بحر طما غضباً*** ولا خسوف وكم سرنا إلى الحجب

به توحدت الأفهام وانتشرت*** مبادئ الدين بعد البؤس والتعب

صوت النبوة يدوي في مشاعرنا*** والدين مستبشر من كل منتسب

الدين أطلق من سجن وأصبح في*** كرامة فهو في بعد عن الغضب

على البسيطة جاء الكل منتسباً*** للدين يفصم قيد الجهل والوصب

ورفرقت راية الاسلام وانتصرت*** على الخصوم وأمس الخصم في الكرب

نعم، لقد رفرت راية الاسلام وانتصر الدين الاسلامي السماوي الالهي على الخصوم وشع نور الاسلام على المعمورة واندحر أعداء الرسول الأكرم ببركة معراجة المبارك وبعثته الشريفة، فأثار الله تعالى بمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم)ظلمة الدنيا.

قالت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت محمد عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها أفضل الصلاة والسلام قالت وهي تصف الحالة الي كان عليها العرب قبل بعثة أبيها وكيف كانوا متفرقين فى الأديان يعبدون الأوثان ويعكفون على النيران دنياهم مظلمة وأحوالهم متشتتة مؤلمة : فرأى) الأمم فرقا في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها ، منكرة الله مع عرفانها، فأثار الله بمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم)ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار غممها ، وقام في الناس بالهداية ، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية وهداهم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار ورغبة وايتار، فمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم)عن تعب

، هذه الدار في راحة قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار صلى على أبي نبيه وأمينه على الوحي وصفيه وخيرته من الخلق ورضيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته). وكأني بها(عليه السلام) ولسان حالها يقول بعد أن غابت عنها أنوار أبيها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)وأصبحت بعد موته ثكلى حزينه وهي تنظر تارة إلى محرابه فتراه خالياً من تلك الأنوار وتنظر تارة أخرى إلى منبره ومصلاه فتراهما قد خليا من شخصه أخذت تنادي:

ابموتك يبويه اشممت جملة الحساد*** ياما علينا امن الشماته سورا اعياد

وحنا الدهر نقص علينا طيب الزاد*** ميطيب عندي الزاد وانت بقبر مدفون

حيدر يغسله والبتولة تصفح الراح*** منها الذوايب نشرت والدمع سفاح

وتقول يا محلى زمانى لو اوراح*** منى تقاضى الدهر جرعى بلى وهون

ومن شافته بالنعش شالو الطهر لرجال*** طلعت بلا شعور وتحن تعثر بالذيال

والحرم تصرخ من ورى التابوت واطفال*** ويمه الحسن واحسين ما زالو يونون

بوداعه الله يا كفيلى وراس مالي*** لو بالفدا عمري رخصته الكان غالى

ولا كان عيني تنظر المحراب خالي*** منك وغيرك بالخلق بعدك يصلون

مزهري ليالى الأوليه يوم موجود*** راحت ابفقدك وارجعت ايامنا سود

من هالسفر لقتشر متي ياياب بتعود*** وحننا عقب عينك يبويه صرنا أيتام

نوحوا يولدي اللي يعزكم بالقبر نام*** والدهر فاجعكم ابجدكم صرتوا ايتام

راح وعمى عيوني ورماني بنبل واسهام*** ما ظنتي يبرى جرح قلبي ولا ايهون

نعم، إن سهام ونبال ذلك المصاب العظيم والحادث الجسيم - أي - فقد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد هدّ قوى السيدة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام) وضعضع أركانها، ويحق لها ذلك، لأنها تفقد الأب الحاني عليها والرحيم الرؤوف بها وبالمسلمين فلا بد وأن تكون الرزية عظيمة والمصيبة مؤلمة وجسيمة، وأكبر شاهد على عظمة تلك المصيبة وتأثيرها على الزهراء (عليه السلام) أنها أثرت على وجودها بحيث لم تستطع البقاء في هذه الدار بعد فقده (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أثرت اللحوق به بعد أيام قليلة من تاريخ وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) فذهبت إلى ربها راضية مرضية وورثت المصائب والرزايا لابنتها العقيلة زينب (عليها السلام) فإن الأم وإن كانت قد رُزيت بفقد أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط فالبنت قد شاركتها في هذه الرزية وزادت عليها بالمصائب الكثيرة، فأول المصائب بعد مصيبة جدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مصيبة أمها فاطمة (عليها السلام)، وثانيها مصيبة أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وثالثها مصيبة أخيها الحسن المجتبي (عليه السلام)، ورابعها مصيبة لها سيد الشهداء (عليه السلام)، وما أدراك ما تلك المصيبة وما أعظمها في الاسلام وأشدّ أثرها على قلوب المؤمنين.

قال الشاعر في حقها :

انست رزيتكم رزاينا التي*** سلفت وهونت الرزايا الآتية

وفجائع الأيام تبقى مدة*** وتزول وهي إلى القيامة باقية

سأل عبدالله بن الفضل الامام الصادق (عليه السلام) قائلاً: يا ابن رسول الله كيف صار

يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واليوم الذي ماتت فيه فاطمة الزهراء (عليها السلام)، واليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، واليوم الذي قتل فيه الحسن (عليه السلام)؟ فقال (عليه السلام): إن يوم قتل الحسين (عليه السلام) أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام وذلك إن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله عز وجل كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقي أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة (عليها السلام) كان في أمير المؤمنين (عليه السلام) عزاء وسلوة وكذلك الحسن والصابر الحسين، فلما مضى الحسن إلا كان للناس في الحسين الله عزاء وسلوة، فلما قتل الصابر الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهاب الشهيد الصابر (عليه السلام) كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام، ومصيبته أعظم المصائب، ومن هنا كان الشاعر يقول:

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت.

فيا ترى ما حال زينب (عليها السلام) وأخواتها وهن ينظرن الى سيد الشهداء (عليه السلام) وحيداً فريداً بلا ناصر ولا معين وعمما قريب سوف يرحل عنهن ويتركهن للبلاء؟

قال في معالي السبطين نقلاً عن كتاب الناسخ: إن الإمام الحسين (عليه السلام) قد دعاهن بأجمعهن وقال لهن: استعدوا للبلاء وإن الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم الى خير، ويعذب أعاديكم بأنواع البلاء، ويعوضكم الله عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم، ثم أمرهم بلبس ازهم ومقانعهم فسألته أخته الحوراء زينب عن ذلك فقال (عليه السلام): كأنني أراكم عن قريب غير بعيد كالإماء والعبيد يسوقونكم أمام الركاب ويسومونكم سوء العذاب، فلما سمعت زينب (عليها السلام) بكت ونادت: واوحدتاه، واقله ناصراه، واسوء منقلباه، واشوم صباحاه، فشقت ثوبها ونشرت شعرها

و لطمت وجهها ، فقال لها الحسين(عليه السلام): مهلاً يا بنت المرتضى ان البكاء طويل ، فأراد الحسين أن يخرج من الخيمة فتعلقت به وقالت : مهلاً يا أخي توقف حتى أتزود

منك ومن نظري إليك وأودعك وداع مفارق لا تلاقي بعده.

فمهلاً أخي قبل الممات هنيئة*** لتبرد مني لوعة وغليل

فجعلت سلام الله عليها تقبل يديه ورجليه وأحطن به سائر النسوة وجعلن يقبلن يده ورجله، فسكتهن الحسين(عليه السلام)وردهن الى الفسطاط، ثم دعا بأخته زينب وصبرها وأمر بيده الشريفة على صدرها وسكنها من الجزع وذكر لها ما أعد الله من الثواب للصابرين وما وعد الله من الكرامات للمقربين، فرضيت وأظهرت الفرح والسرور في وجهه المبارك وقالت : يا ابن أُمي طب نفساً وقر عيناً فإنك تجدني كما تحب وترضى. ثم طلب الامام(عليه السلام) منها ثوباً لا- يرغب فيه أحد عتيق لكي يجعله تحت ثيابه لئلا- يجرده بعد قتله فإنه(عليه السلام)مقتول مسلوب فارتفعت أصوات النساء بالبكاء.

قال في (اللهوف): فأتي بتبان فقال(عليه السلام): لا ذاك لباس من ضربت عليه الذلة

فأخذ ثوباً خلقاً فخرقه وجعله تحت ثيابه، فلما قتل جردوه منه.

وفي كتاب (إبصار) (العين): فجيء له ببرد يمانى يلمع فيه البصر ففزره ولبسه تحت ثيابه .

وقال السيد في (اللهوف) : ثم استدعى الحسين(عليه السلام)بسر اويل من حبرة ففزرها

ولبسها وأتما فرزها لئلا تُسلب فلما قتل الا سلبها أبجر بن كعب (لعنه الله تعالى) وترك الحسين(عليه السلام) مجرداً.

وفي بعض المقاتل لما أراد الامام(عليه السلام)أن يتقدم إلى القتال نظر يميناً وشمالاً ونادى: ألا هل من يقدم لي جوادي ؟ فسمعت زينب(عليها السلام)فخرجت وأخذت بعنان الجواد وأقبلت إليه وهي تقول : لمن تنادي وقد قرحت فؤادي ؟ يقول الرائي :

من ذا يقدم لي الجواد ولا متي*** والصحب صرعى والنصير قليل

فأنته زينب بالجواد تقوده***والدمع من ذكر الفراق يسيل

وتقول قد قطعت قلبي يا أخي***حزناً وياليت الجبال تزول

ولمن تنادي والحماة على الثرى***صرعى ولا منهم يبيل غليل

ما في الخيام وقد تفانى أهلها***إلا نساء ولهاً وعليل

أرأيت اختاً قد أتت لشقيقها***فرس المسنون ولا حمى وكفيل

فتبادرت منه الدموع وقال يا***أختاه صبراً فالمصاب جليل

فبكت وقالت يا ابن أمي ليس لي***وعليك ما الصبر الجميل جميل

يا نور عيني يا حشاشة مهجتي***من النساء الضائعات دليل

ورنت إلى نحو الخيام بعولة***عظمى تصب الدمع وهي تقول

قوموا الى التودع ان أخي دعاء***بجواده ان الفراق طويل

فخرجن ربات الخدور عواثراً***وغدا لها نحو الحسين(عليه السلام) عويل

الله ما حال العليل وقد رأى***تلك المدامع للوداع تسيل

ايصح يا زينب ابها النسوه او لا يتام اطلعي***او بالعجل يمشدره مني تعالي اتودعي

او جربي ليه جوادي او شيعيني المصرعي***طلعت اتقود المهر والكبد منها امفتته

نادته يا نور عيني شفت مثلي بالدهر***للمنيه ماشي ابن امي وادني له المهر

قلبي امقاسي مصايب يا الولي اتقت الصخر***خرت اتودعه او بالمنحر يويلي شتمته

فتح باعه للوديعة أو ضمها ضم الوداع***صاح خويه اوداعة الله وقلبها الذايب ارتاع

غدت مدهوشة تضمه الصدرها والراي ضاع*** نادت اليوم الدهر يحسين شملي شتته
قال شفتي يا عزيزه مثل خيك بالملا*** ذبحت انصاره طبق حتى الطفل ما ظل له
اي نظر اولاده وخوته بالترب امجدله*** والحرب شبت لظي والعطش مض مهجته
او حال سكنه حال لقشر يوم اجته اتودعه*** تتحب واتصيح عز الحرم ماشي المصرعه
سمعها اتنعى وتحدر فوق خده مدمعه*** واحتظن ذيك العزيزة وظل يجذب حسرته
نوب ايظمها الصدره او يجذب الحسرة او ينوح* ونوب اتشمه وتقله عقب عينك وين اروح
هذا طير اليتيم يمشكر على راسي يلوح*** والحرم ضجت على حالة اسكينة او حالته
صاح يسكينه ترى نوحك عقب ذبحي يطول* عقب عيني يا حزينه اتكا بدين امر مهول
تنظريني على الثرى والجسد ميدان الخيول* وانتى حسرى اعلى جمل تنحل القوم بمشيته
نادته ماني العزيزة اللي تودني يا شهيد*** اشلون تتركني غريبة والوطن عني ابعيد
بويه ترضى غيرتك حسره يودنا اليزيد*** بين اعادي والعدو صعبه بيويه وليته

وفي البحار قال : وكأني بمولاي الامام الحسين(عليه السلام) وهو ينظر إلى مصارع فيتانه وأحبته وهم صرعى، فلما أن رآهم على هذه الحالة عزم على لقاء القوم بمهجة، ثم جعل ينادي : يا سكينه ويا فاطمة ويا زينب ويا أم كلثوم عليك مني السلام فهذا آخر الاجتماع وقد قرب منكن الافتجاع، فعلت أصواتهن بالبكاء وصحن : الوداع الوداع الفراق الفراق فنادته سكينه : يا أبتاه استسلمت للموت فإلى من أتكل ؟ قال(عليه السلام) : يا نور عيني كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين ورحمة الله ونصرته لا تفارقكم في الدنيا والآخرة فاصبري على قضاء الله ولا- صلى الله تشتكي فإن الدنيا فانية والآخرة باقية . قالت : ردنا إلى حرم جدنا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). فقال(عليه السلام) : لو ترك القطا لغفا ونام، فبكت فأخذها الحسين(عليه السلام) وضمها إلى صدره ومسح الدموع عن عينيها وأنشأ يقول :

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي *** منك البكاء إذا الحمام دهاني

لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة*** مادام مني الروح في جثمانني

فإذا قتلت فأنت أولى بالذي *** تأتيه يا خيرة النسوان

ص: 196

الجلسة التاسعة : في ذكرى معراج الرحمة

يا علة الایجاد یا*** سر المهیمن یا محمد
لولاك ما عرف الإله*** ولم یوحده موحد
قد فقت كل الأنبياء*** علماً وحلماً ثم سؤدد
ولك الأیادي الوافرات*** علیهم في كل مشهد
یا من له الخلق العظیم*** وربنا وربنا في الذكر اكد
وجیبه دون الوری*** وبكل فضل أنت مفرد
یا من رقی فوق البراق*** الی السما والكل یشهد
فأتی النداء من ذي الجلال*** بأن تدنی یا ممجد
ویدی السلام علیك با*** لتسليم ذا الفخر المؤید
ووطأت موضع لم یكن*** خلق هناك سواك یصعد
وحباك من أوصافه*** منحاً علت عن أن تحدد
أنت الرسول المصطفى*** ووصیک الهادي المسدد
باب المدینة من أتى*** مستر شداً للباب یرشد
هو باب فضل لم یخب*** من أمه في في كل مقصد
فهو الأمين علی الهدی*** وولي من للخلق أوجد

رددي یا حناجر الیید لحنی*** فالكری فر من جفون المغنی
أسلم اللیل زهوه حین طافت*** خاطرات السنی علی كل جفن

وتولت جحافل الظلمة السود*** تمنى خلولها ما تمنى

وعلى ظهرها من الفجر سوط*** يطبع النصر منه في كل متن

بوركت ثورة الهدى تنشىء*** الأمجاد في ساعد الضحى المطمئن

وعلى هديها صدى النغم الثائر*** تنساب في جلال ويمن

يا رمال الصحراء قد طوى الجذب*** و منيت بالربيع الاغن

هدم الجور يوم (مبعث) طه*** فانظريه كيف استعد ليبنى

ثم ماذا عما أفاد (أبوجهل)*** وماذا من (حققد) اليوم نجني؟

ثمر الشوك ان تعود المجاني الحمر*** من قطفه بأخيب ظن !!

رددي يا حناجر البيد تغريدي*** فقد غص بالجلال نشيدي

لا طواك التاريخ يا يوم (بدر)*** فلقد كنت - لو وعى - يوم عيد

همسات النبي للنفر البيض*** على (غيرهم) هدير الرعود

وصلاة الصحاب تتلى حوالبه*** على سمعهم صليل الحديد

أرأيت الايمان يرتجل الرعب*** ليقوى به هزال الجنود؟؟

هذه ساحة الوغى... فتأمل*** كيف تعنو القنا لزهو الجريد؟

كيف تطوى (الراية الحمد) في كف*** (علي) مزوّقات البنود؟!

أين زهو الوجوه من (عبد شمس)؟!*** طويت في الثرى رفاق الخدود

واستلان المدل (بالمرتقى الصعب)*** لراع من هؤلاء (العبيد) !!

أين منا أيام بدر فقد عادت «قريش»*** لكن بزهو جديد !!

يا رسول الايمان قد طفح الكأس*** وضافت ، بما تسر الضلوع

قد أضعنا إيماننا وهو لو نعلم*** أقتسى - في يومنا - ما نضيع

نترجى أيام بدر وهيئات*** (لماض من الزمن رجوع)

قد لبستم ذلّ القيود ولكن ***أسفر الصبح وهي - منك - دروع

وحملتكم جذب الحياة لتتهتز ***رمال الصحراء وهي ربيع

ص: 198

غيرأنا نحطم (القيد) أحياناً*** لأن القيد الجديد (بديع) !!
ونحيل الصحراء أيكاً من السحر*** ولكن... ثمارهن الجوع !!
ثم ماذا...؟

مأساتنا أن يقول:(البعض) : لا بد للأسير الخضوع !!
ويك ان الاسلام ما كان**** إلا نفر، جلهم أسير تبع
ثم قامت به قيامته الكبرى*** فقرت في السند منه الجموع
يا رسول الايمان أنا وجدنا الدهر*** شيخا عن رشده يتماهى
ذكرت نفسه هو (الليلة الحمراء)*** فارتد بالضلال غلاما
باحثاً في القرون عن هبل الأعلى*** ليعطيه من بنيك زماما
قتلت محنة العقول... فقد عادت*** بقومي لتعبد الأصناما
واستدارت إلى (اليسار) وقد*** كانت، إذا انشقت الطريق أماما
عذرکم : أننا حلمنا خطايا الفقر*** والجهل، والغنى، أعواما
تحت (عرش) للأجبنى تهاوى*** بين عيني مؤيديه حطاما
ثم عاد البيت الكريم لأهليه،*** كما كان منعة وسلاما
وحسبتم في (حمرة) الأفق الشرقى*** (فجرا) ينير عنه الظلاما
فدعوتم له وإن كان ناراً*** حجبت في دخانها الاسلاما !!
يا دعاة اليسار لو حكم العقل*** لكنتم في (الجهتين) عبيدا
لست أرض للحر في القيد أن يسأل*** هل كان فضة أم حديد !!
رقة الثوب في المشوهة البلهاء*** لم عطاها الجمال الفريدا
قد نشأنا عبيد (قوم) أشداء*** نواياهم تكشفن، سودا
أفنجيا لكي نعيش عبيداً*** (النوايا) ضربن عنا سدودا؟

حاربوا الرق، والتعاسة والكفر *** وكونوا لإمام الزمان حقاً جنوداً

ص: 199

قالوا أرب الكوخ يصبح شاعراً*** ويصيغ نظم قلاند من جوهر
وعليه وحي الشعر يهبط زائراً*** عند المساء وفي الصباح المسفر
ويطير في جو الخيال محلقة*** ويرى بدار الخلد سبعة أنهر
من حولها جنات عدن أشرقت*** أنوارها وزهت بأجمل منظر
تختال حور العين في حلل البهائم*** مثل الكواكب حول نهر الكوثر
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد*** ونسيمها مسك ونشر العنبر
فيها رجال الله يسطع نورهم*** بالشكر بين مهلل ومكبر
فيعود والتقوى تنير فؤاده*** اهي الجبين ببهجة المستبشر

من علم الأمي نظم قصائد*** معطارة تزهو بنظم الجواهر
ما كان من علم العراق مزوداً*** كلا ولا من جامعات الأزهر
لكنما نور المعارف منحة*** يزهو بطلعته لكل مفكر
والكوخ لا يزري بأصحاب الحجى*** والقصر لا يأتي بعقل نير

فأجبتهم ان النبي محمداً*** خير الورى من مرسل ومبشر
الصادق الحر الأمين وصاحب*** الخلق العظيم بحكمة وتبصر
قد حل وسط الغار يعبد ربنا*** يدع المهيمن في دعا المستغفر
متزماً متدثراً بردائه*** في الغار بين مسيح ومكبر
حتى أتاه الوحي من عليائه*** قم يا محمد في البرية وأنذر
وادعُ الأنام من الضلال إلى الهدى*** وارسم نهج الحياة ونور
واتل أحاديث الأولى عبراً لهم*** عظمهم بآيات الكتاب وذكر

فأتى بقرآن السماء وشرعه*** قانون نهج الحق غير مغير

وأقام من دنيا العروبة أمة*** ظهرت على الدنيا بأعظم مظهر

ص: 200

نعتز في إسلامنا وكتابنا*** ورسولنا الهادي البشير المنذر

وشريعة عربية مدنية*** منها استنار الكون كل تنور

صلى عليه الله في ملكوته*** والآل والأصحاب كل مطهر

أمحمد يا خير من وطىء الثرى*** وأعز مبعوث لأكرم معشر

انظر لأمتك التي رفعت لها*** أيديك مجدداً فوق هام المشتري

علمتهم فضل التآخي فارتقوا*** بعلاك عرش الكسروي والقيصر

بسطوا على الشرق العظيم يمينهم*** وشمالهم غرباً بحد الأبر

قد ضيع الأبناء ما بنت الأولى*** وجمعهم لعبت يد المستعمر

هذي فلسطين الأسيرة عبء*** نهب العدو لبائع والمستعمر

وتئن من ظلم اليهود وتشتكي*** والمسلمين بمسمع وبمنظر

شغلتهم الأطماع في دنيا الهوى*** كل بواجبه كأن لم يشعر

هل تجمع الأيام وحدة صفهم*** ويعود ماضيهم بنصر أكبر؟

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)(1).

لقد تقدم الحديث في الجلستين المتقدمتين حول أنّ هذه الآية الكريمة نزلت في سياق الآيات الخاصة بعروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانها دالة على وقوع المعراج وثبوته الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما بينا أيضاً من خلال الحديث المتقدم وأثبتنا بالأدلة العقلية والنقلية ثبوت المعراج بما لا مزيد عليه، وأوضحنا أيضاً كيفية عروجه

(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السماء.

وهنا في هذه الجلسة المباركة والمعقودة أيضاً لنفس الذكرى المشار إليها في الجلستين المتقدمتين الخاصتين بالمعراج ينبغي لنا أن نستفيد من خلال هذه

ص: 201

الأولى : الحديث حول مسألة عدم جواز رؤية الله والردّ على من يقول بجواز رؤيته تعالى استناداً إلى الآية الكريمة المشار إليها وهي قوله تعالى : (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى)فإن بعض الجهلة قد تمسكوا بهذه الآية وآيات أخرى معها وقالوا بإمكان رؤية الله تعالى وإنّ النظر إليه ، جائز ، وقالوا : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)قد رأى الله تعالى بعينه ليلة المعراج ولا بد لنا من ردّ هذه الشبهة الباطلة والعقيدة الفاسدة ونثبت بالأدلة العقلية والنقلية بأن رؤية الله تعالى لا يمكن أن تكون لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والفائدة الثانية : هي مسألة أنه يجب علينا أن نفهم السبب الذي من أجله قد وقع الاختلاف في بعض مسائل الأصول والفروع عند المسلمين ويعد ذلك نعمل على إزالته وتحمل دعوة المسلمين الى التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأن يكونوا ملتزمين في تفسير الآيات التي يتردد الذهن فيها بين معنيين بالتمسك بما جاء عن أئمة أهل البيت في ذلك لكي لا يقعوا في المزالق من جهة، ولكون أن أئمة أهل البيت لا أعلم وأدرى من الأمة بما هو الصحيح من جهة أخرى في المسائل التي وقع فيها الاختلاف.

وها نحن نشرع في الجواب عن المسألة الأولى : (عدم جواز رؤية الله)وبعبارة أخرى : نشرع في بيان الأدلة العقلية والنقلية على عدم جواز رؤية الله تعالى لا- في الدنيا ولا في الآخرة، نشرع في بيان الأدلة بما يلي فنقول : اختلف المسلمون في جواز النظر الى الله تعالى، قال الشيعة الامامية الاثنا عشرية والمعتزلة وأهل التنزيه من الأشاعرة باستحالة النظر الى الله تعالى ورؤيته، وقالت بقية الأشاعرة والمجسمة : بجواز النظر إليه تعالى واستدلوا على ذلك بالآية المشار إليها في افتتاح الجلسة وهي قوله تعالى : (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) وقوله تعالى حكاية عن النبي موسى : (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) وقوله تعالى : ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) وقال هذا الفريق : إن رؤية الله تعالى لو كانت ممتعة لما سأل موسى ربه أن يمكنه من النظر إليه ، ولما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله قسم الرؤية والكلام بين النبيين، فقسم الكلام لموسى والرؤية لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا : إن معنى قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) واضح في أنّ المؤمنين يوم القيامة يرونه في الجنة.

وردّ الشيعة الامامية على هذا الفريق بأدلة قاطعة ، أبطلوا ادعاءهم عقلاً ولغة وشرعاً ، وأثبتوا جهلهم لفهم القرآن الكريم ومعانيه البليغة وصدعوا بما يكفي من الاستدلال على بطلان ما ذهب إليه بعض الأشاعرة ، والمجسمة والذين يقولون بجواز النظر الى الله تعالى بما يلي: أولاً: إن جواز رؤية الخالق، يجعله في عداد الممكنات والموجودات المتحيزة ، له شكل وصورة وأبعاد وشعاع ومكان وجهة، وبالتالي له جسم كالأجسام.

ثانياً: إن النظر في اللغة لا يطلق على مجرد الرؤية، لأن النظر لو صدق على معنى الرؤية بالذات لتحققت الرؤية بمجرد النظر الى الشيء، فالانسان قد ينظر إلى الشيء ولا يراه، إن كان مشغول الفكر والبال ، وقد يقصد الانسان النظر إلى شيء لا يراه ، ولو كان مجرد النظر يفيد الرؤية لما النظر يفيد الرؤية لما صح قولك: نظرت إلى الهلال فلم أراه ، أو دقتت النظر في الهلال طويلاً فلم أراه ثم رأيت ، وصح ذلك لجواز أن تقول: رأيت الشيء فلم أراه، فالنظر لم يكن غاية في ذاته وإنما هو وسيلة لدرك الغاية التي هي الرؤية .

ثالثاً: إن النظر لم يكن حقيقة في الرؤية ولا- الرؤية حقيقة في النظر، لأنّ النظر إن تعلق بالعين أفاد طلب الرؤية، وإن تعلق بالقلب أفاد المعرفة. فالنظر لم يختص بالمشاهدة البصرية فحسب وإنما يطلق على أمور كثيرة :

منها: الادراك والاستدلال، والتعمق في الفكر، والرعاية، والعناية والادارة

كقولك : دقت النظر في الأمر. وأعد النظر في الأمر، لو نظرت في الأمر جيداً لأدركت المقصود ، لا يزال الأمر قيد النظر، اجعل عليّ نظرك، جعلتك ناظراً على أولادي وأملاكي.

فالنظر في كل ذلك لا يدل على المشاهدة - البصرية - والرؤية بالعين وإنما يفيد معاني مختلفة ومقاصد أخرى.

رابعاً : إن الرؤية بالبصر، وقد تقدم شرح تركيبه، تتوقف على سلامة جهاز العين، فالعين لا تدرك ولا تبصر إلا صور الموجودات التي تنعكس على عدستها، فما لم يكن له جسم لم تكن له صورة، وما لا صورة له يستحيل انعكاسه على عدسة العين، لأن الصورة ما هي إلا أشعة تنبعث من الأجسام، فما لا جسم له لا صورة له. وعلى هذه القاعدة لا يمكن للمواد المجردة أن تُرى كالطاقة الكهربائية، وذبذبة الصوت، لأنها مجردة عن المادة الجسمية ولا صورة لها، فإذا كانت الأجسام المجردة الممكنة المخلوقة لا يمكن رؤيتها، فكيف يمكن رؤية واجب الوجود الخالق لكل الموجودات !!؟

كما إن واجب الموجود منزّه عن المادة والشكل والصورة والتحديد والابعاد، لا شبه له ولا نظير وهذا ما لا يخفى على من تتبع كتب علم الكلام وأقوال العلماء والحكماء العارفين في ذلك.

خامساً : إن الرؤية والنظر كما يقول العلماء والمتخصصون : يتوقفان على أمور ثلاثة :

الأول - عدم البعد المنافي بين الرائي والمرئي.

الثاني - عدم القرب المفرط بين الرائي والمرئي.

الثالث - وجود الشعاع المنبعث من جسم المرئي الى الرائي .

ولقد أفاد علماء الكلام من أن تحديد واجب الوجود لذاته بالقرب والبعد المكاني والزمني ممتنع عليه لأنّ تحديده بالبعد والقرب يجعله جسماً متحيزاً في

سادساً: إن الشيء المرئي مما تصح إليه الإشارة - بهذا وذاك - ومن مستلزمات الإشارة تحديد المشار إليه وحصره في جهة معينة، وإن حصر واجب الوجود في المكان ممتنع عليه، لأنه موجود في كل مكان، ولا يخلو منه مكان، والإشارة إليه - بهذا وذاك - تجعله من الأشياء التي تصح إليه الإشارة، وإن الله تعالى منزّه عن ذلك.

هذا ما ذهب إليه الشيعة الامامية الاثنا عشرية، واعتقدوا جازمين بأن لا يجوز النظر بالعين إلى الله تعالى، ولا يمكن رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة. وردوا على أدلة القائلين بجواز رؤية الله تعالى وقالوا إن ما استند إليه الذين أجازوا رؤية الله في الدنيا والآخرة من الآيات المذكورة يخالف مفهوم تلك الآيات وتفسيرها الصحيح الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

ومن هنا لا بد لنا من الإشارة إلى تفسيرها والردّ على من زعم أنها دالة على جواز رؤية الله تعالى وإليك ذلك فيما يلي:

الآية الأولى: (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى) لقد تصدى للرد على من زعم أنها دالة على جواز ذلك - الامام الثامن من أئمة الشيعة الامامية الاثني عشرية، أبو الحسن علي بن موسى الرضا وأثبت بأسلوب بليغ ان ما رآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو آيات الله تعالى لا إله إلا الله تعالى بعينه والعياذ بالله من هذا القول .

ففي كتاب التوحيد من أصول الكافي، ان صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قرة المحدث أن أدخله على الامام الرضا فاستأذنت الامام في ذلك فأذن لي فأدخلته عليه، فسأل أبو قرة الامام على الحلال والحرام حتى بلغ التوحيد، فقال أبو قرة للامام (عليه السلام): إنا رؤينا أنّ الله تعالى قسم الكلام والرؤية بين النبيين فجعل الكلام للموسى (عليه السلام) والرؤية لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال الامام: فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين من الإنسن والجن انه تعالى

لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء؟

أليس هو محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قال أبو قرة: بلى.

فقال الامام(عليه السلام): كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاز من عند الله تعالى يدعوهم بأمر الله تعالى، ويقول: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثله شيء، ثم يقول: إني رأيت الله تعالى بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟!!!

قال أبو قرة: إن الله تعالى يقول: ولقد رآه نزلة أخرى - قال الامام(عليه السلام): إن ما

بعد هذه الآية يدل على ما رأى محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال الله تعالى - ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى - أي ما كَذَبَ فُؤَادَ مُحَمَّدٍ(صلى الله عليه وآله وسلم) ما رأى، ثم أخبر الله تعالى بما رأى محمد - فقال - تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى، فأيات الله تعالى غير ذات الله تعالى، وقد قال الله تعالى - ولا يحيطون به علماً، فاذا رآته الأبصار فقد أحيط به علماً..

قال أبو قرة: أفتكذب الروايات؟! قال الامام(عليه السلام): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وقد أجمع المسلمون على انه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء فتدبر.

الآية الثانية: قوله تعالى: (وَجُودٌ يُؤْمِنُهَا صِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

وهذه الآية الكريمة التي استند إليها القائلون بجواز رؤية الله تعالى لا يمكن أن يكون دليلاً على جواز النظر البصري الى الله تعالى، وذلك إن من عرف لغة العرب أو درس قواعدها وجد هناك قاعدة شائعة الاستعمال تقوم على حذف المضاف وقيام المضاف إليه مكانه وقد ورد الكثير منها في القرآن الكريم - منها قوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) فالسؤال لم يرد من أحجار القرية وبيوتها ولا من العير المتكوّن من الجمال والبغال والحمير، لأن هناك كلمات مضافة حذفت من الآية وقام المضاف إليها مقامها، حذفت من الآية

الكريمة - واسأل القرية- المضاف وهو كلمة الأهل والأصحاب، وقامت كلمة القرية والعيير، مقامها، وعلى هذه القاعدة يكون معنى الآية الكريمة: وأسأل أهل القرية التي كنا فيها، واسأل أصحاب العير وركابها، لأن السؤال لا يقع على غير من يعقل ومنها قوله تعالى :

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَمْصَمًا) أي جاء أمر ربك فحذفت كلمة أمر وقامت كلمة ربك ، مقامها، وهكذا في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي أولياء الله لأن الأذى لا يقع على الله تعالى.

فالآية الكريمة (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) نزلت في وصف المؤمنين في الجنة من أن وجوههم مسرورة فرحة نصره، تنظر الى ما أنعم الله عليهم من الخيرات، حذف على القاعدة المذكورة المضاف وهو النعم والخيرات وقامت كلمة ربها المضاف إليها مقام المحذوف، والمعنى في الآية : وجوه يومئذ ناضرة أي مسرورة منعمة، وهي إلى نعمة ربها، ناظرة، أي تنظر إلى ما أنعم الله عليها .

يقابل هذا الوصف وصف أهل النار في الآية التي أعقبت هذه الآية : (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ تَضْحَكُونَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أي ان وجوه أهل النار كالحة عابسة ينتظرون ما يظنون أن يفعل بهم من العذاب ما يكسر ظهورهم، ومثل هذا الوصف جاء في آية أخرى وهي (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) وهي ما وصف الله تعالى به وجوه المؤمنين في يوم القيامة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلِيهَا غَبْرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ) إن الآية الكريمة لا تدل من قريب أو من بعيد على إمكان النظر الى الله تعالى وأنها لا تدل على أن المؤمنين في الجنة يرون الله بعيونهم .

الآية الثالثة : ومما استدلل به القائلون بجواز رؤية الله تعالى الآية المشار إليها فيما تقدم - قوله تعالى : (رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) فانهم زعموا أن موسى لو كان يعلم بأن الله لا يرى لما طلب منه الرؤية، وليس في الآية الكريمة دلالة على مدعوه في ذلك وقد ردّ علماء الشيعة الامامية والقائلون بنفي رؤية الله تعالى واستحالة النظر اليه بأدلة كثيرة نذكر منها ما يلي :

أولاً - إن الآية الكريمة تنفي الرؤية صراحة نفيًا فاطعاً - بقوله تعالى: (لن تراني) و - لن - إذا دخلت على فعل المضارع تفيد التأييد كما يقول علماء اللغة العربية .

ثانياً - إذا كان بالامكان رؤية الله كيف يعلق الله رؤيته على أمر مستحيل وهو استقرار الجبل الذي أراد منه أن يتدكدك، وإذا قضى الله أمراً قال له كن فيكون. ولو جاز رؤيته لما علقها على أمر مستحيل.

ثالثاً - إذا كان بالامكان رؤية الله تعالى لتجلى لموسى وقومه لا للجبل الذي لم يطلب منه الرؤية .

هذا إذا فرضنا جدلاً أن طلب الرؤية كان من موسى وانه كان يجهل استحالة النظر إلى الله تعالى والعياذ بالله أن يكون النبي جاهلاً لذلك، أما والطلب لم يكن من موسى وإنما أوقع الطلب بالحاح من قومه عليه أن يريهم الله جهرة، وقد شهد الله تعالى بأن موسى كان واسطة الطلب والمحمول جبراً عليه من قبل قومه كما في قوله تعالى : (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَسَدِّقَاتٌ مُبِينَاتٌ) (1)، وقوله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (2)

ص: 208

1- سورة النساء : 152.

2- سورة البقرة : 52.

هاتان شهادتان من الله تعالى تنفي عن النبي موسى (عليه السلام) ، أن يكون طلب الرؤية من نفسه وفيها الدليل الواضح لا على عدم إمكانية رؤية الله تعالى فحسب : بل ان الذين أجازوا النظر اليه كانوا من الظالمين الذين يجب عقابهم واعتبر الله طلبهم ظلماً هو أشد من عبادة العجل لأنّ الذين عبدوه ثم تابوا وتخلوا عن عبادته عفى الله عنهم ولم يعاقبهم في الدنيا بالرجفة أو بنزول الصاعقة عليهم، وحيث انتفى طلب الرؤية من موسى (عليه السلام) بطل دليل القائلين بإمكان رؤية الله تعالى وثبت ان موسى (عليه السلام) كان من أول المؤمنين باستحالة رؤية الله تعالى .

رابعاً - لو كان موسى (عليه السلام) يرى إمكان النظر الى الله تعالى ومشاهدته بالعين المبصرة لطلب من الله تعالى أن يريه نفسه في أول مناجاة له من قبل مع الله تعالى كما جاء في الآية الكريمة (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمُ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (1)) وكان ذلك قبل أن يبعثه الله تعالى إلى فرعون وقومه يدعوهم الى عبادة الله تعالى .

خامساً - ان ما حدث بعد التجلي للجبل يفسّر لنا معنى التجلي وهو مجرد صدور الأمر من الله تعالى الى الجبل أن يتدكدك وينهد ويتزلزل من مكانه ليعاقب السفهاء من قوم موسى الذين طلبوا منه أن يريهم الله تعالى جهرة.

الفائدة الثانية : ونستفيد أيضاً خلال هذه الذكرى بفائدة أخرى وهي مسألة أسباب الاختلاف بين المسلمين في هذه المسائل التي تعتبر من اصول الدين، أو بالأحرى لماذا اختلف المسلمون في هذه المسائل وغيرها من امور دينهم ودنياهم ؟

ولكي يتجلى لنا معرفة ذلك بوضوح نبين ما يلي فنقول : ان السبب الوحيد

ص: 209

1- سورة القصص : 30.

في اختلاف المسلمين بالنسبة إلى بعض المسائل في الأصول والفروع ناشيء من سوء الفهم بالتفسير الصحيح للآيات القرآنية الكريمة سوافي في هذه المسألة أو غيرها من المسائل المختلف فيها لأنّ بعض الآيات متشابهات وبعضها محكمات والضال في المذهب يحتج بالمشتبهات على مذهبه ومسلكه معتقداً بصحة ذلك بينما يرد العالم المهتدي مسلك الضال بالآيات المحكمة كما رأيت من خلال البحث كيف أنّ الامام الرضا عليه الصلاة والسلام قد رد تلك الآيات التي تمسك بها القائلون بجواز الرؤية بآيات أخرى محكمة مثل قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) .

قال الحكيم الفيلسوف الدمستاني البحراني رضوان الله تعالى عليه ولنعم ما قال :

ألا ترى القرآن يحتج به*** من اهتدى وضل في مذهبه

ومن هنا يجب على المسلم أن يلتزم بمذهب أهل البيت (عليه السلام) في المسائل التي هي محل خلاف بين المسلمين لكي تبرأ ذمته في القول والعمل والاعتقاد، لأنّ أهل البيت (عليه السلام) هم منار الهدى وأعلام التقى وباب حطة الذي من دخله كان آمناً وقد أمر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بهم بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي ، فان اللطيف الخير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وقد قال أمير المؤمنين في حقهم هم أساس الدين وعماد اليقين.

وقال في موضع آخر: هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق الى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاه قليل.

فإذا تجلى للمسلم الملتزم بدينه ما ذكرناه لا يرتضي غير مذهب آل محمد

بدلاً ، فالأخذ بقولهم والتمسك بهم في القول والعمل والاعتقاد هو معنى الاعتصام كما في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) أي لا- تخالفوا أهل البيت فتهلكوا لأنهم يهدونكم إلى الحق ، والذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، فالاعتصام بحبل الله اعتصام بهم، والاعتصام بهم اعتصام بحبل الله وفقنا الله وعامة المسلمين لطاعتهم والتمسك بهم والثبات على ولايتهم والبراءة من أعدائهم إنّه سميع مجيب.

وأما بالنسبة إلى الشؤون الأخرى من حياتنا فعلينا الالتزام بالتعاون والتعاقد، والوقوف صفاً واحداً في وجه العدو المشترك : الاستعمار وريبيته إسرائيل، هذه الشوكة الدامية هي وحدها السبب الأول لإثارة الفتن والقلاقل في كلّ بلد عربي، فما عرف العرب والمسلمين الهدوء والاستقرار منذ أن غرس الاستعمار هذه الشوكة في قلوبنا ... ومحال أن يرضى الاستعمار لنا الهدوء والاستقرار، ما دام على أرضنا شيء اسمه إسرائيل.

إنّ الاستعمار ليعلم حق العلم أنّ بقاء إسرائيل رهن بتشتيتنا وتفتيتنا، فعمل لذلك بكلّ سبيل ... فهل يجوز بعد هذا أن نتصارع ونتنازع...؟

هل يجوز بعد هذا أن يكيل بعضنا لبعض التهم جزافاً، ويغير حساب المؤمن المتدين رجعي وعميل عند فئة، والناقم على الأوصاح الفاسدة فوضوي هدام عند أخرى، والساكت المتجاهل انغزالي عند الطرفين. ولا يرضى عنك لا هؤلاء ولا هؤلاء حتى تتبع ملتهم، وما أنت بتابعها، ولا هم بتابعيك ولا بعضهم بتابع ملة بعض

ونصيحة الله أن لا- تحاول إرضاء الناس، لأن إرضاء الناس كلّ الناس محال... ولكن اجعل شعارك قول الرسول الأعظم عل الله : «إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي» وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : «صانع وجهاً واحداً يكفيك الوجوه كلها».

وليكن دافعك لكل عمل إسلامي دافع قرآني إلهي بحت يهدف إلى التوجيه

والتوعية الدينية الصحيحة الخالصة ، لا شائبة فيه للسياسة الباطلة، ولا لموازرة فئة ضد فئة ، ولأَيِّ غرض من الأغراض الشخصية والغايات الحزبية.

وما نحن والسياسة الباطلة والمسوس ما نحن والأحزاب والمتحزبون.. نحن سفراء الله في أرضه نستمد النور والهداية من زيتونة مباركة لا شرقية ولا غربية ... نحن حزب الله وحده لا للديمقراطيين ولا الاشتراكيين ولا لغيرهم نحن إلهيون ربانيون نؤيد الحق أينما كان ويكون امتثالاً -لأمر الله، وميثاقه الذي أخذه علينا: «وإذ أخذَ اللهُ ميثاقَ أهلِ الكتابِ لَتَبَيِّنَهُ للناسِ ولا تَكْتُمُونَهُ» لا نكتمه أبداً ولو كره المشركون والمتحزبون . وأهم ما ينبغي لنا معرفته ونحن نجدد الاحتفال في هذه الجلسة المباركة بذكرى معراج النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا أن نتساءل: من هذه المسماة بإسرائيل : هل هي دولة حقاً ، أو أنها أبعد ما تكون عن معنى الدولة في حقيقتها رغم الضجيج والعجيج ؟

وقد أجاب الله تعالى عن هذا التساؤل قبل وجود إسرائيل بأربعة عشر قرناً على التقريب، وبين سبحانه في كتابه العزيز أنّ إسرائيل هذه ليست دولة بما لهذه الكلمة من معنى، وإنما هي شردمة من الأشرار تجمعوا من هناك وهناك، والفوا عصابة للسلب والغصب بمساندة فئة من الناس لأنّ الدولة بمعناها الصحيح هي التي تعتمد في وجودها واستمرارها على حولها وقوتها وثروتها وهيبتها، لا على قوّة الإستعمار وماله وسلاحه وكلنا يعلم أنّ الإستعمار هو الذي أوجد إسرائيل، وأنه ما زال يظاهاها بالمال والسلاح، وأنه لو تخلّى عنها لحظة واحدة لتخطفها العرب، وتلاشت من الوجود، ومعنى هذا في حقيقته وواقعه أنّ إسرائيل ليست بدولة، وإّما هي مظهر من مظاهر الإستعمار الغربي، وأثر من آثاره، وبقيته الباقية في بلاد العرب ولكن مستحيل أن يستمر الإستعمار ويدوم، كما رأينا وكما سنرى وإنّ لناظره قريب.

ومن هنا كان القرآن الكريم عليماً ودقيقاً في قوله: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ

أَيُّنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .

إنّ الذلّة والمسكنة وحبل من الناس في هذه الآية الكريمة إخبار بالغيب عمّا حصل لإسرائيل بعد نزول القرآن الكريم بمئات السنين، وإشارة واضحة صريحة إلى استجداء المساعدات التي يتصدّق بها الإستعمار على إسرائيل، وأيّ ذلّ ومسكنة أعظم من العيش على التسول والصدقات ؟

أما حبل الله في هذه الآية فهو إشارة صريحة أيضاً إلى أنّ الله سبحانه قد تركنا والجهد مع إسرائيل، ولم يردعها بقدرته القاهرة على طريقة كُنْ فَيَكُونُ . لأنّ الله جلّ وعلا قد دعاء الناس إلى العمل بإرادتهم واختيارهم، وأمرهم بالجهد والتضحية لنصرة الحق على الباطل ... ومحال أن يكون المراد بحبل الله مساعدة اليهود ومناصرتهم، كيف وقد وصمهم بالذلّة والمسكنة، وبغضب منه بما عصوا وكانوا يعتدون .

وأدرك الإستعمار هذه الحقيقة وأنّ وجود إسرائيل لا يقوم على أساس من حولها وقوتها بل الصدقة والتسول، وأن بقاءها رهن بتشتيتنا لابتعاد الإستعمار وصدقاته بالغة ما بلغت وأنه متى اتحدت قلوبنا واجتمعت كلمتنا فلا يبقى له ولا لربيته عين ولا أثر أدرك الإستعمار هذه الحقيقة وخاف أن يأتي اليوم الذي تجتمع فيه الصفوف وهو آت لا محالة إن شاء الله تعالى وسترون .. خاف الإستعمار من هذا اليوم هذا اليوم، يوم الفصل والحساب، فراح يخوّفنا من الشرك والإلحاد رفنا عنه وعن إسرائيل، وهو المشرك الملحد، الخائف من ثورتنا وقوتنا وتوحيد كلمتنا خائف من السدود تقام على مياها خائف من المصانع تبنى في أرضنا، خائف من المعاهد تشاد لأبنائنا، خائف أن نطمئن على عيشنا وغدنا، فنثور على الظالمين والمستغلين والمستعمرين ..إنّه يريدنا أن نستمر في الجهل والفقر، والتمزيق والتفريق، ليستمر هو بدوره في استغلالنا ونهب مقدراتنا واحتكار أسواقنا، وإذلالنا باحتلال فلسطين، واغتصاب أرضها، وتشريد شعبها...

وعليه لا بد لنا من التعاون والتكاتف جميعاً لدرء خطر العدو المحقق بنا.

ولنا من عظمة ديننا، وقوة شريعتنا، ومجد تاريخنا، وإخلاص المخلصين من علمائنا، ووعي الطيبين من شبابنا ما يعصمنا عن الشرك والإلحاد، وعن الفلسفات المادية والقوانين الرجعية .

فلا بد لنا من التعاون والتكاتف من أجل رفع الخطر عن الاسلام والدفاع عن مقدساته فإنه بحاجة ماسة الى درء الخطر عنه خصوصاً في هذه الآونة التي نعيشها من حياتنا نجد كيف ان الشرق والغرب قد اجتمعوا على محو الاسلام وإزالته من الوجود غير أنهم (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) . فعلينا أن نعاهد الله تعالى ونحن في هذه الجلسة المباركة وبمناسبة هذه الذكرى المباركة أن نعمل على توحيد الصفوف وازالة الخلافات القائمة بيننا إن شاء الله تعالى، وختاماً لهذه الجلسة المباركة لا بد لنا أيضاً ونحن نعيش الفرح والمسرات بمناسبة معراج نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نعطر أفواهنا وأسماعنا بذكر مديحه والصلاة عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ، ثم بعد ذلك نظهر قلوبنا ونفوسنا ونغسل ذنوبنا بما نجريه من دموعنا في مصيبتة ومصيبة ابنته الزهراء وسبطه سيد الشهداء عليهم الصلاة والسلام أجمعين :

يا صاحِبَ القَبْرِ المُنِيرِ يَشْرَبُ *** يا مُنْتَهَى أَمَلِي وَغَايَةَ مَطْلَبِي

يا مَنْ بِهِ فِي التَّائِبَاتِ تَوَسَّلِي *** وَإِلَيْهِ مِنْ كُلِّ الحِوَادِثِ مَهْرَبِي

يا مَنْ نُرَجِيهِ لِكَشْفِ عَظِيمَةٍ *** وَلِحَلِّ عَقْدٍ مُلْتَوٍ مُتَّصِعِ

يا مَنْ يَجُودُ عَلَى الوجودِ بِأَنْعَمِ *** خَضِرَ تَعَمَّمِ عَمُومِ الصُّوبِ الصَّيْبِ

يا غَوْتٌ مَنْ فِي الخَافِقِينَ وَغَيْثُهُمْ *** وَرَبِيعُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ مُجَدِّبِ

يا رَحْمَةَ الدُّنْيَا وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا *** وَأَمَانَ كُلِّ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبِ

يا مَنْ نُؤَمِّلُ مِنْهُ كُلَّ كَرَامَةٍ *** وَتَلُوذُ فِي حَرَمِ الجَنَابِ الأَغْلَبِ

يا مَنْ نُنادِيهِ فيسَمِعُنَا عَلَيَّ *** بَعْدَ المَسَافَةِ سَمِعَ أَقْرَبِ أَقْرَبِ

يا مَنْ هُوَ البِرُّ التَّقِيُّ المنتقى *** سِرُّ السَّرَاةِ طَيِّبٌ مِنْ طَيِّبٍ

يا مَنْ سَرَى مِنْ مَكَّةِ للمسجد الأقصى *** عَلَى ظَهْرِ البِراقِ المنجِبِ

يا مَنْ تَلَقَّتْهُ ملائِكَةُ السَّمَا *** بَخْطابِ أهلاً بالحبيبِ ومرحب

يا مَنْ تَنَاهَى فَوْقَ سِدْرَةِ مُنْتَهَى *** لِعِنايَةِ سَبقتِ وَحقِ موجبِ

يا مَنْ يَحِبُّ العرشَ والكرسيَ إذ *** نُودِي لِقُربِ فَاقِ كُلِّ مُقَرَّبِ

إِنْ كانَ رايَتِكَ الرِفيعةُ في العُلَى *** مَنْصُوبَةٌ فالفعلُ فَعَلُ تَعجِبِ

الحُجُبُ تُرْفَعُ والجَهاتُ أَنيسَةٌ *** والمُجْتَبَى يَغشاهُ نُورُ المَجْتَبَى

وَلِسانُ حَالِ الوَصْفِ يَهْتَفُ قائلاً *** ما نازلَ بِجَنابِنَا كالأجْنَبِيِّ

سَلِّ يا مُحَمَّدُ تُعْطِ وادِعُ تَجِبُ وَقُلْ *** تُسْمَعُ غَدَاةَ الحَشْرِ وادِنُ تَقَرَّبِ

وَلَكِ الوَسيلةُ والفضيلةُ فافتخرِ *** بِشَفاعةِ لِخِلاصِ كُلِّ مُعَذَّبِ

والرَّسُلُ تَحْتِ لواءِ عَزِّكَ في مَقامِ *** الحمدِ ذِي الحِوضِ الهَنِيِّ المَشْرَبِ

نعم، لقد أكرم الله تعالى نبيه العظيم بمكارم كثيرة لا تحصى وطلب إليه أن يسأله ما يريد يُعطي، فمن جملة تلك المكارم التي أكرم الله تعالى بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

«الشفاعة» فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) شفيع المذنبين، قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام) له (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرضه الذي توفي فيه : يا أبتاه إني أراك مفارق الدنيا . فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها : إني مفارقك يا بنية فسلام فقالت : يا أبتاه أين الملتقى يوم القيامة ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : عند الحساب . فقالت : فإن لم أرك هناك ؟ قال : عند الشفاعة لمحبيك ؟ قالت : وإن لم ألقك هناك ؟ قال عند الصراط جبرئيل عن يميني وميكائيل عن شمالي وبعلك علي (عليه السلام) أمامي ويده لواء الحمد والملائكة من خلفي ينادون: ربنا سلم أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من النار ويطر عليهم الحساب.

وفي الخبر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من شفاعته، وأن يرينا وجهه ويحشرنا في زمرة أنه

سميع مجيب، فمن لنا غير المصطفى في ذلك اليوم شفيع ؟ من لنا غير النبي وآله

الكرام في عرصات المحشر؟ ليس لنا غيره لأنه الزعيم في ذلك اليوم، قالت الصديقة سلام الله عليها: «فإنَّ الحَكْمَ اللهُ والزعيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)». إشارة إلى أن أمور المحشر يوم القيامة بيد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولكن لهفي لها عندما أغمى على أبيها ورأسه في حجرها انكبت عليه تنظر في وجهه وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه*** شمال اليتامى عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم*** فهم عنده في نعمة وفواضل

ولقد كانت مصيبتَه (صلى الله عليه وآله وسلم) كبيرة جداً على قلبها ويتجلى لك عظيم مصيبتَه عليها من مقطع خطبتها الشهيرة عندما تعرضت إلى وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي توبخ القوم في تلك الخطبة وتطالبهم بحقوقها وتبين لهم فداحة المصيبة وعظمتها. قالت (عليه السلام) في المقطع الشريف: «أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فخطب جليلٌ استوسعَ وهنَّه، واستتَهَرَ فتقَه، وانفلقَ رتقَه وأظلمتِ الأرضُ لغيبيته، وكسفتِ النجومُ لمُصيبتَه، وأكدتِ الأملُ، وحشَدتِ الجبالُ، وأضيعَ الحريمُ، وأزيلتِ الحرمةُ عندَ مماتِه، فتلَكَ وَاللهِ النَّازِلَةُ الكُبرى، والمصيبةُ العُظمى، لا مثْلُها نازِلَةٌ، ولا بانقةٌ عاجِلَةٌ، أعلَنَ بها كتابُ اللهِ جَلَّ ثناؤه في أفنيتِكُمْ في ممساکم ومصبحِكُمْ يهتَفُ في أفنيتِكُمْ هتافاً وصراخاً و تلاوةً وأحاناً ولقَبله ما حلَّ بأنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ حَكْمَ فَصل، وقضاءً حتم (وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فلَنْ يضرَّ اللهُ شيئاً وسيجزي اللهُ الشَّاكرينَ).

هذا المقطع الشريف يبين لنا كيف كانت مصيبة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) على قلب الزهراء (عليها السلام) من جهتين: الأولى: فقده (صلى الله عليه وآله وسلم).

والثانية: نهب حقوقها وحقوقه. ومن هنا كان حجم المصيبة كبير جداً وكأنني بها لما أن نظرت إليه وهو يوجد بنفسه الشريفة وعلمت أنها مصابة لا محالة بأبيها نادى بقلب حزين ودموع جارية:

شمس النبوة امكورة او بدر الهدى غاب*** ما صاب بالعالم مثل فقد النبي مصاب

أدى الرسالة او كابد الامة او جهلها*** ويدعوته وضح مناهجها او سبلها

كانت عن الحق عادلة او سيفه عدلها*** عزها او هبط راس كل جاحد ومرتاب

كل الدين او شيده خير البريه*** ومن جهل قومه شلون قاساها اذية

او يوم انقضى عمره اودنت منه المنية*** أوصى احفظوني بعترتي بعدي والكتاب

يا ويح قلبي من دني المحتوم منه*** اتهلhel جبينه بالعرق واخفت الوانه

السبطين يمه او كل ضلع منهم تحنا*** و تنحب البضعة والقلب من شوفته ذاب

تقله يبو ابراهيم فقدك فتت احشاي*** يا هو يسليهم عقب فقدك يتاماي

زادي او شربي يا حماي أصيح وانعاي*** ابيا عين أشوفنه عقب شخصك المحراب

فتح اعيونه او قرب السبطين يمه*** شم الحسن واحسين عند الصدر ضمه

اوصبت مدامعهم او حيدر هاج غمه*** او سمعوا بذاك الحال طارق يطرق الباب

قله يبو الحسنين اجا مرسول مولاك*** خله يجي يمي يحيدر والله واياك

سلم عليه واستلم روحه او هز الأفلاك*** شجبت عليه ام الحسن والدمع سكاب

تنادي يرب الشرع قلبي اشلون حالي*** لو عانيت من شخصك المحراب خالي

ويا هو على الكتفين يحملهم اطفالي*** بعدك حيوتي اتكدرت والعيش ما طاب

نعم، هذا بكاء الزهراء (عليها السلام) على أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولها بكاء آخر على ولدها الحسين عليه الصلاة والسلام كما ورد في الخبر أنها عليها الصلاة والسلام لها في كل يوم بكاء عليه لأنها تنظر إلى قميص ولدها الحسين عليه الصلاة والسلام وتشهق شهقة حتى يسكتها أبوها (صلى الله عليه وآله وسلم) قال المحدثون: ولم يزل هذا القميص مع الزهراء ولا ينفك عنها إلى أن ترد المحشر وهي آخذة بذلك المقيص المتلطف بالدم وقد تعلقت بقائم العرش وهي تقول: رب احكم بيني وبين قاتل ولدي الحسين عليه الصلاة والسلام.

كأنني بنت المصطفى قد تعلقت*** يداها بساق العرش والدمع أذرت

وفي حجرها ثوب الحسين مخرجاً*** وعنهما جميع العالمين بحسرة

تقول أيا عدل اقض بيني وبين من*** تعدى على ابني بين قهر وقسوة

أجالوا عليه بالصوارم والقنا*** وكم جال فيهم من سنان وشفرة

وقال شاعر آخر:

لا بد أن ترد القيامة فاطم*** وقيمصها بدم الحسين ملطخ

ويل لمن شفعانه خصمائه*** والصور في يوم القيامة ينفخ

جاء في البحار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمثل لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها في القيامة رأس الحسين صلوات الله وسلامه عليه متشطحاً بدمه فتصيح واولداه

واثمة فؤاده ، فتصعق الملائكة لصيحة فاطمة عليها الصلاة والسلام وينادي أهل القيامة : قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة، فيقول الله : ذلك افعل به وبشيئته وأحبائه وأتباعه، إلى آخر الحديث.

وفي خبر ثان : إنّ الزهراء سلام الله عليها في يوم القيامة ربّ أرني ولدي الحسين (عليه السلام) ، فيأتي النداء من قبل الله تعالى : يا فاطمة انظري إلى قلب المحشر ، فتنتظر فاذا الحسين عليه الصلاة والسلام قائم ليس عليه رأس وأوداجه تشجب دماً فتصيح فاطمة عليها الصلاة والسلام واولداه واحسيناه ثم تقول : يا عدل يا حكيم احكم بيني وبين قاتل ولدي الحسين عليه الصلاة والسلام، فيغضب الله تعالى لغضب فاطمة فيأمر ناراً يقال لها هبهب : التقطي قتلة الحسين (عليه السلام)، إلى آخر الحديث.

وفي خبر : ان الزهراء (عليها السلام) ترد المحشر في رعييل من الملائكة عن يمينها، ورعييل ثاني عن يسارها، ورعييل ثالث من خلفها، ورعييل رابع أمامها ثم يأتي النداء من قبل الله تعالى لأهل المحشر: غصوا أبصاركم لكي ترد ابنة حبيب محمد فتأتي وتتوسط قلب المحشر ويمثل الله تعالى لها جسد الحسين عليه الصلاة والسلام وهو بلا رأس، ثم تبكي ويبكي لبكاها الأنبياء والملائكة وجميع أهل المحشر، ثم تقول : يا عدل يا حكيم احكم بيني وبين من قتل والدي الحسين (عليه السلام) وكسر ضلعي وأسقط جنيني ونهب نحلتي وهجم داري وقاد بعلي وهي باكية حزينة ودموعها جارية، وترى الخلق في بكاء وعويل والمحشر متزلزل من بكائهم :

وتزلزل المحشر وقفت الزهرة الحزينة*** تنادي يربي القوم ضلعي كاسرينه

دخلوا عليه البيت عدواني اولفوني***قادوا عليّ بنود سيفه وسقطوني

ونحلة أبويه اتناهبوها واطردوني*** هجموا علينا بدارنا ولا راقبونا

وعفت الدنية عقب ما فتوا فادي*** وعمم كريم المرتضى سيف المرادي

وردوا عقب عينه وعيني على اولادي*** واحد قضى مسموم عندي بالمدينة

وضل العزيز حسين بين أوغاد سفيان*** وقاسي مصايب بعضها اتشيب الرضعان

وسافر لراضي كربلا وانذبح عطشان*** مرمي واخوته عن شماله او عن يمينه

انته يربي العالم بكل المصايب*** ضلت بناتي من عقب عينه غرايب

للشام ودوهن يسر بين الأجانب*** وابني علي بالقيد والغل ما حنينه

تبدي الشكاية والدمع بالخدّ مذروف*** بالحال ترفع طفل ابنها حسين ملفوف

وتصيح شيبني يربي يوم الطفوف*** شسوى الطفل من ذنب حتى يذبحونه

مهة عزيزي يا حكيم بسهم مذبوح*** وقلب الرباب من المصيبة صار مجروح

من شافته مغمض يعالج طلعة الروح*** او فتت قلوب الهاشميات بونينه

وتجرونه والخلايق كلهم وقوف*** تندب وترفع بيدها منديل ملفوف

رب انتقم لي من الذي قطع هالكفوف*** يأتي النداء والناس كلهم يسمعونه

منى بينت المصطفى طلبى الشفاعة*** واخذ بحقك من الطاغى ومن اتباعه

ومن الذي للدار حاكم بالجماعة*** ومن الذي قاد الوصي أروع بنينه

ومن الذي بالباب منك كسر ضلعين*** واللي طبع كفه على الخد وعلى العين

بشري بينت المصطفى يم حسن وحسين*** هاليوم وعد قطام وجعيدة اللعينة

هاليوم يا زهرا الوفا واقبل الميعاد*** ابخذ بحقك من بني امية وبني زياد

ومن الذي في كربلا عفر لك اولاد*** هذا العزيز انكان قصدك تنظريه

وتنظر العرصه والدمع يجري من العين*** واتشوف ابنها حسين من حوله النيين

بين الخلق واجف بلا راس وبلا ايدين*** واتصيح وشها الفعل يا بني فاعلينه

تصرخ بصوت ايززل العلم والافلاك*** والحوار وياها تصيح وجميع الاملاك

وتقول يا باجي البقية ما حضرناك*** السهم فات ولا حضرنا يوم جينا

وتعج جميع الرسل حتى آدم ونوح*** ويخاطبون المصطفى والمصطفى ينوح

الله يعظم أجرك إسبئك المذبوح*** او حيدر علي يبكي ويهل ادموع عينه

ص: 220

الجلسة العاشرة : في النبوة العامة ونبوة نبينا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

المبحث الثالث في النبوة*** فأحسن الأخذ له بقوة
مفهومها : بلوغ إنسان خبر*** عن ربه بلا توسط البشر
وهي على المدبر الحكيم*** واجبة بالنظر السليم
لأن خلق الخلق ذا أطباع*** مختلف داع الى النزاع
مع ابتناء عيشتهم في الأرض*** على انضمام بعضهم لبعض
فمست الحاجة في الأزمان*** الى رئيس نافذ السلطان
ولو تخيروه لم يصطلحوا*** ولو رضوا ببعضهم لم ينجحوا
العجزهم عن وضع شرع جامع*** وخلفهم في مقتضى الطبايع
فاقتضت الحكمة بعث الرسل*** ووضع شرع للأموال فيصل
مبصرين بالهدى والحكمة*** مسددين بالحجى والعصمة
مطهرين غاية التطهير*** عن كل وصف موجب السقير
آتين بالبرهان والدلالة*** على ثبوت مدعي الرسالة
وغاية التكليف تعريض الملا*** لأن يفوزوا بالمقامات العلا
فمن أطاع فاز بالثواب*** ومن عصى استحق للعقاب(1)

نبينا سيد ولد آدم*** محمد صفة كل العالم

ص: 221

للمرسلين فاتح وخاتم *** خلقا وبعثاً للأمر ناظم

نبى صدق ورسول حق *** زكى خلق وبهى خلق

لا شك في إرساله إلى الورى *** من ربه مبشراً ومنذراً

لأنه قد ادعى الرسالة *** وصدق الله له إرساله

فأظهر المعجز طبق المقترح *** وأسفر الحق لديه واتضح

فسبّحت ناطقة له الحصا *** وأورقت باسقة له العصا

والبدر شق والذراع انطقا *** والعين ردّ حيث سالت حدقا

وحنّ جذع يابس إليه *** وفاض عذب الماء من يديه

وجاء بالقرآن وهو أعظم *** يفحم من عارضه ويلزم

وكم له من معجزات بهرت *** قد لهج الناس بها واشتهرت

قد صح عنه ذلك بالتواتر *** متسقاً في جملة الأعاصر

وقال الفاضل السماوي في النبوة العامة والخاصة أيضاً.

لابدّ للخلق من الرسول *** مطابقاً لفطرة العقول

ليرشد الخلق إلى الرشاد *** ويصلح الناس من الفساد

فيخبر الناس عن الأحكام *** بما لهم فيها من النظام

وأن يكون خالياً عن الزلل *** منزّه عن المعاصي والخلل

فهو الإمام والزعيم للورى *** وبعده الامام بالنص جرى

محجة الله على الأنام *** تتم بالنبي والامام

وبعته عقلاً على المولى وجب *** بمقتضى العدل فهذا المنتخب

به الثواب والعقاب يحسن *** إذ لا يليق الظلم وهو المحسن

بالمعجزات يثبت الرسول *** إذ عندها تحير العقول

وكونها خارقة للعادة*** تثبت للناس بها السعادة

وأعظم البرهان للرسول*** كتابه المبهر للعقول

قد أخرس العرب وكل الفصحاء*** ولو تظاهروا وكانوا نصحا

ص: 222

يطابق الوقت على مرالزمن *** وحاوياً للعلم بل وكل فن

فما أتوا بمثله من آية *** وهم ذوا فصاحة للغاية

سبحان من أسرى بعبده إلى *** أوج السماء فهو أعلا منزلا

وبانشقاق القمر المنير *** لآية الفطن البصير

محمد المبعوث طراً للورى *** وخاتم الرسل لمن فوق الثرى

متمماً مكارم الأخلاق *** مستأصلاً لجذرة النفاق

به وبالعقل تتم الحجة *** على الورى وثبتت الحجة

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .)

لقد جاء في تفسير الميزان (1) ما مفاده من أنّ الأمر المولوي في قوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) هو أمر تعجيزي لإبانة إعجاز القرآن وإثباته كتاب منزل من

عند الله لا الله لا ريب فيه، إعجازاً باقياً بمر الدهور وتوالي القرون وقد تكرر في كلامه تعالى هذا التعجيز كقوله تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (2) وقوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَدْعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (3) وعلى هذا فالضمير في مثله عائد إلى قوله تعالى: (مما نزلنا) ويكون تعجيزاً بالقرآن نفسه وبداعة أسلوبه وبيانه .

وبيان هذا الجانب وتوضيح تفسيره من الآية الكريمة كافٍ عن بيان تفسير كل الآية لأنّ الجانب المذكور من الآية الكريمة هو مقصودنا إذ اننا لم نعرضها لبيان تفسيرها وإنما عرضناها للعلم من خلالها أنّ القرآن الكريم معجزة من معاجز

ص: 223

57/1 -1

2- سورة الإسراء : 88 .

3- سورة هود : 13 .

قال سيدنا المقدس السيد عبد الله شبر رضوان الله تعالى عليه في كتابه الشهير (حق اليقين): كفى بكتاب الله تعالى معجزاً عظيماً وبرهاناً جسيماً باقياً مدى الدهر بين الخلق، وليس لنبي معجزة باقية كذلك سواه (صلى الله عليه وآله وسلم) تحدى به بلغاء العرب وفصحاءهم، وجزائر العرب يومئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة دأبهم وصنعهم وبها مباحاتهم ومنافستهم وكانوا يأتون بالأشعار البليغة الفصيحة والكلمات المليحة ويعلقونها على الكعبة ويفتخرون بها، فلما جاء القرآن الكريم والفرقان العظيم بهتوا وعجزوا، وكان ينادي بين أظهرهم كرة بعد أخرى ومرة غب أولى أن يأتوا بعشر سور

مثله أو بسورة من مثله فعجزوا واعترفوا بالعجز والقصور عن هذه الدرجة العلية والمراتب السنية، وقال لهم معلناً: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (1) قال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك واعترفوا بالقصور عما هنالك حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرايهم للسبي، واختاروا المحاربة بالأسنة والسيوف على المعارضة بالكلمات والحروف وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه وكان ذلك عندهم من أهم الأشياء، ثم لم يزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرعهم أشد القرع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه، أحلامهم، ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستفتح أرضهم وبلادهم وديارهم، ويصول عليهم بالقرآن الكريم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته معترفون بالعجز عن مقابله، يخادعون أنفسهم بالكذب والافتراء والاستهزاء ويقولون: (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ) و(سِحْرٌ مُّسْتَمَرٌّ) و(إِفْكٌ افْتَرَاهُ) و(أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) والمباهاة والرضا بالردالة والاعتراف بالعمى في البصيرة كقولهم: (قلوبنا غلف) و(فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) و(وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) و(وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ)

و(لا تسمعوا لهذا القرآن) والادعاء مع العجز كقولهم: (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال الله لهم ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا بل ولوا عنه مدبرين وكانوا بالعجز مدعين بين مهتد ومفتون ومعترف بالعجز ، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله تعالى يأمر بالعدل والاحسان قال : والله ان له الحلاوة وانّ عليه لطلاوة ، وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر. وجاء عن الأصمعي انه سمع كلام جارية فقال : قاتلك الله ما أفصحك ، فقالت أو بعد قول الله تعالى فصاحة (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (1) فجمع في آية بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، وإذا تأمل متأمل في قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ، (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) (2)، (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (3)، (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) (4). (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ) (5) إلى آخر هذه الآيات تحقق له إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وان تحت كل لفظة منها جملة كثيرة، وفصولاً جمّة، وعلوماً زواجر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها.

هذا هو القرآن الكريم في عظيم بلاغته وفصاحته وجليل معانيه وكريم آياته . وأما بالنسبة إلى وجه إعجازه فقد ذكر السيد المذكور أنه قد وقع الخلاف بين العلماء في ذلك بأن وجه إعجاز القرآن هل هو لأجل كونه في أعلى مراتب الفصاحة ومنتهى مرتبة البلاغة بحيث لا يمكن الوصول إليه ولا يتصور الاتيان

ص: 225

- 1- سورة القصص : 7 .
- 2- سورة سبأ : 51 .
- 3- سورة المؤمنون : 96 .
- 4- سورة هود : 44 .
- 5- سورة العنكبوت : 40 .

بمثله، أو من جهة أن الله تعالى صرف قلوب الخلائق عن الإتيان بمثله وإن كان ممكناً، وبالثاني قال السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه، والأكثر على الأول.

وقد افاد السيد بعد أن ذكر وقوع الخلاف، بأننا لحق في إعجاز القرآن لوجوه عديدة ثم ذكر منها ما يلي:

أولها: أنه مع كونه مركباً من الحروف الهجائية المفردة التي يقدر على تأليفها كل أحد يعجز الخلق عن تركيب مثله بهذا التركيب العجيب والنمط الغريب كما في تفسير العسكري في المقال معناه: ان هذا الكتاب الذي أنزلته هو الحروف المقطعة التي منها ألف لام ميم وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين.

ثانيها من حيث امتيازه عن غيره مع اتحاد اللغة فإن كل كلام وإن كان في منتهي الفصاحة وغاية البلاغة إذا بواهر الآيات القرآنية وجدت له امتيازاً تاماً ورفقاً واضحاً يشعر به كل ذي شعور، ونقل أنه كان في الأيام السالفة كل من أنشأ كلاماً أو شعراً في غاية الفصاحة والبلاغة علقه في الكعبة المعظمة للافتخار، والقصائد المعلقة السبع مشهورة، فإذا أنشأ ما هو أبلغ منه رفعوا الأول وعلقوا الثاني فلما، نزل قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) (1) رفعوا المعلقة من الكعبة وأخفوها خوفاً من الفضيحة.

ثالثها: من جهة غرابة الأسلوب وأعجوبة النظم فإن من تتبع كتب الفصحاء وأشعار البلغاء وكلمات الحكماء لا يجدها شبيهة بهذا النظم العجيب والأسلوب الغريب والملاحة والفصاحة ويكفيك نسبة الكفار له إلى السحر لأخذه بمجامع القلوب.

رابعها من حيث عدم الاختلاف فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

ص: 226

اختلافاً كثيراً ، فلا تجد فيه مع هذا الطول كلمة خالية من الفصاحة خارجة عن نظمه وأسلوبه وأفصح الفصحاء إذا تكلم بكلام طويل تجد في كلامه أو أشعاره غاية الاختلاف في الجودة والرداءة، وأيضاً لا اختلاف في معانيه ولا تناقض في مبانيه، ولو كان مجعولاً مفترياً كما زعم الكفار لكثرت فيه التناقض والتضاد فإن الكاذب لا حفظ له، وفي المثل الفارسي : دروغ گو حافظه ندارد.

خامسها: من حيث اشتغالها على الآداب الكريمة، والشرائع القويمة، والطريقة المستقيمة ، ونظام العباد والبلاد، والمعاش والمعاد، ورفع النزاع والفساد في المعاملات والمناكحات والمعاشرات ، والحدود والأحكام، والحلال والحرام مما تتحير فيه عقول الأنام، وتدعن له أولوا العقول والأفهام، ولو اجتمع جميع العقلاء والحكماء والعرفاء وبذلوا كمال جهدهم وسعوا غايه سعيهم في بناء قاعدة لنظام العالم والعباد مثل ما ذكر لعجزوا .

سادسها: من حيث اشتغاله على الاخبار بخفايا القصص الماضية والقرون الخالية مما لم يعلمه أحد إلا خواص أحبارهم ورهبانهم الذين لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معاشرراً لأحد منهم كقصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر وقصة ذي القرنين وقصة يوسف ونحوها.

سابعها: من حيث اشتغاله على الإخبار بالضمائر والعيوب ممّا لا يطلع عليه الاعلام الغيوب كأخباره تعالى بأحوال الكفار والمنافقين وما يضمرونه في قلوبهم ويخفونه في نفوسهم وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبرهم بذلك فيعتدزون.

ثامنها : من حيث اشتغاله على الإخبار بالأمر المستقبل والأحوال الآتية كما هي، كقوله تعالى في سورة آل عمران آية: 112 (صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَصُدُّوا عَنْهُمُ الْمَسْجِدَ الَّذِي كَانُوا يَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقِّ لَا يَأْتِيهِ غَيَّرٌ حَقٌّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فلم يحكم منهم سلطان في جميع الأطراف، وكالاتها بعدد

الاتيان بمثل القرآن كقوله تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) (1).

وكالاخبار بعدم تمني اليهود الموت في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا) (2) وكالاخبار بعدم إيمان أبي لهب لعنه الله وجماعة وبدخول مكة للعمرة والرجوع إليها - وبعضمة الرسول من شر الناس بقوله: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (3) وبغلبة الروم ونحو ذلك .

تاسعها: من حيث اشتماله على الحكم القويمة والمواعظ المستقيمة كقوله تعالى: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَٰئِكَ حَشِيَّةٌ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْنَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ لَهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

ص: 228

1- سورة الاسراء : 88.

2- سورة الجمعة : 6 .

3- سورة المائدة : 67 .

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ (1).

وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (2).

عاشرها: من حيث خواص سورة وآياته وكلماته، فإن فيها شفاء للأرواح والأجسام ودفعها الوسواس والتسولات والأسقام واستعانة على الشيطان ودفعاً لشر العدوان تلاوة وكتابة وحملًا وتعليقًا كما هو مذكور في مظانّه.

الحادي عشر: من حيث أنّه لا يخلق على طول الأزمان ولا يمل بل كلّما تلوته ونظرته وجدته طرياً، وهذه الخاصية لا توجد في غيره ولنذكر جملة من الآيات والروايات الدالة على فضله قال الله تعالى: (قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (3). وقال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (4) قال الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ) (5) والآيات في ذلك كثيرة.

ونقل المفسر الماهر آية الله العظمى الحاج السيد حسين البروجردي (قدس سره) كلاماً عن العلماء في وجه إعجاز القرآن يشبه الكلام المتقدم، قال رضوان الله تعالى عليه ما لفظه: لا-ريب في كون القرآن معجزة من معجزات سيد الأنام عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، باقية على مر الدهور والأعوام، والشهور والأيام، وإنما الكلام في جهة إعجازه وكيفيته، فاختلّفوا فيه على أقوال:

ص: 229

1- سورة الاسراء: 26 - 39

2- سورة النحل: 90 .

3- سورة يونس: 57 .

4- سورة المائدة: 16 .

5- سورة النحل: 89.

أحدها أنه معجز بفصاحته، ذهب إليه كثير من المتكلمين، واختاره الجبائيان (1)، والرازي (2)، هو المحكي عن الفاضل العلامة أعلى الله مقامه في المناهج، وهو الظاهر منه في كتابه نهج المسترشدين، ويظهر أيضاً من علماء المعاني والبيان حيث ذكروا ان من فوائده كشف الاسناد عن وجوه الاعجاز في نظم القرآن، ولا ينافيه ما ذكره بعضهم من أن مدرك الاعجاز هو الذوق ليس إلا سيما بعد تصريحهم بأن وجه الاعجاز أمر من جنس الفصاحة والبلاغة، نعم عن بعضهم أنه لا علم بعد علم الاصول اكشف للقناع عن وجه الاعجاز من هذين العلمين، وفيه إيماء إلى أن من وجوه الاعجاز أيضاً عنده اشتماله على العلوم الحقيقية والمعارف الربانية.

ثانيها: أن جهة إعجازه من حيث الاسلوب، وعنوا به الفن والضرب.

ثالثها ما ذهب إليه الجويني (3) من أنه معجز بفصاحت بفصاحته وأسلوبه معاً، قال: لأن كل واحد منهما غير متعذر على العرب، لأنه وجد في كلامهم ما هو بفصاحته

ص: 230

- 1- الجبائيان: هما أبو علي محمد بن عبد الوهاب كان من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، ولد في جبّا (خوزستان) واشتهر في البصرة، وتوفي فيها سنة 303، تنسب إليه الطائفة الجبائية، له تفسير ردّ عليه تلميذه الأشعري - وابنه أبو هاشم عبدالسلام بن محمد وهو أيضاً من كبار المعتزلة نسب إليه الطائفة البهشمية، تعلم على أبيه توفي ببغداد سنة 321.
- 2- الرازي فخر الدين محمد بن عمر التيمي البكري إمام، مفسر ولد بالري عرف بزمانه بشيخ الاسلام واسع المعرفة بعلوم المعقول والمنقول له عشرات المؤلفات في العربية والفارسية منها تفسيره المعروف بمفاتيح الغيب، توفي بهرات سنة 606.
- 3- الظاهر أن المراد بالجويني هو عبدالملك بن عبدالله أبو المعالي من الفقهاء الشافعية، نشأ في نيسابور، ووقف حياته للتعليم، اتبع مذهب الأشعري، هاجر إلى الحجاز، فعلم وأفتى في مكة والمدينة حيث دعي إمام الحرمين) ولما عاد إلى نيسابور بنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية ليعلم فيها، توفي عام 478، ومن مؤلفاته البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب، والشامل، والارشاد في أصول الدين.

ليس مثل أسلوبه ، وكلام مسيلمة (1) كأسلوبه وليس كفصاحته، وأما مجموعهما فغير مقدور للخلق.

رابعها : ما يحكي عن الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (2) من أنه معجز بأمر ثلاثه معاً، فصاحته وأسلوبه واشتماله على العلوم الشريفة من علم التوحيد والسلوك الى الله تعالى، وتهذيب الأخلاق، فإنّ الفصاحة خاصة قد وجدت في كلام العرب والاسلوب وإن امكن عند التكلف لكن اجتماعه مع الفصاحة، نادر، لأن تكلف الأسلوب مذهب بالفصاحة، وأما العلوم الشريفة فلم يوجد في كلام العرب لها عين ولا أثر إلا ما يوجد في كلام قس بن ساعدة (3)

ص: 231

1- هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب من أهل اليمامة كان صاح اسجاع و مخاريق وتمويهات وادعى النبوة ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة قبل الهجرة فما زال يخفى ويظهر ويقوى ويضعف، وكان يقول : أنا شريك محمد في النبوة ، ولما قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وجد الناس يتذكرونه ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): فأما هذا الرجل الذي تكثرون في شأنه فكذاب بثلاثين كذاباً قبل الدجال ، فسماه المسلمون مسيلمة الكذاب ، وأساطيره وأقوابله كثيرة تضحك بها الثكلى ، ولما توفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حارب المسلمون مسيلمة وقتله الوحشي سنة 12 من الهجرة.

2- ميثم بن علي بن ميثم البحراني، من فقهاء الطائفة المحقة من أهل البحرين ومن العلماء العارفين بالأدب والكلام والحكمة ، له تصانيف منها شرح نهج البلاغة توفي بعد سنة 681.

3- قس بن ساعدة الأيادي من معد بن عدنان، حكى عن ابن عباس قال : قدم الجارود بن عبدالله وكان سيداً في قومه على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل . ولقد بشر بك ابن البتول فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وانك محمد رسول الله ، قال : فأمن الجارود وآمن من قومه كل سيد ، فسر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهم وقال : يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسماً ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين القوم أقفوا أثره ، كان يقول : وعوا، فإذا وعيتم فانتفعوا انه من عاشى مات، ومن مات، فات وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبيراً، وإن في الأرض لخبيراً، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم، تمور، وبحار لن تقور، ليل داج، وسماء ذات أبراج، أقسم قس حتماً، لئن كان في رضا ليكونن بعده سخطاً وإنّ الله عزّت قدرته ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ... الخ . وقد أدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعه ومات قبل البعثة . كان من أسباط العرب، فصيحاً ، عمر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريين سمعان فهو أول من تأله من العرب أي تعبد ، كأني أنظر إليه يقسم بالرب الذى هو له ، ليلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ، ثم انشا يقول : هاج للقلب من جواه اذكار *** وليال خلا لهن نهار في آيات آخرها : والذي قد ذكرت دل على الله *** نفوساً لها هدى واعتبار فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام ما أظن اني أحفظه ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، فاني أحفظه ، كنت حاضرّاً ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته : يا أيها الناس ، اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا ... الخ . انظر : عيون الأثر ، ابن سيد الناس 1 : 97.

وأضربه ممن وقف على الكتب الإلهية نقلاً عن غيره .

والحاصل ان كلامهم يوجد فيه ما يناسب بعض القرآن الكريم في الفصاحة وهو في مناسبتة له في اسلوبه أبعد، وأما في العلوم المذكورة فأشد بعداً.

خامسها: أنه خلوه من التناقض كما أشار إليه سبحانه: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

سادسها : أنه من جهة اشتماله على الغيوب، والاخبار عن الكائنات قبل وقوعها .

سابعها : ما يحكى عن السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه (1) والنظام من العامة (2) ، وربما يحكى وربما يحكى أيضاً عن الاستاذ أبي إسحاق من الأشاعرة وكثير من

ص: 232

-
- 1- هو الشريف المرتضى علي بن الحسين فقيه الشيعة في عصره ولد في بغداد سنة 355 وتوفي فيها عام 436 من الهجرة ، فقيه ، أصولي ، شاعر مجيد ، ومؤلف مكثر ، كان أوحد أهل زمانه علماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وكان مثلاً للثقافة الكاملة ، له مؤلفات قيمة منها . «الأمالي» .
 - 2- إبراهيم بن سيار كان من المتكلمين المعتزلة، وتلمذ على أبي الهذيل العلاف، نشأ في البصرة وأقام في بغداد حتى توفي سنة، 231 ، وكان منطقياً شاعراً ترك آثاراً كثيرة في تاريخ الفكر الاسلامي ، وعارض آراء الفقهاء ، وانتقد الجبرية والمرجئة، وإليه تنسب النظامية من فرق المعتزلة ، وتلمذ عليه الجاحظ .

المعتزلة وهو الصرفة، بمعنى أن الله تعالى صرف الناس عن معارضته.

قيل: وهذا يحتمل أموراً ثلاثة: الأول: أنه تعالى سلبهم القدرة، الثاني: أنه سبحانه سلبهم الداعية وهم المتحدين عن معارضته مع قدرتهم عليه الثالث: أنه سلبهم العلوم التي كانوا يتمكنون بها من المعارضة، وربما يقال: إن مختار السيد هو الأخير.

ثامنها: التوقف في ذلك لما يحكى عن سيد الدين سالم عويرة، وربما يومي إليه كلام الوحيد في التجريد حيث قال: وإعجاز القرآن قيل: لفصاحته، وقيل: لأسلوبه وفصاحته، وقيل، للصرفة، والكل محتمل إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة.

أقول: ما يحكى عن سيد الدين هو القول السديد وإن كنت أرى أن القول بالصرفة قد لا يكون محتملاً خصوصاً إذا كانت الصرفة بمعنى سلب القدرة أو سلب الداعية، أما على احتمال أنه تعالى سلبهم العلوم التي كانوا يتمكنون بها من المعارضة والذي كان ربّما مختار السيد المرتضى فقد يكون محتمل.

لكن ينبغي التنبيه أن الاختلاف المذكور في وجه الإعجاز غير قادح في الإعجاز، لأن الإعجاز محل متفق عليه عند جميع أهل الإسلام، بل كافة الأنام من الخواص والعوام. قال السيد المذكور: (لكنه لا يخفى عليك أن الاختلاف في ذلك غير قادح في الإعجاز الذي اتفق عليه جميع أهل الإسلام بل كافة الأنام من الخواص والعوام، حيث أنه من الضروريات القطعية المعلومة لجميع أهل الفرق والأديان أن نبينا خاتم الأنبياء الله الله قد ادعى النبوة العامة الخاتمية على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي، وضلالة من الأمم وجهالة في أهل العلم، واندراس لجملة العلوم والحكم، فجاءهم بهذا القرآن الهادي للتي هي أقوم، هدى من الضلالة، ورشداً من

العمى والجهالة، ونوراً من الظلمة، وضياء عن الغياهب المدلهمة، واستبصاراً لكافة الأمة، ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، قرآناً عربياً غير ذي عوج، داعياً إلى خير مقصد ومنهج، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية، ومحتوياً على أكثر مما اشتملت عليه من العلوم الحقة والمعارف الالهية، معجزاً سائراً دائراً، باقياً على مر الدهور، متجلياً منه أنوار الحقائق تجلي النور من الطور، أفحم به من تصدى المعارضته من العرب العربا، وأبكم به من تحدى من مصاقع الخطباء الفصحاء الذين هم كانوا أمراء الكلام، وبلغاء الأنام فلم يظهر منهم الا الضعف والفتور، مع ما كان يتلو عليهم من الآيات الحاكمة عليهم بالعجز والقصور، مثل قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا (1))، وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (3)). وقوله تعالى: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (4)).

فعجزوا عن معارضته ببلغ الكلام حتى اختاروا الخصام بالنبال والسهام.

وقصروا عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه فالتجأوا إلى قبول جراحة السنان،

ص: 234

1- سورة البقرة: 23 - 24 .

2- سورة يونس: 37 - 38 .

3- سورة هود 12 - 14 .

4- سورة الإسراء: 88

للقصور عن فصحة اللسان، ولم يعهد من واحد منهم في ذلك الزمان ، ولا في غيره من الأزمان إلى هذا الأوان معارضته بمثل أقصر سورة منه مع وقوع التحدي والاختبار عن عجز الجميع عن الاتيان به كما في الآيات المتقدمة وتوفر الدواعي على المعارضة والمناقضة، وتراكم الأسباب الدينية والدينيوية على المغالبة والمنافسة، وهذا غاية الإعجاز للكلام بلا فرق بين تسليم اشتماله على مراتب الفصاحة والبلاغة والأسرار الحكمية والآداب الإلهية، وعدمه، فإن إعجازه على الأول ظاهر، وكونه خارقاً للعادة معجزاً لجميع البشر باهر، وكذا على الثاني أي على فرض عدم التسليم ان إعجازه لاشتماله على مراتب الفصاحة بل للصرفة، بل سلب القدرة عن آحاد الناس عما كانوا يقدرون عليه واستمرار ذلك السلب إلى أبد الدهر أعجب وأغرب من الأول، ألا ترى انه لو ادعى أحد النبوة وقال : إن معجزتي المشي على الماء، وادعائها آخر وقال : إن معجزتي سلب قدرة الناس عن المشي على الأرض لكانا مشتركين في خرق العادة، بل لعل الثاني أعظم قدراً وأجل خطراً لكونه تصرفاً في الغير، سيما مع عمومته وشموله لجميع آحاد النوع خصوصاً مع استمراره مدة حياته وبعد وفاته وبالجملة كون القرآن معجزاً أمر يدهي لاشك فيه، ولا شبهة تعتريه، سيما مع الاختبار فيه في كمال القوة والاطمئنان بمحضر ومنظر من فصحاء آل عدنان وبلغاء قحطان بأنه (لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً).

مع أنهم قد أذعنوا له بكمال الفصاحة والبلاغة وأعظموا أمره حتى نسبوه الى السحر كما حكى عنهم فيه بقوله : (وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (1) وقد ورد في (تفسير قوله تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) (2) الآيات أنها نزلت في الوليد بن

ص: 235

1- سورة الصافات : 15 .

2- سورة المدثر : 11 .

المغيرة وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دهاة العرب، وكان من المستهزئين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس في الحجرة ويقرأ القرآن فاجتمعت قريش إلى الوليد: وقالوا يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أشعر هو أم كهانة، أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه، فدنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا محمد أنشدني من شعرك، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما هو بشعر، ولكنّه كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورسله، فقال: أتُل عليّ منه شيئاً فقرأ عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حم السجدة، فلما بلغ قوله: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ) (1) فاقشعر الوليد وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، ومر إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك، فمشوا إلى أبي جهل وقالوا يا أبا الحكم أن أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أما تراه لم يرجع إلينا، فغدا أبوجهل إلى الوليد وقال له: يا عم نكست رؤوسنا وفضحتنا وأشمت بنا عدونا، وصبوت إلى دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فقال: ما صبوت إلى دينه، ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه، الجلود، فقال أبو جهل أخطب هو؟ قال: لا الخطب كلام متصل، وهذا كلام منشور ولا يشبه بعضه بعضاً، قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما إنني لقد سمعت أشعار العرب، بسيطها، ومديدها، ورملةا، ورجزها، وما هو بشعر، قال: فما هو؟ قال: افكر فيه، فلما كان من الغد قال له يا أبا عبد شمس ما تقول فيما نلناه؟ قال: قولوا هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله تعالى على رسوله في ذلك (ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا... أَلَى قَوْلِهِ: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ) (2).

وفي خبر آخر ان الوليد قال لبني مخزوم: «والله لقد سمعت من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا هو من كلام الجن، إن له لحلاوة وإنّ عليه

ص: 236

1- سورة فصلت : 13

2- سورة المدثر : 11 - 24 .

لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يُعلى فقالت قريش : صبا والله وليد لتصبأن قريش ، فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه وقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام وأتاه فقال : تزعمون أن محمداً، مجنون، فهل رأيتموه يخنق ؟ وتقولون : إنه كاهن، فهل رأيتموه يحدث بما يتحدث به الكهنة ؟ وتزعمون أنه، شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط ؟ وتزعمون أنه كذاب، فهل رأيتموه يكذب أو هل جربتم عليه شيئاً من الكذب ؟ فقالوا في كل ذلك : اللهم لا ، ثم قالوا : مما هو ؟ ففكر فقال : ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟ وما يقوله سحر يؤثر عن أهل بابل فتفرقوا متعجبين منه .

هذا خلاصة ما نقله السيد المذكور عن العلماء في كون القرآن الكريم معجزة من معجزات سيد الأنام وكذلك ما ذكره في وجه الإعجاز بالاضافة إلى الكلام المتقدم في الموضوع لسماحة الحجة المقدس السيد عبدالله شبر قدس الله نفسه الزكية، ونضيف هنا بعض الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة الهدى عليهم أفضل الصلاة والسلام في عظمة القرآن الكريم وكونه هدى وعصمة وإليك ذلك :

الحديث الأول : عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضيء من الأحداث، وعصمة من

الهلكة ، ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد من القرآن إلا إلى النار.

الحديث الثاني: عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال في خطبة له من نهج البلاغة : ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفى مصابيح، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدر قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم نوره، وفرقناً لا يخمد برهانه، وبنیاناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا يهزم أنصاره، وحقاً لا يخذل أعوانه، فهو معدن الايمان وبحبوحته، وينابيع العلم

وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وعماد الإسلام وتبيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وغيون لا ينضبها الما تحون ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وأكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله تعالى رياً لعطس العلماء، وربيعاً ممرعاً للقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده دواء ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً، عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه وسلاماً لمن دخله، وهدي لمن أنتم به وعذراً لمن انتحلته، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خصم به وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حملة، ومطية لمن أعمله، وآية لمن، توسم وجنة لمن استلام وعلماً لمن، وعى وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى.

الحديث الثالث: في كتاب (حق اليقين) نقلاً عن تفسير العياشي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: أتاني جبرائيل فقال: يا محمد ستكون في أمتك فتنة. قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم لا تزيفه الأهوية ولا تلبسه الألسنة ولا يخلق على الرد ولا تقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء هو الذي لم تلبث الجن إذا سمعته ان قالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشد، الحديث).

الحديث الرابع: في كتاب الاحتجاج عن هشام بن الحكم قال: «اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني، وعبد الملك البصري، وابن المقفع عند بيت الحرام يستهزؤن بالحاج ويطعنون على القرآن فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ينقض كل واحد منا ريع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضوع نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي إبطال نبوته إبطال الاسلام، وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا فلما كان من قابل اجتمعوا

عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمتفكر منذ افترقنا في هذه الآية: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) (1) فما أقدر أن أضمر إليها في فصاحتها معانيها فشغلتنني هذه الآية من التفكير فيما سواها، وقال عبدالملك: وأنا منذ

وجمع فارقتكم متفكر في هذه الآية: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسَّرْ لَهُمُ الذُّبَابَ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (2) ولم أقدر بمثلها، فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) (3) ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ

فارقتكم متفكر في هذه الآية: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي) (4) ولم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم فبينما هم في ذلك إذ مر بهم الامام جعفر بن محمد الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام فقال: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (5) فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا: لئن كان للاسلام حقيقة لما انتهت وصية محمد لا اله الا الى جعفر بن محمد، والله ما رأينا قط إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز وعظمة القرآن الكريم.

وقالت السيدة الجليلة والصديقة الإنسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها وعلى أبيها وبناتها أفضل الصلاة والسلام في مدح القرآن وفضله وعظمته: كتاب الله

ص: 239

1- سورة يوسف: 80.

2- سورة الحج: 73.

3- سورة الأنبياء: 23.

4- سورة هود: 44.

5- سورة الاسراء: 88.

الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به أشياعه قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحددة، وبيئاته الجالية وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، إلى أن قالت سلام الله عليها: وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرة، وأحكامه، زاهرة، وأعلامه باهرة وزواجره لائحة، وأموره واضحة وقال الحكيم الفيلسوف شاعر أهل البيت (عليه السلام) الحاج الشيخ عبد المنعم الفرطوسي رضوان الله تعالى عليه في ملحمة الشهيرة المسماة ب- (ملحمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام) قال رضوان الله عليه بل سلام عليه: (القرآن معجزة محمد) (صلى الله عليه وآله وسلم):

هو ذكر للعالمين مبين*** شع في صدر خاتم الأنبياء

ومنار من الهدى وصراط*** مستقيم لمنهج الإهداء

ودليل للحق لاريب فيه*** ساطع بالمحجة الغراء

هو رشد العقول في كل غي*** وشفاء الصدور من كل داء

وهو عين الصواب في كل حكم*** وهو فصل الخطاب عند القضاء

وهو نور تزهو المصابيح منه*** بشعاع من النهى وضياء

وسراج من حكمة ليس يخبو*** كل وقد من نوره وسناء

وغدير من العوم غزير*** فيه ريّ الظما من العلماء

وربيع من الفقاهة خصب*** فيه ترتاد أنفس الفقهاء

هو ركن للدين لا يتداعى*** وأثاف فيها قوام البناء

معدن من جواهر الفضل فيه*** يلقط الباحثون كل ثراء

ليس تُنهي وديانه بعبور*** ليس تُعلى آكامه باعتلاء

علم قائم وسفر حكيم*** وسفير من أفضل السفراء

فيه أبناء ما يكون وما كان*** قديماً من سالف الأبناء

هو مجرى النهار والليل يجري***مُستمر المسرى بغير انقضاء

هو وحي على محمد وافي***فيه جبريل عن إله السماء

وبشير مصدق ونذير***للبرايا بما لهم من جزاء

ولسان من البلاغ حكيم***أخرست عنه ألسن الحكماء

وهو حدّ الإعجاز في كل فن***من فنون الكلام للفصحاء

قال فأتوا بمثله أو بآي***منه عند التعجيز للبلغاء

أترى والأنوار تجري وفاقاً***حين تجري بحكمه واقتضاء

كيف عيسى بالطب وافي وموسى***بعضى السحر واليد البيضاء

بزمان للطب والسحر منه***أثر بالغ شديد المضاء

وأنا محمد بكتاب***قصرت عنه ألسن الخطباء

قال للمسين تحدث بعدي***فتنة كالفياهب السوداء

واتباع القرآن ينجي رشاداً***وهدى من ضلالة الأهواء

هو حبل الله المتين اعتصاماً***ونجاة في ساعة الابتلاء

ليس من خلفه وبين يديه***باطل يعتريه طول البقاء

فعليكم بالأخذ فيه لتنجوا***وعليكم بسيد الأوصياء

وقال أيضاً في إعجاز أسلوبه وأغراضه وحروفه وإخباره بقصص القدماء، وإخباره بالمغيبات، وكذلك الاقتباس منه وعدم التناقض والاختلاف فيه، وكونه عرفاني ونظام إلى العالم أجمع وانه يمتاز بخواص عجيبة وفي ان قراءته تعطي الانسان كثرة الحفظ كما تحفظ له رؤية العين بما يعتريها من ظلمة، وإليك ما قاله هذا الحكيم العارف فيما يلي :

معجز خارق وذكر علي***خالد الذكر في سماء العلاء

تخلق المعجزات وهو جديد***عابق الشرف في حقول البقاء

قد تعالی حتى استطال كمالاً***وجلالاً في ذروة الاعتلاء

في جمال الأسلوب والنظم منه*** سمو الأغراض والارتقاء
وانسجام مع الجزالة في اللفظ*** وحسن التركيب والانتقاء
فتسامى أفقاً لعلم المعاني*** وبديع البيان رحب الفضاء
ليس بالمستطاع أن يبلغوه*** هم من فطاحل البلغاء
وهو معنى الإعجاز فيه بحق*** هو مختار أكثر العلماء
وتجلى للمرئى فيه رأي*** مستقل عن معظم الآراء
قال انّ الإتيان بالمثل أمر*** ممكن للورى بدون إباء
غير أن الإتيان بالمثل عنه*** صرف الله أنفس الفصحاء
وهو معنى منه أجلّ وأجلى*** ما ذكرناه أنفاً بجلاء

وأبان الأعلام فيه وجوهاً*** من معاني الاعجاز بعد الخفاء
وهي أن القرآن ألف لفظاً*** كل ما فيه من حروف الهجاء
ومعروف المقطعات نهداً*** فيه اشارت نقلا عن الامنا
وهم قادرون من شعراء*** ألفوها نظماً ومن خطباء
أن يجيدوا الكلام منها بياناً*** فيجاروا القرآن دون عناء
فلماذا لم يستطيعوا وطه*** حداهم بغير انتهاء

ليس إلا للعجز عنه قصوراً*** في مباراة خاتم الأنبياء

إنّ هذا القرآن قص علينا*** قصص الأنبياء والقدمات
مثل إخباره بقصة أهل*** الكهف منهم عن فتية أولياء
وأمر ما كان يقلم فيها*** في عصور تصرمت بانقضاء

غير بعض الأخبار منهم وقسم*** من عيون الرهبان والنقباء

وهم يحرصون كانوا عليها*** وهي كانت محجوبة بغشاء

ص: 242

مع أن النبي ما كان يُجرى *** معهم أي رؤية والتقاء

وهم عاجزون عن مثل هذا *** بعد جهل بهذه الأنباء

وكثيراً ما كان يخبر فيهم *** عن خفايا صدور أهل الرياء

وأمر مغيبات عليهم *** وقعت بعد فترة الاختفاء

كدخول الإسلام مكة آمناً *** ومعاد النبي بعد الجلاء

بعد نصر منه وفتح مبين *** وسواها من كائنات القضاء

وهم قاصرون عن علم هذا *** وهو عل من وحى ربّ السماء

وهو يمتاز عن سواه ارتفاعاً *** من كلام الأفاذاذ والحكماء

حيث لورصع الكلام اقتباساً *** منه أضحي في منتهى الإرتقاء

وتسامى على سواه جمالاً *** من نسيج الكتاب والشعراء

وهو لولا السمو ما اقتبسوه *** بعد عجز عن أفقه المتناهي

وغريب الأسلوب والنظم منه *** وجمال المعنى ولطف الصفاء

ليس فيه تناقض واختلاف *** في المعاني وفي بديع البناء

والتراكيب قوّة بعد ضعف *** مع طول فيه بدون جفاء

وهو للعلم والإحاطة منه *** وهو عن هذه العوارض نائي

والكلام الطويل لا بد فيه *** حين يجري بالسن الأدباء

من فضول يعيبه واختلاف *** في معانيه عند وقت الأداء

لوقوع النسيان والسهو فيه *** وعروض الأغلط والأخطاء

وهو سرّ الإعجاز لفظاً ومعنى *** فيه بعد الإعجاز للبلغاء

ولسان القرآن الله يهدي *** بعد تبيان منهج الاهتداء

ص: 243

وكمال العرفان للذات منه*** وجليل الصفات والأسماء
وهو ممّا قد قصّرت بعد عجز*** عنه علماً مدارك العلماء
وتفشى عنه عمى كلّ عقل*** ثاقب من فطاحل الحكماء
فهو أفق من العلا مستطيل*** ومنازّ من الهدى متنائي

والكتاب الكريم خير كيان*** البناء الحياة دون عناء
ودليل مؤمن للبرايا*** ما استطلوا من عدله بلواء
وصلاح البلاد دون فساد*** لشؤون العباد طول البقاء
ويد للمعاش دون اختلال*** وهدى للمعاد دون شقاء
ونظام يحوي الشرائع رشداً*** ويقيم الآداب بعد العطاء
رافع للنزاع في كلّ أمر*** تقتضيه معاشرات الإخاء
وصنوف المعاملا جميعاً*** وحدود التأديب في الاعتداء
وحلال وحرمة في القضايا*** وجميع الأحكام عند القضاء
وسواها من كلّ أمرٍ مقيم*** لحياة الإنسان عند البناء
مع عجز العباد عن وضع شرع*** مستقيم في البدء والانتها
مثل هذا القرآن وهو صلاح*** ودواء يُشفى به كل داء

هو نور الله المنزل ذكراً*** للورى منه بالهدى والضياء
حكم للعقول دون هداها*** حكم المرشدين والحكماء
سور كرمّت وآي تلتها*** كلمات تقدّست بالثناء
بوركت بالخواص نفعاً ودفعاً*** للورى في سعادة وشقاء

هي عند التعليق والحمل والخط*** غياث مُنج وعند الدعاء

وهي برؤ الأرواح من كل داء*** ولستقم الأجسام خير دواء

ص: 244

ولرفع الوسواس خير معاذ*** وملاذ لدفع كل بلاء

ولحفظ الانسان من كل شيء*** عند كيد الشيطان خير وقاء

وأمان من كل خوف ودرع*** تتقى فيه سطوة الأعداء

وسوى هذه الخصائص كثر*** فتتبع مواقع الاهتداء

فهو نورٌ ورحمة وأمان*** وشفاء للناس أيّ شفاء

قال طه قراءة الذكر تعطي*** كثرة الحفظ سائر القراء

وهي حفظ لرؤية العين مما*** يعترئها من ظلمة الإغماء

ويخفّ العذاب عن والديه*** وهما كافران عند الدعاء

وهي تحيي القلب الذي هو ميتٌ*** وهي تنهى عن سائر الفحشاء

وهي في مصحف الهدى حين تتلى*** رؤيةً من عبادة الأولياء

إنّ بيتاً يتلى به الذكر فيه*** بركات تفيض من نعماء

تتنائى عنه الشياطين طرداً*** من دنو الملائك الأمناء

وهو كالكواكب المضيء من الأر*** ض شعاعاً يزهو لأهل السماء

كلّ حرف يتلوه يعطى عليه*** حسناً عشراً بيوم العطاء

عنه تمحى عشر وتكتب عشر*** إن تلا منه آيةً باختشاء

ليس في الغافلين يكتب مهما*** قال عشراً منها بكل عشاء

عُدّ في الذاكرين خمسين منها*** حين يتلوه في ساعة الإحصاء

ومن القانتين إن كان يتلو*** منه في تصرّع وبكاء

درجات الجنان للمرء تعطى*** بحساب القرآن في الإعتلاء

فازق مهما قرأت في درجات*** تتبارى في عالم الإرتقاء

لا يصاب القرآن بالرأي ظناً*** من عقول الرجال دون اهتداء

ص: 245

ضل من أول الكتاب برأي*** دون علم بماله من خفاء
أفسد الحكمة الصحيحة منه*** وأصاب الصواب بالأخطاء
وافترى عامداً على الله كذباً*** وضلالاً بأعظم الإفتراء
قال طه ثلاثة تمحق الدين*** وتمحو آثاره بالعناء
هو كفر التشبيه لله جهلاً*** والتباساً بخلقه المترائي
وقياس الأحكام من دون علم*** بالخفايا في ظاهر الأشياء
وظهور التفسير من دون وعي*** لعلوم القرآن والآراء
إنّ هذا القرآن للحق يهدي*** كلّ سارٍ بمنهج الإستواء
قائد للجنان خير هداة*** وضعوه أمامهم باقتداء
وهو للنار قائد كل باغ*** جبوت ألقى به للوراء
وهو الشاهد المصدّق عدلاً*** يوم يؤتى بسائر الشهداء
وهو الشافع المشفع فيمن*** عملوا فيه عند يوم الجزاء
وهو بحر من العلوم عميق*** ليس يدنى لغوره برشاء
وهو نور مبارك ليس ترقى*** لعلاه مدارك العقلاء
وهو سرّ مقدس تصطفيه*** حين يوحى ضمائر الأمان
فخذوه من أهله آل طه*** معدن الوحي عترة الأنبياء
وهم الراسخون في كلّ علم*** من بنيه وأفضل العلماء
فهم للكتاب خير عديل*** بعد طه وأكرم القرناء
إنّ من أنزل الكتاب عليه*** هو أدري بما به منقضاء

والحاصل : إنّ النبي هو المبعوث للعباد المكلفين وهو المخبر عن الله عزّ وجل حيث إنّ الله تعالى قد ألزم نفسه بعدله أن يبعث الرسل
لإتمام الحجّة على المكلفين فهو يجب عليه من باب الحكمة والعدل بعث الرسل كما جعل مناط التكليف بالعقل وهو الرسول الباطني

فلا بد من الرسول الظاهري، إذ الرسول

ص: 246

الباطني لا- يتوصل لإدراك الأحكام بتفاصيلها ، فلهذا بعث الله تعالى رسولاً في كل زمان لإتمام الحجة على المكلفين ولطفاً منه تعالى شأنه .

والنبوة مع حسنها مقربة للطاعة ومبعدة للعبد عن المعصية وفيها نظام العالم في المعاش والمعاد، وهي الحجة البالغة على المكلفين .

قال مولانا الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه : البعثة حسنة لاشتمالها على فوائد كمعاضدة العقل فيما يدلّ عليه، واستفاد الحكم فيما لا يدلّ وإزالة الخوف واستفادة الحسن والقبائح والمنافع والمضار وحفظ النوع الانساني وتكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة وتعليمهم الصنائع الخفية والأخلاق والسياسات والاخبار بالعقاب والثواب فيحصل اللطف للمكلف.

وقال بعض العلماء: وحسن البعثة لا ينكر وعليه كافة المسلمين بل والمليين وجملة من الفلاسفة، وبه تتم الحجة، وهو معلم للعقل الثاني، ومبين للحلال والحرام، ومفصل للفرائض والأحكام، وممهّد سبل الرشاد للأنام، وقد كملت الحجة من الله تعالى ببعث الرسل والأنبياء في كل عصر ومصر.

وقد سلح الله تعالى كل نبي بالمعجز الخارقة للعادة الدالة على عظمته وعلو قدره ونبوته ، وخاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أرسله الله تعالى إلينا معززاً بالقرآن الكريم الذي هو آية المعجز وأعظمها الدالة على نبوته .

قال أمين الاسلام شيخنا أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي رضوان الله عليه ، أنّ المعجزات الظاهرات لنبينا العظيم عقيب البعث وإظهار النبوة ضربان أحدهما هذا القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى وأيده به والآخر غيره من المعجزات.

فوجه الاستدلال من القرآن الكريم ان كل عاقل سمع الأخبار وخالط أهلها قد علم ظهور نبوة نبينا عليه وآله الصلاة والسلام وادعاءه الرسالة من الله إلينا وانه تحدّى العرب بهذا القرآن العظيم مع تطاول الأزمان لم يعارضوه لتعذر المعارضة

عليهم، فهذا التعذر معجز خارق للعادة، فأما الذي يدلّ على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) تحدى بالقرآن فهو أنّ المراد بالتحدي انه كان يدعي أن جبرئيل يهبط عليه بذلك وأن الله سبحانه قد أبانه به ، وهذا معلوم ضرورة وهو غاية التحدي في المعنى .

وقال بعد كلام تركناه للاختصار : وأما المعاجز الدالة على نبوته التي هي سوى القرآن فكثيرة أثبتنا متونها وحذفنا أسانيدھا لاشتھارھا بين الخاص والعام وإليك بعضها :

المعجزة الأولى: مجيء الشجرة إليه ذكرها أمير المؤمنين عليه الصلاة (صلى الله عليه وآله وسلم) والسلام في خطبته القاصمة قال : لقد كنت معه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أتاه الملائم من قريش فقالوا له : يا محمد انك قد ادعيت عظيماً لم يدعه أبؤك ولا أحد من بيتك ونحن نسألك أمراً إن أحببتنا إليه وأرئيتنا علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب.

فقال لهم (صلى الله عليه وآله وسلم) : وما تسألون ؟

قالوا : تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الله على كل شيء قدير، فإن فعل ذلك بكم تؤمنون وتشهدون بالحق ؟ قالوا : نعم .

قال : فياني سأريكم ما تطلبون واني لأعلم انكم لا تقيئون الخير، وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الأحزاب ، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي ياذن الله ، والذي بعثه بالحق لقد انقلعت تلك الشجرة بعروقها وجاءت لها دويّ شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرفرفة وألقت بغصنها الأعلى على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك فأقبل اليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً ، فكادت

تلتف برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا كفوراً وعتوا فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه، فأمره (صلى الله عليه وآله وسلم) فرجع فقلت أنا: لا إله إلا الله فاني أول مؤمن بك يا رسول الله وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك ، فقال القوم: بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في أمرك غير هذا؟ يعنونني . قال الفرطوسي:

واقتراع الأصول بعد ثبات*** ورسوخ للأليكة الخضراء

حين سارت وللمسير أوزير*** ودوي في سرعة الاسراء

وقفت كالأسير بين يديه*** ثم عادت مكانها للوراء

المعجزة الثانية: خروج الماء بين أصابعه، وذلك انهم كانوا معه في سفر فشكوا أن لا ماء معهم وأنهم بمعرض التلف وسبيل العطب، فقال: كلاً معي ربي عليه توكلت ثم دعا بركوة فصب فيها ماء ما كان ليروي ضعيفاً وجعل يده المباركة فيها ، فتبع الماء من بين أصابعه فصيح في الناس فشربوا وسقوا حتى نهلوا وعلوا وهم العرف وهو يقول: أشهد أني رسول الله حقاً .

قال الفيلسوف الشيخ حسن الدمستاني البحراني في الأبيات المتقدم ذكرها في أول الجلسة المباركة:

وحن جذع يابس إليه*** وفاض عذب الماء من يديه

المعجزة الثالثة: حنين الجذع الذي كان يخطب عنده صلوات الله عليه وذلك أنه كان في مسجده بالمدينة يستند إلى جذع فيخاطب الناس ، فلما كثر الناس اتخذوا له منبراً ، فلما صعد حنّ الجذع حنين الناقة فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضمه إليه فكان يئن أنين الصبي الذي يسكت.

قال الحكيم الفرطوسي:

وحنين الجذع الذي من قديم*** كان يرقاه سيد الفصحاء

حين يلقي الخطاب فاستبدلوه*** بعد هذا بمنبر الخطباء

المعجزة الرابعة : حديث شاة أم معبد، وذلك ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما هاجر من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهم عبدالله بن أريقط الليثي فمروا على أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة تحبني وتجلس بفناء الخيمة فسألوا تمرأ ولحمأ ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وإذا القوم مرملون ، فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : هل بها لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك .

قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟

قالت: نعم بأبي أنت وامي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشاة فمسح ضرعها بيده الشريفة المباركة وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهم بارك في شاتها، فتفاجت ودرت فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإناء لها يريض الرهط فحلب فيه تجأ حتى علتة الشمال فسقاها فشرب حتى رويت ثم سقى أصحابه فشربوا حتى رروا فشرب (صلى الله عليه وآله وسلم) آخرهم وقال : ساقى القوم آخرهم شرباً، فشربوا جمعياً علا بعد نهل حتى أراضوا، ثم حلب فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ثانياً عوداً على بدء فغدوا عندها ثم ارتحلوا منها فقلماً لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق عنزاً عجافاً هزلاً، فلما رأى اللبن قال : من أين لكم هذا والشاة عازب ولا حلوبة في البيت ؟ فقالت له أم معبد : لقد مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت الخبر بطوله .

قال الحكيم الفرطوسي :

واستفاضت لأم معبد منه***بركات بالخير والنعماء

قد آتاها والشاة غير حلوب ***حبستها لضعفها بالفناء

مسح الضرّ في يديه فدرت***لبناً سائقاً كريم الغذاء

المعجزة الخامسة : خبر سراقه بن جشم الذي اشتهر في العرب يتناولون فيه الأشعار ويتفاوضونه في الديار انه تبعه وهو متوجه إلى المدينة طالباً لفريته ليحضى

ص: 250

بذلك عند قريش حتى إذا أمكنته الفرصة في نفسه وأيقن إن ظفر ببغيته ساخت قوائمه فرسه حتى تغيبت بأجمعها في الأرض وهو بموضع جذب وقاع صنفصف فعلم أنّ الذي أصابه سماوي فنادي : يا محمد ادع ربك يطلق لي فرسي وذمة الله على أن لا ادل عليك أحداً ، فدعا له فوتب جواده كأنه أفلت من انشودة وكان رجلاً داهية وعلم بما رأى انه سيكون له نبأ ، فقال : اكتب لي أماناً ، فكتب له وانصرف .

قال محمد بن إسحاق : أن أبا جهل قال في أمر سراقاة أباياتاً فأجابه سراقاة:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً***لأمر جوادي ان تسيخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمداً***نبي ببهان فمن ذا يكاتمه

عليك بكفّ الناس عنه فاني***أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

المعجزة السادسة : حديث الغار وانه عليه وآله الصلاة والسلام لما أوى إلى غار بقرب مكة يعتوره النزال ويأوي اليه الرعاء متوجه إلى الهجرة، فخرج القوم في طلبه فعمى الله أثره وهو نصب أعينهم وصدّهم عنه وأخذ بأبصارهم دونه وهم دهاة العرب، وبعث سبحانه العنكبوت فنسجت في وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسترته وآيسهم ذلك من الطلب فيه، وفي ذلك يقول السيد الحميري في قصيدته المعروفة بالمذهبة :

حتى إذا قصدوا لباب مغارة***ألقوا عليه نسيج غزل العنكب

صنع الاله له فقال فريقهم***ما في الغار لطالب من مطلب

ميلوا وصدّهم المليك ومن يرد***عنه الدفاع مليكه لم يعطب

وبعث الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بغم الغار ، فأقبل فتیان قريش من كلّ بطن رجل بعصيههم وهرأوهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقدر أربعين ذراعاً ، فعجل رجل منهم لينظر من في الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له: مالك لا تنظر في الغار ؟

فقال : رأيت حماماً بغم الغار فعلمت أن ليس فيه أحد، وسمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما

قال، فدعا له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفرض جزاء هن فأنحدرت في الحرم.

وقد قال فيه وفي حديث سراقه المتقدم شيخنا الحكيم الفرطوسي عليه رضوان الله :

ونسبح العنكبوت عجيب*** فوق غار يحويه للاختفاء

وبلايا سراقه من نوايا*** بالنبي الكريم عند اللقاء

كان ينوى بأن يدلّ قريشاً*** بمكان النبي في الصحراء

حين غاص الجواد فيه فنادى*** مستغيثاً ورد بعد التجاء

المعجزة السابعة : كلام الذئب، وذلك ان رجلاً كان في غنمه يرعاها فأغفلها سويعة من نهاره فعرض ذئب فأخذ منها شاة، فأقبل يعدو خلفه فطرح الذئب الشاة، ثم كلمه بكلام فصيح فقال : تمنعني رزقاً ساقه الله إليّ ؟

فقال الرجل: يا عجباً الذئب يتكلم فقال : أنتم أعجب وفي شأنكم للمعتبرين عبرة ، هذا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو إلى الحق ببطن مكة وأنتم عنه لا هون فأبصر الرجل رشده وأقبل حتى أسلم وأبقى لعقبه شرفاً لا تخلقه الأيام يفخرون به على العرب والعجم يقولون : إنا بنو مكلم الذئب.

قال الفرطوسي :

ومقال الذئب الفصيح لن أعجب*** من نطقه لدى البيداء

إن قوم النبي أعجب مني*** عند تكذيب خاتم الأنبياء

المعجزة الثامنة : كلام، الذراع وهو انه أوتي بشاة مسمومة أهدتها له(صلى الله عليه وآله وسلم) امرأة من اليهود بخير وكانت سألت أي شيء أحب إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الشاة؟ من فقيل لها : الذراع، فسَمّت الذراع فدعا(صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه إليه فوضع يده الشريفة ، ثم قال : ارفعوا فإنّها تخبرني بأنها مسمومة ، ولو كان ذلك لعلّة الارتباب باليهودية لما قبلها بدءاً ولا جمع عليها أصحابه(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد كان(صلى الله عليه وآله وسلم) تناول منها أقل شيء قبل أن كلمته وكان يعاوده كل سنة حتى جعل الله ذلك سبب الشهادة، وكان ذلك باباً من

التمحيص ليعلم أنه مخلوق . قال الفرطوسي :

وكلام الذراع اني سميم*** في يديه وجاء بالإهداء

المعجزة التاسعة : أن أصحابه صلوات الله عليه وآله أرملوا وضاق بهم الحال وصاروا بمعرض الهلاك لفناء الأزواد يوم الأحزاب فدعاه رجل من أصحابه إلى طعامه فاحتفل القوم معه فدخل وليس عند القوم إلا قوت رجل واحد أو رجلين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : غطوا إنياءكم ، ثم دعا وبرك عليه وقدمه والقوم ألوف فأكلوا وصدروا كأن لم يسغبوا قط شباعاً ورواء، والطعام بحاله لم يفقدوا شيئاً.

المعجزة العاشرة : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اجتمع إليه فقراء قومه وأصحابه في غزوة تبوك وشكوا الجوع فدعا (صلى الله عليه وآله وسلم) بفضلة زاد لهم فلم يوجد لهم إلا بضع عشرة تمرة وطرحت بين يديه، فاحتفل القوم فوضع الله الله يده المباركة عليها وقال : كلوا بسم الله ، فأكل القوم حتى شبعوا وهي بحالها يرونها عياناً .

صلى المعجزة الحادية عشر : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) ورد في هذه الغزاة على ماء لا يبيل حلق واحد والقوم عطاشى فشكوا ذلك إليه فأخذ سهماً من كنانة فدفعه إلى رجل من أصحابه، ثم قال له : انزل فاغرز في الركي، فنزل فغرز فيه فقار الماء وطما إلى أعلى الركي فارتوى القوم للمقام والظعن وهم ثلاثون ألفاً ورجال من المناققين حاضر والأبدان غائبو العقول .

المعجزة الثانية عشر : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كلمته ظبية حين وقعت في شبكة فقالت: يا رسول الله إن لي طفلاً يحتاج إلى لبن وإني قد وقعت في هذه الشبكة فخلني حتى أرضعه.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف أخليك وصاحب الشبكة غائب ؟

قالت: إني أرجع فخلاها وجلس حتى رجعت الظبية وجاء صاحبها فشفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى خلى سبيلها ، فاتخذ القوم من ذلك الموضع مسجداً .

المعجزة الثالثة عشر : ان قوماً شكوا إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ملوحة ما نهم وانهم في جهد

من الظماء وبعد المياه وأن لا قوة لهم على شربه فجاء معهم في جماعة من أصحابه حتى أشرف على بئرهم فتفل (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها ، ثم انصرف وكانت مع ملوحتها غائرة ، فانفجرت بالماء العذب الفرات فيها هي يتوارثها أهلها ويعدونها أسنى مفاخرهم وأجل مكارمهم وأنهم لصادقون وكان مما أكد الله به صدقه، ان قوم مسيلمة سألوه مثلها لما بلغهم ذلك فأتى بئراً فتفل فيها فغارت ماؤها ملحاً أجاجاً كبول الحمير وهي إلى اليوم بحالها معروفة الأهل والمكان.

المعجزة الرابعة عشر : انه(صلى الله عليه وآله وسلم)، أته امرأة بصبي لها ترجو البركة بأن يمسه ويدعوله وكانت به عاهة فرحمها - والرحمة صفته (صلى الله عليه وآله وسلم) - فمسح يده المباركة على رأس الصبي فاستوى شعره وبرىء داءه وبلغ ذلك أهل اليمامة فأتت مسيلمة امرأة بصبي لها فمسح يده على رأسه فصلح وبقي نسله إلى يومنا هذا صلحاً. المعجزة الخامسة عشر : ان قوماً من عبد القيس أتوه(صلى الله عليه وآله وسلم)بغنم لهم فسألوه أن يجعل لها علامة يذكر بها، فعمر إصبعة المباركة في أصول آذانها فايضت فهي إلى اليوم معروفة النسل ظاهرة الأمر .

المعجزة السادسة عشر : حديث الاستسقاء وان أهل المدينة مطروا حتى أشفقوا من خراب دورها وانهدام بنيانها ، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم حوالينا ولا علينا،فانجاب السحاب عن المدينة وأطاف حولها مستديراً كالإكيل والشمس طالعة في المدينة والمطر يهطل على ما حولها يرى ذلك ظاهراً مؤمنهم وكافرهم، فضحك رسول الله له حتى بدت نواجذه وقال الله درّ أبي طالب لو كان حياً قرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام أمير المؤمنين فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه*** شمال اليتامى عصمة للأرامل

يطوف به الملاك من آل هاشم*** فهم عنده في نعمة وفواضل

المعجزة السابعة عشر : انه(صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ يوم بدر ملاً كفه من الحصاة فرمى بها وجوه المشركين وقال : شأهت الوجوه، فجعل الله سبحانه لتلك الحصاة شأنًا عظيمًا

لم يترك من المشركين رجلاً إلا ملأت عينيه، وجعل المسلمون والملائكة يقتلونهم ويأسرونهم ويجدون كل رجل منهم منكباً على وجهه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب بنزعه من عينيه .

المعجزة الثامنة عشر : أمر ناقته حين افتقدت فارتجت المنافقون وقالوا : ينبئنا بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، فلما خاف صلوات الله عليه وآله على المؤمنين وساوس الشيطان دلّهم عليها ووصف لهم حالها والشجرة التي هي متعلقة بها، فأتوها فوجدوها كما وصف.

المعجزة التاسعة عشر : ان القمر قد انشق له (صلى الله عليه وآله وسلم) بنصفين بمكة في أول مبعثه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد نطق به القرآن ، وقد صح عن عبد الله بن مسعود انه قال: انشق القمر حتى صار فرقتين فقال كفار أهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال : فسئل السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأينا استشهد البخاري في الصحيح بهذا الخبر بأن ذلك كان بمكة .

قال الحكيم الفرطوسي له :

وكفانا منها على وجلالاً*** قمر الأفق من عنان السماء

حين أومى فانشق نصفين حتى*** بان للناظرين دون خفاء

المعجزة العشرون : ان رجلاً من أصحابه أصيب بإحدى عينيه في بعض مغازيه فسالت الدم حتى وقعت على خده فأتاه مستغيثاً به فأخذها فأخذها بيده المباركة فردها مكانها فكانت أحسن عينيه وأصحها وأحدّها نظراً.

المعجزة الحادية والعشرون: أن أبا براء ملاعب الأستة كان به استسقاء فبعث إليه لبيد بن ربيعة وأهدى له فرسين ونجائب ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا أقبل هدية مشرك ، قال لبيد : وما كنت أرى أن رجلاً من مضر يرد هدية أبي براء، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لو كنت قابلاً هدية مشرك ، لقبلتها ، قال : فإنه يستشفيك من علة أصابته في بطنه، فأخذ بيده

ص: 255

المباركة حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاه وقال : دَفَّها بماء ثم اسقته إياه، فأخذها متعجباً يرى أنه قد استهزأً، به فأتاه فشربه وأطلق من مرضه كأنما أنشط من عقال .

المعجزة الثانية والعشرون : شكوى البعير إليه عند رجوعه إلى المدينة من غزاة بني ، ثعلبة ، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): أتدرون ما يقول هذا البعير ؟

قال : جابر : قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنه يخبرني ان صاحبه عمل عليه حتى إذا أكبره وأدبره وأهزله أراد نحره ويبيعه لحمًا ، يا جابر، اذهب معه إلى صاحبه فأنتني به.

قال : قلت : والله ما أعرف صاحبه . قال : هو يدلك .

قال: فخرجت معه حتى انتهيت الى بني حنظلة أو بني واقف قلت : أيكم صاحب هذا البعير ؟ قال بعضهم : أنا .

قلت : أجب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فجننت أنا وهو والبعير الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال : بعيرك هذا يخبرني بكذا وكذا . قال : قد كان ذلك يا رسول الله ، قال : فبعينه ، قال : هو لك .

قال : بل بعينه ، فاشتراه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ضرب على صفحته فتركه يرعى ثم في ضواحي المدينة ، فكان الرجل منا إذا أراد الروحة والغدوة منحه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

قال جابر : فرأيتته وقد ذهبت دبرته ورجعت إليه نفسه.

المعجزة الثالثة والعشرون : انّ أبا جهل عاهد الله أن يفضخ رأسه(صلى الله عليه وآله وسلم) بحجر إذا سجد في صلاته، فلما قام رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي وسجد وكان إذا صلّى بين الركنتين : الأسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين الشام احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع متغيراً لونه مرعوباً ، قد يبست يدها على حجره حتى قذف الحجر من يده وقام إليه رجال من قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟

قال : عرض لي دونه فحل من الإبل ما رأيت مثل هامته وقصرته ولا أنيابه

لفحل قَطَّ فهم أن يأكلني.

المعجزة الرابعة والعشرون : ان أبا جهل اشترى من رجل طارية بمكة إبلاً فبخسه أثمانها ولوا بحقه فأتى الرجل نادى قريش مستجيراً بهم وذكرهم حرمة البيت فأحالوه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) استهزاء به ، فأتاه مستجيراً به، فمضى معه ودق الباب على أبي جهل فعرفه فخرج مبهور العقل ، فقال : أهلاً بأبي القاسم ، فقال له : أعط هذا حقه .

قال : نعم، فأعطاه من فوره ، فقيل له في ذلك، فقال : إني رأيت ما لم تروا، رأيت والله على رأسه تيناً فاتحاً فاه والله لو أبيت لألتقمني.

المعجزة الخامسة والعشرون : ما روته أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وهي تقول: مدمما أينا، ، ودينه قلينا، وأمره عصينا ، والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): لن تراني، وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال وقرأ: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) فوفقت على أبي بكر ولم تر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت : يا أبا بكر أخبرت ان صاحبك هجاني، فقال : لا ورب البيت ما هجاك، فقلت وهي تقول: قريش تعلم أنني بنت سيدها. المعجزة السادسة والعشرون :عن أبي صالح، عن ابن عباس أن ناساً من بني مخزوم تواصلوا بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ليقتلوه ، منهم : أبو جهل والوليد بن المغيرة ونفر من بني مخزوم، فبينما النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)قائم يصلي إذ أرسلوا إليه الوليد ليقتله، فانطلق حتى انتهى إلى المكان الذي كان يصلي فيه، فجعل يسمع قراءته ولا يراه، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك، فأتاه من بعده أبو جهل والوليد ونفر منهم، فلما انتهوا إلى المكان الذي يصلي فيه سمعوا قراءته وذهبوا إلى الصوت، فإذا الصوت من خلفهم فيذهبون إليه فيسمعونه أيضاً من خلفهم فانصرفوا ، ولم يجدوا إليه سبيلاً، فذلك قوله تعالى :

ص: 257

(وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون).

المعجزة السابعة والعشرون : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في غزاة الطائف ومسيره ليلاً على راحلته بوادي بقرب الطائف يقال له : (نجيب) ذو شجر كثير من سدر وطلح ، فعشى وفي وسن النوم في سواد الليل فانفرجت السدرة له بنصفين ، فمرّ بين نصفها وبقيت السدرة منفرجة على ساقين إلى زماننا هذا، وهي معروفة مشهور أمرها هناك وتسمى شجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). أورده الشيخ أبو سعيد الواعظ في كتاب شرف النبي .

المعجزة الثامنة والعشرون: بركت ناقته (صلى الله عليه وآله وسلم) باباب أبي أيوب. قال الفرطوسي:

وأنت ناقه النبي أبا أيوب*** حتى حطت بخير فناء

وهي مأمورة بما فعلته*** وهو قد كان أضعف الفقراء

المعجزة التاسعة والعشرون : وصيته بالقبط عند فتح مصر . قال الفرطوسي:

وهو أوصى بالقبط في فتح مصر*** ليصانوا من الأذى والبلاء

مؤذناً بالفتوح عهداً فعهداً*** حين تجرى في أكثر الأنحاء

مخبراً عن عصا الكليم وبردى*** إيليا في خزانة الاقتناء

المعجزة الثلاثون : العوسجة المباركة. قال الفرطوسي:

«وربيع الأبرار» يروى فيروى*** كل نفس ظمآنة برواء

حين مج النبي من فيه ماء*** في أصول قد بوركت بالماء

فازدهرت بالنمو عوسجة الدار*** وأعطت ثمارها بنماء

وهي أحلى ذوقاً وأشهى من الشهد*** وأعلى أراكة خضراء

لا يعود السقيم إلا سليماً*** من حماها مزوداً بالشفاء

واستمرت حتى توفي طه*** فتهاوت ثمارها بارتماء

واستحالت أوراقها الصفرة شوكة*** عند فقدان سيد الأوصياء

ثم سالت دماً عبيطاً وماتت*** عند قتل الحسين في كربلاء

المعجزة الحادية والثلاثون : رجوع بصر أم أيوب. قال الفرطوسي :

فأتت أمه ابتهاجاً لطفه *** وهي عمياء تزدهي بالهناء

بركات النبي فاضت عليها*** يوم وافى فبوركت بالشفاء

حين مست بكفه مقلتهاها*** فرأت نور وجهه الوضاء

أقول : هذا قليل من كثير مما ذكره المحدثون في كتبهم من معجزاته (صلى الله عليه وآله وسلم) التي لا يمكن لنا نأتي على آخرها في جلسة واحدة لو أردنا ذلك لكننا نحتاج في ذكرها الى عدة جلسات.

قال أمين الاسلام: وأما آياته صلوات الله عليه وآله، في إخباره بالغائبات والكوائن بعده فاكثر من أن تحصى وتعد . ثم نقل أيضاً شيئاً يسيراً منها يمكننا تلخيص ما نقله فيما يلي :

الأولى : ما روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في معنى قوله تعالى: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) وهو ما رواه أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والنصرة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب.

الثانية : روى بريدة الأسلمي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال : ستبعث بعوث فكن في بعث يأتي خراسان ثم اسكن مدينة مرو فإنه بناها ذو القرنين ودعا لها بالبركة وقال :

لا يصيب أهلها سوء.

الثالثة : قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما رواه شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الحوآب سمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظنني

إلا راجعة ، سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال لنا : أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب ؟

فقال الزبير : لعلّ الله يصلح بك الناس.

الرابعة : قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) الزبير لما لقيه وعلياً (صلى الله عليه وآله وسلم) في سقيفة بني ساعدة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : أتجبه يا زبير ؟ قال : وما يمنعني ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم لي ؟

قال : بلى ولكنني نسيت. وقوله أيضاً(صلى الله عليه وآله وسلم)العمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية : أخرجه مسلم في الصحيح.

الخامسة :عن أبي البختری أنّ عماراً أتى بشربة من لبن فضحك، فقيل له : ما يضحكك؟ قال :إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)أخبرني وقال :هو آخر شراب أشربه حين أموت.

وكذلك قوله(صلى الله عليه وآله وسلم)في الخوارج : ستكون في أمتي فرقة يحسنون القول ويسيئون العمل، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون إليه حتى يتردد على فوهه هم شر الخلق والخلقة، طوبى لمن قتلوه طوبى لمن قتلهم، ومن قتلهم كان أولى بالله منهم.

قالوا: يا رسول الله فما سيماهم؟ قال : التحليق .

رواه أنس بن مالك .

السادسة : قوله(صلى الله عليه وآله وسلم)الأمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام : الأمة ستغدر بك بعدي، وإنك تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال الفرطوسي ولنعم ما قال في معجزات أقواله(صلى الله عليه وآله وسلم) :

وله في المقال آيات صدق*** شوهدت بالعيان من كل رأي

وهو علم المغيبات وكشف*** الخبايا سرائر في الخفاء

قال يوماً لطلحة في علي*** والزبير العوام دون افتراء

إنما تخرجان ظلماً عليه*** بعد موتي في البصرة الفيحاء

مخبراً عن كلاب حوآب نبجاً*** حين تبغي عليه أحد النساء

قال في يوم خيبر لعلي*** بطل الفتح سوف أعطي لوائي

وهو أومى له تقاتل بعدي*** فرقة الناكثين عهد الولاء

حين تبلى بالمارقين ضلالاً*** وعمى القاسطين دون اهتداء

وهو أفضى بقتل عمار بغياً*** وعلي والسبط في كربلاء

وأسر الزهراء أنت لحاقاً*** في الموت أول الأقرباء

أخبر المسلمين عن ظهر غيب*** وهو فيهم عن مقتل الشهداء

جعفر والشهيد زيد وعبدالله*** في يوم مؤتة بجلاء

واتى آل جعفر ویتاماه*** وعزى الجميع خير عزاء

ولسلمان قال إنك تكسى*** تاج كسرى بعزة واعتلاء

فاكتسى فيه زينة ووقاراً*** عند فتح المدائن العصماء

وهي لا يمكن الإحاطة فيها*** في جميع الأخبار والأبناء

وقال أيضاً روعي فداه في معجزاته ذاته(صلى الله عليه وآله وسلم) المقدسة :

ولطه في ذاته معجزات*** خارقات لعادة الأحياء

كان لا يستبين في الأرض ظلّ*** منه للعين مظلم في الضياء

يتعالى طولاً على كل شخص*** معه سائر على الحصباء

ليس يرقاه طائر في مرور*** حين يجري مرفقاً في الفضاء

وإذا سار في الثرى ظلّته*** حيث يسرى غمامة عن ذكاء

وجميع الأشجار إن مرّ فيها*** بادرت بالسلام عند اللقاء

ويهزّ المهده الذي هو فيه*** في صباه شعاع بدر السماء

كان كالبدر وجهه حين يبدو*** مستنيراً في الليلة الظلماء

يسمع النطق يقظة ومناماً*** ويرى من أمامه والوراء

ليس يستاف غير ما طاب شمماً*** أنفه من روائح الأشياء

وإذا مج ريقه فوق ماء*** صار كالمسك طيب الأثداء

وكأن الأنفاس منه غوال*** ما زجت بالشذى كؤوس الرواء

عالم باللغات من كلّ لسن *** فهى تجرى بلسنه كالماء

صدره للعلوم بحر محيط *** لا يدانى قراره برشاء

ص: 261

بين كتفيه للنبوة يبدو*** خير ختم يزهو بأبهي الضياء

يشبع البطن إذ يشدّ عليها*** حجر الجوع من شهى الغذاء

كل ظهر يعلوه لا يعتريه*** هرم بعد سنه المترائي

ينبع الماء بين كفيه فوراً*** من غصون الأصابع البيضاء

والحصى في يديه ينطق شكراً*** وابتهالاً مسبحاً بالدعاء

وإذا مدّ رجله في أجاج*** صار عذباً من رقة وصفاء

ليس تبدو الآثار في الرخو منه*** وهي تبدو في الصخرة الصماء

ليس يدنو الذباب قريباً إليه*** فهو عن جسمه المبارك نائي

هذه أيضاً بعض آياته الباهرات في أقواله وفي ذاته الشريفة، وهي تدل أيضاً على نبوته، وعظيم قدره وعلو رتبته، ورفيع مكانته السامية عند الله تعالى، بل هو بالواقع بنفسه معجزة وشعلة قدسية سطع ضوئها وسنائها فمزق حالك الظلام.

قال بعض الأدباء :

محمد شعلة قدسية سطعت*** فمزقت بسناها حالك الظلم

له المحامد قد ألفت أزمته*** من حسن خلق وأخلاق ومن كرم

فاقت شريعته كل الشرائع إذ*** جاءت بحكم حكيم النهج مستقيم

لو كان يدري حمورابي بحكمتها*** ما خط حكماً على الجدران والرخم

لو أن ديكارت لم يألّف تعصبه*** ما اختار نهجاً سواها خائر الدعم

مضت عليها قرون وهي صالحة*** توأب العلم والأجيال في درم

بها تخلد دين الله تسنده*** أدلة تلجم الباغين باللجم

قرأنها لم يزل يبدي لمكتشف*** ما ينتج البحث من علم ومن نظم

وإنه أحد الثقلين*** يعضده آل النبي

من أظهرت آية التطهير أمرهم*** وغيرها حيث لم يجثوا على وصم

وصفوة الحب ممّن سار سيرهم *** ففيهم يصطفى الاسلام في الأمم

ص: 262

لهفي لهم في سبيل الحق ذا كمداً ***قضى بسمٍ وذا تاو بفيض دم

نعم، قضى آل محمد عليهم الصلاة والسلام بالسف والسف، كما جاء في الحديث ما منهم إلا مسموماً أو مقتول.... وأول من شرب كاسات الفصص والسموم هو جدهم الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلقد نال الفصص والمحن من أولئك الأندال المغضوب عليهم أولئك النفر الذين أهانوه وهجروه وسخروا من أفكاره وآذوه في أهله وولده، ومنعوا ابنته الزهراء الصديقة عليها الصلاة والسلام حتى من البكاء والنياحة عليه بعد غضبوا إرثها فإنه كما جاء في السيرة أنهم جاءوا لعللي عليه الصلاة والسلام وقالوا له : إن فاطمة قد آذتنا من البكاء فقل لها إما أن تبكي ليلاً وتسكت نهاراً وإما أن تبكي نهاراً وتسكت ليلاً، ولكن فاطمة عليها الصلاة والسلام لم تقبل بذلك فكانت تخرج عليها السلام خارج المدينة وتستظل بشجرة هي وأولادها وتبكي على أبيها حتى قطعوا تلك الشجرة، وقيل إن الامام عليه الصلاة والسلام قد بنى لها داراً مخصوصة لهذا الغرض سميت بدار الأحران كانت تأوي إليها وتنصب العزاء وتبكي على أبيها .

حطت عزيزة فاطمة الزهراء لبوها *** اونسوان هاشم بالنياحه ساعدوها

جسمي انتحل والثوب متني ما يشيله *** واسقوطني المحسن دعي جسمي عليه

وافراق أبو إبراهيم خلاني نحيله *** اوقوم الظلم نحلتي مني اغضبوها

والله لقيم النوح في صبحي او مسائي *** واجعل شرابي مدمعي اوزادي عزائي

قومك يبابه امنعوني عن بكائي *** كيف العزيزة عن بكاهها يمنعوها

اظلم عليه البيت واوحشني المنير *** اوعيني تهل ادموعها اوقلبي تظفر

واني حزينه او في العزة وياي حيدر *** وصيت يابه والوصية مارعوها

دومي انادي والدمع بالخدسكاب ** بس من غبت يا نور عيني تحت لتراب

ضربوا العزيزة واعصروها ابصائر الباب *** واضلوع جنبي وسط بطني كسروها

المحراب خالي يالولي والبيت اظلم *** والدين من بعدك يبو القاسم تهدم

ما حصل لنا نصب الفقدك الماتم*** قوم الظلم الشريعة غيرها

حزني على حيدر وصيك نور الاسلام*** ذاك الأسد ممدود كيف اتقوده اغنام

قادوه ملبب وهو علم العلام*** او رتبة الباري او ربتك عنه زووها

وكأني بها نادى بصوت حزين وقلب ملتهب بالوجد والأسى، نادى صلوات الله وسلامه عليها قائلة: ابتاه الدار موحشة علي لفقدك فياليت
المنية قد عاجلتني قبلك ولا أنظر إلى منبرك خالي من نور وجهك المبارك.

تنادي بيويه ستوحشت دارى عليه*** ياليت قبلك چان وافتني المنية

كلما على الخدين صب المدمع اوسال*** يغشا عليها من البكاء وأطيح في الحال

قالوا تسلي يا بتوله قالت امحال*** ما ينقضي نوحى على خير البرية

ليت المنايا عاجلتني قبل هالحين*** قبل المنابر تختلى من وجهه الزين

وأعظم عليه الحسن ينشد خوه لحسين*** ايقله يخويه وين جدناها لعشية

ويذوب قلبي من يقول احسين جدي*** يفت قلبي امن الحزن واتذوب كبدي

وأقول ليهم بس تلفتوني يولدي*** جدكم مضى في حضرة القدس العلية

عافوا بيويه الزاد وانتلفوا من الجوع*** ما يأكلون الزاد حتى يمتلي ادموع

واليتم ناحلهم أو ظل الكل موجوع*** وأنى أحسن او اجذب الونة خفيه

دويي اسكت هالطفال اللي احذائي*** نوب اسكتهم او نوب أظهر بكائي

او كلما يون احسين زيدني نعائي*** بعدك بيويه جارت الدنيا عليه

ويذكرني بكاء هذه السيدة الجليلة والصديقة الحوراء فاطمة الزهراء(عليها السلام)على أبيها ببكاء سيدة جليلة ووفية نبيلة هي سيدتنا الرباب
على سيدنا الحسين صلوات الله وسلامه عليه فانه قد جاء في كتاب معالي السبطين للمحدث المازندراني الحائري نقلاً عن كتاب كامل
التواريخ ان الرباب بنت امرىء القيس زوجة الحسين عليه وعليها الصلاة والسلام قد أقامت على قبر الحسين عليه الصلاة والسلام سنة
كاملة وهي باكية حزينة ثم عادت إلى المدينة وقد خطبها الأشراف فقالت: لا والله ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله، ولم تزل تبكي
على الحسين عليه الصلاة

والسلام ليها ونهارها كما كانت فاطمة الزهراء باكية على رسول الله، بل زادت الرباب على سيدتنا الزهراء (عليها السلام) انها بقيت لم يظلمها سقف وتجلس في حرارة الشمس حتى ماتت سلام الله عليها كمدأ هي ترثي الحسين (عليه السلام) بهذه الأبيات:

إن الذي كان نوراً يستضاء به*** بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله صالحاً*** عنا وجنبت خسران الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به*** وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن*** يعني ويأوي إليه كل مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركم*** حتى أغيب بين الرمل والطين

وفي مجلس عبيد الله لعنه الله لما نظرت إلى رأس الحسين عليه الصلاة والسلام أخذت الرأس الشريف ووضعت في حجرها وجعلت تقبله وتبكي وتقول:

واحسيناً ولا نسيت حسيناً*** اقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً*** لا سقى الله جانبي كربلاء

وعند ما رجعت إلى المدينة المنورة بمرافقة الامام زين العابدين (عليه السلام) مع عماته وأخواته فانها (عليها السلام) قد استقبلت نساء المدينة وهن باقيات مخمشة وجوههن ضاربات خدودهن يدعون بالويل والثبور فتجددت الأحزان عليها وزاد جدها خصوصاً عندما سمعت جارية تنوح على الحسين عليه الصلاة والسلام وهي تقول:

نعى سيدي ناع نعا فأوجعا*** وأمرضني ناع نعا فأفجعا

فعيني جوداً بالدموع وأسكبا*** وجوداً بدمع بعد دمعكما معا

على من دهى عرش الجليل فزعزعا*** فأصبح هذا الدين والمجد أجدعا

على ابن نبي الله وابن وصيه*** وإن كان عنا شاحط الدار أشعا

وكذلك غابت نفسها ونفوس الهاشميات والعلويات لما سمعن أم كلثوم تنعى الحسين عليه الصلاة والسلام باكية قائلة:

مدينة جدنا لا تقبلينا*** فبالحسرات والأحزان جينا

خرجنا منك بالأهلين جمعاً*** رجعنا لا رجال ولا بنينا

وكنّا في الخروج بجمع شمل *** رجعنا حاسرين مسلّينا

وكنّا في أمان الله جهراً *** رجعنا بالقطيعة خائفينا

ومولانا الحسين لنا أنيس *** رجعنا والحسين به دهيّنا

فنحن الضائعات بلا كفيل *** ونحن النائحات على أخيّنا

ونحن السائرات على المطايا *** نشال على جمال المبعضينا

ونحن بنات يس وطه *** ونحن الباقيات على أيّينا

ونحن الطاهرات بلاخفاء *** ونحن المخلصون المصطفونا

ونحن الصابرات على البلياء *** ونحن الصادقون الناصحونا

ألا فإخبر رسول الله عنّا *** بانّا قد فجعنا في أيّينا

واخبرنا جدنا أنا أسرنا *** وبعد الأسر يا جدّا سبيّنا

رسول الله بعد الصون صارت *** عيون الناس ناظرة إلينا

هكذا كانت سيدتنا الرباب ومعها باقي نسوة الحسين (عليه السلام) وبناته وأخواته في جزعهم على سيد الشهداء في كل مكان وبالخصوص عندما استقرت بهم الدار في المدينة وذلك بعد ورودهم إليها راجعين من كربلاء.

وإن نسيت فلا أنسى مولانا زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين (عليه السلام) في بكائه وجزعه على أبيه ، فقد جاء في كتاب معالي السبطين للمحدث المازندراني عليه رضوان الله تعالى انه لما وصل مولانا زين العابدين عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وذلك بعد رجوعه من كربلاء جاء إلى قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومرغ خديه وبكى وأنشأ يقول :

أناجيك يا جداه يا خير مرسل *** حبيبك مقتول ونسلك ضائع

أناجيك محزوناً عليك موجلاً *** أسيراً ومالي قط حام ودافع

سبيّنا كما تسيّ الإمام ومسنّا *** من الضر ما لا تحتمله الأضالع

وفي المعالي أيضاً نقلاً عن كتاب (الدمعة) : انه لما دخل زين العابدين عليه الصلاة والسلام المدينة بعدما رجعوا من كربلاء ومعه عماته وأخواته كان ذلك اليوم

يوم الجمعة والخاطب يخطب ، فلما سمعن الهاشميات تجددت عليهن الأحزان والمصائب، وارتفعت بالبكاء أصواتهن، وشققن الجيوب ولطمن الخدود، ونشرن الشعور، فانقلبت المدينة بأهلها وأصابها الرجف والزلازل لكثرة النوح والعيويل من المهاجرين والأنصار ، ولقد كان ذلك اليوم أشد من يوم مات فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولبس نساء بني هاشم السواد والمسوح وكن لا يشتكين من حر ولا برد، وكان مولانا علي بن الحسين عليهما الصلاة والسلام يعمل لهن الطعام للمأتم ، وما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عدو الله بن زياد لعنه الله وضاعف عليه العذاب.

ولله در شاعر آل محمد عليهم السلام في وصفه المدينة عند ورود بنات الرسالة إليها ، وكيف كانت تموج بنوح وعيويل المهاجرين والأنصار، وكذلك يصف حالة محمد بن الحنفية من الجزع على الحسين (عليه السلام) :

هذي المدينة تموج بالصيحة يغلمان*** قلبي تراهو ذاب من ضجة النسوان

والخلق تهرع للفضا كلهم مذاعير*** الله الكافي هالفرع ما هو على خير

قالوا أخوك حسين وصل قال ميصير*** هذي مهى حالة سلامه حالة احزان

هاي المدينة مقوضة للبر كلها*** وهالنسوة الى تنوح مدري شرايح الها

هذي تجر ونه وذي تسحب طفلها*** واسمع حريم تصيح وافجعة الشبان

كشفو خبرهم زلزلتني ضجة الناس*** هذا يدق صدره وهذا يلطم الراس

مدري انفق الاكبر على لو مات عباس*** مدري من الى فاقدينه اشبال عدنان

حسبات قلبي تزايدت من كثرة النوح*** معلوم هالضجة على سردال مذبوح

بادت اعضاي من الصوايح وين اناروح*** مقدر اوصل لخوتي يا خلق وجعان

لمن طلع والدمع يجري فوق الخدود*** شاف الخلق تلعى او ذاك البر مسدود

والروس كلها مكشفة واعلامهم سود*** من دهشته خر استعفر فوق تريان

صاح وعلى حسن البواكي شايع العين*** ميصيرها لضجة على واحد او اثنين

ان صدق ظني هالبكا كله على احسين*** قالوا البكا على حسين واولاده والاخوان

هذا ضعهم سود منشوره اعلامه*** ومحد يقلى الحمد لله على السلامه

وان صدق ظني ها لضعن نسوه ويتاما*** وان كان راح حسين ما تسكن هالاوطان

وإذا به يلتقي بمولانا السجاد(عليه السلام) ويعانقه طويلاً وهو يسأل عن شيخ العشيرة وإمام الكائنات وسيد الأنام قائلاً: يا ابن أخي أين أبوك الحسين(عليه السلام)؟ فأجابه زين العابدين(عليه السلام) بصوت ضعيف: عظم الله لك الأجر يا عم في أبي الحسين، فلقد قتل مظلوماً عطشاناً غريباً، ثم أخذ محمد بن الحنفية يبكي ولسان حاله يقول: ذيك العشيرة وبين خبرني يسجاد*** وبين المشكر بو على مصباح العباد

عنى طلعتو يا علي بعز وجلاله*** واحسين جدام الضعن يبهر جماله

يبرى الضعينه كالأسد حوله اشباله*** ورديت منحول الجسد يا زين العباد

وبين العشيرة ووين ابو سكنه والابطال*** لمن سمع حن وتزفر والدمع سال

وقله يعمي عزوتك رجعتهم محال*** كلهم بضحوية قضوها بفرد مطراد

كلهم ابطف الغاضرية باعوا ارواح*** كلمن من الخيمة تكنا ودع ارواح

او ما تسمع بذاك المخيم غير لنياح*** ليتك نظرت اشلون حملة ذيك الاولاد

هذا يودع والده وهذا عضيده*** وهذا على احوال الحراير يصفج ايده

وهذا ينادي هالضعن يا هو يعوده*** طلعو فرد طلعه ونامو بحر الوهاد

سوو خبر لكن يعمى الى روا العود*** فعل البطل عباس ما سمعنا بالوجود

قطعوا اكفوفه والعلم شاله بلزنود*** والشمس تلهب والعطش بالقلب وقاد

انا امسجى اولدي او عماتي اوقوف*** او عباس بالعركه او كلنا الفعله انشوف

نكس رواياها او هو مقطوع لكفوف*** يصرخ او تهوى اصفوف من عسكر ابن زياد

او بس وقع يا عمي شملنا اتشت ارواح*** واقمارنا كلها تهاوت فوق لبطاح

وابسهم لمثلث أخوك من المهر طاح*** لكن شوصف من مصايب بين المجاد

بس طاح أبو يه أعلى الثرى حزوا كريمه*** نهبوا خيمنا او شتتوا منها حريمه

كم ارمله عاينت عيني او كم يتيمة*** للبر فرت تلتجي خوف امن لوغاد

الجلسة الحادية عشر : في بيان طريقة الارسال والدليل عليه

والبنوات للخلائق فرض *** لاحتياج العباد للأنبياء
وامتناع الاهمال فهو مخلّ *** ومضّرّ في حكمة الحكماء
وثبوت التكليف عقلاً ونقلاً *** في جميع ميع الشرائع الغراء
وهو يحتاج للمبلغ فيه *** وهم الأنبياء وقت الأداء
ليبين الهدى ويقطع عذر *** للبرايا بالحجة البيضاء
ويصح العقاب منه بعدلٍ *** ويحق الثواب يوم الجزاء
عند فعل الطاعات من كل عبد *** والمعاصي على صعيد سواء
من أدلة النبوة وجوب اللطف
فوجوب الارسال للخلق منه *** ثابت بالدليل دون انتفاء
حيث ان اللطف المؤمل منه *** والمرجي فيض بغير انتضاء
وهو فيض يقضي بإرسال *** رسل للبرايا من خيرة السفراء
يرشدون العباد للحق منه *** بعد تبيان منهج الاهتداء
ويصدّون سائر الخلق ردعاً *** عن ركون الضلال والاعتداء
يصلحون الأنام سيراً ورشداً *** في الحياة الدنيا ويوم الجزاء
فيكون العبد المجيب مطيعاً *** وقريباً من ربه غير نائي
حيث أن الاهمال للخلق قبح *** مستحيل على إله السماء

لا بد من الوساطة

خلق الخلق للعبادة ذلاً*** وخضوعاً لشامخ الكبرياء

ولعرفان ذاته بعد جهل*** بعلاها من سائر الجهلاء

وهو فرع التكليف للخلق منه*** بائتمام لأمره وانتهاء

وهو لابد أن يبلغ هذا*** برايا بألسن الأنبياء

وهو عين التبليغ بين الرعايا*** حين تأتي أوامر الأمراء

لامتناع التبليغ للخلق منه*** بالتجلي من دون أي غطاء

أو بوحى يوحى إلى كل فرد*** منه للجن أو بني حواء

فهو نور عن خلقه متعال*** وكمال في غاية الاعتلاء

وهم ظلمة فأى اتصال*** بين سنحيهما وأي التقاء

والنبيون بين ربّ البرايا*** والبرايا من خيرة الوسطاء

احتياج الخلق للنبي

إن جسم الانسان اوجد فيه*** عند إنشاء هذه الأجزاء

اسماع الأصوات والنطق أذناً*** ولساناً ومقلة للمرائي

وللمس الأجسام والشم أنفاً*** ويداً بين هذه الأعضاء

وحياة بالقلب وهو رئيس*** وهي مرؤوسة لهذا البناء

فإذا شككت بما أدركته*** لاكتساب اليقين بعد امتراء

رجعت كلها إلى القلب فيه*** مع حسن التدبير والاعتناء

عند خلق الحواس والقلب مأوى*** لهداها في ساعة الالتجاء

أفيبقى العباد دون رئيس*** تقتدي فيه ساعة الاقتداء

ترجع الناس في الأمور إليه*** حين تمسي في حيرة وابتلاء

فوجود النبي لابد منه***لاحتياج العباد للأنبياء

ص: 270

الشريعة نظام البشر

وحياة الانسان لا بد فيها*** من نظام يشيد كل بناء
حيث بين العباد تجري أمور*** مالهم عن وقوعها من غناء
كعقود المعاملات جميعاً*** والعبادات عند وقت الأداء
وسواها مما هم باحتياج*** وافتقار لها بحدّ سواء
وهي لو بعثت نظاماً لأضحت*** في فساد وأصبحوا في بلاء
فهي تحتاج للشريعة جزماً*** وهي قانونها بوقت القضاء
وهي تحتاج للمشرع وضعاً*** ونظاماً عدلاً بغير اعتداء
وهم الأنبياء في كل عصر*** لاحتياج التشريع للعلماء
وهم العالمون في كل جهر*** من قضايا تشريعها وخفاء
شرائط النبي

والنبي الكريم لا بد فيه*** أن يوفي على أتم وفساء
ما به عن سواه يسمو رقيماً*** من شروط الاعجاز والارتقاء
معجز خارق يميز فيه*** حينما يصطفيه خير اصطفاء
يذعن المبطلون للحق فيه*** بعد عجز عن مثله وتنائي
عصمة النفس عن جميع الخطايا*** مع إمكان فعلها والاباء
وامتناع النسيان والسهو منه*** وابتعاد عن سائر الأخطاء
ليتم الوثوق للخلق فيه** بالتكاليف عند وقت الأداء
رحم طاهر وصلب زكي*** يجتنبه من أكرم الآباء
علم الهدى وعلم غزير*** منه تسقى مدارك العلماء
وجميع الصفات يفضل فيها*** سائر الخلق منه بني حواء

ص: 271

قال الله تعالى في كتابه المجيد : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (1).

جاء في تفسير الكاشف : يطلق كلام الله سبحانه وتعالى على العديد من المعاني ، منها : قضاؤه وقدره (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ... وَالخَلْقِ وَالْإِيجَادِ (وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرِيَمَ ...)) والحق وكلمة الله هي العليا والكون الذي أوجده بكلمة (كن) والإلهام : (أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) ومن كلام الله الكلام المسموع (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) وهذا الكلام هو الذي يسمعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من وراء حجاب أو يُرسل الله به إلى النبي رسولاً . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية التي طرحناها للحديث في هذه الجلسة المباركة : ثلاثة أوجه لتكليمه الرسل وكيفية اتصاله بهم :

الأول : إلقاء المعنى في قلب النبي مباشرة ومن غير واسطة، وهذا هو المراد بقوله تعالى : (إِلَّا وَحْيًا).

الثاني : أن يخلق الله الكلام كما يخلق غيره من الكائنات، فيسمعه النبي لا بواسطة رسول من الله ، بل من وراء حجاب، أي أن النبي يسمع الكلام ولا يرى المتكلم، وهذا هو المقصود من قوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (2). الثالث : أن يرسل سبحانه إلى رسوله ملكاً يبلغه رسالات ربه .

قال الملا صدرا في الأسفار : وإياك أن تظن أن تلقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كلام الله بواسطة جبريل وسماعه منه كاستماعك من النبي ، أو تقول : إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان مقلداً لجبريل .

وليس من شك أنه لا يظنّ هذا الظنّ أو يقول هذا القول إلا جاهل لأنّ ما بلغه جبريل لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو كلام الله بالذات، ووعاه الرسول الأعظم على حقيقته،

ص : 272

1- سورة الشورى : آية 51 .

2- سورة النساء : 164 .

وعليه تكون معرفة الرسول بكلامه تعالى هي كلام الله وكلام الله هو عين معرفة الرسول.

وفي الآية الكريمة دلالة واضحة على إرسال الرسل والأنبياء من جهة أنها قد عيّنت الوسطة بين الحق سبحانه وبين عباده وهم الرسل) فوجوب إرسال الرسل ونصب الأئمة على الله تعالى من أوضح الواضحات ، ولنا في الدليل عليه وجوه ذكرها الحجّة المقدس مولانا السيد عبدالله شبر (قدس سره) في بعض كتبه كما ذكرها غيره أيضاً من علماء الكلام قال رضوان الله تعالى عليه ولنا في الدليل عليه وجوه: .

الأول : انّ ذلك من باب اللطف الواجب عليه تعالى.

الثاني : انك قد عرفت ان الغرض والحكمة في إيجاد الخلق المعرفة والعبادة كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (1) وذلك يتوقف على تعيين واسطة بين الحق والخلق نبياً كان أو إماماً يعلمهم ذلك لاستحالة الإفاضة والاستفاضة بلا واسطة، إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة، وكمال الكمال ومنتهى النقص، فتستحيل المشاهدة والمكالمة إلا بالواسطة كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (2). وإنما كان الوسطة قابلاً لذلك لأنّ له جهتين نورانية وجسمانية ، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أول ما خلق الله نوري وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) (3).

وجاء في الكافي : عن هشام بن الحكم : عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الأنبياء والرسل ؟

ص: 273

1- سورة الذاريات : 56 .

2- سورة الشوري : 51 .

3- سورة الكهف : 110 .

قال : إننا لما أثبتنا ان لنا خالقاً صادقاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه. فبباشروهم وببأشروهم ويحاجهم ويحاجوه ثبت ان له سفراء في خلقه يعيرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمر والنهوض عن الحكيم العليم في خلقه المعبرون عنه جل وعزّ وهم الأنبياء، صفوته في خلقه حكماء مؤدّين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته .

وفي حديث ثان عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): إن الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلق بل الخلق يعرفون به ، قال : صدقت. قلت: إن من عرف له رباً فقد ينبغي أن يعرف لذلك الرب رضاً وسخطاً، وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي أو رسول، فمن لم يأت فقد ينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجة وأنّ لهم الطاعة المفترضة وقلت فحين مضى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من كان الحجة على خلقه فقالوا القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجىء والقدرى والزندق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصوصته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بغيره، فما قال فيه من شيء كان حقاً فقلت لهم من قيم القرآن فقالوا ابن مسعود كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم .

قلت كله. قالوا: لا فلم أجد أحد يقال انه يعرف ذلك كله إلا علياً عليه الصلاة والسلام، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا لا أدري، وقال هذا لا أدري، وقال هذا أنا أدري، فأشهد أن علياً(عليه السلام) كان قيم هذا القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وان ما قال في القرآن فهو

حق ، فقال : رحمك الله .

قال سيدنا الحجة السيد عبدالله شبر رضوان عليه : ويجري هذا البرهان العقلي بعينه في سائر الأئمة المعصومين (عليه السلام) بعد أمير المؤمنين (عليه السلام).

وفي حديث ثالث : عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبدالله جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين ومحمد بن النعمان وهشام بن سالم، والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبدالله (عليه السلام): يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته .

قال هشام: يا ابن رسول الله أني أجلك وأستحيبك ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبدالله (عليه السلام) : إذا أمرتكم بشيء فافعلوا قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بلحقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء مترربها من صوف وشملة متردي بها والناس يسألونه فاستفرجت الناس، فأفرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتين، ثم قلت: أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال : نعم، فقلت له : ألك عين؟ فقال : يا بني أي شيء هذا السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت : هكذا مسألتي .

فقال : يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء.

قلت : أجبني فيها، قال لي : سل ، قلت : ألك عين؟

قال : نعم قلت : فما تصنع بها؟

قال : أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت : فلك أنف؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به؟ قال : أشم به الرائحة .

قلت : فلك فم؟

ص: 275

قال : نعم ، قلت : فما تصنع به؟ قال :أذوق به الطعم ، قلت : فلك أذن ؟ قال : نعم. قلت: فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب ؟ قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس .

قلت : أو ليس في هذه الجوارح غني عن القلب ؟قال : لا ،فقلت :وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بني إن الجوارح إذا شكّت في شيء شمتته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردتّه الى القلب فتستيقن اليقين ويبطل الشك .

قال هشام: فقلت له : فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح، قال: نعم، قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح قال : نعم ، فقلت له : يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وتستيقن به ما شكّت فيه ، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقي يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم ،ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً ثم التفت إليّ وقال : أنت هشام بن الحكم ؟

قلت : لا ، فقال : أمن جلسائه ؟ قلت : لا ، قال : فمن أين ؟

قلت: من أهل الكوفة .

فقال: فأنت إذاً هو ، ثم ضممني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه، وما نطق حتى قمت قال :فضحك أبو عبدالله عليه الصلاة والسلام وقال: يا هشام من علّمك هذا ؟ قلت ... شيء ، أخذته منك وألفته .

فقال(عليه السلام): والله هذا مكتوب في صحف إبراهيم وموسى .

وجاء أيضاً عن يونس بن يعقوب أن شامياً حاور يعقوب بن الحكم يقول يونس : كنت عند أبي عبد الله(عليه السلام)فورد عليه رجل من أهل الشام فقال : إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): كلامك من كلام رسول الله أو من عندك؟

فقال: من كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و من عندي.

فقال: أبو عبد الله (عليه السلام): فإذا أنت شريك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: لا .

قال: فالتفت أبو عبد الله (عليه السلام) إلى فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه

قبل أن يتكلم، ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته.

قال يونس: فيا لها من حسرة .

قلت: جعلت فداك، إني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون: هذا ينقاد، وهذا لا ينقاد هذا ينساق، وهذا لا ينساق وهذا نعلقه وهذا لا نعلقه، فقال (عليه السلام): إنما قلت فويل لهم أن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون، ثم قال لي اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله، قال: فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحوال وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً وقد كان تعلم الكلام من وقد كان تعلم الكلام من علي بن الحسين (عليه السلام)، فلما استقر بنا المجلس وكان أبو عبد الله (عليه السلام) قبل الحج يستقر أياماً في جبل في طرف الحرم في خيمة له مضرورية، قال: فأخرج أبو عبد الله (عليه السلام) رأسه فإذا هو ببيعير يخب، فقال (عليه السلام): هشام ورب الكعبة، قال: فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له، قال: فورد هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا إلا من هو أكبر سنّاً منه . قال: فوسع له أبو عبد الله (عليه السلام) وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثم قال: يا حمران كلم الرجل فكلّمه فظهر عليه حمران، ثم قال: يا طاقى كلمه فكلّمه فظهر عليه الأحوال ثم قال: يا هشام بن سالم، كلمه فتعارفا، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) لقيس الماصر كلمه فكلّمه، فأقبل أبو عبد الله (عليه السلام) يضحك من كلامهما مما قد أصاب الشامي، فقال للشامي: كلم هذا الغلام يعني هشام بن الحكم.

فقال : نعم فقال لهشام يا غلام سلني في إمامة هذا، فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال للشامي : يا هذا أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم ؟

فقال الشامي : بل ربي أنظر لخلقه ، قال : ففعل بنظره لهم ماذا ؟

قال : أقام لهم حجة ودليلاً يتشتوا أو يختلفوا بتألفهم، و يقيم لهم اودهم أي اعوجاجهم ويخبرهم بفرض ربهم .

قال : فمن هو ؟

قال : رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

قال هشام فبعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من ؟

قال : الكتاب والسنة .

قال :هشام فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في دفع الاختلاف هنا ؟

قال الشامي : نعم .

قال : فلم اختلف أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك ؟

قال فسكت الشامي .

فقال أبو عبد الله(عليه السلام) للشامي : مالك لا تتكلم.

قال الشامي : إن قلت لم نختلف كذبت، وإن قلت : إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلت : قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعا إذاً الكتاب والسنة إلا ان لي عليه هذه الحجة.

فقال أبو عبد الله(عليه السلام): سله تجده ملياً.

فقال الشامي : يا هذا من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم ؟

فقال هشام ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم و يقيم اودهم ويخبرهم بحقهم وباطلهم ؟

قال هشام في وقت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)أو الساعة ؟

قال الشامي : في وقت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والساعة من ؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشدّ إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء وراثه عن أب عن جد.

قال الشامي : فكيف لي أن أعلم ذلك ؟

قال هشام سله عما بدا لك .

قال الشامي : قطعت عذري فعليّ السؤال.

فقال أبو عبدالله (عليه السلام): يا شامي أخبرك كيف كان سفرك وكيف كان طريقك،

كان كذا وكان كذا، فأقبل الشامي يقول : صدقت أسلمت الله الساعة .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): بل آمنت بالله الساعة إن الاسلام قبل الايمان وعليه

يتوارثون ويتناكحون والإيمان عليه يثابون.

فقال الشامي : صدقت فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله وأنك وصي الأوصياء، ثم التفت أبو عبد الله (عليه السلام) إلى حمران بن أعين فقال : تجري الكلام على الأثر فتصب، والتفت إلى هشام بن سالم فقال : تريد الأثر فلا تعرفه ، ثم التفت إلى قيس الماصر فقال : تتكلم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبعد ما تكون منه تمزج الحق مع الباطل، وقليل من الحق يكفي عن كثير من الباطل، والتفت قبل قيس إلى الأحول فقال (عليه السلام): قياس رواغ تكسر باطلاً بباطل إلا ان باطلك أظهر ، ثم التفت إلى قيس فقال : أنت والأحول قفازان حاذقان .

قال يونس : فظننت والله أنه يقول لهشام قريباً مما قال لهما ، ثم قال : يا هشام لا تكاد تقع تلوى رجلك إذا هممت بالأرض طرت مثلك فليكلم الناس فاتق الزلة والشفاعة من ورائها إن شاء الله .

الدليل الثالث : قال بعض المحققين : اعلم أن الدنيا منزل من منازل السائرين الى الله عز وجل والبدن ، مركب ومن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره، وما لم ينتظم أمر المعاش في الدنيا لا يتم أمر التبتل والانقطاع الى الله الذي هو

السلوك، ولا- يتم ذلك حتى يبقى بدنه سالمًا ونسله دائماً، وإنما يتم كلاً منهما بأسباب الحفظ لوجودهما وأسباب الدفع لمفسداتهما ومهلكاتهما، أما أسباب الحفظ لوجودهما فالأكل والشرب وذلك لبقاء البدن والمناكحة، وذلك لبقاء النسل وقد خلق الله الغذاء سبباً للحياة، والإناث محلاً للحراثة، إلا- انه ليس يختص المأكل والمنكوح ببعض الأكلين والناكحين بحكم الفطرة مع أنهم محتاجون إلى تمدن واجتماع، وتعاون، إذ لا يمكن لكلّ منهم أن يعيش وحده يتولى تدبيراته المتكثرة المختلفة من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته، بل لابد مثلاً أن ينقل هذا لهذا، ويطحن هذا لهذا، ويخبز هذا لهذا، وعلى هذا القياس فافتقرت أعداداً، واختلفت أحزاباً، وانعقدت ضياع وبلدان، فاضطروا في معاملاتهم ومناكحاتهم وجنایاتهم إلى قانون مرجوع إليه بين كافةهم يحكمون به بالعدل وإلا لتهارشوا وتقاتلوا، بل شغلهم ذلك عن السلوك للطريق، بل أفضى بهم إلى الهلاك وانقطع النسل واختلّ النظام لما جبل عليه كل أحد من أنه يشتهي لما يحتاج إليه ويغضب على ما يزاحمه فيه، وذلك القانون هو الشرع، ولا بد من شارع يعين لهم ذلك القانون والمنهج لتنظيم به معيشتهم في الدنيا، ويسرّ لهم طريقاً يصلون به إلى الله عزوجل بأن يفرض عليهم ما يذكرهم أمر الآخرة والرحيل إلى ربهم وينذرهم يوماً ينادون فيه من مكان قريب وتنشق الأرض عنهم سراعاً، ويهديهم إلى صراط مستقيم لأن ينسوا ذكر ربهم ويذهلوا بديناهم عن عقابهم التي هي الغاية القصوى والمقصد الأسنى.

الدليل الرابع : قال أيضاً : إنه لما كان الإنسان في أول أمره وبدء نشؤه خالياً عن كماله الذي خلق له قاصراً عن الغاية التي ندب إليها كما قال تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (1) . قابلاً أناه بفطرته التي فطر عليها يمكن الوصول إليه بما أوتي من أسبابه وهيأ له من شرائطه كما قال تعالى : (وَجَعَلَ

ص: 280

لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)» (1) وقال تعالى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (2). لكنه ممنوع بمقتضيات نشأته التي جبل عليها، لوخلي وشأنه لنشأ كله على ما يقتضيه مزاجه وطبيعته بحسب الغالب من قواه موجب طبيئته وهواه كما قال تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (3)، إذ كل مزاج يناسب قوة دون أخرى ويسهل له فعل بعضها مما يلائم حالها دون بعض ما عبر عنه في القرآن مرة بقوله: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) (4)، وأخرى (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) وثالثة (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) (5) (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (6). فمن الواجب أن يكون له سياسة تسوسه وتربيته لصالحية الكمال وتدييره وتجريه في طريق الخير والسعادة وإلا لبقى في مرتبة البهائم، وحيل بينه وبين النعيم الدائم.

الدليل الخامس: انه كما لا بد في العناية الإلهية لنظام العالم من المطر ورحمة الله لم تقصر عن إرسال السماء مدراراً لحاجة الخلق، فنظام العالم لا يستغني عمّن يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة، نعم من لم يهمل إنبات الشعر على الحاجبين المزينة، وكذا تعفير الأخمص في القدمين، كيف أهمل وجود رحمة للعالمين مع أن ما في ذلك من النفع العاجل والسلامة في العقبى والخير الأجل ولم يترك الجوارح والحواس حتى جعل لها رئيساً يصحح لها الصحيح ويتقن به ما شكت فيه وهو الروح، كيف يترك الخلائق كلهم في حيرتهم وشكهم وضاللتهم لا يقيم لهم هادياً يردون إليه شكهم وحيرتهم كما تقدم، ويجب أن يكون ذلك الواسطة إنساناً لأن مباشرة الملك لتعليم الإنسان على هذا الوجه مستحيل، كما قال الله عز وجل: (وَلَوْ

ص: 281

- 1- سورة السجدة : 9
- 2- سورة آل عمران : 103 .
- 3- سورة الإسراء : 84 .
- 4- سورة الأنبياء: 37 .
- 5- سورة المعارج : 9 .
- 6- سورة الأحزاب : 72 .

جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لِّجَعْلَانَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَيْسَ نَا عَلَيْنِهِمْ مَا يَلْبُسُونَ (1) ودرجة باقي الحيوانات انزل ولأنَّ خوارق العادات لا تحال عليهم والنفوس لا تركزن إلا إلى أبناء نوعهم ولنهاية المباينة بين الانسان الناسوتي والملك الملكوتي ولا يمكن الاستغناء عن الأنبياء بتوجيه الخطاب من الله تعالى بخلق الأصوات وإيجاد الكلمات لقيام الوجوه والاحتمالات وضعف عقول سائر الناس واحتمالهم أن يكون صدور ذلك من بعض الجن أو الشيطان ، ولا بد من تخصيصه بآيات من الله سبحانه دالة على شريعته من عند ربهم العالم القادر الغافر المنتقم ليخضعوا له ويلزم من وقف عليها أن يقرّ بتقدمه ورئاسته وهي المعجزات البيئات والبراهين الواضحات هذه أدلتنا على وجوب الارسال واحتياج الخلق للنبي ، وقد أرسل الله تعالى مائة وأربعة وعشرين نبي ؛ وقيل : أكثر من ذلك لهداية البشر، كما قال تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (2) وكان سيدهم وخاتمهم هو نبينا الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أرسله الله تعالى لينقذنا من الظلمات إلى النور رحمة بعباده كما قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (3) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم واعتزام من الفتن وانتشار من الأمور. وتلظ من الحروب. وفي موضع آخر قال عليه الصلاة والسلام : أرسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتيح وساور به المغالب ، وذلك به الصعوبة، وسهل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال .

وقالت الصديقة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام في خطبتها المشهورة: «انتجبه قبل أن أرسل وسماه قبل أن اجتباها واصطفاه قبل أن ابتعثه» نعم قد أرسله

ص: 282

1- سورة الأنعام: 9.

2- سورة الحديد : 25.

3- سورة الأنبياء : 107 .

الله تعالى إينا لينقذنا من الجهالة وحيرة الضلالة، فهو الرسول المنقذ والنبي الرؤف العطوف والرحيم الودود كما قال تعالى: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (1) حتى لقد بلغ عطفه ورحمته وحبه للناس أنه كان يعطيهم القصاص من نفسه.

من جاء في السيرة انه (صلى الله عليه وآله وسلم). قبيل التحاقه بالرفيق الأعلى قال لبلال: يا بلال على بالناس، فلما اجتمعوا قال لعلي عليه الصلاة والسلام: اعدني على مرتفع سندي، فأقعده وهو معصب الرأس فأجلسه على كرسي وهو لازم منكبيه فحمد الله وأثنى عليه وذكر نفسه الزكية فنعاه، ثم قال: معاشر الناس أي نبي كنت لكم؟ قالوا: خير نبي. قال: ألم أجاهد بين أظهركم؟ ألم تنكسر رباعيتي وأضالعي؟ ألم تجعلوني وجهة عنكم؟ ألم تسل الدماء على وجهي ولحيتي؟ ألم أكابد الشدة مع جهال قومي؟ ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟

قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت على البلاء صابراً وللنعماء شاكراً وعن المنكر ناهياً وللمعروف آمراً فجزاك الله عنا أحسن الجزاء.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): وأنتم جزاكم الله خيراً، ثم قال: أيها الناس لا نبي بعدي، ولا سنة كسنتي فمن ادعى النبوة بعدي ففي النار أجيئوا الحق لصاحبه ولا- تفرقوا وأسلموا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز، أيها الناس ان ربي أقسم وحتم أن لا يجاوز ظلم ظالم، ولا يعفو عن قصاص، فمن كان له قبلي تبعة أو مظلمة فليقتص مني فإن القصاص في الدنيا أحب إلي من قصاص الآخرة.

فقام إليه رجل يقال له سواده فقال: يا رسول الله، لما أقبلت من الطائف وأنت على ناقتك العضباء ويديك القضيب الممشوق فرفعت القضيب تريد الناقة فأصاب بطني فلا أدري عمداً كان ذلك أم خطأ.

فقالا لطائف: معاذ الله أن أكون تعمدت ذلك، ثم قال: يا بلال علي بالمشوق، فأقبل بلال وهو ينادي في شوارع المدينة: معاشر الناس من ذا الذي يعطي

ص: 283

القصاص من نفسه في الدنيا قبل يوم القيامة، ثم مضى إلى منزل فاطمة عليها الصلاة والسلام وقال : يا فاطمة ناوليني القضيب الممشوق فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد، فصاحت فاطمة (عليها السلام) وقالت : ما يريد والدي بالقضيب وليس هذا يومه ؟ قال بلال : يا فاطمة إن أباك خطب الناس وودع أهل الدنيا ، فصاحت فاطمة وقالت : واحزنه عليك حزناً لا تدركه الندامة يا أبتاه من للفقير والمسكين يا حبيب

الله وحبيب قلوب المؤمنين، ثم ناولت بلال القضيب فجاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أين الشيخ ؟ قال : ها أنا ، فناوله القضيب وقال له : قم واقتص مني حتى ترضى فقال الشيخ: اكشف لي عن بطنك، ففعل (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم قال الشيخ : أتأذن لي يا رسول الله أن أضع فمي على بطنك ؟

فقال : أذنت لك ، فوضع الشيخ فمه على بطن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : أعوذ بالله من النار ومن القصاص من بطن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم

القيامة.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا سوادة أتقتص أم تعفو ؟ فقال الشيخ: بل أعفو .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم اعف عن سوادة كما عفا عن سوادة كما عفا عن نبيك، ثم جعل يوصي أصحابه بالتمسك بسنته والاعتداء بعترته، ثم أنه أمر علياً (عليه السلام) أن يضجعه على فراشه فقام القوم عنه، فلما كان من الغد حجب نفسه عن الناس وكان علي (عليه السلام) لقد خرج لحاجة فدخلن عليه نساؤه فأفاق النبي الله من غشوته فافتقد علياً فقال لأزواجه ادعوا لي أخي فقالت الحميراء : ادعوا له الأول، فدعي له، فلما نظره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعرض عنه بوجهه فقام وقال : لو كان له حاجة لأفضى بها إليّ، فلما خرج من عنده قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي أخي وصاحبي.

قالت الثانية : ادعوا له الثاني، فدعي له فلما رآه أعرض عنه فقام وقال : لو كان له حاجة لأفضى بها إليّ، فلما خرج عنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي أخي وصاحبي .

فقال أم سلمة : ادعوا له علياً فوالله ما يريد غيره، فدعي له، فلما أومى

إليه بالدنو منه ، فدنا منه فانكبّ عليه من تحت الثوب فناجاه طويلاً، ثم قال الناس له بعد ذلك : ما الذي ناجاك به ؟ قال : أوعز لي ألف باب من العلم وفتح لي من كل ، باب وأوصاني بما أنا فاعله إن شاء الله تعالى ، ثم إنَّ أم سلمة استأذنت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأذن لها فدخلت وسلّمت عليه وقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله مالي أراك متغير اللون ؟

فقال : نعت لي نفسي فسلام لك مني فلا تسمعن بعد هذا اليوم صوت محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) أبداً .

فقالت أم سلمة : واحزنناه عليك حزناً لا تدركه الندامة .

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) لها : ادعي لي حبيتي وقرّة عيني فاطمة الزهراء(عليها السلام) ، فدعيت له ، فلما رأته أخذت رأسه ووضعتة في حجرها وقالت له : نفسي لنفسك الفداء وروحي لروحك الوقاء، واكرباه لكربك يا أبتاه، ففتح(صلى الله عليه وآله وسلم) عينه وقال : لا كرب على أهلك بعد هذا اليوم يا فاطمة .

فقالت : يا أبتاه إنني أراك مفارق الدنيا.

فقال لها(صلى الله عليه وآله وسلم): إنني مفارقك يا بنية ، فسلام لك مني .

فقالت (عليه السلام): يا أبتاه أين الملتقى يوم القيامة ؟

فقال لعل الله : عند الحساب.

فقالت(عليه السلام): فإن لم أرك هناك ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): عند الشفاعة لمحبيك .

قالت (عليه السلام): وإن لم ألقك هناك ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): عند الصراط جبرئيل عن يميني وميكائيل عن شمالي وبعلك علي(عليه السلام)أمامي ويده ويده لواء الحمد ينادون: ربنا سلّم أمة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) من النار ويسر عليهم الحساب.

فقالت (عليه السلام): وأين أمي خديجة ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هي في قصر من لؤلؤة بيضاء له أربعة اركان وأربعة أبواب يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره ، ثم أغمي عليه ورأسه في حجرها فانكبت عليه تنظر في وجهه وأنشأت تقول:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه*** تمال اليتامى عصمة للأرامل

تظوف به الهلاك من آل هاشم*** فهم عنده في نعمة وفواضل

ففتح رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)عينيه في وجهها وقال : يا بنية ، هذا قول عمك أبو طالب لا تقوليه ولكن قولي وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات : أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه (الآية...فبكت(عليه السلام) ، ثم انه(صلى الله عليه وآله وسلم)أومى إليها بالدنو منه حتى أدخلها تحت ثيابه فناجاها طويلاً فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً ، ثم قال لها : ادني مني يا بنية ، فدنت منه فسر لها سرراً فتلهل ووجهها فرحا فتعجب الحاضرون من ذلك، فسئلت فاطمة(عليه السلام) عن فقالت : نعى إليّ نفسه فبكيت فقال : لا تجزعي على أبيك من الموت فإني سألت ربي أن يجعلك أول أهل بيتي لحوقاً بي فضحكت ، ثم قال : يا بنية ، ادعي لي ولدائي الحسن والحسين(عليهم السلام) ، فدعيتهما ، فلما رأهما قبلهما وجعل يلثمهما وعيناها تهملان دموعاً ، ثم أغمي عليه فصاح الحسن والحسين(عليه السلام)وقالا : يا جداه نفسنا لنفسك الفداء وأرواحنا لروحك الوفاء، وجعلا يبكيان عليه ، وأراد علي(عليه السلام) أن ينحيهما عنه فأفاق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وقال : مه يا علي(عليه السلام) ، لاتح ابناي عني دعني أشمهما ويشماني ويتزودان مني وأترود منهما، فهذا فراق لاتلاقي بعده إلى يوم القيامة.

فصاحت فاطمة ونادت وا محمداه وا ،أبتاه ياليت قبلك مت ولم أراك مسجاً فوق الفراش تنعى لي نفسك.

ولنعم ما قاله الحاج ملا علي الفائز في هذا المقام:

الزهره تقول المصطفى خير البريه*** يا ليت قبلك كان وافنتي المنيه

نادى عليها وبشري يا نور عيني*** انتي بعد أيام فاطم تلحقيني

حينك فلا هو بعيد فاطم بعد حيني *** نادى حسن واحسين من قبل المنية

خلي حسن و حسين يا فاطم يجوني *** ابغي اودعهم قبل ما يفقدوني

نوحوا الفقدي يا بتوله وانديوني *** حطوا المآتم يا بتوله والعزيه

ساعه ولن الحسن مع خوه لحسين *** والكل منهم قابض الثاني باليدين

من حين عاينهم بكى خير النبيين *** حن وجدب ونه لهم خير البريه

نادى تعالوا يا أولادي لي اسرعه *** المسموم واللي ابكربلا ينكسر ضلعه

واخته عنه تمشي ولا تحصل تودعه *** او يبقى رميه فى اتراب الغاضريه

والحسن كني بالطشت كبده رماها *** واجنازتك يحسين تبقى في عراها

اوزنب تنادي ليتني ابقى معاها *** نصب عليها اظلال وانسوى عزيه

من بعد عيني يا ولادي الله اللم *** من سفرني لابد ما يابني بحيككم

يوم التحطوا ابكربلا تقصد إليكم *** انجى لكم زوار بارض الغاضريه

نعم، لقد زار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولده الحسين عليه الصلاة والسلام وكان ذلك في اليوم العاشر من المحرم الحرام في كربلاء وفي معيته الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وقد نظرت (عليه السلام) بأمر عينها الى ابنها الحسين (عليه السلام) وهو ملقى على بوقاء كربلاء ثلاثة أيام بلياليها بلا تغسيل ولا تكفين وقد سلبه القوم الظالمين كل ما عليه مما يعتد به، فأخذ درعه البتراء عمر بن سعد لعنه الله، وأخذ قميصه إسحاق بن حويه لعنه الله فلبسه فصار أبرص وأسقط شعره، وأخذ سراويله بحر بن كعب التميمي لعنه الله وصار زمنا مقعداً من رجله، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد به علقمة الحضرمي وقيل جابر بن يزيد الأزدي لعنهما الله تعالى فاعتم بها فصار معتوهاً، وأخذ نعليه الأسود بن خالد لعنه الله، وأخذ قطيفة له (عليه السلام) كانت من خز قيس بن الأشعث لعنه الله، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأزدي لعنه الله وقيل: أخذ ذلك السيف المبارك رجل من بني تميم يقال له أسود بن حنظلة لعنه الله وقيل: إنه أخذ سيفه الفلان أو المفلافس النهثلي لعنه الله وهذا السيف المبارك المنهوب ليس بذى الفقار فإن ذلك

كان مذخوراً ومصوناً، ومثله الخاتم مع أمثالهما من ذخائر النبوة والامامة، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكنبي لعنه الله تعالى، وبهذه الأعمال الفضيعة التي فعلها القوم الكافرين لعنهم الله بسيد الشهداء والتي قد استوجبوا بها النار وغضب الجبار فإن نار الحزن لا تنطفي من قلوب المؤمنين ولله در الحاج الشيخ الجليل ملاً عطية الجمري قدس الله نفسه الزكية فيما وصفه من سلب القوم بهذه الأبيات المشجية والحزينة :

فعل بجدل يا خلق ما صار مثله أولاً جرى***هيج أحزاني ويفت قلبي علي امن اذكره
ما كلفاه تقطيع أوصاله ولا حز الوريد***أو لا ترضض جثته ابخيل العدى فوق الصعيد
او عاين الخاتم يلوح بخنصر حسين الشهيد**جامد عليه الدما واحنا يحزه بخنجره
وعلى التكه ويح قلبي قطع جماله الكفوف**عاينه موزع على التربان من ضرب السيوف
او عاين التكه ولزمها اولاً دخل قلبه الخوف**مادري احسين أية الله اولو هو جثته امطبره
مد ابو سكنه يمينه او قطعها او مد الشمال***اورد براها ولكوان اتزلزلت والعرش مال
او نزل خير الرسل طه والوصى فحل للرجال***والحسن والزاكية أمه والشعور امنشره
قعد والراس بيمينه يصيح يا جدي الرسول***لشكي احوالي لبوي المرتضى ومي البتول

رضو العدوان صدري على الثرى بدوس الخيول* او شالوا بروس اخوتي لشام كلها مشهه

ظمه الهادي ابصدره والبتول امه تصيح*** مهجتي شذنبك يخلونك رميه ابلا طريح

بويه رخصني اخضب شعري من دم هالذبيح*** قال بويه اخذي او ناخذ والدموع امثشه

من دماه اتخضبت واتصيح يا ابني يا غيور*** يستمت سكنة وزينب ضيعتها ابها البرور

مخدره زينب ولاهي معوده تركب الكور*** اشلون يا ابني زينب اتخليك عاري اعلى الثرى

قلها مرت بي وشافت جسمي من دمه غسيل*** او خرت امن الجمل الوداعي او صاحوا بالرحيل

غضب عن جسمي خذوها او دمعها بخدها يسيل*** سافرت لكن يزهرى باليتاما امحيه نعم، أخذ القوم الكافرين تلك السيدة الجليلة والحوراء النبيلة قهراً أسيرة الى الشام ومعها علي بن الحسين عليهما والهاشميات، وبقيت أجساد آل الرسول مجزرين على رمضاء كربلاء والأنوار تتساطع منها وبين تلك الجثث الطواهر الزواكي ذلك الجسد الذي فاق نوره أنوارها جسد سيد الشهداء الامام ابي عبدالله الحسين عليه ألف صلاة وسلام وروحي له الفداء ، ولا عجب من ذلك فإن ذلك النور هو نور الله جلّ وعلا كما انه لا يزل إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة يسطع في طفوف كربلاء المعلاة يتضح ذلك لمن أعمر الله قلبه بالايمان والتقوى، فإن من يرد كربلاء لزيارة الحسين عليه الصلاة والسلام ويلقي أول نظرة على روضته المقدسة يجد تلك الأنوار الحسينية تكاد تغم سماء الدنيا ولا عجب ولا مبالغة في ذلك إذ انّ

هذا كرامة من الله تعالى لوليه الحسين بن علي (عليه السلام) :

هذه روضة قدس بحسين الطهر تسطع*** تهبط الأملاك فيها وعلى العتاب تخضع

في بيوت أذن الله بأن العرش ترفع:

فإن هذه الأبيات الجليلة تلوح لمن يزور سيد الشهداء(عليه السلام)يجدها الزائر مكتوبة على باب الروضة المقدسة، كما يجد وينظر أيضاً على الضريح الحسيني أبيات أخرى لخدام أهل البيت(عليهم السلام) وشاعرهم الأستاذ الكبير الحاج الشيخ محمد علي اليعقوبي قدس الله نفسه الزكية اقترحها عليه معالي السيد جعفر حمندي - متصرف كربلاء يومذاك نظمها وذلك لتكتب بالصفائح الفضية على الضريح المقدس الذي أهدي من الهند، وقد كتبت على جبهاته الأربع ونشرت في مجلة الغري سنة 1361 وأيضاً الأبيات موجدة في ديوان الشاعر نفسه وهي أبيات تفتت الأكباد وتجري دموع عين من ينظر إليها ويقراها :

زر بالطفوف ضريح قدس واعتكف*** بحماه حيث ترى الملائك عكفا

طف واسع فيه مقبلاً أركانه*** ما الركن ما البيت الحرام وما الصفا

فيه حشى الزهرا وقرعة عينها*** وفؤاد حيدرة وروح المصطفى

تالله لم يكن الضراح وان علا*** بأجل من هذا الضريح وأشرفا

لا تفرج الكربات إلا عنده*** والضر عنك بغيره لن يكشفنا

ما جنته يوماً وظهرك مثقل*** بالوزر إلا انحط عنك مخففا

لذ وادع ربك تحت قبته تجب*** والشم تراه تنل بتربته الشفا

عجباً يراق بها دم ابن محمد*** ودموع عينك لم ترقها ذرفا

ويموت ظمآن الفؤاد فلا حلا*** ماء الفرات الوارديه ولا صفا

أعطى الإله على الشهادة موثقاً*** فغدا بيوم الطف أصدق من وفى

هذا هو النور الإلهي الذي*** رامت لتطفئه الطغاة فما انطفى

هذا الذي شرع الالباء بموقف *** أعظم به في الغاضرية موقفنا

هذا الذي بالطف ضحى باذلاً *** الله ما مللت يده وما التفتى

بالصحب بالأبناء بالنفس التي *** ذهبت بأنفسنا أسى وتلهفا

لا تخش طارقة القضا بفنائنه *** فهو الأمان لمن أتى متخوفا

فلك به شمس الهداية كورت *** وهوى به قمر الإمامة واخفتى

إن لم تزره عارفاً في حقه *** لم تدر ما معنى الولاء ولا الوفا

فاقصده من قرب وبعد زائراً *** واترك مقالة من لحالك وعنفا

نم انعطف نحو (ابنه) متذكراً *** قول الحسين له على الدنيا العفا

إن تكتسب شرفاً بلثم ضريحه *** فبمهده الروح الأمين تشرفا

ومما يناسب المقام أيضاً ما قاله الشيخ الجليل الحاج ملا عطية قدس الله نفسه الزكية فى هذه الأبيات المشجعية :

يحسين كلنا نعتنى لك كربلا نرور *** بسما نوصلكم وننظر ذيك القبور

ندخل الحاير بالحنين او لطم لصدور *** ونجوم مثل الجلب لو فارق حميه

وانشوف عد رجلك علي يحسين مدفون *** و تهيج زفرتنا ويقرح ماي العيون

وتذكر وقوفك عليه بقلب محزون *** محني الظهر واتصبح بيني اقطعت بيه

وابكل فريضه تروح للحاير الشيعة *** ومن مشهدك تطلع وتقصد للشريعة

اترور القمر الازهر ابو كفوف القطيعة *** شيال رايتكم وسور الهاشمية

وبعد الزيارة للمخيم بالبكا نعود *** بسما نطبها تسيل دمعتنا بالخدود

ونذكر منادي ابن سعد يا قوم فرهود *** حرقوا الخيم سلبوا الحريم الخارجية

ونذكر وقوف مخدرتكم شابحة العين *** للمعركة والخيل حاطت بالنساوين

تنادي يعدوان الله الله بها النساوين *** لتروعها راقبوا رب البرية

الجلسة الثانية عشر : في فضل النبي والأنمة (عليهم السلام) على الملائكة

قال طه إن النبيين أسمى *** من جميع الملائك الأصفياء
وأنا أفضل النبيين شأنًا *** ومقاماً وأكرم السفراء
ولك الفضل في الخلاق بعدي *** ولباقي الأئمة الأتقياء
يا علي لم يخلق الخلق لولانا *** ولا كان منه خلق السماء
وانطوى الكون من جنان ومن ذار *** ومن آدم ومن حواء
قد سبقنا الملائك الغرّ في *** التوحيد الله صاحب الكبرياء
ورأوا علمنا برّب البرايا *** فاهتدوا فيه أحسن الاهتداء
حيث أنا من قبلهم قد خلقنا *** حين كانت أرواحنا من سناء
ورأونا فاستعظمو الأمر مئاً *** حين كانوا فينا من الجهلاء
فتعالى التسبيح والحمد مئاً *** بعد تهليلنا لربّ العطاء
ليروا أننا عبيد ولسنا *** من قبيل الأرباب والنظراء
فتعالى التهليل الله منهم *** بعد تقديسهم له بالثناء
هم أبصروا جميعاً هدانا *** فاقتدوا فيه أفضل الإقتداء
وهم كلفوا لآدم منه *** بسجود الإكرام والاشتفاء (1)
وهو قد كان لئله خضوعاً *** منهم دون سائر الشركاء
حيث أنا في صلبه قد خلقنا *** عند تعظيمه بخير اعتناء

ص: 293

كيف لا نفضل الملائك طراً*** بعد هذي النعمى وهذا الحباء
وبوقت المعراج أذن منى*** جبرئيل بمجمع الأمان
قال لي للصلاة فيهم تقدم*** أنت أولى مني بهذا العطاء
فتقدمت للصلاة فصليت*** إماماً لهم من ورائي
وانتهينا في السير حتى بلغنا*** حجب النور من ذرى الإعتلاء
قال هذا حدي فلا أتعدى*** أمر ربي في نقطة الإنتهاء
لو تقدمته أصيب جناحي*** باحترق وكان يوم شقائي
زج بي النور زجةً بعد هذا*** حيث شاء البارى من الإرتقاء
حين نوديت أنت عبدي وإني*** لك ربّ فرد بخير نداء
حجتي أنت في جميع عبادي*** ورسولي المختار من أصفياي
لمحبيك قد خلقت جناني*** ولمن خالفوك نار بلائي
وتفضلت بالكرامة لطفاً*** لك مني لصفوة الأوصياء
قلت يا ربّ من هم أوصيائي*** مَنْ لي اخترتهم بخير اصطفاء
قال فانظر سرادق العرش منى*** حيث فيه خطوا بأسنى ضياء
فرايت اثني عشر نوراً بهياً*** طبقت أفق عرشه بالبهاء
كلّ نور من تحته خط سطر*** كتب اسم فيه من الأسماء
ختمت في المهدي خير ختام*** وابتدت في عليّ خير ابتداء
قال ربّي وعزتي وجلالي*** وهُم لي من خيرة الأولياء
سوف أتّي أظهر الارض فيهم*** من أثيم الضلال والاعتداء
بالامام المهدي آخر هاد*** منهم هو قائم الخلفاء
عند تملكه من الشرق والغرب*** مقاليد تربة الحصباء

وانقياد السحاب والريح طوعاً*** ليديه في شدّة ورخاء

ويجند الملائك الغرّيأتي*** النصر منّي له على أعدائي

فأكون المعبود في الأرض وحدي*** دون غيري حقاً ليوم البقاء

ص: 294

عرض ولاية النبي وأهل بيته على السماوات والأرض

قال طه إن المهيمن لَمَا*** خلق الأرض واستوى للسماء

عرض العهد بالنبوة مَتِي*** وموالاته سيّد الأوصياء

ودعا فاستجابنا بعد عهد*** ولزوم عليهما بالوفاء

فوض الأمر بعد هذا إلينا*** منه بالدين طول عهد البقاء

فبنا يسعد السعيد ويشقى*** من جميع العباد أهل الشقاء

قال الله تعالى في كتابه المجيد : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) قال في تفسير الكاشف : إنه من أحب الله تعالى يلزمه حتماً أن يحب رسول الله وأهل بيته لحب الرسول لهم ، ومن أحب الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلزمه حتماً أن يحب الله ، والتفكيك محال ، قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (1) لأن الرسول هو لسان الله وبيانه والعكس صحيح أي من نصب العدا للرسول وآله فقد نصب العدا لله من حيث يريد أو لا يريد ، فأهل الأديان الأخرى الذين يدعون الايمان بالله ، ثم ينصبون العدا لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم من أعدى أعداء الله .

وإن قال قائل : إن جهلهم بنبوة محمد عذر مبرر. قلنا في جوابه : لا عذر إطلاقاً لمن اتبع أهواءه، وقلد آباءه إلا بعد التثبت والنظر الى جميع الدلائل على نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما نظر عارف إلى هذه الدلائل نظرة عدل وإنصاف إلا آمن وأذعن.

ولا معنى لحب الصغير للكبير والعبد للسيد إلا الطاعة والمتابعة وكل من أحب ما أبغض الله ورسوله ، وأبغض ما أحب الله ورسوله فهو عدو الله ورسوله وإن خيل إليه انه من المحبين لأن ما يظن أنه حب دون أن يبرز له أثر ملموس فهو مجرد وهم وخيال.

(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) ظاهر هذه الآية أن حقيقة الدين هي طاعة الله والرسول ، وإن ترك هذه الطاعة يستلزم الكفر ،

ص: 295

بل هو الكفر بالذات، لأنه قال تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) ولم يقل: إن الله يمقت العصيين أو يعاقبهم، أي انه اعتبر سبحانه العصيان كفراً لا سبباً للمقت والعقاب فقط .

ثم قال بعد ذلك: (وهذا شيء خطير ومخيف جداً، حيث لا يبقى واحد على الدين والاسلام إلا النادر النادر...اللهم إلا أن يراد بالكفر هنا العصيان، مثل قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (1)

وعلى أية حال، فنحن مأمورون ديناً وشرعاً أن نعامل من نطق بالشهادتين معاملة المسلم من حيث الإرث والزواج والطهارة وصيانة المال والدم وما عدا ذلك متروك إلى الله سبحانه، ولسنا مسؤولين عنه .

أقول: بعد الاستفادة مما ذكره صاحب الكاشف حول تفسير هذه الآيات بعد المباركة وبيان الاستدلال بها على وجوب حب الله وحب رسوله وطاعتها وكذلك حب وطاعة أهل بيت الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لابد من التنبيه على أمرين مهمين أيضاً:

الأمر الأول: انه بالاضافة الى وجوب الطاعة والحب للنبي وأهل بيته(عليهم السلام) أيضاً يجب الاعتقاد بأن النبي والأئمة هم أفضل المخلوقات العلوية والسفلية بما في ذلك الملائكة، وذلك لقول الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)مخاطباً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام: يا علي إن النبيين أفضل وأسمى من جميع الملائكة الأصفياء وأنا أفضل النبيين شأننا ومقاماً وكرماً ثم لك الفضل على الخلائق من بعدي ولباقي الأئمة الأتقياء، يا علي لولانا لما خلق الله الخلق ولا كان منه تعالى خلق السماء، ويؤيده حديث الكساء المشهور وغيره من الأحاديث الدالة على ذلك. وقد نظم أكثرها الأديب الفاضل والحكيم العارف شيخنا الفرطوسي قدس الله

ص: 296

نفسه الزكية والآيات الشعرية المتقدم ذكرها في هذه الجلسة المباركة ما هي إلا قليل من كثير مما نظمه الفرطوسي وغيره من العلماء لتلك الأحاديث الجليلة المتضمنة لفضل النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام على عامة المخلوقات بما في ذلك الملائكة الأصفياء. الأمر الثاني : يجب الاعتقاد أيضاً بعصمة الأنبياء والأئمة الكرام عليهم الصلاة والسلام ، والدليل على عصمتهم واضح لمن تتبع الآيات القرآنية والأحاديث العلوية الدالة على ذلك مثل قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) (1) قوله تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) الآية المتقدم ذكرها وغيرهما من الآيات التي ذكرها العلماء في مبحث العصمة وسوف يأتي الحديث حول العصمة والأدلة عليها في الجلسات المقبلة إن شاء الله تعالى في الجزء الثالث من هذا الكتاب، وهنا نشير إلى أمور تدلّ على عصمة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) على نحو الاجمال فنقول :

قال سيدنا الحجة السيد عبدالله شبر رضوان الله تعالى عليه : إن الدليل على وجوب عصمة الأنبياء والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام مضافاً إلى النقل المتواتر وإجماع الفرقة المحقة والطائفة الحقة أموراً :

الأول : انه لو انتفت العصمة لم يحل الوثوق بالشرائع والاعتماد عليها، فإن المبلغ إذا جوزنا عليه الكذب وسائر المعاصي جاز أن يكذب عمداً أو نسياناً أو يترك شيئاً مما أوحى إليه أو يأمر من عنده فكيف يبقى اعتماد على أقواله.

الثاني : أنه ان فعل المعصية، فإما أن يجب علينا اتباعه فيها فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه واجتمع الضدّان وإن لم يجب انتفت فائدة البعثة .

الثالث : إنه لو جاز أن يعصي لوجب إيذاؤه والتبري منه لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن الله تعالى نصّ على تحريم إيذاء النبي فقال :

ص: 297

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (1)

الرابع : إنه يلزم بعصيانه سقوط محله ورتبته عند العوام فلا ينقادون إلى طاعته فتنتفي فائدة البعثة .

الخامس : إنه يلزم أن يكون أدون حالاً من آحاد الأمة، لأن درجات الأنبياء في غاية الشرف، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش كما قال تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) (2) . والمحض يرحم وغيره يحدّ ، وحدّ العبد نصف حدّ الحر، والأصل فيه أنّ علمهم بالله اكثر وأتم ، وهم مهبط وحيه ومنازل ملائكته، ومن المعلوم أن كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع فينا في صدور الذنب، لكن الاجماع دل على أن النبي عل الله لا يجوز أن يكون أقل حالاً من آحاد الأمة.

السادس : إنه يلزم أن يكون مردود الشهادة لقوله تعالى : (إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) (3) فكيف تقبل عموم شهادته في الوحي وأحكام الله تعالى، ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة وهو باطل بالاجماع.

السابع : إنه لو صدر عنه الذنب لوجب الاقتداء به لقوله تعالى : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) (4)، ولقوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (5)، ولقوله تعالى : (إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (6) والتالي باطل بالاجماع وإلا لاجتمع الوجوب والحرمة.

الثامن : إنه لو لم يكن معصوماً لانتفى الوثوق بقوله ووعدده ووعيده فلا يطاع

ص : 298

- 1- سورة الأحزاب : 57 .
- 2- سورة الأحزاب : 30 .
- 3- سورة الحجرات : 60 .
- 4- سورة آل عمران : 32 .
- 5- سورة الأحزاب : 21 .
- 6- سورة آل عمران : 31 .

التاسع: إنه لو لم يكن معصوماً لكان محل إنكار ومورد عتاب كما في قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) (1) ، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (2) فيجب أن يكون مؤتماً بما يأمر به منتهياً عما ينهى .

العاشر: إنه لو كان يخطيء لاحتاج إلى من يسدده ويمنعه عن خطئه وينبئه على نسيانه، فإما أن يكون ذلك معصوماً فيثبت المطلوب أو غير معصوم فيتسلسل .

الحادي عشر: انه يقبح من الحكيم أن يكلف الناس باتباع من يجوز عليه الخطأ فيجب كونه معصوماً ، ولأنه يجب صدقه إذ لو كذب والحال ان الله أمرنا بإطاعته لسقط محله عن القلوب فتنتفي قائدة بعثته .

أقول : هذه الأمور تدلّ بكل وضوح على عصمة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام ، وقد أشار السيد المذكور بأن العمدة في ثبوت ثبوت العصمة هي الأخبار المروية في ذلك عن أهل البيت (عليهم السلام) وما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره نسبة الذنوب والمعاصي الى الأنبياء (عليهم السلام) فقد حملة العلماء العارفين على المحامل الصحيحة والتأويلات السديدة المذكورة في مظانها فقد قالوا رضوان الله تعالى عليهم . ما خلاصته : «إنهم (عليه السلام) لما كانوا مستغرقين في طاعة الله عز وجل ومراضيه، ويعلمون أنهم بمرأى من الله ومسمع ومطلع على ظواهرهم وبواطنهم وسرائرهم وعلايتهم ، فإذا اشتغلوا أحياناً عن ذكر ربهم ببعض المباحات زيادة على القدر الضروري عدوا ذلك ذنباً ومعصية في حقهم واستغفروا منه فإنّ حسنات الأبرار سيئات المقربين، وسوف يأتي إن شاء الله تعالى بيان هذا بنحو أكثر في مبحث العصمة في الجلسات المقبلة.

1- سورة البقرة : 44 .

2- سورة الصف : 13 .

ونشير هنا أيضاً إلى أنّ العصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادراً على المعاصي كلها كجائز الخطأ ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك المعصية ، بل يفعل به ألطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها كقوة العقل وكمال الفطنة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى ولو لم يكن قادراً على المعاصي بل كان مجبوراً على الطاعات لكان منافياً للتكليف ، والاكراه في الدين ، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من كلف حيث قال فأنا أول العابدين وأنا أول المسلمين وقال تعالى : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (1) ولأنه لو لم يكن قادراً على المعصية لكان أدنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصي التاركين لها . قال الحكيم الفرطوسي :

وشروط النبي لا بد فيه *** أن توفي بأحسن استيفاء

عصمة تدرأ المعاصي وتناهى *** فيه عنها بالذات أقصى ثنائي

فهو لو كان فاعلاً للخطايا *** أنكروا فيه سائر الأخطاء

وجفوه وما استجابوا إليه *** ونأوا عنه بعد هذا الجفاء

وهو لا بد أن يكون بحق *** أعلم الناس من بني حواء

حيث فيهم لو كان أعلم منه *** في القضايا لا تحتاجه في القضاء

ومتى يفتدي عليه إماماً *** وهو منه أحق بالافتداء

وجميع الصفات يسبق فضلاً *** بعلاها سوابق الفضلاء

وقال أيضاً :

والنبي الكريم لا بد فيه *** أن يوفى على أتم وفاء

ما به عن سواه يسمو رقيماً *** من شروط الاعجاز والارتقاء

معجز خارق يميز فيه *** حينما يصطفيه خير اصطفاء

يذعن المبطلون للحق فيه *** بعد عجز عن مثله وتناهي

ص: 300

عصمة النفس عن جميع الخطايا*** مع إمكان فعلها والاباء

وامتناع النسيان والسهو منه*** وابتعاد عن سائر الأخطاء

ليتم الوثوق للخلق فيه*** بالتكاليف عن وقت الأداء

رحم طاهر وصلب زكي*** يجتبيه من أكرم الآباء

علم للهدى وعلم غزير*** منه تسقى مدارك العلماء

وجميع الصفات يفضل فيها*** سائر الخلق من بني حواء

واتفق المخالفون على عدم وجوب العصمة ووقوعها في أئمتهم، وأكثرهم بل جمهورهم على تجويز المعاصي على الأنبياء وبعضهم قد جوز الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها وجوزوا عليهم السهو والغلط ونسبوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السهو في القراءة. قال الحكيم الفرطوسي (قدس الله):

وأجازوا النسيان والسهو والكذب*** عليهم وسائر الأخطاء

وجميع الآيات ممّا نفتها*** بعد لبس فيها وبعد خفاء

هي محمولة على خير معنى*** مستفاد من خيرة الخلفاء

فتتبع مواقع الحمل فيها*** عند تأويلها من الأصفياء

وممن مال إلى جواز السهو على النبي اشتبهاً من علمائنا شيخنا الصدوق محمد بن بابويه وأستاذه محمد بن الحسن بن الوليد فإنّهما ذهبا إلى جواز السهو على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا : ليس سهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كسهونا ، لأن سهوه من الله عز وجل أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ معبوداً ، دونه وسهونا من الشيطان وليس للشيطان على النبي والأئمة (عليهم السلام) سلطان، واستندا في ذلك إلى بعض الأخبار الشاذة الموافقة للعامة وإن رويت بطرق عديدة وهي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سلّم في ركعتين فسأله من خلفه يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء.

قال : وما ذاك.

قالوا: إنما صليت ركعتين.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أكذاك ياذا الديدن وكان يدعى ذا الشمالين ؟

فقال : نعم، فبنى على صلاته فأتتم الصلاة أربعاً .

وقال الصادق : ان الله تعالى هو الذي أنساه رحمة للأمة ألا ترى لو أن رجلاً صنع هذا لغير ونحوه غير .

وفي بعضها : أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له بعض القوم : يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء ؟

قال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت بنا خمس ركعات فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس، ثم سجد سجدتين .

وفي بعضها : إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نام عن الصبح والله عز وجل أنامه حتى طلعت الشمس عليه وكان ذلك رحمة من ربك للناس .

وفي بعضها : أن أمير المؤمنين (عليه السلام) صلى بالناس على غير طهر وكانت الظهر ، ثم دخل فخرج مناديه ان أمير المؤمنين (عليه السلام) صلى على غير طهر فاعيدوا وليبلغ الشاهد الغائب .

وفي بعضها ان الباقر (عليه السلام) غتسل من الجنابة فقيل : قد بقيت لمعة من ظهرك لم

يصبها الماء، فقال له : ما كان عليك لو سكت؟ ثم مسح تلك اللمعة بيده .

وروى الكليني أن أول كتاب كتب في الأرض ان الله عرض على آدم ذريته ، فلما نظر إلى داود وعرف قصر عمره قال : قد وهبت له من عمري أربعين سنة ، فقال الله تعالى لجبرائيل وميكائيل : اكتبوا عليه كتاباً فإنه ينسى هذا أقصى ما استدلا به .

ومجمل القول ان هذه الأخبار الناطقة بجواز السهو على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعتمد عليها أكابر علمائنا، وعلى هذا فهي ساقطة الاعتبار فلا يصح التمسك بها على دعوى جواز السهو، وإن صح ما نسب إلى ابن بابويه وأستاذه أو غيرهما من علماء الامامية من القول بجواز ذلك على النبي فلا بد من نسبة السهو إلى ابن بابويه نفسه وإلى أستاذه بل إلى كل من يقول ذلك أولى بها من نسبة السهو إلى النبي المبلغ عن

الله تعالى نعوذ بالله من سوء الاعتقاد . قال الحكيم الناصري (قدس الله)، ولنعم ما قال:

كيف يكون السهو للمعصوم*** حاشاه من نقص ومن مذموم

وكيف يؤخذ بكلام الساهي*** في سائر الأحكام والمناهي

أعمالنا في الدهر طبق قوله*** وما نهى عنه لزاماً تنتهي

فتسقط الحجة من مولى الورى*** عن العباد وهو بالعدل جري

فهذه الأدلة المشتهرة*** عقلية ثقيلة مقررة

ولم يكن معارضاً لها الخبر*** ولو يكون عالياً ومعتبر

كيف وذو اليدين يروي الخيرا لكن لما يرويه لن نعتبرا

ونسبة السهو إلى الجزائري(1)*** ولا بن بابويه والنظائري

أولى بها من نسبة السهو الى*** مبلغ الأحكام ما بين الملا

فنسبة السهو إلى الرسول*** مخالف للعقل والمنقول

ذاك حديث الثقلين يشهد*** أنهما في العالمين المقصد

كذلك الأئمة الاثني عشر*** هم بشر لكنما فوق البشر

ونحن مأمورون بالتمسك*** بالعترة إلى الكتاب نتكي

انهما في الدهر لن يفترقا*** على ضفاف الحوض كان الملتقى

فالسهو للمعصوم غير لائق*** وسهوه يهلك للخلافت

لأنه قد يسهو في الأحكام*** ويلزم الاضلال للأنام

وخلاصة القول وصفوته أنّ السهو والهجر والغلط كل ذلك لا يجوز ان ينسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأي حال من

الأحوال، ولكن علماء العامة قد جوزوا ذلك اقتداءً بالمتقدمين من القوم الذين قد هجروه ونسبوا إليه ما لا يليق بمقامه الشريف السامي فإنه

قد جاء في السيرة : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبيل وفاته قال : أيها الناس إنني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي

انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض

1- إشارة إلى السيد نعمة الله الجزائري فإنه أيضاً ممّن يقول بجواز السهو على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فتمسكوا بهما ولا تتقدموا عليهم فتمزقوا ولا تتأخروا عنهم فتهرقوا ، وأوفوا بعهد الله وعهدي ولا تنقضوا بيعتي التي بايعتموني عليها، اللهم إني بلغت ما أمرتني به ونصحت لهم ما استطعت، وما توفيتني إلا-بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، ثم قام الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخل حجرته ، ثم دعا من استدعى له بالأول والثاني ومن كان في المسجد حاضراً فقال : ألم أمركم أن تنفذوا جيش أسامة ؟ فقال الأول : بلى يا رسول الله .

قال : فلم تأخرت ؟

قال : رجعت لأجدد بك عهداً ثابتاً .

وقال عمر : إني لا أحب أن أسئل عنك الركبان .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نفذوا جيش أسامة يكررها ثلاثاً لعن الله من تخلف عنه، فبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده فلما أفاق من غشوته قال: أتوني بدواة وكتف اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ، ثم أغمي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقام بعض من حضر ليأتي بالدواة والكتف فقال له عمر : ارجع ان رسول الله يهجر ، ثم تلاوموا فيما بينهم فبعض يقول : أطيعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتوه بالدواة والكتف

، وعمر يقول: ارجع عن ذلك، وقال آخرون إنا لله وإنا إليه راجعون، فوالله لقد أشفقنا بمخالفتنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما أفاق قال بعض من : حضر ألا نأتيك بالدواة والكتف يا رسول الله ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بعد الذي قلتكم لا (1) ولكن أوصيكم بأهل بيتي خيراً وأعرض بوجهه المبارك عن القوم فنهضوا عنه .

قال بعض العارفين:

أوصى النبي وقال قائلهم قد ظل يهجر سيد البشر ورأي أبا بكر أصاب ولم يهجر وقد أوصى الى عمر قال : ولم يبق عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير علي (عليه السلام) وعمه العباس (رض) وأهل

ص: 304

1- لأنه أراد أن يؤكد على الوصية السابقة فلما علم منهم عدم الاعتناء أعرض بوجهه المبارك عنهم .

بيته، فقالوا: يا رسول الله إن يكون فينا هذا الأمر فبشرنا وإن كنت تعلم أنا نغلب عليه فأوص بنا خيراً .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنتم المستضعفون بعدي المضطهدون بعد موتي، فنهضوا وهم يبكون وقد آيسوا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما خرجوا من عنده قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ردوا لي عليا (عليه السلام) وعمي العباس، فلما حضرا قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه العباس : يا عم هل لك أن تقبل وصيتي وتنجز وعدي وتقوم بأمر أهل بيتي من بعدي ؟

فقال : يابن أخي إن عمك شيخ كبير ذو عيال كثيرة وأنت تباهي الريح سخاء وكرماً وعلماً وعليك وعد لا ينهض به عمك ، فأقبل (صلى الله عليه وآله وسلم) على ابن عمه علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام وقال : يابن العم أنت وصبي وتنجز وعدي وتقوم بأمر أهل بيتي من بعدي ؟

قال (عليه السلام): نعم فذاك أبي وأمي .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ادن مني، فدنا منه وضمه إلى صدره وقبله ونزع خاتمه المبارك وقال : ضعه في يدك فدعا بسيفه ودرعه ولامه حربه ولفته وعصابته التي يشدّ بها وسطه إذا برز للحرب فدفع ذلك كله إليه ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): امض به إلى منزلك.

قال : فدخل ابن عباس على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : قد دنا أجلك يا رسول الله . قال: نعم. قال: فيما تأمرنا به؟

فقال له : يابن عباس خالف من خالف عليا(عليه السلام)ولا تكن له ظهيراً ولا وليا .

قال ابن عباس: فلم لا تأمر الناس بذلك ؟

فبكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أغمي عليه ، فلما أفاق قال : يا بن عباس سبق الكتاب فيهم وعلم ربي فوالذي بعثني بالحق نبياً لا يخرج يخرج أحد من الدنيا أحد الدنيا ممن أنكر ولايته وجحد حقه حتى يغيّر الله ما به من نعمة وخير يابن عباس إذا أردت أن تلقي وهو عنك راض فاسلك طريقاً يسلكه علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام،

ومل معه حيث مال وارض به إماماً ، وعاد من عاداه ، ووال من والاه يابن عباس

احذر أن يدخلك الشك في علي عليه الصلاة والسلام فإنه كفر بالله ثم دخلوا عليه أصحابه يعودونه وفيهم أبو بكر فقال : يا رسول الله متى الأجل ؟

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): قد حضر . فقال أبو بكر : إلى أين المنقلب ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): إلى سدرة المنتهى وجنة المأوى والرحيق الأعلى والكأس الأوفى والعيش الأهنى . قال أبو بكر : فمن يلي غسلك منا ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): رجل من أهل بيتي الأدنى فالأدنى . قال : فيما كفئك ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): في ثيابي هذه أو في حلّة يمانية أو في بياض مصر .

قال : كيف الصلاة عليك ؟ فارتجت الأرض بالبكاء والنحيب فقال : مهلاً إذا أنا غسلت وكفنت ضعوني على سريري ثم أخرجوا عني ساعة فإنه أول من يصلي عليّ الجبار جلّ جلاله ثم الملائكة ، ثم ادخلوا عليّ زمرة بعد زمرة فليبدأ بالصلاة عليّ منكم الأدنى فالأدنى من أهل بيتي مع الملائكة لا يرد معهم أحداً فقوموا عني إلى من ورائكم . ثم استأذن عليه جماعة آخرون فسلموا عليه فقام من بينهم عمار بن ياسر فقال : فداك أبي وأمي يا رسول الله فمن يلي غسلك منا ؟

فقال : ابن عمي علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، فدعا به فأجابه بالتلبية ، فقال : يابن العم سند ظهري فشدّه في صدره ثم قال : يابن العم إذا نزل بي الموت فضع رأسي في حجرك ، وإذا فاضت روحي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ثم وجهني إلى القبلة ثمّ غسلني واتقن في غسلني ثم كفني في طمري هذا أو بياض مصر ولا تغال في كفني ثم تصلي عليّ في أول الناس، واعلم أنه أول من يصلي عليّ الجبار جلّ جلاله ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل والملائكة المقربون الحاقون بالعرش يسلمون تسليماً ويومنون إيماء ثم سكان كل سماء ثم أهل بيتي ولا- تؤذوني بصوت نادب ولا- امرأته ثم إنّه أمر علياً عليه الصلاة والسلام أن يضجعه على فراشه فقام القوم عنه، فلما كان من الغد حجب(صلى الله عليه وآله وسلم)نفسه عن الناس وكان عليّ عليه الصلاة والسلام قد خرج لحاجة فدخلن عليه نساؤه، فأفاق

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من غشوته فافتقد علياً فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لأزواجه : ادعوا الي أخي وصاحبي، فقالت الحميراء : ادعوا له أبا بكر ، فدعي له فلما نظره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعرض عنه بوجهه ، فقام وقال : لو كان له حاجة لأفضى بها إليّ ، فلما خرج من عنده قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي أخي وصاحبي.

قالت الثانية : ادعوا له عمر ، فدعي فلما رآه أعرض عنه، فقام عمر وقال : لو كان له حاجة لأفضى بها إلي ، فلما خرج عنه قال له : ادعوا الي أخي وصاحبي.

فقالت أم سلمة : ادعوا له علياً عليه الصلاة والسلام فوالله ما يريد غيره، فدعي له، فلما رآه أومى له بالدنو منه ، فدنا منه فانكب عليه من تحت الثوب فناجاه طويلاً.

قال الحكيم مولانا الشيخ عبدالمحسن الفرطوسي شاعر آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. ولنعم ما قال الشيخ قدس الله نفسه الطاهرة عن لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال طه ادعوا إلي حبيبي *** حين وافى له نذير الفناء

فدعت عائش أباهما فألقى *** رأسه عنه معرضاً بجفاء

ودعوا حيدرأ له حين قالت *** هو يبغى الوصي عند الدعاء

فراه فأخرج الثوب عنه *** مدخلاً للوصي تحت الرداء

وغدا حاضناً علياً إلى أن *** قبضت نفسه بأمر القضاء

ويد المصطفى أخيه عليه *** لم تزل عنه في وداع الإخاء

فلو سألتك بالله ما حال علي عليه الصلاة والسلام في تلك اللحظات الحاسمة وهو يرى النبي العظيم يلفظ أنفاسه الأخيرة ثم ما حال زوجته الصديقة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام وهي ترى أباهما وهو يوجد بنفسه نادى ولديها حسناً وحسيناً وهي باكية قائلة : قوموا نودع جدكم ولسان حالها يقول لهم أيضاً تزودوا من الرحيم الودود ، ولقد أجاد الملا علي الفائز فيما قاله من وصف السيدة

الصديقة(عليها السلام) في تلك اللحظات:

فاطم تقل لولادها وادموعها همّاله***قوموا نودع للنبي حطوه في شيّاله
طلعت اوهيه تنادي او شبلينها وياها***يا والدي يا محمد يا مصطفى يا طاها
عن بضعتك يا سافر تشمت عليها اعداها***وانكان عني شايل وياك آني شياله
لحد يبو شبليني باتروح عن شبليني***وآني العزيزه الغالية باتروح وابتخليني
يا عزوتي يا رجالي قوموا ادفنوني حيه***من غير ماي جاري او من غير غسل اونيّه
لجله لشد اعصابتي واهمل مدامع عيني***وامن الحزن لتحمل حمل يكض شيّاله
والهون يا شياله وبالهون يا شياله***نعش النبي المصطفى بالهون يا شياله
يا مجهزين الهادي بالهون لا تشيلونه***خلة يجي سبطينه هاليوم تنظر حاله
خلو البتولة اتودعه من قبل ما تدفنونه***خله يجي له عزوته و اجماعته ايحضرونه
جتي البتولة اتنادي مع والدي دفنوني***ياياب عفت الدنيا بعدك ينور اعيوني
يا ياب جتني قومك وانبارهم حرقوني***اوقادوا وصيك وتركوا المدامعي هماله

ص: 308

ما دابها لا تنتحب في دارها واتنادي *** قوموا القبر المصطفى بانروح يا اولادي

تنصب عزاها عنده واتشمه واتنادي *** يابوي صرنا بعدك في ذل واسوأ حاله

يعقوب ما صار ابحزن يباب مثل احزاني *** ولادنيه نالت مثلي أو عشيرا شجاني

وأظلم عليه كوني واتشمتت عدواني *** بعدك رمتني الدنيا او معتادها مياله

يا به علي المرتضى دخلوا عليه ابداره *** والا جنبي يابويه قام وحرقها ابناره

نعم، لقد حرق القوم بيت الرسالة، وحرق أبناء القوم مخيمات بنات الرسالة يوم عاشوراء .

قال مولانا زين العابدين عليه الصلاة والسلام : لقد رأيت عماتي وأخواتي يتفاررن من خيمة إلى خيمة ، ومن خباء الى خباء والنار تشتعل في أذيالهن والمنادي ينادي: احرقوا بيوت الظالمين، بل ولم يكتف القوم بذلك وإنما كبسوا المخيمات على آل رسول الله وهم ينادون وامحمداه وا عليها واحسنه واحسيناه اين المحامي و اين الكفيل ؟ ولسان حال النساء يقول :

دخلت علينا القوم وبن أهل الحمية *** قوموا ادركوا الخيمة يفرسان الضربه

يحسين زينب في الخبا باتت بلا اكفيل *** ما في خباها إلا يتاماها ولعليل

مادري شسوي ابها اليتامى بظلمة الليل *** نسوه بليا اكفيل يا راعي الحميه

من قبل ما يمسا مسانا يا نساوين *** قوموا نروح المعركة واندور احسين

معلوم ما يدري العدى وصلوا الصياوين *** ما يدري الايتام في ضميم أو أذيه

وقفت على باب الخيام تنعى او تنادي *** من حولها النسوان حسره وستره بالايادي

او فرسانها فوق الثرى صرعى او ضحيه ***واخيامها امن ارجالها كلها خلية

نادت على العباس يا حامي ظعنا *** سمعها ابو فاضل او جاوبها ابونه

ردي الخيمة يسكنه ابغير رته *** ماقدر اسمعك تجذبي الونه خفيه

لو كنت انا بلوجود ما حد وصل ليكم *** والخيل ما جتكم ولا واحد يجيكم

لكن بليا اكفوف وذا عذري اليكم *** اشكو الى الله من فعل ارجاس اميه

عمك يسكنه ايعود لا تترقبينه *** زندي بليا اكفوف حالي تنظرينه

قالت يعمي من يردنا للمدينة *** وانا بليا اقناع ما ترضى عليه

لا عم ولا والد ولا بعل بقى لي *** واضعن النسا ميشيل نسوه بغير والي

قوموا انظروا زينب يهلها ابغير والي *** ثوروا اليها بالعجل يهل الحميه

واحسين ما ندرى وقع في وين جسمه *** قوموا ينسوه انروح له كلنا ابلمه

نوقع على جسمه او نتخضب ابدمه *** وانشيل جسمه خوفتي بيقه رميه

هجمت علينا الخيل وين امشرد الخيل *** ادرك حريمك يا وليها ابغير تمهيل

يحسين جاوينا جشكم ما ندلهم *** كلنا حريم وعقب عينك ما حد الهم

اتوكأ على سيفك يخويه وانهض الهم *** او عنا ترد القوم يابن امي مع الخيل

قلها دسكت يا حزينه ما لي اكفوف *** او جثتي يزنب بضعوها ابضرب لسيوف

غضب عليه وصلوك او عيني اتشوف *** والدم من جسمي جرى يختي كالسيل

لا تفجعيني يا حزينه ابصوت رته *** انتي تحاكيني وانا اجذب الوته

قالت يخويه وين شخصك غاب عنا *** يوم علينا في خيمنا هجمت الخيل

لا تفجعيني يا حزينه من خينك *** مالي يزنب مقدره اسمع ونيك

حال القضا يمخدره بيني او بينك *** اشبيدي على امر جرى يعفيفه الذيل

سرعك قبل موتي تعالي حق لوداع *** قالت ينور العين يا ذخري يمتاع

ودي أناجي لك ولكني بلا اقناع*** انا مع الأيتام واطفالي ولعليل

قلها يزيب باري اسكينه واخوها*** لا من بكت سكنه يزيب سكتوها

ص: 310

مكسورة خاطر على عمها وابوها*** بعد المعزه صارت ابولية أراذيل

خفي البكي اوصيك يختي او رفعة الصوت*** وجيبي لي الصغرى أشمها قبل ماموت يونس انا يختي او صارت كربلا حوت*** او يونس ما عنده نساء طلت بلا كفيل

او جيبي لي اسكينه بقبلها او بشمها*** توقع على صدري او بيديني بلمها كسورة خاطر على بوها أو عمها*** اشبيد على امر جرى يعفيفة الذيل

نعم، جاءت سكينه وهي تنادي بأعلى صوتها قائلة : يا حبيبي يا حسين عليك مني السلام وهي أيضاً في نفس الوقت تعاتبه قائلة :

يبويه ليش ما تنغر عليه*** مني سكنه العزيزه الفاطميه

يبويه اساعدوي شمت بيه ***ذليله ايشوفني ما بين عسكر

يبويه انروح كل احنا فداياك*** اخذني للكبر يحسين وياك

اهي غيبة يبويه وكعد أتناك*** وكلمن سافر او يومين يسدر

يبويه اللي وكع من بين اديه*** جتل عطشان ما تشرب أميه

يبويه ريت هالنومه هنيه*** او من بعدك يريت الناس تسهر

على امصابك يبويه لصب دمعي*** وخلي عليك انوح الليل طبعي

لحرّم ما يجيس الكاع ضلعي*** ولا كلبي بعد فرقاك يستر

يبويه كول لا تخفي عليه*** هذي روحتك لو بعد جيّه

يبويه انجان رايح هاي هيّه*** اخذني اويك عنك مكدر اصبر

يبويه من شفت مهرك لكانني*** ذاب القلب وانخطفت الواني

بويه ايعود لي بيكم زماني*** وشوف الدهر بيكم يرد يزهر

يبويه باد حيلي وحك جدك*** عسى للكاع خدي دون خدك

يبويه شال راس الدين بعدك*** والدنيا اظلمت والكون مغبر

نعم، لقد أظلمت الدنيا واسود الكون لفقد سيد الشهداء، وقوضت أركان الدين عندما رفع رأس الحسين عليه الصلاة والسلام على رأس رمح

طويل والريح

تلعب بشيئته الشريفة المباركة، يقول هلال ابن نافع : إني لواقف مع أصحاب عمر بن سعد لعنهم الله تعالى إذ صرخ صارخ : أبشر أيها الخنزير بالنار وغضب الجبار فهذا شمر لعنه الله قد قتل الحسين(عليه السلام)، فخرجت بين الصّفين فوقفت عليه وأنه (عليه السلام) ليجود بنفسه فوالله ما رأيت قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً ، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكرة في قتله فاستسقى في تلك الحال ماءً فسمعت رجلاً لعنه الله تعالى يقول : والله لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها ، فسمعت الحسين عليه الصلاة والسلام يرد عليه ويقول : أنا أرد الحامية فأشرب من حميمها لا- والله بل أرد على جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأشرب من ماء غير آسن وأشكو إليه ما ارتكبت مني وفعلتم بي، فغضبوا بأجمعهم لعنهم الله تعالى حتى كأن الله لم يجعل في قلب احد منهم من الرحمة شيئاً، ثم قال سنان لعنه الله تعالى لخولي بن يزيد لعنه الله تعالى احتز رأسه فبدر خولي لعنه الله تعالى ليحتز رأسه الشريف فضعف وأرعد، فقال له سنان وقيل شمر لعنهما الله تعالى : فتّ الله في عضدك مالك ترعد؟

فقال له : نعم أرعد من هيئته ونور وجهه، ثم نزل سنان لعنه الله وقيل شمر لعنه الله إليه فذبحه ثم احتز رأسه الشريف وهو يقول : والله لأحتز رأسك وأعلم أنك السيد المقدم وابن رسول الله وخير الناس أباً وأماً ، ثم دفع الرأس الشريف إلى خولي فقال : احمله إلى الخنزير عدو الله عمر بن سعد لعنه الله ورسوله وملائكته والناس أجمعين آمين عليه اللعنة وسوء الدار إلى ويوم يبعثون.

رأس ابن بنت محمد ووصيه*** للناظرين على قناة يرفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع*** لا منكر منهم ولا متوجع

كحلت بمنظر العيون عمايه*** وأصم رزؤك كل أذن تسمع

الله أكبر من خطب بنا نزلاً*** للحشر يوقد في قلب الهدى شعلاً

رأس الحسين برمح للكتاب تلالا*** بنت النبي الا قومي الفداة الى

باز تنشب في مخلاب عصفور

قومي انظري الكوكب الدرري في لدن*** نعش له لم يشله غير ذي احن

حنوطه رشق نبل القوم في بدن*** قومي الى ميت مالف في كفن

يوماً ولا نال من سدر وكافور

قومي ليدر علا من أوجه سقطا*** لا هوت قدس له التشكيل كان غطا

على محاسنه كيف الجياد تظا*** قومي الى الصقر لم يظفر بسرب قطا

بل عدن من دمه حمر المناقير

قومي اندي بين أهل الأرض عصمتها*** بعوله تسمع الأملاك جلبتها

قومي لرأس هدى أهدهه صعدهتها*** وجنة أبلت الأيام جدتها

وغيرتها الليالي أي تغيير

فلو سألتكم يا شيعة آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): هل فيكم من يلتذ بالكرى أو يهدأ له بال بعد هذا المصاب العظيم والفادحة الكبرى التي حلت بفناء آل الرسول؟ لأجاب لسان أحدكم كيف السلو ورأس الحسين عليه الصلاة والسلام فوق رأس رمح طويل وجسده المبارك الشريف ترضه الخيول العاديات، هذا أحد الشعراء العارفين المتقنين في حب آل محمد (عليه السلام) والذي قد أقضت مضجعه هذه المصيبة وتركته حيران بلا هدوء فأخذ يرثي الحسين (عليه السلام) بقوله :

غاب عني الكرى وطيب الرقاد*** حسين جفني غدا حليف السهاد

لمصاب اشاب سود الليالي*** بعد ما جلبب العلا بسواد

هد ركن الهدى والمجد والدين*** واشاد الضلال بعد الرشاد

يا لخطب جرى على علة الكون*** وغيث البلاد غوث العباد

سبط خير الأنام وابن علي*** القدر والشأن علة الايجاد

لست أنساه مفرداً بين جمع*** برزوا فيه كامن الأقداد

يحطم الجيش رابط الجأش حتى *** صبغ الأرض من دماء الأعادي

لم يزل يحصد الرؤوس بعضب *** أبداً للدماء في الحرب صادي

وإذا بالتداء عجل فلبى *** وهوى للسجود فوق الوهاد

نال في المجد والفخار صعوداً *** مذهبى في الصعيد صعبُ القياد

عجباً للسماء لم تهو حزناً *** فوق وجه البسيط بعد العماد

عجباً للمهاد كيف استقرت *** ونظام الوجود تحت العوادي

عجباً للنجوم كيف استنارت *** لم تغب بعد نورها الوقاد

بيد ان الإله عم البرايا *** بهبات من فضله وأيادي

بشمال العفات عين المعالي *** سيّد الكائنات زين العباد

حيث لولا وجوده لأهملت *** ولساخت وبرقعت بسواد

ومثير الأشجان رزؤ الأيامى *** مذوعت بالصهيل صوت الجواد

برزت للقاء تعثر في الذيل *** وقاني الدموع شبه الفوادي

فرأت سرجه خلياً فنادت *** تلك واوالد وذي واعمادي

وغدت ولهاء بغير شعور *** نحو مثنوى بقية الأمجاد

فرأت في الصعيد ملقى حماها *** هشمت صدره خيول الأعادي

فدعت والجنفون قرحى وفي القلب *** لهيب من الأسى وانتقاد

احمى الضايعات بعدك ضعنا *** فى يد التّابّات حسرى بوادي

او ما تنظر الفواطم في الأسر *** وستر الوجوه منها الأيادي

ثكلاً ما ترى لها من كفيل *** حسرى بين عصبة الالحاد

ثم تدعو فما ترى من مجيب *** لنداها سوى صداء الوادي

ايها المدلج الجسور رويداً *** قف تحمّل شكوى لأهل وداد

عج بوادي الغري واخضع إذا ما*** شمت مثنى الوصي غوث المنادي

قل له والعيون عبرى أيا من*** هو ذخر للمعضلات الشداد

ص: 314

قم فهذا الحبيب ملقى على الأرض *** عفيراً قد كنته البوادي

جسمه في الصعيد تعدو عليه *** الخيل والراس فوق سمر الصعاد

حوله من بنيه أقمار تم *** كالأضاحي سقوا كؤوس الحداد

وبنات الهدى سوافر بعد *** الصون والحجب في يد الأوغاد

نعم ، لقد بقي جسمه الشريف في صعيد كربلاء تعدو عليه الخيول العاديات، أما الرأس المبارك فهو على سمر الصعاد تلعب الريح بشيبتة المباركة، وكأنني بالسيّدة الجليلة الحوراء زينب تخاطب حامل ذلك الرأس الشريف قائلة :

يشيال رأس حامينه اولينه *** ريض خلي اتودعه اسكينه

ليش احسين ساجت عن وينه *** كلي تعب يوجرحه تخدر

يا شايل راسه لا تلوحه *** او هبط عن بقايا الروس رمحه

أخاف يفوت رايح الهوى ابجرحه *** واصوابه عليه ايكوم يسعر

يشيال راس احسين سدره *** رد الجتته او سده ابكبره

بدر الوجود بأرض الطف قد افلا *** ومقتدى أحمد بالسيف قد قتلا

بكفّ أرجس رجس رأسه احتملا *** بنت النبي الأقمى الفداة الى

باز تنشب في مخلاب عصفور

آلا البسي في العزا ثوب الأسي نمطا *** لأجل منعف اضحى بغير غطا

قد ديس بالنعل صدر للعلا سفتا *** قومي الى الصقر لم يظفر بسرب قطا

بل عدن من دمه حمر حمر المناقير

هذا هو القسم الرابع من الجزء الأول من كتابنا (موسوعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة (عليه السلام)) وهو يشتمل على اثني عشر جلسة وتكون بحسب تنظيم هذا الجزء من الموسوعة مشتملة على: الجلسة الثالثة عشرة، والرابعة عشر، والخامسة عشر، والسادسة عشر، والسابعة عشر، والثامنة عشر، والتاسعة عشر، والعشرون والحادية والعشرون، والثانية والعشرون، والثالثة والعشرون. والرابعة والعشرون، وقد تحدثنا في هذه الجلسات المباركة عما يلي من المواضيع المهمة المتعلقة بشخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم):

تنزيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عما لا يليق به. الطرق الدالة على معرفة الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). أخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفاته الحميرة. ما أحله الله لرسوله الكريم من النساء. أمر الله لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالدعوة وأظهارها. أذية أبي لهب لرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). مكر الكفار برسول الله. لا يصح أن يلصق بالرسول أو الائمة (عليه السلام) صفة من صفات الربوبية. الاعتصام بالله وعدم التفرقة. الانقلاب بعد موت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). ارتداد القوم بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). حقيقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يدركها إلا المعصوم.

الجلسة الثالثة عشر : في تنزيه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله عما لا يليق به

ليس الله حبيب غيره*** وله أعطى الكمالات تماماً
رحمة الله التي من رشحها*** رقت الآباء على الأبناء دواما
خير من أرسله الله إلى*** خلقه بل كان لطفاً وعصاما
فأبوا كفراً هداة كَلِّمًا*** جاء بالآيات صارت تتعامى
كان يدعى في قريش صادقاً*** وأميناً حيث لم يفعل اثاما
فلماذا كذبتة وجفت*** ثم هموا أن يذيقوه الحماما
لم يهاجر وله في مكة*** ناصر يدفع ضيماً واهتضاما
ولقد أودى من أمته*** بأذى لم ينل الرسول الكراما
وقد ازدادوا عتواً وجفاً*** إذ أقام المرتضى فيهم إماما
وتواصت ضلة أن يقض في*** آله لم ترع إلا وذماما
بأبى أفضل داع للهدى*** والأب الشامل بالفضل الأناما
افتديه فوق فرش السقم من*** ما به لما سقى سراً سماما
افتديه إذ قضى فاهتم من*** ففقد العرش فقد كان الدعاما
فقدت أمته خير أب*** واغتدى من بعده الكل يتامى
ولعمر الله قد عقوه في*** آله حسياً وإذ لاقى الحماما
أخرجت سلطانه عن آله*** بالجفا واغتصبت ذاك المقاما
وولا حيدرة قد نكثوا*** سفها واتخذوا.... اماما
وعلى جامع كل على*** ولدين الله قد كان دعاما

لببوه بالجفا من داره***بأبي أفدي الوصي المستضاما

أوصى المصطفى من رض من***فاطم بضعته بغياً عظاما

حين لاذت خلف باب الدار إذ***هجم الرجس وقتل الطهر راما

وجفوها وتناسوا حقها***وعليهم حقها كان لزاما

لم تقم إلا قليلاً فيهم***وعليها منهم الجور استداما

او تنهى ابنته عن نوحها***والحشى شب بها الوجد ضراما

أترى من فقدت فاطمة***فقدت أعلى النبيين مقاما

أو من حن له الجذع ولو***لم يسكن روعه حن دواما

كيف لا تبكي له بضعته***ولها قد كان ركناً وعصاما

هل رأيت من سلوة من بعده***لم تجد من قومها إلا اهتضاما

قد زووا نحلتها والإرث إذ***لم يروا من حافظ فيها ذماما

ليت شعري لم بكاه منعه***أبكا خير الورى كان حراما

ولماذا قطعوا الدوحة هل***قصدوا إلا الأذى والاهتضاما

ولماذا دار أحزان بنت***اعليها دارها ضاقت مقاما

نعم، انه لم يحصل للزهراء البتول عليها الصلاة والسلام من يسليها او يحفظ ذمامها بعد فقدها أبيها(صلى الله عليه وآله وسلم)، بل على العكس من ذلك لم تجد من ذلك لم تجد من قومها إلا-الاهتضام وعدم رعاية المقام، وبالرغم من تلك الوصايا المتكررة من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)بحفظها ورعايتها، وحفظ علي(عليه السلام)ورعايته برغم ذلك فإن القوم بالاضافة إلى عدم تنفيذ الوصية فقد أسدوا إليها الأذية وكأنهم لم يسمعو لسان حال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :

يصحاب فاطم بضعتي بعدي احفظوها***داروا عليها عقب عيني وارحموها

عظموا أجرها لوحوت شخصي المقابر***سمعوا وصيتي بضعتي غايب او حاضر

ليكون بعدي اتعود مكسورة الخاطر***مقدر على ذلها ولا أرضى تهظموها

يصحاب من بعدي وصيبي ليث غالب***فصل القضا الكرار فلال الكتابيب

مرجعكم وكاشف الشدة في النوايب*** عزوا جنابه والبتولة كرموها

ص: 320

ما جاهدت عنكم بسيفي ويمني *** وفي يوم أحد بالثرى اتعفر جبيني

واستوحدوني وبالبحر كسروا اسنوني *** عن منبرى الكرار يصحابي توخروه

وشيتي ابغيض ادماي مني خضبوها *** ليكون جسمي بس وسط لحدته تقبروه

جني أشوفه بالحبل قمتم تجروه *** وهو الجبل إشلون داره تحرقوها

اينادي ابن امي القوم والله استضعفوني *** غاروا عليه وبالمذلة استخرجوني

نعم، لقد كسروا القوم الظالمين لعنهم الله تعالى أضلاع الصديقة(عليه السلام) والموا

بالضرب متونها فصاحت بفضة : يا فضة إليك فخذيني وإلى صدرك فسند فسنديني فلقد أسقطوا والله جنيني . ولما جرى على الزهراء عليها الصلاة والسلام من المصائب العظام والحوادث الجسم لا تزل قلوب المؤمنين مقهورة ومسعورة بنار الأسى والحزن وليس لهم هدو واستقرار، وتجد كثير منهم يوجه العتاب لمولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ويناشدونه التعجيل في طلب ثار جدته المعصومة المظلومة :

يراعي الثارات الثار دنشر رايتك واظهر *** تدري والخبر عندك ابصير الباب شتكسر

تصبر والخبر عندك من بعد الرسول اشصار *** صار الحكم لعداكم او ظل جدك جليس الدار

تنسى من حرقوا باب الزهرا جدتك بالنار *** هاي اقلوبنا للسا ابذيك النار تتوجر

من نار القلوب اتهيح غيرك ما لنا چاره *** انلومك واحنا ندري اشلون قلبك تلتهب ناره

ندري بيك من تذكر أمك او مسماره *** اتهيح او تنتظر رخصه من الله اتريد بس تظهر

اتهيج او تنتظر رخصه من الله او قلبك المجمور***انعذرك كل هلك راحو چتل والحق مهو منكور

أول تطلب اثمار الماتت ضلعها مكسور***وصت تندفن بالليل لا يكون العدى تحضر

يربي اصدورنا ضاقت حسرة انجر بثر حسرة***عجل فرج والينا ابجاه البضعة الزهراء

ابجاه السقط ومصابه ابجاه الضلع او بكسره*** ابجاه بالضرب مسودا متنها واللطم محمر

اظهر صاحب الراية المهدي يأخذ بثاره*** خله ايرج نواحيها او يغنيها فرد غاره

يأخذ من بني أميه ابشار احسين وانصاره***الراحت روسهم للشام وظلت جثتهم بالبر

وهكذا راح المؤمنون يوجهون النداء لصاحب الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة ويناشدونه الطلب بثار آل الرسول سيما ثار قتلى الطفوف عليهم أفضل الصلاة والسلام، فإن ذكرهم لا ينسى وكيف تنسى تلك الفاجعة المؤلمة والحادثة العظيمة إنَّها لا تنسى فهي ما ثلة أمام عيون المؤمنين وما زالت حادثة عاشوراء تجدد في كل عام للشيوخ والشبان والأطفال من عامة الناس، فان يوم عاشوراء يوم عزاء جميع المسلمين على سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام فما أن يطل على الناس هلال عاشوراء إلا وتجدهم قد لبسوا السواد وفاضت الدموع من أعينهم وذهبت أفراحهم فأين الفرح وأين السرور وأين ذكريات الصبا وأين التمتع . بملذات الدنيا ، كل هذا ليس بشيء عند من هو مصاب بسيدة ومولاه جيب قلوب المؤمنين الحسين بن علي عليهما الصلاة والسلام :

تناسى ببابل او طاره***فتى أوضح الشيب اعذاره

أمن بعد ما جاوز الأربعين *** يطاوع باللهو أماره
إذا ما الشباب انطوى سفره *** فخل الهوى واطو اسفاره
فما انا من بعدها ذو هوى *** يقاسي من الحب اطواره
يناجي نجوم الدجى ساهراً *** وكان ينادم اقماره
إذ ما صفا عيشه برهه *** أتاح له الدهر أكاره
فدع ذكريات الصبا إنني *** ذكرت «الحسين» وانصاره
قضوا ظمأً حول ماء الفرات *** فلا فجر الله أنهاره
فالله يوم لسان الزمان *** يرّد للحشر أخباره
أطل على الكون في نكبه *** بها طبق النوح اقطاره
إذا رام نسيانه العالمون *** يهيج (المحرم) تذكاره
تردت ثياب العلى هاشم *** به وأمى اكتست عاره
عشية قد نهض ابن الطليق *** من المصطفى طالباً ثاره
ايملك شر عبيد الأنام *** خيار الأنام واحراره
فأدرك في قتل ابنائه *** سبى ذراريه اوتاره
بنفسي تاو بحر الهجير *** ثلاثاً سوى الوحش ما زاره
ومذ خيروه الردى والهوان *** رأى العز بالموت فاختره
تلفع طمر الثناء والدماء *** إذا ابتزت القوم اطماره
وصدر نشا فوق صدر النبي *** به اودع الله أسراره
غدا لخيل العدا حلبة *** تعفي السنايك آثاره
وبيت تذب الضا دونه *** وتمنع سمر القنا جاره
تسامى بمن فيه حتى غدت *** جميع الملانك زوّاره

فغودر بالطف نهب العدى *** وقد هتكوا منه أستاره

وفرت «كرائمه» خيفة *** فرار (القطا) عاف اوكاره

ص: 323

وما جراً القوم الا الألى *** علي المرتضى هجموا داره

تلف الضلوع على اكيد *** بها شب زند الأسى ناره

وسيقت إلى الشام نحو اللئام *** تعاني من السير أخطاره

وليس لديها سوى «ناحل» *** به أنشب السقم أظفاره

تعاين بالرمح رأس الحسين *** فتذري من الدمع مدراره

إذا ضل بالليل حادي الظعون *** تتبع في السير أنواره

ويقال إنه مرّ سليمان بن قته العدوي رحمه الله تعالى بكربلاء بعد قتل الحسين عليه الصلاة والسلام بثلاث أيام فنظر إلى مصارع بني فاطمة (عليها السلام) وانكأ على فرس له عربية وأنشأ يقول :

مررت على أبيات آل محمد *** فلم أرها أمثالها يوم حُلت

ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة *** لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وكانوا رجاء ثمّ أضحوا رزية *** لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت

وتسألنا قيس فنعطي فقيرها *** وتفتنا بنا قيس إذا النعل زلّت

وعند غني قطرة من دماننا *** سنطلبهم يوماً بها حيث حلّت

فلا بعد الله الديار وأهلها *** وإن أصبحت منهم يرغم تخلّت

وإن قتيل الطف من آل هاشم *** أذلّ رقاب المسلمين فذلت

وقد أعولت تبكي السماء لفقده *** وأنجمنا ناحت عليه وصلت

وأيضاً: مرّ ابن الهاربية الشاعر المعروف بكربلاء فجلس يبكي على الحسين عليه الصلاة والسلام فأنشأ يقول:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى *** قسماً يكون الحق عنه مسائلي

لو كنت شاهد كربلا لبذلت في *** تنفيس كربك جهد بذل الباذل

وسقيت حد السيف من أعدائكم *** عللاً وحدّ السمهري الذابل

لكتني أخرجت عنك لشقوتي *** فبالبلي بين الغري وبابل

هبنې حرمت النصر من أعدائكم*** فأقل من حزن ودمع سائل

وجاء في «المجالس» لسيدنا الأمين نقلاً عن كتاب «كامل الزيارة» بسنده عن مسمع كردين، قال: قال لي الصادق (عليه السلام) يا مسمع، أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه الصلاة والسلام؟ إلى أن قال: قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟

قلت: بلى، قال: فتجزع؟

قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ فأمتنع عن الطعام والشراب حتى يستبين، في وجهي.

قال: رحم الله دمعك، أما إنك من الذين يعدون في أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمانا أما إنك ستري عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت فملك الموت أرقّ عليك وأشدّ رحمة من الأم الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبر واستعبرت معه، فقال: الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه وخصنا أهل البيت بالرحمة يا مسمع، إنّ الأرض والسماء لتبكي - منذ قتل أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام - رحمة لنا وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمة الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه فإذا سالت دموعه على خده فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرّها حتى لا يوجد لها حرّ، وإن الموضع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، ألا إنك ممّن يروى منه وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقت منه ممّن أحبنا.

وقال الصادق عليه الصلاة والسلام: إن الحسين بن عليّ عليهما الصلاة والسلام عند ربّه عزّ وجلّ ينظر إلى معسكره ومن حلّه من الشهداء معه وينظر إلى

زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله عزوجل من أحدكم بولده وأنه(عليه السلام)ليرى من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه أن يستغفروا ويقول : لو يعلم زائري ما أعد الله له لكان فرحه أكثر من جزعه، وإن زائره لينقلب وليس عليه ذنب .

بزوار الحسين خلطت نفسي *** لأحسب منهم عند العداد

فإن عدت فقد سعدت وإلا*** فقد فازت بتكثير السواد

يحسين كلنا نعتني لك كربلا نرور *** بسما نوصلكم وننظر ذيك القبور

ندخل الحائر بالحنين ولطم لصدور *** ونحوم مثل الجلب لو فارق حميه

وانشوف عد رجلك على يحسين مدفون *** وتهيج زفرتنا ويقرح ماي العيون

ونتذكر وقوفك عليه بقلب محزون *** محني الظهر واتصيح بيني اقطعت بيه

وابكل فريضه تروح للحاير الشيعة *** ومن مشهدك تطلع وتقصد للشريعة

اترور القمر الأزهر أبو كفوف القطيعة *** شيال رايتكم وسور الهاشمية

وبعد الزيارة للمخيم بالبكا نعود *** بسمانطبها تسيل دمعتنا بالخدود

نذكر منادي ابن سعد يا قوم فرهود *** حرقوا الخيم سلبوا الحريم الخارجية

ونذكر وقوف مخدّرتكم شابحة العين *** للمعركة والخيل حاطت بالنساوين

نعم، يتذكر زائر الحسين عليه الصلاة والسلام كلّما جرى على سيد الشهداء(عليه السلام)وعلى أهل بيته من المصائب التي من جملتها وقوف السيدة الجليلة زينب الحوراء(عليها السلام) على أجساد تلك الفتية بعد قتلهم وهي تحنّ لفرا الحسين(عليه السلام) وتنوح عليه بأرض الغاضرية وكأنّي أتصورها وهي في ذلك الموقف الذي تدوب له القلوب وتفتت له الأكباد:

زينب تحن وتنوح بأرض الغاضرية *** حزني على اللي رضضته الاعوجية

يطيور وادي كربلا روجي المدينة *** او خبري النبي المبعوث والزهرا الحزينة
مدري درى لو مادري ابدبحة ولينا *** معلوم لئه منذبح في الغاضرية
او روجي إلى مسموم جعده في بقیعه *** او خبریه عن حال الذي ابجنب الشريعة
ويلي على اللي ابمهجته فادی رضیعه *** واحسرتی رضت اعضامه الاعوجية
او مري على امحمد او أعطيه الاشارة *** او قولي خواتك في يد الاعدى اسارى
او عباس أخوك امقطعة ايمينه او يساره *** ابجنب الشريعة جثته ظلت رمية
او روجي الى الحمزه أو جعفر خبريهم *** شبان وادي كربلا حزني عليهم
نصبوا ماتم للحشر وابكوا عليهم *** او زينب بلا والى ابارض الغاضرية
أو مري على اللي في النجف مدفون جسمه *** او قولي عزيزك ذبح واتخصب ابدمه
وان سايلك قولي العزيزة اتنوح يمه *** من غير والي اصبحت في الغاضرية
او خبريه عن أفعال أهل بصره او كوفان *** لفرات ظالمي والعزيز انذبح عطشان

ولا كفاهم ذبحته يا شيخ عدنان*** حتى على صدره وطو بالاعوجية

او قولي الى اللي بالغري مدفون يطبور*** شلي امنعك عن الحراير ذات لخدور

او قولي العزيزة الغالية ركبت على كور*** ما تقدر على السير واركوب المطية

وكأني بشاعر آل محمد يخاطبها قائلاً:

يا ابنة الطهر منعة لا ترومي*** بعد اهل الندى واهل العلوم

ما لهذا القعود حول الجسم*** ذهب المانعون عنك فقومي

واخلعي العز والبسي الأذلالا

طالما حجبوك خير رجال*** وحموك بمرفعات صقال

لا ترجين بعدهم حسن حال*** أنت مسيبة على كل حال

خالفي الصبر والبسي الأغللا

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ولاخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث (1) صدق الله العلي العظيم :

ملخص ما جاء عن بعض المفسرين حول تفسير هذه السورة المباركة هو ما يلي:

(والضحى) أقسم تعالى بوقت ارتفاع الشمس.

(والليل إذا سجى) أقسم تعالى بالليل إذا سكن أهله وركد ظلامه .

(ما ودعك ربك) ما قطعك قطع المودع.

ص: 328

وفي المجمع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما ودعك بالتخفيف بمعنى ما تركك وما قلى وما أبغضك.

ونقل القمي عن الباقر عليه الصلاة والسلام في ذلك ان جبرئيل أبطأ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت أول سورة نزلت (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ثم أبطأ عليه فقالت خديجة: لعل ربك قد تركك فلا يرسل إليك، فأنزل الله تبارك وتعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى).

وقيل كما هو في الجوامع: ان الوحي في الجوامع: ان الوحي قد احتبس عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أياماً فقال المشركون: إن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعه ربه وقلاه، فنزلت الآية.

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) قال يعطيك من الجنة حتى ترضى.

وفي المجمع عنه الله قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة عليها الصلاة والسلام وعليها كساء من ثلة الإبل وهي تطحن بيدها الشريفة وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أبصرها فقال: يا بنتاه، تحملي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فإنه قد أنزل الله تعالى على (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى).

وفي تفسير الصافي نقلاً عن كتاب المناقب: عنه عليه الصلاة والسلام مثله، وفيه بعد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): بحلاوة الآخرة: فقالت عليها الصلاة والسلام: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر على آلائه، فأنزل الله تعالى (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى).

وعن المجمع: قال الصادق عليه الصلاة والسلام: رضى جدي أن لا يبقي في النار موحد.

وجاء عن محمد بن الحنفية أنه قال: يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله تعالى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) الآية، وأنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله عز وجل: (لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) هي والله الشفاعة ليعطينا في أهل لا إله إلا الله حتى يقول ربي رضى.

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) في هذه الآية والآية السابعة والثامنة تعديد لما انعم، عليه تنبيهاً على أنه كما أحسن الله تعالى إليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ومعناه في الظاهر ظاهر كما هو مذكور عن الصافي.

ونقل العياشي عن الرضا عليه الصلاة والسلام: يتيماً فرداً لا مثل لك في المخلوقين فأوى الناس إليك وضالاً في قوم لا يعرفون فضلك فهدهم إليك، وعائلاً تعول أقواماً بالعلم فأغناهم الله تعالى بك.

وفي تفسير القمي: عن أحدهما (عليه السلام) ما في معناه، وزاد القمي حيث قال اليتيم الذي لا مثل له ولذلك سميت الدرّة اليتيمة لأنه لا مثل لها (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) قال: فأغناك بالوحي فلا تسأل عن شيء أحداً (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) قال: وجدك ضالاً في قوم لا يعرفون فضل نبوتك فهدهم الله بك.

وجاء في العيون: عن الرضا عليه الصلاة والسلام في حديث عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) يقول: ألم يجد وحيداً فأوى إليك الناس ووجدك ضالاً يعني عند قومك فهدى أي انه تعالى هدهم إلى معرفتك ووجدك عائلاً فأغنى يقول بأن جعل دعاءك مستجاباً.

وفي المجمع: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال من على ربي وهو أهل المن.

وسئل الصادق عليه الصلاة والسلام: لم أويتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أبويه؟

فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق.

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) في تفسير الصافي نقلاً عن القمي ان معناه لا تظلم والمخاطبة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعنى للناس.

(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) معناه لا تطرد السائل.

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) معناه حدث يا رسول الله الناس بما أنزل الله عليك وأمرك به من الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية وبما فضلك به فحدث.

وقال في المجمع: عن الصادق عليه الصلاة والسلام معناه فحدث بما أعطاك

الله وفضلك ورزقك وأحسن إليك وهداك .

وجاء في كتاب المحاسن: عن سيد الشهداء الامام أبي عبدالله الحسين عليه آلاف الصلاة والسلام قال : روي فداه ان الله تعالى أمره(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحدث الناس بما أنعم الله عليه من دينه .

وجاء في الكافي عن صادق آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام قال : فحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه .

وعنه(عليه السلام) قال : إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله ، وإذا أنعم الله على عبده بنعمة الله فلم تظهر عليه سمي بغيض الله مكذباً بنعمة الله تعالى .

هذا ملخص ما جاء في تفسير هذه السورة المباركة، وقد أضاف سيدنا المرتضى قدس الله نفسه الزكية عند تعرضه إلى بيان معنى قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) انه لهذه الآية الكريمة أجوبة تشعر برفعة مقامه(صلى الله عليه وآله وسلم) وتشريفه بالنبوة، فقد قال في بيان ذلك ما يلي:

أولها : انه أرادك وجدك ضالاً عن النبوة فهذاك إليها أو عن شريعة الاسلام التي نزلت عليه وأمر بتبليغها إلى الخلق، ثم قال السيد المذكور : والكلام في الآية خارج مخرج الامتتان والتذكير بالنعمة، وليس لأحد أن يقول: إن الظاهر بخلاف ذلك لأنه لا بد في الظاهر من تقدير محذوف يتعلق به الضلال لأن الضلال هو الذهاب والانصراف فلا بد من أمر يكون منصرفاً . أمر يكون منصرفاً عنه، فمن ذهب إلى أنه أراد الذهاب عن الدين فلا بد له من أن يقدر هذه اللفظة ثم يحذفها ليتعلق بها لفظ الضلال ، وليس هو في ذلك أولى منا فيما قدرناه وحذفناه .

وثانيها : أن يكون أراد الضلال عن المعيشة وطريق الكسب، يقال للرجل الذي لا يهتدي طريق معيشتة ووجه مكسبه : هو ضال لا يدري ما يصنع ولا أين يذهب، فامتن الله تعالى عليه بأن رزقه وأغناه وكفاه .

ص: 331

ثالثها: أن يكون أراد وجدك ضالاً بين مكة والمدينة عند الهجرة فهداك وسلمك من أعدائك، وهذا الوجه قريب لولا ان السورة مكية وهي مقدمة للهجرة الى المدينة اللهم إلا- أن يحمل قوله تعالى : وجدك على أنه سيجدك على مذهب العرب في حمل الماضي على معنى المستقبل فيكون له وجه.

رابعها : أن يكون أراد بقوله تعالى: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) أي مضلواً عنك في قوم لا يعرفون حقك فهداهم إلى معرفتك وأرشدتهم إلى فضلك ، وهذا له نظير في الاستعمال يقال : فلان ضالٌّ في قومه وبين أهله إذا كان مضلواً عنه .

خامسها : انه روي في قراءة هذه الآية الرفع ألم يجدك يتيم فأوى ووجدك ضالاً فهدى، على أن اليتيم وجده ، وكذلك الضال، وهذا الوجه ضعيف، لأن القراءة غير معروفة، ولأن هذا الكلام يسمح ويفسد أكثر معانيه .

وصفة القول انه يجب تنزيه سيدنا محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جميع ما لا يليق بجنابه الشريف السامي فيما وجد من الآيات المباركات في القرآن الكريم مما ظاهره يشعر بالتوهين لمقام النبوة والرسالة فإنه يجب حمله على المعنى اللائق بالرسول الكريم وصرفه عما هو عليه ظاهراً، بل لا يصح عليه ظاهراً، بل لا يصح مطلقاً حمله على الظاهر حتى ولو لم يكن له وجه صحيح غير الظاهر في نظر بعض أهل العلم، وذلك لأن القرآن الكريم له ظاهر وباطن ولا يعلم ظاهره وباطنه إلا آل محمد عليهم الصلاة والسلام.

خصوصاً بأن الظاهر في الآية الكريمة منافٍ لصفة الكمال ولما أجمع عليه المسلمون من وجوب اتصاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكمال خلقاً وخُلُقاً على نحو يفوق على من أرسل إليهم من العباد، مثل كمال العقل وكمال الذكاء وكمال الإدراك والفتنة وقوة الرأي وشدة العزيمة والارادة، وأن لا يكون متردداً ولا متحيراً ولا شاكاً في الأمور ، يقضاً لا يغفل ولا يسهو ولا ينسى لطيف رؤوف رحيم عطوف منزه من الغلظة والفضاضة كريم متواضع شجاع منزه عن الدناءة والخسة والدنس

والرجس قوي الايمان بالله تعالى قوي اليقين به مترفع عن الخطايا والمآثم كلها لم يشرك بالله قبل أو بعد بعثته ، كريم الآباء والأمهات منحدر من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهرة.

سالمٌ من الأمراض والعاهات التي توجب النفرة منه والابتعاد عنه ، كالبرص والجذام، لم يعص الله في كبيرة أو في صغيرة عمداً أو سهواً أو نسياناً، معصوم من الذنوب كلها عصمة تامة من قبل أن يبعث خلافاً لجمهور الأشاعرة والمرجئة والمحدثين والمعتزلة حيث أجاز البعض منهم صدور الذنب منه مطلقاً إلا الكذب والكفر قبل وبعد رسالته، وأجاز البعض منهم ارتكاب الصغائر من الذنوب سهواً أو نسياناً أو تأويلاً بعد انبعائه، وأجاز جماعة من الأشاعرة عليه فعل الكبائر والصغائر قبل البعثة ومن الأشاعرة أجاز عليه الكفر ، وقال بجواز وجود من هو أفضل منه ، وكل هذه الأقوال باطلة على مسلكنا ومذهبنا ، بل اننا نعتقد بعصمة الأنبياء جميعاً ولا يجوز عندنا عليهم الكبائر من الذنوب وصغائرهم عمداً أو سهواً أو نسياناً قبل أن يبعثوا وبعد أن يبعثوا ، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء جميعاً سواء كانوا من أولي العزم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام أن من غير أولي العزم كآدم وادريس وداود وسليمان ويحيى ولوط وغيرهم من الأنبياء وإن كان باقي المسلمين من غير الشيعة لا يعتقدون ذلك.

أما ما معنى العصمة التي نقول ونعتقد بثبوتها وتحققها في الأنبياء؟ يقول أهل اللغة:العصمة هي المنعة والوقاية والحفظ والصيانة وهي ملكة تجنّب الانسان من المعاصي، وهي في عرف علماء الكلام - الفلسفة الإلهية - امتناع المعصوم من فعل المعصية وصيانته عن الخطأ لا على سبيل القهر والاجبار والإلجاء، لأن المعصوم كأى إنسان يتصف بما يتصف به غيره من الصفات البشرية، فهو يرضى ويغضب ويحب ويكره ويحزن ويفرح ويلتذ ويشتهي(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ) بل إن إيمان المعصوم(عليه السلام)المالك لملكة التجنب من الخطأ واعتقاده الكامل بالله

تعالى ونضوج ملكاته وعقله يسيطر على جميع شهواته وملذاته ويصير أعماله وأفعاله وأقواله كلها تنحو وتتجه إلى طلب مرضاة الله تعالى فيصرف حبه كله الله فلا يرى في الدنيا إلا طاعة ربه والعمل بما يرضيه، وبذلك يعصم نفسه عن كل ما لا يرضي الله تعالى فلم تصدر منه معصية ولم يرتكب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً، عمداً أو سهواً أو نسياناً، وسوف يأتي ما يؤكد ذلك في بعض الجلسات المقبلة إن شاء الله عند ما نتعرض إلى مبحث العصمة بصورة مفصلة وسوف نرد على القائلين بعدم ثبوتها من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم للأنبياء ونفد أيضاً أدلتهم في ذلك.

وأخيراً ونحن هنا في هذه الجلسة المباركة وقبل أن يضيق بنا المجال لابد لنا أن ننتقل بالاخوة الكرام إلى المصيبة العظمى والفادحة التي حلت بالاسلام والمسلمين في مثل هذا اليوم الذي فقد المسلمون فيه حبيب قلوبهم ونيهم العظيم، وإن نسيت فلا أنسى السيدة الجليلة والصديقة للطاهرة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام وقد نظرت إليه وهو على فرش السقام فجعلت تنادي وتقول: واكرباه لكربك يا أبتاه.

فقال لها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): لا كرب على أهلك بعد اليوم يا فاطمة .

ونقل السيد محسن الأمين رضوان الله تعالى عن كفاية النصوص بسنده انه قال : لما حضرت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)الوفاة دعا بعلي عليه الصلاة والسلام فساره طويلاً ثم قال : يا علي أنت وصيي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي - إلى أن قال :-

فبكت فاطمة عليها الصلاة والسلام وبكى الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة(عليها السلام): يا سيدة النسوان مم بكاؤك؟

قالت(عليه السلام): أخشى الضيعة بعدك يا رسول الله .

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): أبشري يا فاطمة فانك أول من يلحقني من أهل بيتي، لا تبكي ولا تحزني فأنت سيدة نساء أهل الجنة ، وأبوك سيد الأنبياء، وابن عمك خير

الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنة.

وفي السيرة أنّ أم سلمة لما نظرت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مسجى وقد تغير لونه قالت له : يا رسول الله مالي أراك مغموماً متغير اللون ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعتت إليّ نفسي هذه الساعة فسلام لك في الدنيا مني فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أبداً .

فقالت أم سلمة : واحزنه حزناً لا تدركه الندامة عليك يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ادعي لي حبيبة قلبي وقرّة عيني فاطمة تجيء، فجاءت فاطمة عليها الصلاة والسلام وهي تقول : نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء يا ابتاه ألا تكلمني كلمة فاني أنظر اليك وأراك مفارق الدنيا.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها : يا بنية إني مفارقك فسلام عليك مني، ثم أغمي على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فدخل بلال وهو يقول : الصلاة رحمك الله فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصى بالناس وخفف الصلاة ، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ادعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد (1) ، فجاءا فوضع يده على عاتق علي والأخرى على أسامة ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انطلقا بي إلى منزل فاطمة، فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها (عليه السلام) فإذا الحسن والحسين (عليهم السلام) يبكيان ويصرخان وهما يقولان : أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من هذان يا علي ؟

قال : هذان ابنك الحسن والحسين عليهما الصلاة والسلام ، فعانقهما وقبلهما وكان الحسن (عليه السلام) أشد بكاء فقال له علي (عليه السلام) : كف يا حسن فقد شققت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي خبر آخر انهما عليهما السلام جاءا يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأراد علي (عليه السلام) أن ينحيهما عنه أن ينحيهما عنه، فأفاق

(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا علي دعني

ص: 335

1- قد ينافي هذا ما ورد من أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد أخرج أسامة وأمره أن يعسكر بالجرف الا أن يكون أخرجه بعد ذلك فإن إخراجه كان بعد ان أحس بالمرض.

أشمهما ويشماني، وأتزود منهما ويتزودا مني، أما أنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً فلعنة الله علي من يظلمهما يقول(صلى الله عليه وآله وسلم)ذلك ثلاثاً ثم مديده(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي عليه الصلاة والسلام فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه ووضع فاه على فيه وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيبة فانسلّ علي عليه الصلاة والسلام من تحت ثيابه وقال : أعظم الله أجوركم في نبيكم فقد قبضه الله إليه ، فارتفعت الأصوات بالضجة والبكاء.

قال السيّد : وصاحت فاطمة عليها الصلاة والسلام وصاح المسلمون وصاروا يضعون التراب على رؤوسهم .

وقال بعض المحدثين : إن فاطمة عليها الصلاة والسلام جعلت تندبه(صلى الله عليه وآله وسلم)وتقول : يا أبتاه إلى جبريل ننعاه يا أبتاه من ربه ما أدناه يا ابتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من ربه ، ناداه يا أبتاه جنان الفردوس مأواه ، يا أبتاه، ثم تمثلت بهذه الأبيات:

قد كنت لي جبلاً ألوذ بظله*** واليوم تسلمني لأجرد ضاحي

قد كنت جار حميتي ما عشت لي*** واليوم بعدك من يريش جناحي

واغض من طرفي واعلم أنه*** قد مات خير فوارسي وسلاحي

حضرت منيته فأسلمني العزا*** وتمكنت ريب المنون جراحی

وقال المفيد عليه رضوان الله تعالى وأصبحت فاطمة عليها الصلاة والسلام تنادي : واسوء صباحاه، فسمعها رجل فقال : إن صباحك لصباح سوء.

وقال بعض الشعراء العارفين والمجاهدين بقلبه ولسانه ويده في بيان مصيبة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف كانت عظيمة وجليلة على قلوب المسلمين :

لقد عظمت مصيبتنا وجلت*** عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها*** تكاد بنا جوانبها تزول

فقدنا الوحي والتنزيل فينا*** يروح به ويغدو جبرئيل

وقيل : إن الزهراء عليها الصلاة والسلام نذبت أباه بهذه الأبيات:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى*** إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صبت عليّ مصائب لو أنها*** صبت على الأيام صرن لياليا

قد كنت ذات حمى بظللّ محمد*** لا أختشي ضيماً وكان جماليا

فاليوم أخشع للذليل وأتقي*** ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا

وقال الحاج ملا علي الفائز البحراني (رحمه الله) وهو يصف حالة الزهراء عليها الصلاة والسلام عندما نظرت إلى أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو محمول في تابوته طلبت من علي عليه الصلاة والسلام بأن يلتمس من حملة التابوت أن يتوقفوا لكي تودع أباهما الوداع الأخير :

قامت تودع للنبي وادموعها هماله*** يا شايلين المصطفى بالهون يا شياله

وانتو بعد يولادي راح الذي يحميكم*** من بعد عينه يا بني منهو الذي يكفلكم

وآني الذي رملني وأنتوا الذي يتمكم*** اما آني يولادي عنكم آني شياله

لزمت ضريح الهادي او صاححت ابصوت عالي*** يا والدي يا محمد ليتك تعانين حالي

صرت ابهضم وامذله والههم شاغل بالي*** آتمنيت آني من قبلك يابه اني شياله

بالنار حرقوا بيتي او بالباب كسروا ضلعي*** ما حد بقى يا والدي بعدك ينشف دمعي

ارثي امنعوني منه أو باحبال قادوا سبعي*** او دخلو وسط محرابه ليتك تعانين حاله

بعدك بخبرك بالعدى را دوا به ايقتلونه*** وصل ضريحك يبكي ويهل دموع اعيونه

يا مصطفى من قبرك انهض عسى ايخلونه*** ليت المدينة بعدك حلت بها زلزاله

جارت عليه الأمة أو غصبوا حقه عنه*** يا والدي يا محمد نالوا الضغائن منه

وآني اضلوعي امكسره وأجذب عليك الونه**والناس كلها ابدشه في مشكله او زلزاله

اولزمت ضريح الهادي او في الحال صارت ظلمه**او في الحين جاها المرتضى ايكفكف دموعه ابكمه

قلها يزهرها ولدك رحمه لهذى الأمة*** ردت تحن أو تنتحب وادموعها هماله

وهكذا كانت فاطمة عليها الصلاة والسلام في جزعها على أبيها وفي بكائها على والدها وكفيلها إلى أن لحقت (صلى الله عليه وآله وسلم) في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، وكما كان لها ذلك البكاء والحسرة على أبيها فإن لها بكاء ثاني وحسرة ثانية على ولدها الامام الحسين عليه الصلاة والسلام ولقد كانت مصيبتها في ولدها أشد وأعظم وذلك لأنها عليها الصلاة والسلام لم تشاهد ما صنع به عليه الصلاة والسلام ولهذا على ما ورد في بعض الأخبار أنّها طلبت أو تطلب في عرصة القيامة أن يمثل الله تعالى لها الحسين (عليه السلام) لجنة بلا رأس.

وفي خبر آخر أنّها عليها الصلاة والسلام ترد القيامة وقميصها، ملطّخ من دم الحسين عليه الصلاة والسلام.

وفي خبر ثاني: انها (عليه السلام) تبدي الشكاية إلى الله تعالى في عرصة القيامة وتخرج من منديل في يدها كفّ مولانا العباس بن علي عليه أفضل الصلاة والسلام

وتقول : يا عدل، يا حكيم احكم بيني وبين من قطع هذين الكفين وتشتكي أيضاً إلى الله عما أصابها من القوم من كسر ضلعها وسقوط جنينها وغير ذلك من المصائب :

وتزلزل المحشر وقتت الزهر الحزينه*** تنادي يربي القوم ضلعي كاسرينه

دخلوا عليه البيت عدواني او لفوني***قادو على بنود سيفه وسقطوني

ونحلة أبويه اتناهبوها واطردوني*** هجموا علينا بدارنا ولا راقبونا

وعفت الدنية عقب ما فتوافادي*** وعمم كريم المرتضى سيف المرادي

وردوا عقب عينه وعيني على اولادي*** واحد قضى مسموم عندي بالمدينة

وضل العزيز احسين بين اوغاد سفيان*** وقاس مصائب بعضها اتشيب الرضعان

وسافر لراضي كربلا وانذبح عطشان*** مرمي واخوته عن شماله او عن يمينه

انته يربي العالم بكل المصائب*** ضلت بناتي من عقب عينه غرايب

للشام ودوهن يسر بين الاجانب*** وابني علي بالقيد والغل ما حنينه

تبدي الشكاية والدمع بالخد مذروف*** وبالحال ترفع طفل ابنها احسين ملفوف

وتصيح شيبيني يربي يوم الطفوف*** شسوى الطفل من ذنب حتى يذبحونه

مهجة عزيزي يا حكيم بسهم مذبوح*** وقلب الرباب من المصيبة صار مجروح

من شافته مغمض يعالج طلعة الروح*** او فت قلوب الهاشميات بونينه

وتجرونه والخلايق كلها او قوف*** تندب وترفع بيدها مندبل ملفوف

رب انتقم لي من الذي قطعها لكفوف*** ياتي النداء والناس كلهم يسمعونه

مني ينبت المصطفى طليبي الشفاعة*** واخذ بحقك من الطاغبي ومن اتباعه

ومن الذي للدار جاكم بالجماعة*** ومن الذي قاد الوصي أورع بنينه

ومن الذي بالباب منك كسر ضلعين*** واللي طبع كفه على الخد وعلى العين

بشرى بينت المصطفى يم حسن وحسين*** هاليوم وعد قطام وجعيده اللعينه

ها ليوم يا زهرا الوفا واقبل الميعاد*** اخذ بحقك من بني امية وبني زياد

ص: 339

ومن الذي في كربلا عفر لك اولاد*** هذا العزيز انكان قصدك تنظريه

وتنظر العرضة والدمع يجري من العين*** واتشوف ابنها احسين من حوله البنين

وبين الخلق واجف بلاراس وبلا ايدين*** واتصيح وشها الفعل بيني فاعليته

تصرخ بصوت ايززل العالم والافلاك*** والحوار وياها تصيح وجمع الاملاك

وتقول يا باجى البقية ما حضرناك*** السهم فات ولا حضرنا يوم جينا

وتعج جميع الرسل حتى ادم ونوح*** ويخاطبون المصطفى والمصطفى ينوح

الله يعظم أجرك اسبئك المذبح*** او حيدر علي يبكي ويهل ادموع عينه

كأني بنت المصطفى قد تعلقت*** يداها بساق العرش والدمع اذرت

وفي حجرها ثوب الحسين مضرجاً*** وعنهما جميع العالمين بحسرة

تقول ايا عدل اقض بيني وبين من*** تعدى على ابني بين قهر وقسوة

اجالوا عليه بالصوارم والقنا*** وكم جال فيهم من سنان وشفرة

فإذا كان العزاء والمآتم يُعقد على الحسين عليه الصلاة والسلام في عرصة القيامة ويكون النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)والزهراء(عليها السلام)وجميع الأنبياء(عليهم السلام) في بكاء وعويل في يوم المحشر حزناً لما أصاب سيد الشهداء(عليه السلام)فلا بد لنا في هذه الأيام أن نموت جزعاً عليه وأن تقتدي بذلك النبي العظيم(صلى الله عليه وآله وسلم)والزهراء(عليها السلام) والأئمة عليهم الصلاة والسلام.

نقل المحدث المازندراني الحائري عن كتاب الأسرار قال : روى ثقة الاسلام شيخنا محمد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه في الروضة من الكافي انّ الكميّ الشاعر دخل على مولانا الصادق عليه الصلاة والسلام في أول يوم من أيام عاشور ، فقال له الامام عليه الصلاة والسلام يا كميّ أنشدني في جدي الحسين ، فلما انشد كميّ أبياتاً في مصيبة الحسين عليه الصلاة والسلام بكى الامام بكاء شديداً وبكت النسوة وصحن في حجراتهن ، فبينما الامام(عليه السلام) في البكاء والنحيب إذ خرجت خارجة من خلف الستر من الباب الذي كان في سمت حجرات الحرم وفي يدها طفل صغير رضيع فوضعتة في حجر الامام(عليه السلام) فاشتد حينئذ بكاء الامام (عليه السلام)

غاية الاشتداد وعلا صوته الشريف وعلت أصوات النساء الطاهرات والحرم من خلف الأستار من الحجرات.

قال : وهذا معلوم بأن مقصود النسوة الطاهرات من إنفاذ ذلك الطفل من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حضرة الامام(عليه السلام) ما كان إلا تشبيهاً بعلي الأصغر الرضيع ليشتدّ بذلك الرقة في الباقيات والباكين ويكثر البكاء والنحيب كأنّ هذه المصيبة قد أثرت في قلوبهم غاية التأثير .

ولأمامنا وسيدنا الرضا (عليه السلام) مجالس في إقامة العزاء لجده الحسين عليه الصلاة والسلام قال دعبل بن علي الخزاعي : دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مثل هذه الأيام يعني العاشوراء فرأيتته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله كذلك ، فلما رأني مقبلاً قال لي : مرحباً بك يا دعبل مرحباً بنا صرنا بيده ولسانه ، ثم إنه(عليه السلام) وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جنبه ، ثم قال لي: يا دعبل ، أحب أن تشدني في الحسين(عليه السلام) شعراً فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية لعنهم الله .

يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله تعالى معنا في زمرتنا .

يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين عليه الصلاة والسلام غفر الله له ذنوبه البتة، ثم انه(عليه السلام) انهض وضرب سترنا وبين حرمه واجلس أهل بيته من وراء الستر ليكوا على مصاب جدّه الحسين عليه الصلاة والسلام، ثم التفت إلي وقال : يا دعبل إرث جدي الحسين(عليه السلام) فأنت ناصرنا ومادحنا فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت ما دمت حياً .

فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

أفطم لوخلت الحسين مجدلاً*** وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذاً للطمم الخد فاطم عنده*** وأجريت دمع العين في الوجنات

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي *** نجوم سموات بأرض فلاة

قبور بكوفان وأخرى بطيبة*** وأخرى بفخ نالها صلوات

قبور بجنب النهر في أرض كربلاء*** معرسهم فيها بشط فرات

توفوا عطاشى بالعراء فليتني*** توفيت فيهم قبل حين وفاتي

والرضا(عليه السلام)يبكي والنساء تبكي، قال دعبل : فلما وصلت الى هذين البيتين علت أصوات النساء بالبكاء والنحيب وصحن وامحمداه . والبيتين هما :

بنات زياد في القصور مصونة*** وآل رسول الله منتهكات

بنات زياد في الحصون منيعة*** وآل رسول الله في الفلوات

والله در بعض الشعراء حيث أصاب الهدف:

فيا لنجوم في الشرى صرن أفلا*** وأقمار سعد غبن في طق كربلا

فمن قائل للطهر فاطم معولاً*** أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً

وقد مات عطشاناً بشط فرات

قضى وبسيف الشمر ارواه ورده*** عفير المحيا ممكناً فيه حدّه

ولو أبصرت عيناك في الترب خدّه*** إذاً للطمت الخد فاطم عنده

وأجريت دمع العين في الوجنات

لك الأجر في بيضات خدر التحجب*** عقيب السبا سارت على كور منقب

وكم لك من نجم ثوى اثر كوكب*** أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي

نجوم سموات بأرض فلاة

عرج على جدث المختار في القدم***والمصطفى قبل خلق اللوح والقلم
واسق العراض من الأجفان من كبد*** تحولت بالجوى دمعاً عقيب دم
وأرسل الزفات القاتلات شجي*** لفقده ولما لاقى من الأمم
كم عصبه وهو نور حاولت سفهاً*** إطفائه وهو بين الصلب والرحم
أما قريش وأحزاب الضلال غدت*** لقتله غضباً منها إلى صنم
ولم يبارح أذى أهل النفاق فكم*** كادوه سرّاً وفروا عنه في الازم
واضمرُوا إذ أقام المرتضى علماً*** خلافه وهو باب العلم والحكم
وخالفوا أمره حياً كما رجعوا*** عن ابن زيد خلافاً بعد بعثهم
وألقوا فتنة في الدين ما تركت*** ركناً مشاداً إليه غير منهدم
عادوا النبي وأذوه بما صنعوا*** غداة أمسى ضجيج الفرش من سقم
فهل نبي رمت بالهجر أمته*** بمسح وبمرأى منه في الأمم
لم أنسه فوق فرش السقم حق به*** اهلوه من رهطه الأدنى اولى الكرم
يضم كلا وتعلو زفرة أخذت*** بالقلب والدمع من عينيه كالديم
يصعد الطرف علماً منه آتتهم*** يمسون ما بين مقتول ومهتضم
فلم يزل تارة يغشى عليه أسى*** وإن يفوق تارة يوصي الورى بهم
حتى قضى وبعينه قذى وشجى*** بحلقه أسفاً والقلب في ضرم
ولهفتاه لخير المرسلين قضى*** مقطع القلب من سم ومن ألم
الله أكبر كيف السم أثر في*** قلب الوجود وسر الكون من عدم

يار احلا زهرة الدنيا به رحلت *** والروض زهرته من وابل الدير

وفادح أوحش الدنيا وأحزن من *** في العالمين وأجرى دمعه بدم

غداة خير نبي قد ترحل عن *** دار الفنا بعد طول الهم والسقم

فأصبحت بعده الأكوان مظلمة *** وغيبة الشمس لم تعقب سوى الظلم

وقد بكى كل شيء في الوجود له *** حتى الحمام بقرع السن بالندم

قامت له رنة في الكون ما هدأت *** حتى رمت مسمع الاعصار بالصمم

لا يوم أشجى من اليوم الذي فجعت *** به الخلائق في هم وفي غمم

يوم به أبوا الاسلام مفتقد *** بالسلم هذا وهذا بالجفا رمي

يوم به مسلمو الدنيا بأجمعها *** امسوا يتاما فيالله من حكم

فلم تجد أحداً يوماً أقام عزاء *** الا يعزى الورى فيه يبتهم

كل مصاب به لكن عترته *** أولي الورى فهم الأذنون في الرحم

نعم، إن فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مصيبة عظيمة وكارثة دهماء ورزية كبرى حلت بالاسلام والمسلمين، وقد بكى لفقده الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون والشهداء والصديقون والأولياء الصالحون وعامة المسلمين في جميع أرجاء الدنيا، بل نعتة وبكت لفقده الجمادات النامية وغير النامية، فإنه قد جاء في السيرة المحمدية ان الناس قد سمعوا حنين الجذع لفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكاء المحراب والمنبر عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، معلوم ليس في ذلك منازعة أو مكابرة فلقد كانت الزهراء عليها الصلاة والسلام تمر بعد وفاته الله عليهما وتخاطبها: أين قد مضى عنكما الذي كان يحيي الليل بالعبادة والتهجد؟ أين الرحيم الودود والعطوف الحاني على المؤمنين؟

وفي ذلك يحكي بعض شعراء آل محمد حال الصديقة عندما تمر على محراب أبيها ومنبره ولها من العويل ما يبكي الثكلي:

مرت على محراب أبوها اودمعها ايسيل *** وكالت له يا محراب وين امصلي الليل

اردت إلى المنبر ثقله وين الاملاك*** في وقت ما يخطب أبويه حفت أخذاك

خلني بمنبر بالعزة بانوح وياك*** خلنا نصب الدمع حتى سيله ايسيل

كاد ايتفطر المنبر من بكاهها ويتهدم*** حن او تزفر واسبلت جدرانه ابدم

حسبي على من هو على حيدر تقدم*** حالي او حالك بالسوى يعفيفه الذيل

يم الحسن والحسين قولي الفيض للعلوم*** ليكون يجفيني تراه اليوم مهضوم

لو لم يكن الايجيني امن الشهر يوم*** صاير نهاري عقب ابوك المصطفى ليل

منبر أبويه من أبويه صرت خالي*** والله يمنبر وين عنك مضى الوالي

قلها قضى نحبه او مضى وسوء الحالي*** واسوء الحال الضايعات المالها كفيل

وازداد حزن فاطمة عليها الصلاة والسلام وعظم وجدها عندما نظرت إلى نعش أبيها وهو يحمل على الاكتاف وآل البيت عليهم الصلاة والسلام كلهم في ردة وعويل كل يلطم على رأسه وجبهته وهم ينادون: وامحمداه، واحبيباه، وكذلك رأّت النادبات والنائحات يندبن أباهما وهن يضر بن الصدور ويخمشن الخدود أغمي عليها من تلك الصوائح التي تقطع القلوب وتفتت الاكباد، وكأني بلسان حال شاعر آل محمد(عليهم السلام) يحكي لنا مصيبة أهل البيت في نبتهم العظيم في ذلك اليوم:

صارت صوايح يوم نعش المصطفى انشال**واجبريل عزى في السماء اسرافيل او ميكال

في يوم موته ماجت السبع السماوات***ابسبع العلا جبريل نادى المصطفى مات

الله يعظم فيه أجرك يبو أجرك يبو الحملات***مأجور في المختار يا خواص الهوال

وارض المدينة اتزلزت من يوم شالوه***والبضعة الزهراء تناديهم دخلوه

خلوه باقي اليوم لطفاله يودعوه*** ما تسمعوا اصواتهم بيكوا بولوال

بيكوا وينادوا جدنا المختار وينه***بعده يزهرأ أظلمت الدنيا علينا

يا ليتنا بعده يزهره ما بقينا***يا ليتنا من قبل نعشه نعشنا انشال

والله افتجعنا يوم شخصه غاب عنا***لا وين يا لوالي بتمضي وتوحشنا

وانكان بتسافر يبو ابراهيم خذنا***وسط اللحد وياك ما ظلت لنا احوال

نعم هكذا كانت حبيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تطلب أبها أن يأخذها معه في قبره لأنها تعلم ما يجري عليها من النذل والهوان بعده وما يؤول أمرها إليه من الضرب والشتم طلبت من أبيها أن يأخذها إليه في قبره لتستريح من هم الدنيا وغمها ، ويذكرني يا محبين موقفها هذا بموقف سيدالشهداء أبي عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام حين رأى جده في المنام بكى وقال يا جداه خذني : معك في قبرك لا

ص: 346

حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا.

فقال إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ولدي حسين الله لا بد لك من الرجوع للدنيا وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة.

يقول الأديب الفاضل والحكيم العارف شاعر أهل البيت الشيخ عبد المنعم الفرطوسي قدس الله نفسه الزكية يقول - وهو يصف حالة الامام الحسين عليه الصلاة والسلام وهو عند قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي ويبكي ويستغفر الله ويطلب من جده أن يأخذه إليه في قبره:

وأتى قبر جده مستزيداً*** من وداع لا يقتني بقاء

قال بعد الصلاة حباً - عليه*** واشتياقاً يا خاتم الأصفياء

أتى فرخك الحسين وسبط*** لك باق في أمة الحنفاء

يا رسول الإله ما حفظوني*** وأضاعوا حقي بغير وفاء

لك هذه شكواي يا جد حتى*** أنا ألك ساعة الالتقاء

وأتى ليلة إلى القبر أخرى*** قد قضاها في خشية ودعاء

قال إنّي عليك أقسمت بالقبر*** ومن فيه يا إله السماء

ربّ إلا ما اخترت لي خير أمرٍ*** لك فيه رضاً بوقت القضاء

فغفا ساعة على قبر طه*** مطبقاً جفنه على الأقداء

فرأى جده محمد وافي*** في قبيل من خيرة الأمناء

وتدانى له فضم حسيناً*** بحنان لصدره وولاء

قال خذني إليك يا جدّ ضمماً*** في ضريح حواك عند الثواء

قد سئمت الحياة ممّا أعاني*** والأقي من جفوة وعناء

قال لا بد أن تعود لتحضى*** كرمأ في شهادة الشهداء

لك في الخلد عند ربّ البرايا*** درجات في منتهى الاعتلاء

وأتى أهله فقص عليهم*** ما رآه في عالم الارتقاء

فتعالى الضجيج منهم جميعاً***ينحيب من الأسى وبكاء

وأنته زوج النبي فقالت***وهي تبكي شجواً بغير عزاء

لا ترزع نفسي بقتلك ثكلاً***وافتجاعاً يا سيد الأماناء

فلقد قال لي بقتلك طه***ظامناً في الطفوف من كربلاء

وحباني بتربة من تراها***هى كانت عندي أعز حباء

قال هذي علامة فضعها***ضمن قارورة وخير إناء

فإذا فجرت وفارت نجيعاً***فاعلمي قتله بغير خفاء

وأنا أختشي عليك من القتل***بهذا المسير أي اختشاء

قال إني يا أم اعلم هذا***دون ريب فيه ودون امتراء

وأنا عالم بساعة قتلي***وثرى مصرعي ويوم فنائي

وأراها من بعد طي ونشرٍ***تربة الكرب في طفوف البلاء

فخذي تربة لتربة طه***فإذا فارتا بحمر الدماء

فاعلمي أنني قتلت شهيداً***من ثرى الطف في صعيد الآباء

وأناه محمد بن أضحى***ناوياً للمسير دون تنائي

قائلاً في في تألم وافتجاعٍ***بعد نصح منه ومحض ولاء

أنت ماء المزاج مني وروح***بين جنبي باطن الأحشاء

والكبير المطاع من أهل بيتي***بين قومي وأنت صنوا خائي

وإمام له علي افتراضاً***أوجب الله طاعة الأولياء

وأنا أصطفى النصيحة ذخراً***لك عندي بأحسن الاصطفاء

أنت مهما تطق تنح ابتعاداً***عن يزيد وبيعة الطلقاء

وأنا خانف إذا جئت مصرأً***فيك يعرو الخلاف عند اللقاء

في اقتال الى الأسنة تغدو*** غرضاً فيه ساعة الابتداء

فإذا أشرف البرية أمأ*** وأباً بين أمة الحنفاء

ص: 348

من أذلّ الورى وأضيع نفساً*** ودماً بعد عزة وإباء

فإلى أين يا أخي قال أمضى؟*** ذاهباً من غوائل الأدعياء

قال فاذهب لمكة وحماها*** فهي أمن لكلّ دانٍ وناء

حرم آمن لجدك طه*** فتحرس فيها بخير وقاء

أنت من أمنع الخليفة فيها*** عزة في كرامة وعلاء

ولتكتاب من شئت في كل مصر*** بعد إرسال خيرة النقباء

وادع فيها الورى إليك فإن لم*** يستجبوا رشداً لخير دعاء

ليس فيه نقص لحظك لكن*** أخطووا حظهم بغير اهتداء

وإذ لم يقر خير مقام*** لك في أرضها بخير احتماء

سرت من بلد لأخرى وإلا*** جزتها لاحقاً بكل فناء

من بطون الرمال في كل أرض*** وشعوب الجبال في الصحراء

ناظراً ما يؤول أمر البرايا*** بعد هذا إليه في الانتهاء

قال والله لا أبايع ذلاً*** وهوأنأ يزيد طول البقاء

كيف أغدو في الوضع حتى إذا ما*** ضاقت الأرض بي ورحب الفضاء

وأنا راحل بأهلي جميعاً*** وبولدي وخيرة الأولياء

رأيهم في الأمور رأي وأمرى*** أبداً أمرهم بخير التقاء

ولتكن أنت هاهنا لي عيناً*** ورقيباً من خيرة الرقباء

ليس يخفى علي ما دمت فيهم*** أي أمرٍ بظل الخفاء

ومن هنا نعلم ان الامام الحسين عليه الصلاة والسلام كان يعلم بأنه مقتول لا محالة وانه شهيد الاسلام وانه يقتل شهيداً بكر بلاء من أرض العراق يوم الجمعة أو السبت في يوم العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة كما أنه(عليه السلام) كان يعلم ان يوم قتله يوم له حرمة في الجاهلية قبل الاسلام.

قال مولانا الرضا عليه الصلاة والسلام : إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية

ص: 349

فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب منها ثقلنا، ولم ترع لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين عليه الصلاة والسلام أقرح جفوننا وأسأل دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين (عليه السلام) فليبك الباكون، ثم قال مولانا الامام الرضا عليه الصلاة والسلام: كان أبى إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي منه عشرة أيام فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه جدي الحسين عليه الصلاة والسلام، وقال بعد ذلك الامام الرضا (عليه السلام): من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله تعالى له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبتته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحته وسروره وقرت بنا في الجنان عينه، ومن سمي يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك الله تعالى له فيما ادخر وحشره الله تعالى يوم القيامة يزيد وعبدالله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله تعالى وجعلهم في أسفل درك من النار. ومن هنا ينبغي للمؤمنين أن لا يتركوا ذكر الحسين (عليه السلام) وذكر مصيبتته، وان لا يشغلوا قلوبهم بشواغل الدنيا التافهة التي رفضها الحسين (عليه السلام) قال شيخنا اليعقوبي الله في أبيات من الشعر وهو يعلم فيه المحبين كيف يجب عليهم أن يشغلوا بذكر سيد الشهداء عليه الصلاة والسلام وبذكر مصيبتته فهو يقول:

للقب ما في القلب شاغل *** فإلى م تعذلني العواذل

أتظن أن بلايلي *** للحي من شرقي (بابل)

ما شاقني سجع الحمام *** بها وتغريد العنادل

كلا ولكن هالني *** خطب بأرض الطف هائل

ص: 350

لو حل بالسبع الطباق*** غدت أعاليها أسافل

حياك يا أرض الطفوف*** من الحياطل ووابل

كم فيك غاضت أبحر*** للوجود ليس لها سواحل

غارت على ظمأ وسمر الخط*** من دمها نواهل

أمجشماً حرفاً تسنم**** غاربيها والكواهل

كوماء غادرها السرى*** في الد ومخطفة الأياطل

عج بالبطاح فان بدت*** منها لعينيك المنازل

سترى بني (عمرو العلى)*** ملات بهيبتها المحافل

في حيث لم تسمع سوى*** أصوات عادية الصواهل

قف ناعياً ساعياً خير الورى*** مستصرخاً خير القبائل

أبنى الغطارفة الألى*** سادوا الأواخر والأوائل

من هاشم البطحاء قد*** ورثوا المناقب والفضائل

غوث الأنام لدى الخطوب*** وغيتها والعام ما حل

ما آن أن تنضى الصفاح*** و تشرع السمر الذوابل

قوموا فان عميدكم*** غالته بالطف الغوائل

وبدور أفق علاكم*** في كربلا أمست أوافل

لهفي لظام والفرات*** بجنبه عذب المناهل

دامي الوريد على الصعيد*** موئداً حر الجنادل

وأجل خطبٍ بعده*** سبي الحرائر والعقائل

سلب الطغاة برودها*** فغدت تستر بالأنامل

سبيت وليس لها سوى*** السجاد من كاف وكافل

واهاً لزين العابدين *** له من الأغلال شاغل

متمثلاً بمقال من *** أودى به الدهر المخاذل

ص: 351

لاغر وإن أعرى وغيري*** في لباس الخزر رافل

إن الحمائم ذات أطواق*** وجيد الباز عاطل

ما كان يحمل والقيود*** برجله لولا الحمائل

وعليه لم تجن الأواخر*** ما جنت لولا الأوائل

يبكي أباه بلوعة*** والجسم بالأسقام ناهل

أتراه ينسى ما جنت*** حرب على الصيد الأمائل

ينسى الجسوم على الثرى*** نهب القواضب والعواسل

والقوم فوق صدورها*** من فارس يعدو وراجل

ينسى الرؤوس أمامه*** سمر الرماح بها موائل

ينسى الرضيع موقفاً*** لفظامه سهم ابن كاهل

ينسى كريمات الرسالة*** حسراً فوق الهوازل

كيف تنسى تلك المصائب التي حلت على آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أيام المحرم وبعده إن هذا الأديب يتكلم عن وصف مولانا زين العابدين عليه الصلاة والسلام وحالته في البكاء على أبيه وما جرى عليه وعلى عماته وأخواته بعد قتل أبيه الامام الحسين عليه الصلاة والسلام من تلك المصائب التي من أهمها وأعظمها بعد قتل الحسين عليه الصلاة والسلام، بروز حرم الوحي وآل الله في الأسر بين المشركين من أنصار بني أمية الملحدين لعنهم الله تعالى، حرم الوحي وآل الله مرقون بحبل واحد أوله في رقبة الامام سيد الساجدين عليه الصلاة والسلام وآخره كتف السيدة الجليلة زينب الحوراء، وقد نطق روح القدس على لسان بعض الشعراء في وصف تلك المصيبة مخاطباً أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بهذه الأبيات:

للشام يا حيدر ترى زينب خذوها*** فوق الجمل والناس كلهم ينظروها

هاللي على ظهر المطية دابها النوح ***الفراق أخوك أحسين ميت راح مذبح
والله بكأها اعلى وليها يشعب الروح *** انظن الذبيح اخليصها امن امها وبوها
ما ظنتي الا امخليه هلهها مذايح *** واخلاف ما ذبحوا عليهم قامت اتصيح
يغشى عليها من الحزن وامن البكي اطيح *** تنعى بسم جدها او نوب باسم أبوها
عنها اسألوا الحادي الذي خلف المطية *** ماظن ترد اجواب هذي الاحيه
متولعة بالنوح مثل الراعية *** قوموا سألوها يا خلق قوموا سألوها
نادت عليهم يا هل الشام اسكتوا عاد *** احنا بنات المرتضى ما نحكى اوغاد
هلنا حميتنا امنهم يوم لطراد *** اشتاقوا الى الجنة والدنيا طلقوها
سبعين مدرع ما بقي لي منهم اسناد *** الا اعليل وانته اتقتت الاكباد
الله يساعدي ويساعد زين لعباد *** ويساعد النسوان هاللي ضيعوها
ما عودوني بالجفا ما عودوني *** ما حد سلبني الاعقب ما فارقوني

يا ليت ما شافت مصارعهم اعيوني *** يعزز عليهم خيمتي القوم ادخلوها
ما عودوني بالجفا أهل الحمية *** ما ظنتي قومي او هلي يرضوا عليه
من عقب هودج ركبوني اعلى مطية *** ترضى شيمكم يا هلى زينب سبوها
للشام يا حيدر مشت زينب بلا اقناع *** شالت او خلت جسم اخوها في ثرى القناع
شالت او خلت جثة الوالي رمية *** فوق الجمل حطت على اخوها غرية
نادت تريض الطعن يا حادي اشوية *** بانودع الوالي تراهو حان لوداع
ويلي لزينب ويش قاست والنساوين *** يوم حد الحادي أو مرت بالمطاعين
نادت يحادي الطعن مروا بي على احسين *** ما ظن يرضى ندخل الكوفة بلا قناع
في وداعة يالولي عنك مشينا *** للشام مشيتنا مهى لارض المدينة
من بعد عينك ذويت كبدي اسكينه *** بعد الخدر والصون تستر بلذراع
ثوب المعزة من عقب عينك زعته *** والماي ما تهنيت به لا من شربته

أو كور المطية ابلا وطي بعدك ركبته*** يا ليت جانا المرتضى بالأهل فزاع
أو مرت على اخوتها أو رأتهم كالمصايح*** فوق الثرى يسفي عليهم سافي الريح
كلهم جث صرعا على الغبرى مذايح*** واحسين لمن شافته مرضوض لضلاع
خرت على جسمه أو نادت به يصنديد*** تجلس أو شوف ابنك على مغلول بالقيد
ترضى علينا نمضي الشامات ليزيد*** يا ليت جانا أمن الغري حيدر المناع
يحسين ضعني شال به شمر الضبابي*** ياليت عينك شافته يوم حدابي
صار البكي والنوح من شغلي أو دابي*** هذي العزيزة ضايعة والقلب مرتاع

حرم الوحي أصبحت بين شرك*** لا ترى حرمة لدين ونسك
فرمت خدرها المصون بهتك*** والعليل السجاد في القيد يبكي
انحل الغل والسقام العظام
حكم من لدن حكيم وعدل*** فيصل في الأمور يقضي بفصل
كيف يسري الى الشام بغل*** ليس يدري مما بكى القتل
ام لاسرام للنساء واليتامى

قال الله تعالى شأنه في كتابه المجيد: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

عَبْدِنَا فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ(1) لقد تقدم الكلام فيما سبق حول ان القرآن الكريم هو معجزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الدالة على نبوته وعلى هذا يكون المعجزة هي أول الطرق المعرفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك كل الامام أيضاً فان الخلق إذا عجزوا عن الاتيان بمثله جزموا بأنه من الله تعالى فيصدق المدعي .

الطريق الثاني : نص السابق على اللاحق كما نص موسى وعيسى على خاتم الأنبياء فبشّرهم برسول من بعده يأتي اسمه أحمد، وذكر لهم أوصافه ، وإذا كانت نبوته عند أمته ثابتة بالمعجز وجب تصديقه في كلما أخبر به، وكما أخبر نبينا الصادق المصدق بامامة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ونص عليهم نصاً متواتراً قد ذكره المخالف والمؤلف كما يأتي إن شاء الله تعالى فيما بعد في الجلسات القادمة، المعجز الخارق للعادة المقارق والموافق للدعوى، وقد قسم بعض العلماء المعجز الخارق العادة إلى ستة أقسام :

الاول : الارهاص ، وهو ما يكون قبل البعثة ودعوى النبوة كما كان لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) أن كل حجر ومدرك كان يسلم عليه إذا مر به فيدل ذلك على حدوث أمر غريب وليس في ذلك التباس إذ لا دعوى. كما ذكرنا ذلك فيما سبق عن طريق الرجز حيث قال الحكيم الدمستاني البحراني :

فسبحت ناطقة له الحصا*** وأورقت باسقة له العصا

الثاني : السحر ، وهو خارق يكون بعد تهيئة الأسباب على مهلة بدون الدعوى، كما انّ سحرة فرعون طلبوا الحبال والتمسوا المهلة للتهيئة فلا التباس فإن المعجز يكون مع الدعوى بلا تهيئة ومهلة كما قال تعالى : (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) (2)

الثالث: الكذبة، وهي ما تكون مخالفة للدعوى فتكذب دعوى المدعي

ص: 356

1- سورة البقرة : 23 .

2- سورة طه : 20 .

لوقوعها على خلاف ما أراد كما وقع ،لمسيلمة، فإنه دعا لواحد العين فعميت عينه الصحيحة ودعا لفور ماء البئر فجف ماؤها .

الرابع: الاستدراج وهو مكر الله في حق المنهك في المعاصي بحيث يعطي كل ما يتمنى خارقاً للعادة فيغتر ويزعم أن ذلك لكرامته على الله تعالى كما كان يزيد لعنه الله تعالى يقول : اشربوا هذا الخمر فإنه مبارك قد أظفرنا على عدونا الحسين عليه الصلاة والسلام فيأخذه الله بغتة فتدرجهم من حيث لا يعلمون ولا التباس في ذلك لعدم الدعوى.

الخامس : الكرامة وهي استجابة الدعاء في الصلحاء فما يدعو بدعاء إلا يعطى سؤله ، ولا التباس في ذلك إذ لا دعوى هنالك.

السادس : المعجز وقد تقدم بيانه، ثم إنه لا يشترط في المعجز رؤيته ، بل يكفي في ذلك التواتر المفيد لليقين كما علمنا ذلك بالنسبة إلى الأنبياء السالفين فإن التواتر كما يفيد اليقين في البلدان النائية . كذلك يفيد هنا ، بل لعل إفادة التواتر أقوى من إفادة الرؤية البصرية لأن الخطأ في البصر أقرب من الخطأ في البصيرة.

وهنا أمور لا بد لنا من إلحاقها بموضوع بحثنا وذلك لإتمام الفائدة :

الأمر الأول : انه نقل سيدنا المقدس السيد عبدالله شبر رضوان الله تعالى عليه في كتابه المشهور (حق اليقين) عن بعض العلماء العارفين ما ملخصه أن اشرف معجزات الأنبياء وأفضلها العلم والحكمة وهما للخواص وخوارق العادات للعوام والبله ، واما أهل التعصب والعناد منهم فلا ينفعهم الا السيف وإلى الثلاثة قد أشار الله سبحانه وتعالى بقوله : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) فأسرار الكتاب والميزان وهو البرهان العقلي بأقسامه للخواص الذين لهم قريحة نافذة وفطنة قوية وقد خلا باطنهم عن تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فإنهم يؤمنون بالنبى بميزان العلم والمعرفة والحكمة على قرب ولا يحتاجون إلى خوارق العادات وأما الذين

ليس لهم فطنة فلهم الحقائق أو كان لهم ذلك ولكن ليست لهم داعية الطلب بل شغلهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضاً داعية إلى الجدل وتحذلق المتكالبين في الخوض في العلم مع قصور فهمهم عنه فإنهم يعالجون بالموعظة وإظهار المعجزات ثم يحالون على ظواهر الكتاب ليس لهم التجاوز عنها إلى أسرارها والحديد لأهل الجدل والشغب الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب مع عدم أهليتهم له ابتغاء الفتنة فإنه يتلطف أولاً- ويجادل معهم بالتي هي أحسن بأخذ الأصول المسلمة عندهم واستنساخ الحق منها بالميزان بالقسط فإن لم ينفعهم فالحديد الذي فيه بأس شديد وإلى الثلاثة أيضاً الإشارة بقوله عز وجل: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قيل وقد عامل نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بما أمر به وبما يليق بحالهم فقوم أخذهم بالرفق واللين لصفاء قلوبهم ورقة أفئدتهم فانقادوا له عاجلاً ودخلوا في شرعه سريعاً، والفريق الآخر أخذهم بالسنان والحسام والشدة والقتال حتى أدخلهم في دينه قهراً وقادهم إليه قسراً ثم تألفهم بإحسانه واستمالهم بمواعظ لسانه، حتى طابت له نفوسهم وانشرحت صدورهم، وذلك معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): عجباً من قوم يدخلون الجنة في السلاسل أي يدخلون في الاسلام الذي هو سبب دخولهم الجنة، فجزاه الله عنا وعنهم خير الجزاء بما بلغ عن ربه وصدع بأمره.

الأمر الثاني : انه هل يجب تنزيه الأنبياء عامة عن كفر الآباء والامهات وعهرهن ؟ أو ان التنزيه خاص إلى آباء النبي الله ؟ فنقول في جواب ذلك: انه نقل السيد المذكور ان المشهور بين الإمامية بل حكي عليه الاجماع انه يجب تنزيه الأنبياء كافة عن كفر الآباء والأمهات وعهرهن لثلاث- يعيروا ويعابوا في ذلك، ولثلاثا يتنفر عنهم فإن ما في الآباء من العيوب يعود إلى الأبناء عرفاً، ولقوله تعالى: (وهو الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) ، أي انتقالك من أصلاب الساجدين لله إلى أرحام، الساجدات وقوله تعالى : (مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا).

قال السيد المذكور : وعندي في ذلك تأمل إذ لم يتم دليل عقلي قطعي على اشتراط ذلك، والدليل النقلي إنما صح بالنسبة إلى آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون سائر الانبياء لا سيما الخضر فالتوقف في ذلك أولى وأمهات سائر الأئمة (عليه السلام) لم يكن في مبدأ أمرهن على الاسلام نعم الذي يظهر من النقل ويساعده العقل اشتراط كونهن عفيفات طاهرات نجيبات منزهات و مسلمات حين انعقاد النطفة في أرحامهن، لأن النطفة لما كانت دائماً في الأصلاب فينبغي الإسلام بخلاف الأرحام والله العالم بحقائق الأمور، ويجب الإيمان بإيمان أبي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي طالب لإجماع الشيعة على ذلك، ورووا الروايات في ذلك من طرق العامة والخاصة ولقوله تعالى: (ان الَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا). وقد اتفق المخالف والمؤلف أن أول من أوى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصره أبو طالب عليه الصلاة والسلام.

الأمر الثالث: أنه فيما تقدم قد أشرنا إلى الفرق بين الرسول والنبي والامام والولي، وأن الأنبياء والرسل على طبقات وذلك بصورة موجزة، وهنا في هذه الجلسة المباركة نشير إلى بعض الروايات التي توضح لنا الفرق المذكور فيما يلي :

1 - روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن زرارة قال: سألت ابا جعفر (عليه السلام) عن قول الله تعالى: (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) ما الرسول وما النبي؟ قال (عليه السلام): النبي الذي

منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك.

قلت: الإمام ما منزلته؟

قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثم تلي هذه الآية (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مَحْدُثٍ).

2 - وعن الامام الرضا عليه الصلاة والسلام ان الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم (عليه السلام)، والنبي ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام الذي

يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

3- عن مولانا الامام الطاهر الباقر عليه الصلاة والسلام : ان الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلاً فيراه ويكلمه والنبى هو الذي يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم ونحو ما كان يرى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من أسباب النبوة قبل الوحي.

4 - وعن مولانا الباقر والصادق عليهما الصلاة والسلام : ان الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه والنبى هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد والمحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة.

5 - وعن الصادق عليه الصلاة والسلام أنه قال :الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات فنبى منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا- يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى احد وعليه امام مثل ما كان ابراهيم على لوط ، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد ارسل إلى طائفة قلوباً أو كثروا كيونس، قال الله تعالى ليونس : (وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ) قال الملا يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه إمام، والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو مثل أولي العزم، وقد كان ابراهيم النبيأ وليس بامام حتى قال الله تعالى : (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) . فقال الله تعالى : (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً .

ونقل مولانا المقدس السيد عبدالله شبر رضوان الله تعالى عليه عن بعض المحققين أنه قال : ان النبي من أوحى اليه بالعمل والرسول من أوحى اليه بالعمل والتبليغ ، والولي من حدثه الملك أو الهم إلهاماً ، والإمام من حدثه الملك بالعمل والتبليغ ، فكل رسول نبي ولا عكس وكل رسول او نبي او امام فهو ولي ومحدث ولا عكس، وكل رسول إمام ولا عكس، ولا نبي إلا وولايته اقدم على نبوته، ولا رسول إلا ونبوته اقدم على رسالته، ولا إمام إلا وولايته اقدم على امامته، والولاية باطن النبوة والامامة، والنبوة باطن الرسالة، وباطن كل شيء اشرف وأعظم من

ظاهره لأن الظاهر محتاج إلى الباطن والباطن مستغن عن الظاهر، ولأن الباطن أقرب إلى الحق فكل مرتبة من المراتب المذكورة أعظم من لاحقها وأشرف وأيضاً فإن كلاً من النبوة والولاية صادرة عن الله تعالى ومتعلقة بالله، وكل من الرسالة والإمامة صادرة عن الله ومتعلقة لعباد الله فتكون الأوليان أفضل وأيضاً كل من الرسالة والإمامة متعلق بمصلحة الوقت والنبوة والولاية لا تعلق لهما بوقت دون وقت .

وقيل : بل الأخيرتان ، أفضل لأن نفعهما متعدد ونفع الأولتين مقصور على صاحبيهما، وله وجه إلا أن التحقيق هو الأول وكيف ما كان فليس يجب أن يكون الولي أعظم من النبي ولا من الرسول ولا من الإمام ولا النبي أعظم من الرسول بل الأمر في الكل بالعكس كما في ولي يتبع نبياً أو رسولاً أو اماماً، أو نبي يتبع رسولاً لأن لكل من النبي والإمام مرتبتين والرسول ثلاث مراتب وللولي الواحدة، فمن قال : إن الولي فوق النبي فإنما يعني بذلك في شخص واحد يعني ان النبي من حيث انه ولي أشرف منه من حيث انه نبي ورسول، وكذا الامام من حيث انه ولي أشرف منه من حيث انه امام وكيف يكون الولي أفضل من النبي مطلقاً ولاولي إلا وهو تابع للنبي او الإمام والتابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه إذ لو أدركه لم يكن تابعاً . نعم، قد يكون ولي أفضل من نبي إذا لم يكن تابعاً له كما كان أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذا أولاده المعصومون عليهم أفضل الصلاة والسلام.

من هنا فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكد على التمسك بهم حتى في آخر نفس من أنفاسه الشريفة وقد كان على فرش السقام وهو يقول(صلى الله عليه وآله وسلم) : انتوني بدواة وكتف لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، ثم اغمي عليه ، فقام بعض من حضر من أصحابه ليلتمس دواة وكتفاً فقال له عمر : ارجع فانه يهجر ، فلما أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك يا رسول الله بكتف ودواة ؟

فقال : ابعده الذي قلتهم ؟ لا- .ولكن احفظوني في أهل بيتي ، ثم أعرض عنهم بوجهه فنهضوا وبقي عنده العباس والفضل وعلي (عليه السلام)وأهل بيته خاصة، فقال العباس : يا رسول الله إن يكن هذا الامر فينا مستقراً من بعدك فبشرنا وإن كنت تعلم أنا نغلب عليه فأوص بنا.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنتم المستضعفون من بعدي وصمت، ونهض القوم وهم يبكون، فلما خرجوا من عنده قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ردوا عليّ أخي علي بن ابي طالب وعمي، فحضرا فلما استقر بهما المجلس قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عباس يا عم رسول الله تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي ديني ؟

فقال العباس :يا رسول الله عمك شيخ كبير ذو عيال كثير وأنت تباري الريح سخاء وكرماً وعليك وعد لا ينهض به عمك ، فأقبل على علي(عليه السلام) فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): يا أخي تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي ديني ؟
فقال : علي عليه الصلاة والسلام : نعم يا رسول الله .

فقال : ادن مني، فدنا منه فضمه خاتمه ونزع من يده فقال له : خذه فضعه في يدك، ودعا بسيفه ودرعه ، وقيل : ان جبرئيل(عليه السلام)نزل بها من السماء فجيء بها اليه فدفعها الى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): اقبض هذا في حياتي ودفع اليه بغلته وسرجها وقال الله له : امض على اسم الله الى منزلك، فلما كان من الغد حجب الناس عنه وثقل في مرضه (صلى الله عليه وآله وسلم)وكان على(عليه السلام) لا يفارقه إلا لضرورة، فقام في بعض شؤونه فأفاق إفاقة فافتقد علياً

(عليه السلام)فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي أخي وصاحبي وعاوده الضعف.

فقال عائشة : ادعوا أبا بكر ، فدعي فدخل، فلما نظر اليه أعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي أخي وصاحبي.

فقال حفصة : ادعوا له عمر ، فدعي، فلما حضر رآه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فأعرض عنه

بوجهه فانصرف .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي أخي وصاحبي.

فقال أم سلمة (عليها السلام) : ادعوا له علياً عليه الصلاة والسلام فإنه لا يريد غيره، فدعى أمير المؤمنين ، فلما دنا منه أوى إليه فأكبّ عليه فناجاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، طويلاً،

قام فجلس ناحية حتى أغفى رسول الله. أغفى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج علي (عليه السلام) فقال له الناس : يا أبا الحسن ما الذي أوعز اليك ؟

فقال علي عليه الصلاة والسلام : علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم فتح لي كل باب ألف باب وأوصاني ما أنا قائم به إن شاء الله ، ثم ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حضره الموت، فلما قرب خروج نفسه . قال له : ضع رأسي يا علي في حجرك فقد جاء أمر الله عزّ وجل، فإذا افاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ثم وجهني الى القبلة وتول أمري وصل عليّ أول الناس ولا تفارقتي حتى تواريني في رمسي واستعن بالله عز وجل، وأخذ علي (عليه السلام) رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه واكبت فاطمة تنظر في وجهه وتنديه وتبكي وتقول (عليه السلام).

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه*** ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنيه هذا قول عمي أبي طالب لا تقوليهِ ولكن قل لي: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فبكت طويلاً فأوما إليها أن تدنو منه (صلى الله عليه وآله وسلم) فدنّت إليه فأسر إليها شيئاً تهلل له وجهها، ثم قضى (صلى الله عليه وآله وسلم) ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها (عليه السلام) الى وجهه فمسح به بها ، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر الى أمره فسئلت: ما الذي قال اليك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسررتي ؟

قالت (عليه السلام) : أخبرني اني أول أهل بيته لحوقاً به وأنه لن تطول المدة بي بعده حتى أدركه فسررت بذلك.

وفي خبر رواه ثابت عن انس قال : إن فاطمة عليها الصلاة والسلام : لما ثقل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل يتغشاه الكرب نادى (عليه السلام) : يا ابتاه الى جبرئيل ينعاه، يا ابتاه من ربه ما أدناه يا ابتاه جنان الفردوس مأواه يا ابتاه أجاب رباً دعاه.

وقال الصادق عليه الصلاة والسلام : قال جبرئيل (عليه السلام) يا محمد هذا آخر نزولي الى الدنيا إنما كنت أنت حاجتي منها ، وصاحت فاطمة (عليها السلام) وصاح المسلمون وصاروا يضعون التراب على رؤوسهم .

وقال الباقر عليه الصلاة والسلام لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاة نزل جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا رسول الله أتريد الرجوع الى الدنيا ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا ، الرفيق الأعلى.

وفي خبر : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، استمهل ملك الموت عن قبض روحه المباركة حتى يأتي جبرئيل (عليه السلام) ، وان ملك الموت لم يتمكن من الدخول على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقبض روحه حتى جاءه الإذن، بل قيل : إن جبرئيل انحنى يقبل أعتاب بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو خاضع.

ولقد أجاد فيما قاله الحاج ملا مهدي بن علي آل نتيف البحراني وهو يصف حالة جبرئيل (عليه السلام) عند ما جاء يطلب الرخصة لدخوله على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

يطلب الرخصة والاذن*** واقف على الباب

وهو الذي ما ايهاب*** من حاجب وبواب

خاضع جلاله للذي*** واقف ابابه

والتاج شاله وانحنى*** يقبل اعتابه

ونادى يهل بيت*** السيادة والنجابه

انتم وسيلتنا الى*** الله رب لرباب

يطلب الرخصة*** من سول الله وحيبيه

عطر ثراها واستوت روضه نجيبه*** من طيب ابو الزهرا ثراها اتعطر وطاب

واهناك جاله المرتضا واسمع كلامه*** يقله اريد ادخل يناموس الامامه

واجتمع ويا المصطفى راعي الكرامة*** هاللي على اجله كون العالم ولسباب

ومن يوم اجا عند النبي وافهم حجيه*** قلّه يعزرائيل لا تعجل عليه

خلني بشاور من يجي جبريل ليه*** وباشوف ويش اللي يجاويني من اخطاب واهناك بالسرعه الامين الروح جاله*** واختار اله دار الكرامة والجلالة

جنة عليه وهور مصطفه اقباله*** ولملاك خضع بين حجاب وبواب

نعم جاء الروح الامين جبرئيل قائلاً: يا رسول الله هذه أبواب الجنان مفتحة لاستقبالك، وهذا رضوان قد زين جنة الفردوس بالنور وأمر الولدان بأن يستقبلوا روحك الطاهرة الشريفة :

رضوان زين جنة الفردوس بالنور*** او آمر على الولدان تترين مع الحور

ويملاك نزلوا زفوا الروح الشريفة*** عن هالدينه في مقامات المنيفة

تمت النعمة من جعل حيدر خليفة*** والويل للي يظلمه ويتقدمه زور

وامتدت املاك السما في انزول واصعود*** فوج السما يصعد او فوج للنبي ايعود

وطه على افراش المنية ابروحوه ايجود*** وام الايمه تنتحب والقلب مفطور

ومن يوم اراد الله الحبيب وقرب حينه*** بالعرق ظل ايسيل كاللؤلؤ جبينه

وفارقت روحه وغمض المختار عينه*** وارتجت الدنيا على اجله واظلم النور

وشمر أذياه حق تغسيله أبو احسين*** ومداه فوق المغتسل عمدة الكونين

مثله جنازة في البشر ما لاحظت عين*** يتقلب ابرو حه ومنه يسطع النور

واشتغل حيدر والحمولة في الموارات*** واهل السقيفة امعيده يوم النبي مات

يقولوا استرحنا يوم عنا اتغيب او فات*** حيدر فلاله في الخلافة اسم مذكور

ومن قبل ما ابوارى النبي تقضوا البيعه*** جترا تنصب في قضا حكم الشريعة

وانقاد حيدر وانكسر ضلع الوديعة*** بالباب والحايط ضلعها راح مكسور

ولكن كلما جرى على السيدة الصديقة(عليه السلام) من المصائب عبد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن مانعاً عن إقامة العزاء على أبيها فلقد كانت سلام الله عليها تأتي قبر أبيها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مع ولديها الحسن والحسين عليهما الصلاة والسلام وقيمون العزاء على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)عند قبره، وهكذا بعد وفاتها عليها الصلاة والسلام فقد التزم الحسانان بذلك ولما ان التحق مولانا الحسن عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى لم يبارح الامام الحسين عليه الصلاة والسلام الحضور عند قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)حتى آخر لحظة حتى من لحظات وجوده المبارك في المدينة، ولما عزم على الخروج منها جاء (صلى الله عليه وآله وسلم)كما يحدثنا صاحب البحار وغيره الى قبر جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ليلاً ووقف باكياً وقال : السلام عليك يا رسول الله انا الحسين بن فاطمة فرحك وابن فرختك وسبطك الذي خلقتني في أمك فاشهد عليهم يا نبي الله انهم قد خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني وهذه شكواي اليك حتى ألقاك ، ثم رجع إلى

منزله حتى الصبح ، فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً وصلى ركعات، فلما فرغ من صلاته جعل (عليه الصلاة والسلام يقول : اللهم هذا قبر نبيك محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللهم اني أحب المعروف وأتكر المنكر وأنا أسألك يا ذا الجلال والاكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى ، ثم جعل عليه الصلاة والسلام يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى(عليه السلام) فإذا هو برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)قد أقبل في كتيبة الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه حتى ضم الحسين(عليه السلام)إلى صدره وقبل بين عينيه وقال : حبيبي يا حسين كأنني أراك عن قريب مرماً بدمائك، مذبوحةً بأرض كرب وبلاء بين عصابة من أمتي وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمان لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة لأنالهم الله شفاعتي، حبيبي يا حسين ان أباك وأمك وأخاك قدموا علي وهم مشتاقون إليك وإن لك في الجنان لدرجات لن تتأهلها إلا بالشهادة.

فجعل الحسين(عليه السلام)في منامه ينظر إلى جده(صلى الله عليه وآله وسلم)ويقول : يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك.

فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : لا بد لك من الرجوع الى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فإنك وأباك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة.

فانتبه الحسين(عليه السلام)من نومه فزعاً مرعوباً ورجع إلى منزله وجمع أهل بيته فقص عليهم رؤياه فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق الأرض ولا مغربها قوم أشد غماً من أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا أكثر باك ولا باكية منهم.

وقد حكى الحاج المقدس الملاً عطية بن علي البحراني وصف الحسين (عليه السلام) وحالة جزعه وبكائه عند قبر جده الله الله في أبيات شعرية تفتت الأكباد فقال :

مهجة الزهري فوق قبر المصطفى ينوح*** اينادي من الدنيا يجدي ملت الروح

اتعفر على قبره او زفر زفرة المهظوم*** غمضت عينه او شاف جده العالم النوم
ضمه لصدره والدمع بالخد مسجوم*** او قله الحريمك ولولاد الكربلا روح
يحسين سافر واترك اديارك ولوطان*** چني اعين جثتك للخيل ميدان
والراس مثل البدر يزهر فوق لسان*** من تلتفت زينب تشوفه اقبالها ايلوح
تنجي يعقلي ايدبحك الشيعة من النار*** وابذبح شبانك او ذبح اطفال الصغار
واتصير لجلك كربلاء مقصد الزوار*** من عالم الذرها لا مر مكتوب باللوح
يحسين سافر بالحراير والنساوين*** تنذبح يا ابني او نسوتك تدخل دواوين
خل تنصب الشيعة النياحة عليك يحسين*** وافته التنجيه او يصير الذنب مصفوح
بالله ارد أناشدكم شيعة ردوا الجواب*** لو تنفني جملة الشيعة شيوخ وشباب
ايقابل اتعفر خد ابو سكنه بلتراب*** لا والذي من قبل آدم علم الروح
احلف بحيدر لو انفت جملة الشيعة*** متعادل او قوف السبب بيده رضيعه
يجذب الحسره او ينظر اوداجه قطيعه*** او طفله يفر فر مثل ذبح الطير مذبوح
او حق الذي كسروا ضلعها أم الاماجيد*** نسوان شيعتهم طبق من غير تعديد
كلها متسوي دخول زينب مجلس يزيد*** ويا اليتاما او زندها بالحبل مجروح

ونقل المحدث المازندراني الحائري في كتابه معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما عن كتاب (مهيج الأحران): ان الحسين عليه الصلاة والسلام لما أن انتهى من وداع قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انعطف نحو قبر أمه الزهراء عليها الصلاة والسلام ووقف وقال: السلام عليك يا أمه حسينك جاء لوداعك وهذه آخر زيارته إياك، فإذا النداء من القبر وعليك السلام يا مظلوم الأم، ويا شهيد الأم، ويا غريب الأم، فاستعبر باكياً حتى لا يطيق على الكلام، وبعد ذلك توجه نحو قبر أخيه الحسن (عليه السلام) ففعل مثل ذلك.

ودع قبر جده ورجع والقلب ممرود*** يم روضة الزهرا يون ونة المجهود

اتمرغ على الروضة او قلبه امن الوجد ذاب*** او عفر اخدوده ويل قلبي ابذاك التراب

اينادي عزيزك يا بتوله امن الهظم شاب*** متحيرا وبالوطن ما يحصل له اقعود

هلت ادموعه او لصق فوق القبر صدره*** يبكي او ينادي في أمان الله يزهرى

مكسور قلبي امن الهظم والله يجبره*** اورد القبر خيه او قلبه ابحزن موقود

اتخوصر على قبر العصيد او يعلم الله*** بحزان قلبه يوم صاح اوداعة الله

هذا يخويه اللي علينا قدر الله*** سمك او ذبحي من قبل تكوين لوجود

وانته قضيت اللي عليك امن المنية*** او عالجت غصتها او ظل اللي عليه

او قصدي ابها السفره يخوية الغاضرية*** عندي خبر من طلعتي للوطن ما عود

خويه يبوا محمد علي رحب الفضا ضاق*** قلبي تراهو ذاب من لوعات لفراق

برض المدينة قبرك او قبري بلعراق*** اورد للمنازل والدمع يجري بلخدود

نادي يدور المجدك طليتي خلية*** او طوح الونه او جاوبه ابن الحنفية

او قله اشعبتني يا غريب الغاضرية***من وطن جدك يا عضيدي ابليل مطرود

عندي خبر يحسين بس اتسوق الاطعان*** واتشوف عيني البيت خالي من الشبان

جسمي يذوب او ينتحل من كثر لحزان*** جرحك ينور العين ساطي وسط لكبود

خلني اشق جيبي ترى ما ظل لي اشعور*** يا ليت قبل اتشيل تدفني بلقبور

اولا سوف من شخصك خليه او موحشة الدور*** شايل يخوية او للوطن ما ظنتي اتعود

تقول الرواية المتقدم ذكرها عن الكتاب المذكور ورجع الحسين عليه الصلاة والسلام بعد أن ودع جده (صلى الله عليه وآله وسلم) الى منزله وقت الصبح فأقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية وقال: أخي أنت أحب الخلق إليّ وأعزهم عليّ ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق إلا لك، وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله قد شرفك علي وجعلك من سادات أهل الجنة، يا أخي تنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية لعنه الله وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك الى الناس ثم ادعهم الى نفسك فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب مروتك ولا فضلك فإني أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنه غرضاً فاذا خير هذه الامة كلها نفساً وأباً واماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً.

فقال له الحسين عليه الصلاة والسلام: فأين أذهب يا أخي؟ قال: انزل مكة

فان اطمأنت بك الدار بها فذاك وإن تكن الاخرى خرجت الى بلاد اليمن فانهم أنصارك وانصار جدك وأبيك وانهم أرف الناس وأرقهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال وجزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول اليه أمر الناس ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال الحسين عليه الصلاة والسلام: يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوي لما بايعت يزيد بن معاوية لعنة الله تعالى، فقطع محمد بن محمد بن الحنفية الكلام وبكى وبكى الحسين عليه الصلاة والسلام معه ساعة قال عليه الصلاة والسلام يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج الى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأبي، وأما أنت يا أخي فلا بأس عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخفي عني شيئاً من أمورهم، ثم دعا الامام الحسين عليه الصلاة والسلام بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمد: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، ان الحسين (عليه السلام) يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وان الجنة والنار حق، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور واني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي وشيعة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)⁽¹⁾، ثم قال عليه الصلاة والسلام: هذه وصيتي لك يا أخي وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ثم ختم الكتاب بخاتمة الشريف ودفعه إلى اخيه محمد، ثم ودعه، فلما هم (عليه السلام) بالانصراف تحسر محمد بن الحنفية وانتحب باكياً ودموعه تسيل على وجناته وهو يقول: كيف أبقي

ص: 371

1- سوف يأتي إن شاء الله تعالى في بعض الجلسات القادمة موجز شرح هذه الوصية المباركة.

بعدك يا أبا عبدالله حليف الحزن والبكاء.

اتحسر امحمد وانتحب ودموعه اتسيل *** او نادى تخليني يخويه او عني اتشيل

وياك خذني كان تدري توقع حروب *** تدرون بيه من قبل يحسين مهيب

والله لخلي اقر ومهم تمشي بلا اقلوب *** ضنوة ابو الحملات ما هاب الرجاجيل

اتشيلون عني او دوركم تبقى خلية *** ظلما اويها ينعب اغراب المنية

وابقى حليف الحزن وادموعي جرية *** مقدر على هالحال يانسل البهاليل

قله ودموع العين تجري او قلبه ايفور *** كلنا يخويه مفصلة لنا بكر بلا اقبور

اولالك اويانا يا عضيدي قبر محفور *** الله بما ادموم ابوادي كربلا اتسيل

لازم ابطف الغاضرية ايصير زلزال *** او لازم تخوض اخيولنا بدموم لبطل

او تالي النهار انظّل ضحايا فوق لرمال *** كلنا عرايا اتدوس فوق اصدورنا الخيل

هذا الذي قدر لي الباري او اراده *** يبقى على التربان خدي ابلا وساد

اولا شوف الك وياي يمحمد شهاده *** صب الدمع واصفق اكفوفه او صاح بالويل

ص: 372

شبيت نار بمهجتي او زيدت همي *** اتفوزون بيها والحزن يحسين سهم

والله لخلي الدمع طول الدهر يهمي *** اولا بطل امن النوح لانهار ولا ليل

قله اتسلا قال عني السلوة ابعيد *** لنصب المأتم واصفق بايد على ايد

خايف على زينب يدخلوها على ايزيد *** بعد الخدر والصون تبقى ما لها اكفيل

نعم هذه حالة محمد بن الحنفية لما نظر الى الامام الحسين عليه الصلاة والسلام يسوق ظعونه عازم على الخروج من مدينة جده رسول الله له ، ويقال : انه قد شق جيبه وكان يلطم على هامته وقد تألم الأعداء لحالته :

او حالة امحمد يا خلق تشجي الاعادي *** مشقوق جيبه او يلطم الهامه او ينادي

يحسين لتسوق الظعن ذائب افادي *** او كلما تلومه الناس يصفق راح ليدين

امن العين نشفت دمعه او كلما نهض طاح *** او كلما يسيلونه جذب وناته او صاح

لحد يسليني ترى مني الاخواراح *** كلكم متدرون ابمصابي يا مسلمين

ها اللي يقودون الظعنين هالنشامة *** قلبي مهوا باني عليهم بالسلامة

خايف يردها الظعن بس نسوه او يتاما *** ريض لخيك بالظعن يا قرّة العين

بحسين سلطان البلد لو عزم ايشيل ***تطلع الناس اتشيعة او تسرج على الخيل

وانت يا سلطان المدينة تطلع ابليل *** يحسين وياكم خذوني يا ضيا العين

تتومس ابنصرك يبوا سكنه الأجانب *** وانا نصيبي الحزن وامقاسي المصائب

ليه الفخر والصيت بيام الحرايب *** قاسيت انا أهوال الجمل ويام صفين

تدري ابجسمي امن المرض يحسين متعوب *** والكد مني امفطرة والقلب مشعوب

وانكان فارقتي جمالك جسمي ايدوب *** مقدر اشوف ايوتكم يا ابن الميامين

ص: 374

اتبكي على رسم بدارة تهمد*** عفته الليالي فهو كالوشم
وتصبوا لي تذكاهم مسرح لذة*** وملعب افراح لشادوا غيد
لك الويل فاغرب عن ضلالك واتخذ*** من الوجد سر بالاحزن مجدد
فلست ترى والله ما عشت فادحاً*** بأفجع من رزؤ النبي محمد
نعتة الى علياه علياء نفسه*** وعزا به التوحيد كلّ موحد
وهم بأن يوصى بتقليه قومه*** وبالعكس هم فيما يريد بمرصد
وقال أناس ظلّ يهجر أحمد*** ونجم هوى ما ضلّ بل وحي مرشد
وكم غصص قد جرعه أقلها*** ليشعل ناراً في حشى كل جلمد
الى أن قضى فانقضت الشهب للثرى*** لتشيعة في بنت نعش وفرقد
وقام يعزّيه الى عالم السماء*** أخو الوحي في نوح الحمام المغرّد
ومزّقت الدنيا عليه فؤادها*** وشق عليه الدهر جيب التجلد
وأظلم وجه الكون والشمس ألبست*** بثوب من الاحزان بالكسف أسود
وعين الهدى لم ترق دمعتها اسى*** عليه ولا زالت بجفن مسهد
قضى نحبه فلتنتحب لافتقاده*** أرامل كانت منه في خير مسند
قضى فقضت ما تشتهي به*** عدي وتيم وهو غير ملحد
زواوا صنوه عن حقه ورقوا على*** منابره يهدون هذى المعربد
خلا منبر منه بناه بسيفه*** ولم يخل متن الطرف منه بمشهد

وحاطوا بنار الجزل للوحي منزلاً*** وتهاد وعلياً في نجاد المهند

وفاطمة بالباب أسقط حملها*** بعصر شديد مؤلم عن تعمد

وكسرن منها أضلع ليت أضلعي*** فدتها وان لم تكف بالنفس افتدى

ولفعتها ذاك الزنيم بلطمة*** على وجنة الخد الاسيل المورّد

ومن حقها ابتزوا تراثاً ونحلة*** وردّوا شهوداً صوتها صوت أحمد

نعم ، هكذا فعل القوم مع بضعة نبيهم وحيبته وبقيت تناشدهم العطف تارة، و تخوفهم الله تارة أخرى فهي ما زالت معصبة الرأس منهدة الركن يغشى عليها تارة وتقيق أخرى لم ألم بها من الألم وأوجاع وما فتئت وما انفكت تذكر آياه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وتندبه في ليلها ونهارها. وقد عظم وجدها عندما رأت القوم قد دخلوا دار الرسول بدون إذنها وأخذوا يظهرن العداء الذي قد تأصل في نفوسهم بالضرب والشتم وكأنني بها تناشد أباهما قائلة:

لحد يبو إبراهيم دشوا بيتك انذال*** اسمع حنين ام الحسن تشكي لك الحال

دخلوا على قوم اسلموا من قبل خيفه*** من حيدر الكرار يذبحهم اسيفه

او كلمن تذكر للضعجين واخذ حيفه*** او فيهم إيعدونه بيويه بألف خيال

انهض يبو إبراهيم شوف ام العزيزين*** اجنت عليها امتك شيئاً امرين

وامن البكا والنوح ماجفت لها عين*** بعدك يبو إبراهيم اش قاست من أهوال

انصاف ما فيكم بقى ياهل المدينة*** انكان أبويه المصطفى عفتون دينه

بالله اتركونه لا إلينا ولا علينا*** صيروا مثل لول بليا دين جهال

من يوم ابويه ما حصل أجر الرسالة*** بعثوا السهم منه او تهتوا بالضلالة

أجره على الله اللطيف الله ابحاله*** ربّ كريم عادته بالجود فعال

ابكي على الوحي انقطع مني اهيوطه*** وابكي على المحسن نحل جسمي سقوطه

او ذاك العدو ورم امتوني ابضرب سوطه*** من رصني بالباب تحت الولد في الحال

والله عجائب والدي يسكن بلقبور*** واني نحيله امن الضرب والضلع مكسور

وانته يبو الحسنين جالس كيف ما تثور*** المشتكى الله اورسوله من هلفعال

حزني لبويه مات واوحشني محله*** ما مات الا مبتلى منهم ابعلة

وامن العجايب كيف سمتوني ابذله*** ذنهض يبويه امن القبر عاين هلفعال

قومك يبابه خالفوا فينا الوصيه*** وتوانبوا كلهم على بعلي او عليه

يا به أخبرك نحلتي مني خذوها*** او بنتك يبويه بعد عينك روعوها

اضلوعي يبويه ابصاير الباب كسروها*** وتوانبوا كلهم على بعلي او عليه

ليتك تراهم يوم هجموا داخل الدار*** من بعد ما وجوا يبويه الباب بالنار

او حامى الحمى جالس يبو ابراهيم ما ثار*** وآنى حزينه واذرف ادموعي جريه

اوليتك تشوف المرتضى يوم اللي سحبه*** والله صفايه قايد الأبطال قاده

وابني الحسن يبكي وينادي بويه خلوه*** خلوه لينا نلتجى باظلال فيه

خليتني بعدك نحيله باكيه العين*** مادرى شقاسي من اذية واجذب اونين

ابكي الكسر ضلعي لو ابكي اسقوط الجنين*** او اجعل حنيني عليك يا خير البرية

نعم هكذا كان حال الصديقة في حزنها وجزعها على أبيها لم يهدأ لها بال، ولم يستقر لها بوجه من الوجوه حال فتراها أما باكية أو معاتبة لعلى -بره وهو يرى ما يجري عليها بأمر عينيه من اولائك العتاة المردة، عاتبت عليك قائلة: الست أنت فارس بدر وحنين؟ ألسنت انت قاتل الصناديد والشجعان؟ ألسنت أنت الفاتك للأبطال في ميدان الحرب؟ ألسنت أنت منكس رايات الكفر ومجدل أبطالها؟ فلماذا هذا الصبر وأنت ترى ما يجري على حليلتك وأم أولادك؟ تعاتبه ولسان حالها يقول:

يا فارس بدر وحنين وبيوم الوغه فتاك*** تصبر يا علي جمدوب صبرك عجب الأملاك صبرك

صبرك عجب المخلوق واملاك السمه كلها*** وامصبيتك يا كرار ما من نبي اليحملها

من طب الرجس للدار ونيته ابنار يشعلها*** ما هابك يبو الحسنين وانه المحمد اليدناك
من يدناك يابو حسين وانه الطيعة الجن*** لاچن العجب تصبر او تسمع بالزجيه اتون
ابن الباب والحايط عصرها واسقطت محسن* اورض اضلوعها الطاغي اوروعها ولا رعاك
روع بضعة الهادي ابصدرها نبت البسمار*** من عكب الفعل هذا تعد او طب لعند الدار
گادك بالحبل يا حيف واته حيدر الكرار*** تندب حمزة او جعفر ما منهم لفه يحماك
ما منهم لفاك امعين بس ام الحسن واحسين** لاچن طلعت اباحال اتنادى او تهل العين
خلوا عن ابن عمي لفرع واكلب الكونين*** رد العبد يضربها يريت اتشوفها عينك
ريت اتشوفها عينك او ضلع ام الحسن مكسور** واجنين السقط بالباب والدم من صدرها ايفور
او من طلعت وراك اتصبح خلوه والدمع منشور*** مارديت تحميها للمسجد لفت وياك
للمسجد لفت تنحب يويلي والدمع محمر*** ما ردت لعند الدار اله اويك يا حيدر
ظلت من بعد هذه گلبها ابنار يتوجر*** لمن گضت مظلومه من ظلم السده من اعداك

ظلموا يا علي الزهره لما مات ابغصتها*** أوحين الي تغسلها وشففت اصواب جثتها

گمت تنحب ييو الحسنين او عينك تهل دمعتها*** هذا اللي جره اعليها عباد الوثن من جاك

او كل الجره على الزهره بأرض الطف جره واكثر**هجم اللي على الزهرة صارت هجمت العسكر

ابكسر الضلع صدر احسين تحت اخيولها اتكسر*** بسقاط الجنين الطاح طفل احسين ويتامك

نعم، كلما جرى على الزهراء(عليه السلام) قد جرى على ولدها الحسين(عليه السلام)يوم الطف بل واكثر من ذلك فان النار التي أشعلها أعداء الله تعالى في بيت الزهراء (عليها السلام) قد بقي شرارها لكي يحرق مخيمات بنات الرسالة يوم الطف ، وان إسقاط جنينها قد بقي أثره حتى قضى على عبد الله الرضيع يوم عاشوراء ، وان ضربها بالسياط بقي أثره حتى حتى قد صاب الصديقة زينب الحوراء وإن كسر ضلعها قد بقي أثره فأصاب ضلوع الحسين(عليه السلام) وصدرة الشريف في يوم عاشوراء ذلك اليوم الذي بقي فيه أبو عبد الله الحسين(عليه السلام) ملقى على بوغا كربلاء بلا تغسيل ولا تكفين عاري اللباس قطيع الرأس في جندل كالجمر مضطرم قد أهوت عليه اخته الحوراء زينب (عليها السلام) تشمه وتقبله وهي متحيرة عند ما رأت شمرأً يقطع أوداجه نادت عليه بضعيف صوتها تقول له:

بالله يا شمر عنه دوخر*** اذبحني او خل اخوي احسين وسر

تكله يا شمر بالله دخليه*** او ماشافه او من الطبرات يبريه

تشوفه ايلوج ما غير النفس بيه*** او عينه نوب يشبحها او تغمر

دگلى يا كتر خالي امن الجروح*** تحط سيفاك يخايب والدمه ايفوح

طبره فوگ طبره تشعب الروح*** يشوغ الكلب من عدها او يفغر

يخايب خلي اخويه احسين ساعه*** اغمضله ومد للموت باعه

مهو شمامت الحلوه اطباعه*** دخلي ابراح روح احسين تظهر

يخويه بيش اضمك وين اوديك*** يخويه اشلون اصد عنك وخليك

تراني اتحيرت يا مهجتي بيك*** يخويه بيش اظلك من الحر

هوت يمه تشم كسر البضلعه*** اخوي الما طبع يشبه الطبعه

غايب روحه او فرت تودعه*** أولن رأسه ابراس الرمح مزهر

رأس حسين فوگ الرمح مسفر

مثل البدر بالظلمة ينور

لمن شافته صفت بديها*** اوشگت ثوبها ويلي عليها

ما تتلام من شافت وليها*** فوگ الرمح راسه ايلوح بالبر

سالت عينها بدموعها اعليه*** اوشالت راسها او تلفتت ليه

خفك ويلي وامت اعليه*** او صاحت باجيه ابصوت امذعر

يسور المرمر الماله مصاعيد*** يصل الرمل يمنفر العرايد

يطير السعد يا معذب الصيايد*** حاطت بيه فوگ الرمح وكر

عسى ابعيد البلا راسك امعلگ*** يخوي او جثتك بكيفوه سملك

أو گلب اختك يخوي اساع خفك*** او طار واحام عد راسك او فرفر

اويلی اتلا گفوا راسك بلرماح*** او شيبك آه تلعب بيه الارياح

ومصوت عدونا بالفنا صاح*** ابذلتنه امكيف او لنصر مستر

يا شيال رأس احسين ريض*** جيم برأس احى لا تعرض

شوف الدمع من عيني يفيض*** او نار الگلب لفراگه تسمر

باشيال رأس احسين گصر

تری گلبی علی افراگه تظّر

یشایل راس حامینه اولینه*** ریض خلی اتودعه اسکینه

ص: 380

ليش احسين ساچت عن ونينه***كلي تعب يوجرحه تخدر

يا شيال راسه لا تلوحه***او هبط عن بكايا الروس رمحه

أخاف يفوت ربح الهوى ابجرحه***واصوابه عليه ايگوم يسعر

يا شيال راس احسين سدره***رده الجثته اوسده ابگره

وكأني بها عند ما نظرت الى تلك الأنوار الساطعة من تلك الجبهة الشريفة أخذت تخاطب رأس الحسين قائلة :

لك نور بجبهة الحسن لالا***بمحيًا كساه ربي جمالا

ضياء في الدهر حقبة ثم زالا***يا هلالاً لما استتم كمالا

غاله خسفه فأبدى غروبا

كنت كالحصن يا حسين الينا***فاذا الدهر ناب فيك احتمينا

فلم اليوم لم تجب إدعونا***يا أخي قلبك الشفيق علينا

ماله قد قسى وصار صليبا

كيف ترضى بفرقتي وبعادي***بح صوتي فلم أجب كم انادي

أين قد صرت يا جمال بلادي***ما توهمت يا شقيق فؤادي

كان هذا مقدرًا مكتوبًا

كم دعاك اليتيم في قفر واد***لم تجبه وكنت غوث المنادي

يا أخي ندبه أذاب فؤادي***ما اذل اليتيم حين ينادي

بأبيه ولا يراه مجيا

وفتاة أتنك كالبدن في التم***تخمش الوجه باليدين وتلطم

لو ذاع احنت لنحرك تلم***يا أخي فاطم الصغيرة كلم

ها فقد كاد قلبها أن يذوبا

بك كم صحت في الدجى حين عسعس***وبضوء النهار لَمَا تنفس

لعليل لنبضه الغلّ قد جسّ *** يا أخی ماترى عليّاً لدى الأسر

و من اليتم لا يطيق جوابا

ص: 381

قال الله تعالى في كتابه المجيد : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (1) جاء في تفسير نور الثقلين نقلاً عن مجمع البيان عن أمالي شيخ الطائفة باسناده إلى مولانا أبي عبد الله الصادق الا أنه قال : وكان فيما خاطب الله تبارك وتعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن قال له : « يا محمد ، انك لعلی خلق عظیم » . قال : السخاء وحسن الخلق .

قال بعض العلماء: لقد كان نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كثير الضراعة والابتهاال، دائم السؤال من الله تعالى أن يزيه بمحاسن الاداب ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه : اللهم حسن خلقي، وحسن خلقي، ويقول : اللهم جنبني منكرات الأخلاق .

فاستجاب الله تعالى دعاءه وأنزل عليه القرآن وأدبه بمثل قوله عز وجل : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (2)، وقوله عز وجل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) (3)، وقوله تعالى : (وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ) (4)، وقوله عز وجل : (فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ) (5)، وقوله عز وجل : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (6) . ثم أكمل خلقه وخلقه أثنى عليه فقال : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (7) فانظر الى عميم فضل الله تعالى كيف أعطى نبيه الكريم، ثم أثنى تبارك تعالى عليه بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) الآية .

ومن هنا تعرف كيف كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اتصف بالأخلاق النبيلة والنعوت

ص: 382

- 1- سورة القلم : 4 .
- 2- سورة الأعراف : 99 .
- 3- سورة النحل : 90 .
- 4- سورة لقمان : 17 .
- 5- سورة المائدة : 13 .
- 6- سورة فصلت : 34 .
- 7- سورة القلم : 4 .

الجليلة والصفات الجميلة فكان(صلى الله عليه وآله وسلم) أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس، وأعف الناس، وكان أسخى الناس .

ومن خلقه الرفيع أنه كان(صلى الله عليه وآله وسلم)يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهنّ (1).

وكان(صلى الله عليه وآله وسلم)أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد، يجيب دعوة الحرّ والعبد، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويكافي عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة،

ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، يغضب لرّبه عزّ وجل ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه، عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو الله في قلة وحاجة الى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: إنا لا نستنصر بمشرك، وكان(صلى الله عليه وآله وسلم)يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، ولا يتورع عن مطعم حلال لا يأكل متكيء ولا على خوان، يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشيع الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان(صلى الله عليه وآله وسلم)أشد الناس تواضعاً وأسكنهم في غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشراً لا يهوله شيء من أمر الدنيا ويلبس ما وجد من المباح وخاتمه فضّة يلبسه في خنصره الأيمن وربّما يلبس في الأيسر يردف خلفه عبده أو غيره، يركب ما أمكنه مرة فرساً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشي راجلاً حافياً بال رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، يحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبرّ لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول الا حقاً، ويضحك من غير فهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، وترفع الأصوات عليه فيصبر، وكان له لقاح وغنم

ص: 383

يَتَّقُونَ هو وأهله من ألبانها ، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملابس ، ولا يمضي له وقت في غير عمل الله أو في ما لا بد له من صلاح نفسه ، يخرج إلى بساتين أصحابه لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً، قد الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وقد نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم ، يتيماً لا أب له ولا أم وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام ، ومن قام معه لحاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فيرسلها حتى يكون يرسلها الآخذ، وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأ بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكها ثم شد قبضة عليها، وكان لا يقوم ولا يقعد إلا على ذكر الله ، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال: ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته ، وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبة ولم يعرف مجلسه من مجالس أصحابه لأنه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث ما انتهى به المجلس جلس ، وما رؤي قط ماداً رجله بين بين أصحابه حتى يضيق بهما على أصحابه إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه ، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فإن أبي عليه أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل ، وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ، حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطف مجلسه وتوجهه للجالس إليه ، ومجلسه مع ذلك مجلس حياءٍ وتواضع وأمانة ، قال الله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (1)).

ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو أصحابه بكناهم إكراماً واستمالة لقلوبهم ، ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ، وكان يكنى أيضاً النساء اللات لهن أولاد

ص: 384

واللات لم يلدن يبتدىء لهنّ الكنى ، ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاء ، وكان أرق الناس بالناس ، وخير الناس للناس ، وأنفع الناس للناس ، ولم يكن ترفع في مجلسه الأصوات ، وكان إذا قام من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ويقول : علمنيهن جبرائيل ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) أفصح الناس منطقاً وأحلام كلاماً نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بهذار ، وكان كلامه كخرزات النظم ، وكان أوجز الناس كلاماً وبذلك جاءه جبرائيل ، وكان مع الايجاز يجمع الايجاز يجمع كلّمًا أراد ، وكان يتكلّم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضاً بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه ، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة ، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول في المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق ويعرض عمّن تكلم بغير جميل ، ويكنى عمّا اضطره الكلام إليه مما يكره ، وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنه في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتعجباً مما حدثوا به وخطأً لنفسه بهم ولربما يضحك حتى تبدوا نواجذه ، وكان لا يدعوه أحد من أصحابه إلا قال : لبيك ، وكانوا لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك ، وكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم ، واتي برجل فأرعد من هيئته فقال : هون فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ، وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه ، حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه ، فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه ، وكان يقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) أخشى الناس لربه ، وأتقاهم له ، وأعلمهم به ، وأقواهم في طاعته ، وأصبرهم على عبادته ، وأكثرهم حباً لمولاه ، وأزهدهم فيما سواه ، وكان يقوم في صلاته حتى تنشق بطون أقدامه من طول قنوته وقيامه ، ويسمع على الأرض لو كف دموعه صوت كصوت المطر من كثرة خضوعه ، وكانت أوقاته لا

تخلو من الصيام وربما يواصل الليالي بالأيام ، وصام حتى قيل انه ما يقطر ثم انه أفطر حتى قيل ما يواصل الليالي بالأيام ولا يصوم ، ثم أنه كان يصوم أنه كان يصوم الثلاثة الأيام في الشهر عليه قيص ، وكان إذا قام الى الصلاة يسمع من صدره الشريف أزيز كأزيز المرجل ، أي صوت كصوت القدر حين غليانه .

وجاء عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه كان إذا وصف النبي وصف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : كان له أجود الناس ، وأجزأ الناس صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته فلم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل شيئاً قط على الاسلام إلا أعطاه ، وأن رجلاً أتاه وسأله فأعطاه غنماً سدت بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : أسلموا فإنّ محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، وما سئل شيئاً قط فقال لا وجاء في مقالة شريفة اخرى عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه قال : كنا في يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشدّ الناس يوم أشدّ الناس يوم ذاك بأساً وفي خبر عنه الا- أنه قال : كُنّا إذا حمي البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

وهناك خصائص قد خصه الله تعالى بها عن امته قد ذكرها مولانا المقدس السيد عبد الله شبر في كتابه حق اليقين كما ذكرها غيره ، قال: رضوان الله تعالى عليه في الكتاب المذكور ما لفظه : هي كثيرة وفيها خلاف مشهور بين الفقهاء فكان التهجد والوتر والاضحية واجبة عليه ، وقيل : كان السؤال والمشاورة مع أصحابه واجبين عليه أيضاً كما قال تعالى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (1) . وكان يجب عليه إنكار كلّ منكر ، ويجوز له تخيير نسائه كما ذكر في سورة الطلاق ، وتحرم عليه وعلى ذريته الزكاة الواجبة وفي الزكاة والصدقة المندوبتين خلاف ، وكان يجب عليه قضاء دين كلّ من يموت فقيراً ، ولم يأكل متكأ على جنبه وقيل بتحريمه

ص: 386

وكان يجوز له صوم الوصال وهو وصل صيام يومين من غير إفطار بينهما أو جعل إفطار بينهما أو جعل إفطار اليوم سحور الثاني ، ويحل له أن يتزوج أكثر من أربع بالدوام وتحل له الامرأة التي تهب نفسها ويحرم على غيره تزويج نسائه في حال حياته ومماته دخل بهنّ أم لا ، ويحرم نداؤه باسمه، ولم يناده الله باسمه في القرآن تعظيماً له ، بل قال: يا أيها النبي أيها المزمّل، أيها المدثر، أيها الرسول، طه، ياسين ونحو ذلك، ومع ذلك قال له قال: ان الرجل ليهجر، وكان يحرم على الناس أن من يرفعوا أصواتهم فوق صوته ويحرم نداؤه من وراء الحجرات، وقيل كان عليه يحرم أكل الثوم والبصل والكتابة وانشاد الشعر ولم يثبت ذلك.

وقال السيد المذكور(قدس الله): إن بعض العلماء قد قسم خصائص الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى واجبات كالتهجد وقضاء دين الميت الفقير .

ومحرمات كأكل الصدقة ونكاح الأمة وخائنة الأعين ومباحات كالزيادة على أربع زوجات دواماً، ووصال صوم الأيام والليالي والشهادة والحكم لنفسه. والى ما يرجع الى مجرد تشريفه وعلو شأنه مجرد تشريفه وعلو شأنه ورفعة مكانه كسيادة ولد آدم وكون أمته خير الأمم ورؤية ما وراء ظهره وعدم وقوع ظلّه على الأرض وابتلاع الأرض برازه ونحو ذلك.

وبالجمله إن أخلاقه النبيلة وصفاته الحميدة وخصائصه الجليلة لا يمكن حصرها في جلسة واحدة وإنما ذكرنا نزرأ منها هنا لتتخلّق بأخلاقه، ونهتدي بهداه، وتتبع آثار سنّته حتى يتسنى لبعضنا البعض أن يتخلّق بأخلاقه مع أهله واصحابه وعشيرته، فيتخذ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة له في ذلك فاذا اراد أحدنا أن يكون سبيء الخلق مع أهله فعليه أن يبتعد عن هذه الصفة الرذيلة وذلك بأن يتأمل في خلق الرسول مع أهله ، فينظر بعين الاعتبار مقالته الشريفة التي كان(صلى الله عليه وآله وسلم)بها يوصي أصحابه حيث يقول: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم» و«خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» فإنه خير الأزواج لخير الزوجات

كيف وقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بمداراة النساء وبين أن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها ، « وأبغض الحلال الى الله الطلاق » . وقد أوجب (صلى الله عليه وآله وسلم) على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها في المنظر الذي يروقها وأمر بالنظافة والسواك والتزين (ولهن مثل الذي عليهن) ونهى المسافر أن يفاجيء أهله ليلاً . وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يتسم في وجه زوجته امهات المؤمنين ويزورهن في الصباح والمساء ، وإذا خلا بهنّ كان ألين الناس ضحاكاً مبتسماً ، ولم يجعل من هيئته النبوة سداً رادعاً بينه وبين نسائه .

وكان يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أكثر بياناته: إنّ مساعدة الأهل صدقة وادخال السرور عليهنّ صدقة ، وقال اذا مال قلبه لإحداهنّ: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك» ويستغفر الله تعالى .

ولنتعلم أيضاً منه (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاء فانه كان يثني على السيدة خديجة الجليلة أم المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاتها ويقول: إنّها آمنت بي إذ كفرني الناس ، وصدقني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء .

وقد تزوّجها وهي في نحو الأربعين وهو في الخامسة والعشرين ولم يتزوج (صلى الله عليه وآله وسلم) غيرها حتى توفيت رضوان الله تعالى بل سلام الله عليها ، وكان معها الزوج المثالي الأعظم . وما جنح (صلى الله عليه وآله وسلم) الى تعدد الزوجات من بعدها إلا لإيجاد روابط المصاهرة وتأليف القلوب وتحبيب القبائل لنشر الدعوة وليوجد بينه وبين أصحابه وكبار قومه صلة قوية ورابطة متينة بسبب المصاهرة لأن ذلك مما يساعده ويشد أزره ويقوي دعوة الاسلام .

هذه الصفات الجليلة هي خلق نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وله صفات مثالية أخرى قد تمثلت في: عفوه، وشجاعته، وكرمه ، ووفائه، وتواضعه، وزهده، وعبادته، ووقاره

ومرؤته، وحيائه، ووصفه، وجهاده، وتبليغه، وصبره، وشمائله الكريمة، ولا بأس بأن

نعطّر جلستنا بذكرها وإن طال بنا المقام وذلك لكي نتعلم منه أيضاً(صلى الله عليه وآله وسلم)كيف نزين نفوسنا بزينة الأخلاق الاسلامية التي اتصف بها الاله بعض ذلك بالتسلسل فيما يلي: أولها عفوه العظيم. جاء من طريق العامة أنه لاله كان قائلاً تحت شجرة وحده والصحابة قائلون فتصدى له غورث بن الحارث . فلم ينتبه رسول الله إلا وهو قائم والسيف صلتاً في يده فقال : من يمنعك مني؟

فقال الله، فسقط السيف من يده، فأخذه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال من يمنعك مني؟

قال: عفوك ولكن خير آخذ ، فتركه وعفا عنه، فجاء الى قومه فقال : والله جئتكم من عند خير الناس .

والأمثلة الدالة على عفوه العظيم كثيرة لا يمكن حصرها وإنما نذكر بعضها للتبرك والافتداء به(صلى الله عليه وآله وسلم)وذلك زيادة على ما تقدم فنقول: المثال الأول : قيل : أنه لم اشتد إيذاء المشركين يوم أحد عليه(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أصحابه، شق ذلك على الصحابة وقالوا : يا رسول الله لو دعوت عليهم. فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة اللهم اهد قومي فاتهم لا يعلمون».

المثال الثاني : قيل : إنّ أعرابياً جذبته برادته جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقة الشريق، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: المال مال الله وأنا عبده ، قال : ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟ قال: لا

قال : ولم؟ قال : لأنك تعفو وتصفح ولا تكافيء بالسيئة السيئة ، فضحك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ثم أمر عليه الصلاة والسلام أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر.

المثال الثالث : قيل : إنّه جاءه(صلى الله عليه وآله وسلم) زيد بن شعثة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه فجذب ثوبه عن منكبيه ، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ، ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مطل ، فانتهره عمر بن الخطاب وشدد له في القول والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يتسم ويقول(صلى الله عليه وآله وسلم) : أنا : أنا وهو كئنا الى غير كئنا الى غير هنا منك أحوج يا عمر، تأمرني تأمرني بحسن القضاء

وتأمره بحسن التقاضي، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لقد بقي من اجله ثلاث، وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً بما روعه ، فكان سبب اسلامه.

المثال الرابع : قيل : إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة وقد حطم الاصنام التي عند الكعبة وقال: ما تقولون إنني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أقول لكم كما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

المثال الخامس : قيل : إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأبي سفيان وقد سیر إليه الأحزاب وقتل عمّه وأصحابه ومثل بهمفعا عنه ولاطفه في القول : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تشهد أن لا اله الا الله ؟

ب : «شجاعته العظيمة» والامثلة عليها كثيرة أيضاً :

أولها : قيل : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في يوم حنين وقد فرّ المسلمون ولكنّ رسول الله بقي ثابتاً وهو يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، ونزل (اذ

تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم).

ثانيها : ما جاء عن مولانا أبي الحسن أمير المؤمنين الا انه قال : كنا اذا حمى البأس واشتد الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثالثها : ما جاء عن عمران بن حصين أنه قال : ما لقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتيبة الا كان أول من يضرب.

رابعها : قيل انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يوم أحد وقد شدّ أبي بن خلف على فرسه وكان يقصد إصابة النبي الله فاعترضه رجال من المسلمين ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) هكذا أي خلّوا طريقه ، فتناول عليه الصلاة والسلام : الحربة من الحارث بن الصمة فطعن بها أبي بن خلف في عنقه تدأداً بها عن فرسه أي تدحرج وكسر ضلعاً من اضلاعه فرجع الى قريش يقول : قتلني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم يقولون : لا- بأس عليك ، فقال : لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم وقال لهم : والله لو بصق علي لقتلني ، ثم مات ابن خلف بسرف في ققولهم الى مكة . ت : « كرمه العظيم » وتناول منه ما يلي :

الأول : ما جاء في السيرة انه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما سئل عن شيء فقال لا ، وكان أجود الناس بالخير ، واجود ما كان في شهر رمضان ، وكان اذا لقيه جبرائيل أجود بالخير من الريح المرسلة.

الثاني : قيل : إن رجلاً سأله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع الى قومه وقال : أسلموا فإنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر ، وقيل : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى غير واحد مائة من الابل ، وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة.

الثالث : قيل انه (صلى الله عليه وآله وسلم) اكرم عمّه العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها .

الرابع : قيل أنه جاءه رجل فسأله فقال : ما عندي شيء ولكن اتبع علي فإذا جاءنا شيء قضيناها ، فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك ، فقال له رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخش من ذي القرش إقلالاً، فتبسم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعرف البشر في وجهه وقال : بهذا أمرت.

ث : « وفأوه العظيم» وله في ذلك مواقف مشهودة نذكر بعضها فيما يلي :

الأول : قيل : إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في انتظار لمن وعده بالمجيء ثلاثة أيام مكان الوعد . وقد نسي الفتى الوعد فجاء بعد ثلاث ، فوجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتظره في مكانه فقال : يا فتى لقد شققت عليّ أنا هنا منذ ثلاث انتظرك، وذلك قبل البعثة .

الثاني : ما جاء في السيرة انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرسل الهدايا الى صديقة خديجة (عليه السلام) بعد وفاتها ويقول : إنها كانت تحب ، خديجة أنها كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد من الإيمان .

الثالث : أنه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) وضع ثوبه ليقعد عليه أبوه من الرضاع وأمه من الرضاع ويصلهم بكثير من الهدايا وقد ضمّ إليه أخاه من الرضاع فأكرمه .

الرابع : قيل : انه وفد عليه وفد للنجاشي فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخدمهم ، فقال له

أصحابه : نكفيك ذلك ، فقال : انهم كانوا لأصحابنا مكرمين واني أحب أن أكافئهم . الخامس : قيل انه(صلى الله عليه وآله وسلم)بعد فتح مكة قال للأَنْصار «المحيا محياكم والممات مماتكم وعاد الى الانصار في المدينة وسلم مفتاح الكعبة الشريفة لعثمان بن طلحة وقال: اليوم برّ ووفاء .

وبالجملة انه(صلى الله عليه وآله وسلم)كان سيّد الأوفياء فقد كان وفاؤه مع الخالق سبحانه ومع الخلق أجمعين . فكان أول العابدين الله تعالى عظيم البر لعباد الله.

ج : «تواضعه» (صلى الله عليه وآله وسلم)ولا يخفى ان هذه الصفة الحميدة هي من أبرز الصفات النبيلة الرفيعة التي كان يتصف بها فكان(صلى الله عليه وآله وسلم)أشد الناس تواضعاً وأعدمهم كبراً، وكان يقول: انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولقد كان يركب الحمار ويردف خلفه ، ويعود المساكين ويجالس الفقراء ، ويحيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم وحيثما انتهى به المجلس جلس ، ويجمع

الحطب مساعدة لأصحابه .

ومن التواضع الرفيع الذي امتاز به(صلى الله عليه وآله وسلم)أكثر من غيره انه كان يحلب شاته بيده الشريفة ، ويرقع ثوبه ويخفف نعله ويخدم نفسه ، ويقم البيت ، ويعقل البعير ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخدم ، ويعجن ، ويحمل بضاعته من السوق ويقول : صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله.

وقيل انه(صلى الله عليه وآله وسلم)علم فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه الشريف على رحله تواضعاً لله تعالى واحتراماً لبيته، وقد مرّ عليك الكثير من الامثلة الدالة على تواضعه العظيم فيما تقدم .

ح : «زهده العظيم» ولا يخفى على أحد انّ الزهد في هذه الدنيا من الصفات العالية التي يمتاز بها الصالحون من عباد الله تعالى ، واذا كان كذلك فمن ي ترى أولى من الرسول أن يتصف به ولذا انه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما شبع ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى لقي الله عزّ وجلّ ، وأنه ما ترك ديناراً ولا درهماً ، ولا شاة ولا بعيراً، ما ترك إلا

سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة . وقد عرض عليه أن تجعل له بطحاء مكة ذهباً فأبى، ويقول: أجوع يوماً فأتضرع إلى الله تعالى واشبع يوماً فأحمد الله وأثنى عليه ، ويقول : لجبريل الذي عرض عليه يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له ، وقد يجمعها من لا عقل له .

وقيل : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ، وهو يدعو ويقول : «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» وكان بيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء ويمكث أهل الهلال والهلال على التمر والماء .

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : مالي وللدنيا ، وما وضع لبنه على لبنه ويقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة. ويقول: «ما يسرني أن لي أحداً ذهباً بيت عندي منه دينار إلا ديناراً أرصده لديني» .

خ : عبادته وخوفه من الله تعالى « جاء في السيرة انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقوم الليل في صلواته حتى تورّمت قدماه الشريفه فقليل له : أتتكلف هذا وقد غفر لك الله تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أفلا أكون عبداً شكوراً ، ويقول : (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) .

ولقد كان كثير الصيام كثير القيام في الصلاة ويسمع من صدره الشريف وهو الصلاة أزيز كأزيز الرحى أو المرجل من كثرة بكائه ، وكان كثير الاستغفار والذكر ، وكان لا يمر في صلواته وقراءته بآية رحمة إلا وقف يسأل ، ولا بآية عذاب إلا وقف وتعوذ ، وكان أكثر دعائه : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

ويقول : «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعداء تجارون الى الله» .
ويقول : «ان عيناى تنامان ولا ينام قلبي» .

وكان اشد الناس خشية من الله تعالى ، حلمه يسبق غضبه ، وكان دائم العبادة لله تعالى وهو أول العابدين .

د: «وقاره العظيم ومرؤته» فقد امتاز(صلى الله عليه وآله وسلم) بالوقار العظيم المتمثل في كثرة سكوته فانه لا يتكلم في غير حاجة ، وكان ضحكه تبسماً ، وكلامه فضلاً لا فضول ولا تقصير ، وكان اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وعلم وأمانة لا ترفع فيه الأصوات.

وكان إذا مشى، مشى مجتمعاً يخطو تكفوفاً، ويمشي هوناً كأنما يخط من صلب وكان عليه الصلاة والسلام يحدث حديثاً لوعده العاد أحصاه من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، ومن سمع به آمن بالله وبرسالته.

ومن مرؤته(صلى الله عليه وآله وسلم)نهيه عن النفخ في الطعام والشراب، وامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وخصال الفطرة، والثاني في الامور، وكان(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم)أوقر الناس في مجلسه، لا- يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان أكثر جلوسه محتبياً وبتربع، وربما جلس القرفصاء .

وكان أمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأعظمهم رأياً واصدقهم لهجة وكان يسمى قبل نبوته بالأمين مطاع ثم أمين وكان أرجح الناس عقلاً، ويكرم من يدخل عليه. وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه ان أبي، ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم اليه وقد مرّ عليك فيما تقدم بأنه(صلى الله عليه وآله وسلم) يكنى .

ذ: «حياؤه عظيم ولقد كان نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام أشد حياء من غيره من الأنبياء الكرام الذين تقدموه، وكان لطيف البشرية، رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بم يكره وكان يقول : ما بال أقوام يصنعون كذا او يقولون كذا ولا يسمى فاعله.

ومن حيائه عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يثبت بصره في وجه أحد وكان يكثر بالألفاظ التي يكره ذكرها وقد مر عليك فيما تقدم بأنه يكنى.

وكان أشد الناس حياء، واكثرهم عن العورات إغضاء «ان ذلك كان يؤذي

النبي فيستحي منكم»، ويقول: «ان الحياء من الايمان» .

ولم يكن فحاشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح واذا خرج لقضاء حاجته أبعده لاتراه الأعين، ويقول: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: «اذا لم تستح فاصنع ما شئت» فهو معدن كل خير، رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء .

ر: «وصفه العظيم» ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) أبيض اللون مشرباً بحمرة، واسع الجبين، عظيم الرأس حسنه، مستقيم الجسم، عظيم الجبهة، رقيق الحاجبين مقرونها، جميل العينين والاجفان، جميل الأنف واضح الخدين، كث اللحية أسودها واسع الفم الشريف، قوي الأسنان، عظيم الكتفين، ضخم العظام، جميل الكفين والقدمين، وبين كتفيه خاتم النبوة، عظيم الأصابع، لين الراحتين، واسع الصدر، سهل البطن، جميل المحيا، وسط القامة، وهو الى الطول أقرب شديد سواد الشعر، حسن الصوت وما تئاب قط ولا احتلم يخاطب كل انسان على قد عقله سهل الخلق، لين الجانب قد كمل فيه جوهر الحسن والهيبة والجمال والطيب والوقار.

ز: «جهاده في سبيل الله تعالى»، ويشهد له بذلك غزواته الكثيرة التي قادها من أجل إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض ومن أجل توحيد المجتمع على عبادة رب واحد لا شريك له ولا شبيهة وقد كانت كالتالي:

- 1 - غزوة ودان: «الابواء» ولم يلاق (صلى الله عليه وآله وسلم) قريشاً فحالف بني ضمرة وخرج معه مئتان من أصحابه المجاهدين .
- 2 - غزوة بواط: «ناحية جبل رضوى» ولم يدرك (صلى الله عليه وآله وسلم) قافلة قريش وخرج معه من أصحابه المجاهدين مئتان .
- 3 - غزوة العشيرة: وقد وادع (صلى الله عليه وآله وسلم) بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة وخرج بمأتين من أصحابه .
- 4 - غزوة بدر الاولى: وقد فرّ المشركون ولم يستطع المسلمون أدراكهم

وخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) بمأتين من أصحابه .

5 - غزوة بدر الكبرى : وقد انتصر المسلمون فيها على قريش وخرج عليه الصلاة والسلام ومعه «315» من أصحابه على فرسين وسبعين بعيراً وعدد أعدائهم «950».

6 - غزوة بني قينقاع : وقد تطهره المدينة منهم على أيدي المسلمين.

7 - غزوة بني سليم : وقد فر فيها بنو سليم وغطفان وتركوا أموالهم للمسلمين وكان عدد المجاهدين مائتان بين راكب وماش.

8 - غزوة السويق : وقد فرت قريش من مطاردة المسلمين .

9 - غزوة ذي أمر : « موضع في نجد » وقد فر بنو ثعلبة ومحارب وبقية المسلمون في ديارهم حوالي مدة شهر وكان عددهم «450» بين راكب وماش.

10 - غزوة بحران : وقد فر بنو سليم فبقية المسلمون في ديارهم مدة شهر، وكان عدد المجاهدين «300» بين راكب وراجل .

11 - غزوة أحد : استشهد سبعون ثم أيد الله المسلمين بالنصر واخزي الكافرين وكان عدد المجاهدين «700» بينهم خمسون فارساً وكان عدد الأعداء «3000».

12 - غزوة حمراء الأسد : وقد طارد المسلمون قريشاً وخلفاءها الى حمراء الأسد بعد انتهاء معركة أحد مباشرة ولكن المشركين فضّـلوا الانسحاب الى مكة وكان عدد المجاهدين

«630» وأعداؤهم زهاء ثلاثة آلاف .

13 - غزوة بني النضير : وهم اليهود من بني النضير وقد أجلاهم المسلمون عن ضواحي المدينة .

14 - غزوة ذات الرقاع(1): وقد فر بنو ثعلبة وبنو محارب .

15 - غزوة بدر الآخرة : عادت قريش أدراجها الى مكة ولم تذهب للقاء

ص: 396

1- غزوة ذات الرقاع موضع بنجد .

المسلمين في بدر حسب الموعد .

16 - غزوة دومة الجندل : وفيها فرت القبائل وكان عدد المجاهدين الف راكب وراجل . 17 - غزوة بني المصطلق : وفيها فر بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين وكان عدد المجاهدين فيها ألف راكب وراجل .

18 - غزوة الخندق : وقد عاد الأ-حزاب من حصار المدينة خائبين . وكان عدد المجاهدين ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف وعدد وعدد الأعداء «10» عشرة آلاف من قريش وبني سليم وفزارة وأشجع وغطفان ويهود من بني قريظة .

19 - غزوة بني قريظة : وكان فيها القضاء على بني قريظة .

20 - غزوة بني لحيان : فقد فر بنو لحيان وكان عدد المجاهدين «200» راكب .

21 - غزوة ذي القردة : فقد فر بنو غطفان وتركوا الغنائم التي أخذوها من المسلمين .

22 - غزوة الحديبية : وفيها عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش .

23 - غزوة خيبر : وفيها سقطت خيبر واستسلم يهود فدك ووادي القرى وتيماء وكان عدد المجاهدين «1400» بين راكب وراجل .

24 - غزوة فتح مكة : وكان عدد المجاهدين عشرة آلاف وكان فيها النصر والفتح المبين .

25 - غزوة عمرة القضاء : وفيها بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج عنها المشركون ، وهذه معركة معنوية لا معركة ميدان .

26 - غزوة حنين : وفيها اندحرت هوازن وثقيف ، وكان عدد المجاهدين «12» الفجندي بين راكب وراجل وذلك في وادي حنين قرب الطائف .

27 - غزوة حصار الطائف : وكان عدد المجاهدين «12» ألف جندي

ص: 397

وتمردت فيها ثقيف وبعض هوازن .

28 - غزوة تبوك : وكان عدد المجاهدين «30» ألف جندي صالحوا فيها القبائل وسكان منطقة الحدود بين الحجاز والشام فامنوا بذلك قاعدة أمينة لحركاتهم المقبلة .

هذه غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على شجاعته وعظيم بأسه وجهاده في سبيل الله تعالى وسوف يأتي بيان أهمها على وجه التفصيل في جلسة مقبلة ان شاء الله تعالى .

«تبليغاته» : لقد عمّ الدعوة (صلى الله عليه وآله وسلم) وبلغ الرسالة ، ونصح الناس ، وبدأ بانذار عشيرته الأقربين كما بينا ذلك فيما تقدم، وأرسل كتبه ورسله الى جميع العشائر والقبائل ، ثم ارسل الى الملوك والامراء يرشده الى الاسلام ويدعوهم الى الدين الحنيف.

«صبره» : ولا يخفى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تحمّل ما تحمّل في سبيل الله فصبر على ابداء المشركين والمنافقين والمستهزئين.

قالوا له : لست مرسلًا، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : (يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) .

وقالوا : مجنون ، فقال اللهُ تَعَالَى : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) .

وقالوا ، شاعر ، فقال اللهُ تَعَالَى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) .

وقالوا : قلاه ربه ، فقال اللهُ تَعَالَى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) .

وقالوا : كاهن ، فقال اللهُ تَعَالَى : (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) .

وقالوا : شاعر ترتبص به ريب المنون فقال اللهُ تَعَالَى : (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) .

وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟! فقال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) .

وكانوا يستهزون به فقال الله تعالى : (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)

وكانوا يمكرون به فقال الله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) .

وقالوا : اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه : (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ) .

وكان المنافقون يكذبون عليه الا الله ويقولون : نشهد أنك لرسول الله . فقال الله

تعالى : (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) .

هذا ما فعله أعداء الاسلام بهذا النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تحمل كل ذلك منهم بصدر رحب وصبر على ما أصابه من بلائهم واستهزائهم وخداعهم ومكرهم وغير ذلك من صنوف الأذى والمحن .

كما ان المنافقين لم يتركوا جهدهم في المبالغة في اذيته حتى وهو على فرش السقام حيث جعلوا يتنازعون الأمر وهو محتضر بينهم .

جاء في الحديث عن ابن عيينة عن سلمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، ثم قال : اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه يوم الخميس فقال : اتتوني بكتاب لکم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا اهجرو رسول الله ؟ قال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا أو بنحو ما كنت اجيزهم ، ونسيت الثالثة (1)

وفي نفس الكتاب المذكور صفحة 88 : عن محمد بن رافع وعبد بن حميد

ص: 399

1- محمد وعلي بنوه : 85.

قال: أخبرنا ، وقال ابن رافع: حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر، عن الزهري عن عبيد الله بن بن عبد الله بن عتبة عينة خ ل عن ابن عباس قال : لم حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب - فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : - هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله تعالى فاختلف أهل البيت فاختموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً لن تضلوا، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قوموا .

قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم .

من هنا نعلم كيف ان المنافقين لم يتركوا أذية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو لحظة من لحظات حياته المباركة فقد كان كما قلنا فوق فرش السقام وهم يؤذونه بفحش السلام مع العلم أنه لعل الله لم يرد أن يقول شيء يضرهم انما أراد أن يقول مقالة تنفعهم وأن يؤكد وصية سبقت وهي في صالحهم ، أراد ان يؤكد بندائه في علي (عليه السلام) ذلك النداء العظيم الذي كان منه (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما كان في رمضان الهجير تلك الوصية حيث وضع له منبراً من أفتاب الابل واستوى عليه ونادى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأعلى صوته ويده في يد علي (عليه السلام) وقال : أنها الناس الست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله، فرفع بضبع علي (عليه السلام) حتى رأى الناس بياض ابطيهما وقال: من علي كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من ولاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله والعن من خالفه وادر الحق معه حيث ما دار ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، حتى تداركوا على أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبيعة الاول والثاني والثالث وباقي المهاجرين والأنصار على طبقاتهم وباقي الناس كافة حتى صليت العشاء والعمرة في وقت واحد وفضلوا التعاقد والمصافحة ثلاثاً هذا ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلما بايع قوم: قال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وصارت المصافحة سنة

ورسماً يستعملها من ليس له فيها حق .

ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينصب لعلي (عليه السلام) خيمة يجلس فيها ويسلم عليه بإمرة المؤمنين لتأكيد الحجة عليهم فأول من أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأول والثاني أن يسلموا على علي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين . قالوا : أمر من الله ؟ قال : نعم فقال الأول عند دخولهما عليه : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وقال الثاني بخ بخ لك يا علي أصبحت اليوم مولاي ومولى كل القوم وهنّوه بالخلافة ، ثم أمر الثالث وعبد الرحمن أن يقوموا ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين فقالوا : أمر من الله ؟ قال نعم ، فقاما وسلّموا عليه .

ثم أمر طلحة والزبير وسواد بن مالك أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين قالوا : أمر من الله ؟ قال نعم ، فقاموا وسلّموا عليه ، ثم أمر أبا ذر وسلمان أن يسلموا عليه فقاما وسلّموا ولم يسألوا شيئاً لأنهما مصدّقان ، ثم أمر خزيمه بن ثابت و ابا الهيثم بن مالك ، فقاما وسلّموا ولم يسألوا ، ثم أمر بريدة بن حصيب وأخاه فقاما وسلّموا ، وأمر باقي المهاجرين والأنصار أن يسلموا عليه فبعضهم يسأله وبعضهم يقوم من غير سؤال حتّى لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا وسلموا عليه ، ثم أمر باقي الناس على طبقاتهم وجميع البوادي وأهل القرى من المسلمين فدخلوا على أمير المؤمنين (عليه السلام) فوجاً فوجاً وهنّوا بالخلافة وسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، ثم أمر أزواجه ونساء المؤمنين أن يدخلن ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن ذلك وسلّمن عليه .

وعن ابن عباس وحذيفة قالوا جميعاً والله ما برحنا من مكاننا الذي كنا فيه حتى نزل جبرئيل (عليه السلام) بهذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : الحمد لله على اكمال الدين واتمام النعمة ورضنا الرب سبحانه برسالتى اليكم والولاية لعلي (عليه السلام) ، فعندها قام حسان شاعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله ، أتأذن لي أن أقول ما يرضى الله

ورسوله ؟ فقال له : قل ، فوقف حسان على نشز من الأرض فتناول الناس لاستماعه فانشأ يقول :

يناديهم يوم الغدير نبينا*** بخم واسمع بالني مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربّه*** بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلغهم ما أنزل الله ربهم*** اليك فلا تخشى هناك الأعاديا
وقام به إذ ذاك رافع كفه*** بكفّ عليّ معلن الصوت داعيا
وقال فمن مولاكم ووليكم*** فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا
الهك مولانا وأنت ولبنا*** ولا تجدنّ فينا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فاني*** رضيتك من بعدي إماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهذا وليّه*** فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه*** وكن للذي عادى علياً مفاديا
فيا ربّ انصر ناصريه لنصره*** إمام مهدي كالبدر بين الدياتيا
ولنعم ما قال الحكيم الفرطوسي في ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام):
إن خير الاعمال حبّ علي*** لكمال الإسلام في الحنفاء
وهي أصل الايمان بدءاً وشرط*** لقبول الأعمال عند الأداء
حيث نص التبليغ فيها أانا*** بعد نص الاطعام للفقراء
وأانا « لتسئلنّ » حثيثاً*** عن نعيم الولاة يوم البقاء
وأانا نص التصديق فيها*** بأداء الزكاة عند الدعاء
وحديث الغدير وهو شهير*** مستفيض كالغرة البيضاء
يوم قال النبي من كنت مولاه*** فعليّ مولاه دون افتراء
لايجاز الصراط إلا بصك*** من علي موقع بالولاة
ويماز النجار طيباً وخبثاً*** بعليّ في الحبّ والبغضاء

هو عين الاله ميزان حق *** للبرائسا وسيد الأوصياء

ص: 402

وقسيم الجنان والنار حقاً*** وهو ربّ اللوا وساقى الظماء

نصر الله ناصر به بحق*** فهم الفائزون يوم الجزاء

وقال أيضاً فما اوصى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته بطاعة علي (عليه السلام):

قال طه للناس إن علياً*** هو مولاكم بفرض الولاء

قائد للجنان فاتبعوه*** واقتدوا في هداه خير اقتداء

عالم مرشد لكم عززوه*** واهتدوا فيه أحسن الاهتداء

وأطيعوا منه الأوامر فيما*** قاله وانتهوا بخير انتهاء

وأحبوا الوصي حقاً لحبي*** كل هذا بأمر رب السماء

وقال أيضاً: إن الله تعالى قد اختار علياً وصياً لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

قال طه نوديت عند بلوغي*** سدرة المنتهى بخير نداء

أي عبد وجدته من عبادي*** لي اذني من بعد حسن البلاء

قلت ربي اني وجدت علياً*** لك في الخلق اطوع الامناء

قال ربي فهل نصبت وصياً*** لعبادي من خيرة الاوصياء

يعلم الخلق من كتابي ما لا*** يعلم الخلق عند وقت الأداء

كلّ من ابغضوه قد ابغضوني*** ومحبي محبه في الولاء

قلت ربي اختر لي فقال علياً*** أنا اختاره من الأصفياء

أنا أيدته بعلمي وحلمي*** فهو نور الابرار من أوليائي

وأمر للمؤمنين بأمري*** ومنار للحق والاهتداء

غير أنني خصصته ببلاء*** لا يضاهي من عظمة في بلاء

قلت ربي أخي فقال بعلمي*** قد جرى الأمر سابقاً وقضائي

وقال أيضاً: ليس للخلق اختيار الامام :

ومقام الامام منصب قدس *** كمقام النبي سامي العلاء

فكما لا يجوز نصب نبي *** للبرايا من سائر الانبياء

ص: 403

بدأ لا يجوز نصب وصي *** لهم من أمائل الاوصياء
بعد جهل منهم بمن هو أولى *** فيه حقاً من سائر الرؤساء
وقصور عن علمه وهو أسمى *** أفقاً من مدارك الجهلاء
مع أن الاهواء شتى ويجري *** كل فرد منهم مع الأهواء
فمتى يصلح اصطفاء البرايا *** بعد هذا له هذا له بخير اصطفاء
ودليل الوجدان يشهد صدقاً *** وعياناً في سيرة الخلفاء
حينما يعزلون من نصبوه *** بعد كل الوثوق من امراء
لظهور الاغلاط فيما ارتأوه *** من صواب وهم من الخبراء
كل هذا للجهل بالأمر منهم *** والتأني عن واقع متنائي
وشروط الامام منها وجوباً *** عصمة عن قبائح الأخطاء
وهي محجوبة عن الخلق طراً *** دون رب العباد بعد الخفاء
فاختيار الامام الله حقاً *** وحده دون سائر الحنفاء
عالم الغيب والشهادة والعقل *** بهذا يقضي أتم قضاء
وقال أيضاً : ان الاهمال محال :
و محال على إله البرايا *** بعد ارسال خاتم الانبياء
وثبوت التكليف للخلق منه *** وبقاء الأحكام طول البقاء
أن يُقرّ الاهمال للخلق منه *** وهو أمر محقق الانتفاء
فهو لا بد أن يقيم وصياً *** لهم بعد خاتم الأزكياء
يرشد الخلق قاطعاً كل عذر *** للبرايا بحجة بيضاء
و محال على نبي حكيم *** مرسل منه في بني حواء
أن تبقى سدّى جمع البرايا *** بعد فقدانه بغير اهتداء

تاركاً للعباد منه كتاباً*** ذا وجوه مستورة برداء

وهو في غاية التشابه يكسى*** من ثياب الاجمال أي كساء

ص: 404

كل شخص يميل منه لمعنى *** معملاً فيه قاصر الآراء
وهو للخلق لا يقيم رئيساً *** بعده عالماً عالماً بكل خفاء
يرجع الناس في الخلاف اليه *** جامعاً شملهم بخير لقاء
مع أنّ التكليف في الخلق باقٍ *** ثابت فيهم بغير انتفاء
ومتى تؤمن العقول بهذا *** وهو نقض لحكمة الحكماء
وقال الامام : انه حفظ للنظام :

وسليم العقول يحكم قطعاً *** دون شك بفطرة العقلاء
ان رب العباد لا يرب يقضي *** للبرايا بأصلح الاشياء
فهو لا بد أن يقيم رئيساً *** لهم عالماً بكل خفاء
يرشد الناس للهداية منه *** بعد تعليم سائر الجهلاء
ويردّ الخلاف منهم اليه *** باتفاق ما بينهم والتقاء
وتحلّ المنازعات بعدل *** منه ما بين سائر الغرماء
مصلح للحياة أمناً وقسطاً *** منهم دون خيفة واعتداء
ينقذ الناس في المعاد اتباعاً *** لهداه في أحسن الإقتداء
ونظام الدنيا مع الدين يمسي *** مستقيماً فيه بحدّ سواء
ومتى يستقيم أمر الرعايا *** في جميع الدنيا بلا أمراء
وقال في قاعدة اللطف :

والامام الهادي شعاع رشادٍ *** من نبي الهدى وفيض صفاء
واجب نصبه بلطف خفي *** للبرايا على اله السماء
بعد تبعيدهم عن الفيء فيه *** مع تقريبيهم لكلّ اهتداء
فهو لطف على الخلائق منه *** فيه تقضي مدارك العقلاء

لانتصاف المظلوم من كل باغ *** متعد الظلم والإعتداء

عند ردع العدوان فيه عن *** الخلق وحفظ الحقوق للضعفاء

ص: 405

مع جمع الشمل المفروق فيه*** ما استظلوا من عدله بلواء

علم تهتدي الخلائق فيه*** و منار للعلم والعلماء

وتقام الحدود فيه بحق*** وبه يستقيم عدل القضاء

و تشاد الأركان للدين فيه*** بعد أحكامها بأرسي بناء

فيؤدي الجهاد والأمر*** بالمعروف في عهده بخير أداء

ولو أن الامام يترك منه*** دون نصب له على الحنفاء

لتفشي الخلاف من دون حكم*** فيه تقضى خصومة الخصماء

وصنوف الأحكام تبطل ممّا*** ودرت في الشريعة الغراء

دون فتوى بها ودون مقيم*** بقضاء لها من الفقهاء

وأصاب الأركان للدين نقص*** بعد تعطيلها بلا بناء

وتداعى الاصلاح فيهم فساداً*** دون ما مصلح لعظم البلاء

بعد هذه التصريحات الواضحة والمقالات الناصعة والبيانات اللائحة يصح ان يقال ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مات ولم يوص أو يقال عنه وهو على فرش السقام إنه يهجر عندما أراد أن يؤكد الوصيّة حيث طلب من القوم دواة وكتف لكي يكتب لهم كتاباً حتى لا يضلوا أليس نسبة الرسول إلى الهجر في ذلك المقام دليل على جهل القوم من جهة وأذية الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة أخرى ومع ذلك فانه ذلك فانه صبر على تلك الأذية التي لم يكن مثلها أذية حلت بالاسلام ونبيه الكريم.

نعم، لقد أذى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى فارق الحياة الدنيا وقد أظلم وجه الكون لفقده وكورت الشمس ثوب الأحزان وبكت عليه عيون المسلمين، ونعاه جبرئيل في عالم السماء ولم تستطع الزهراء سلام الله عليها أن تملك نفسها وهي تنظر في وجهه وقد غيرته السموم دون أن نادى وأبتاه وأحبيباه وهي باكية حزينة :

إذ بكت شجواً أباهاً*** ببكا أشجي عداها

لم تقتر عن بكاهاً*** في ضحاهها ودجاها

وكأني بها ان تودعه ودموعها جارية :

قامت تودع للنبي وادموعها هماله*** يا شاييلين المصطفى بالهوان يا شياله

وانتو بعد يولادي راح الذي يحميكم*** من بعد عينه يا بني منهو الذي يكفلكم

وآني الذي رملني وانتوا الذي يتمكم*** ام آني يولادي عنكم آني شياله

لزمت ضريح الهادي او صاحت ابصوت عالي*** يا والدي يا محمد ليتك تعانين حالي

صرت ابهضم وامذله والههم شاغل بالي*** اتمنت آني قبلك يابه آني شياله

وبالنار حرقوا بيتي او الباب كسروا ضلعي*** ما حد بقي يا والدي بعدك ينشف دمعي

ارثي امنعوني منه او باحبال قادوا سبعي*** او دخلوه بوسط المحراب ليتك تعانين حاله

بعدك بخبرك بالعدى رادوا به ايقتلونه*** وصل ضريحك يبكي ويهمل دمع اعيونه

يا مصطفى من قبرك انهض عسى ايخلونه*** ليت المدينه بعدك حلت بها زلزلة

جارت عليه الامة او غصبوا حقه عنه*** يا والدي يا محمد نالو الضغابين منه

وآني اضلوعي امكسره واجدب عليك الونه** والناس كلها ابدشه في مشكلة او زلزلة

ص: 407

اولزمت بضريح الهادي او في الحال صارت ظلمه* او في الحين جاها المرتضى ايكفكف دموعه ابكمه

قلها يزهرها والدك رحمه لهذي الامة*** ردت تحن او تنتحب وادموعها هماله

نعم، رجعت إلى المنزل ولسان حالها يقول :

من قبل صوته المصطفى ليته دفني*** هلي وصابي كسر اضلوعي وعصرني

ولطم رمتي وخشت اضلوعي ابطني*** حزن لقلبي للحشر هيهات ميزول

لومات واحد واندفن جسمه بالتراب*** صحبه الى أولاده ايسلوهم ابكل باب

حنا خلف بوكم ويهونوا ذاك المصاب*** بس الذي ذلها دهرها بين لنغول

وأصحاب أبويه سلوتي وتقضي اجري*** منهم حرقهم منزلي ولطمي وعصري

وتلييب زوجي ورموا بالسوط ظهري*** بعدك يطه منيتي هالعمر ميطول

من قبل موت المصطفى وظمه بلقبور*** اتمنيت جسمي راح وسط القبر مقبور

ولا كان ذلي والضلع لاراح مكسور*** ولا ارتاع قلبي والدمع لا كان منشور

لم تمض عليها إلا ثلاثة أيام بعد فقد أبيها حتى استباح القوم حرمتها وهجموا عليها دارها بغير إذنها:

هجموا عليها ابغير اذنها في خدرها*** والجزل معهم والدعي الثاني انتهرها

حامل وبين الباب والحايط عصرها*** ومن شد عصرتها سقط محسن بلتراب

ولن أفاقت صاحت ابفضه ادركيني*** كسروا اضلوعي سقطوا مني جنيني

فضة عرفتي اللي لطمني فوق عيني*** واللي اضلوعي كسر الها بصفحة الباب

ماصار في النسوه مثلي طول الدهور*** وبس مات ابويه واندفن جسمه بالقبور

متي اتورم بالضرب والضلع مكسور*** فضة ولا حرمت بقت لي بين لصحاب

ولا ننسى المشابهة بين الصديقة الطاهرة وابنتها زينب فان الصديقة قد ضربت واستبيحت حرمتها بعد وفاة أبيها بثلاثة ايام كما قلنا، والسيدة

الابنة قد

ضربت واستتيحت حرمتها بعد مقتل أخيها الحسين(عليه السلام) بثلاثة أيام ، والصديقة عقدت على أبيها العزاء في دار الأحزاب ، والسيدة زينب(عليها السلام) عقدت على أخيها الحسين (عليه السلام) في دار يزيد لعنه الله بالشام مأتم العزاء، وكان ذلك المأتم هو أول مأتم عزاء نصب الى أبي عبد الله(عليه السلام) ، ثم أخذت مجالس العزاء والنياحة على الحسين(عليه السلام) تشق طريقها وتزداد شيئاً فشيئاً مع مرور الزمان حتى عصر مولانا الصادق(عليه السلام)، فكان سلام الله عليه يعقد مجالس العزاء على جده الحسين في أيام عاشوراء ويحضر تلك المجالس التي كان يعقدها الصادق(عليه السلام) الكثير من الشعراء يرثون الامام الحسين(عليه السلام).

يقول معاوية بن وهب دخلت يوم عاشوراء الى دار مولاي جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) فرأيتة ساجداً في محرابه فجلست من من ورائه حتى فرغ فأطال في سجوده وبكائه فسمعتة يناجي ربه وهو ساجد وهو يقول : اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة، وحملنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الامم السالفة، وخصنا بالوصية، وجعل أفئدة من الناس تهوي الينا، اغفر اللهم لي ولإخواني ولزوار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) الذين أففقوا أموالهم في حبه وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا، ورجاء لما عنده في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك ، اللهم فكافهم عنا بالرضوان واكأهم بالليل والنار واخلفهم في أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا أحسن الخلف، وأكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد ، وشر شياطين الإنس والجنّ ، وأعطهم أفضل ما أملوه منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقرابتهم ، اللهم ان اعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص الينا خلافاً منهم على من خلافنا فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على قبر أبي عبد الله الحسين(عليه السلام)، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي حزنت لأجلنا واحترقت بالحزن، وارحم تلك الصرخة التي كانت

لأجلنا اللهم اني استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش الأكبر، وتدخلهم الجنة، وتسهل عليهم الحساب، إنك أنت الكريم الوهاب.

قال : فما زال الامام(عليه السلام) يدعو لأهل الايمان ولزوار قبر الحسين(عليه السلام) وهو ساجد في محرابه، فلما رفع رأسه أتيت اليه وسلمت عليه وتأملت وجهه فاذا هوا

كاشف اللون متغير الحال ظاهر الحزن ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب .

فقلت : يا سيدي مما بكاؤك لا أبكي الله لك عيناً؟ وما الذي حلّ بك؟ فقال لي : أو في غفلة أنت عن هذا اليوم؟ أما علمت أن جدي جدي الحسين(عليه السلام) قد قتل في مثل هذا اليوم؟ فبكيت لبكائه و حزنت لحزنه فقلت له : يا سيدي فما الذي أفعل في مثل هذا اليوم ؟

فقال: يا ابن وهب زر الحسين (عليه السلام) من بعيد أقصى ، ومن قريب أدنى، وجدد

الحزن عليه، واكثر البكاء والشجوه له .

فقلت له : يا سيدي لو أن الدعاء الذي سمعته منك وأنت ساجد كان لمن لا يعرف الله تعالى لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً ، والله لقد تمنيت أني كنت زرته قبل أن أحج ، فقال لي : فما يمنعك من زيارته با ابن وهب ولم تدع ذلك؟ فقلت : جعلت فداك لم أدر ان الاجر يبلغ هذا كله حتى سمعت دعاءك لزواره، فقال لي : يا ابن وهب ان الذي يدعو لزواره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض فياك أن تدع زيارته لخوف من أحد فمن تركها لخوف من أحد رأى الحسرة والندم .

وفي الأغاني بسنده عن علي بن اسماعيل التميمي عن أبيه قال : كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد(عليه السلام) إذ استأذن آذنه للسيد الحميري(وهو اسماعيل بن محمد والسيد لقبه) « فأمر بإيصاله وأقعده حرمه خلف ستر ودخل فسلم وجلس فأستشده ، فأشده قوله :

أمرر على جدث الحسين*** وقل لأعظمه الزكيه

يا أعظماً لا زلت من *** وطفاء ساكبة رويه

وإذا مررت بقبره *** فأطل به وقف المطيه

وابك المطهر للمطهر *** والمطهرت النقيه

كبكاء معولة أتت *** يوماً لواحد المنيه

قال : فرأيت دموع الايام جعفر بن محمد تتحدّر على خديه وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالامساك فأمسك .

وهكذا حال بقية بعض الائمة عليهم في حزنهم وجزعهم عندما يدخل عليهم عاشوراء ، وكانوا يوصون شيعتهم بالنياحة والحزن على الحسين(عليه السلام) في أيام عاشوراء .

فقد كان الرضا(عليه السلام) يقول لابن شبيب : ان كنت باكياً لشيء فابكي على جدي الحسين(عليه السلام)فانه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه سبعة عشر أو ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته لم يوجد لهم على وجه الأرض شبيهه .

من هنا فقد التزم شيعة آل محمد بذلك ، وراح الأدباء والشعراء يصورون لهم تلك الحوادث المولمة التي جرت على الحسين في يوم الطف أو يوصفون حالهم في الجزع والحزن على الحسين(عليه السلام).

فقد كان بأحد شعراء الشيعة السيد حيدر الحلبي المعروف يرثي جده الامام الحسيني(عليه السلام)بهذه الأبيات التي تهز المشاعر وتفرح القلوب وتهمل مدامع العين بقوله :

عجباً للعيون لم تعد بيضاً *** لمصاب تحمّر فيه الدموع

واسا شابت الليالي عليه *** وهو للحشر في القلوب رضيع

أي يوم رعباً به رجف الدهر *** الى أن منه اصطفقت الضلوع

أي يوم بشفرة البغي فيه *** عاد أنف الاسلام وهو جديع

يوم أرسى ثقل النبي على الحتف *** وخفت بالسراسيات صدوع

يوم صكت بالطف هاشم وجه***الموت فالموت من لقاها مروع
بسيوفٍ في الحرب صلّت فللشوس***سجود من حولها وركوع
وقفت موقفاً تضيفت الطير***قراه فحوم ووقوع
موقف لا البصير فيه بصير***لاندهاش ولا السميع سميع
جلّ الافق منه عارض تقع***من سنا البيض فيه برق لموع
فلشمس النهار فيه مغيب***ولشمس الحديد فيه طلوع
أينما طارت النفوس شعاعاً***فلطير الردى عليها وقوع
قد تواست بالصبر فيه رجال***في حشى الموت من لقاها صدوع
سكنت منهم النفوس جسوماً***هي بأساً حفاظ ودوع
سدّ فيهم ثغر المنية شهم***لثنايا الثغر المخوف طلوع
وله الطرف حيث سار أنيس***وله السيفُ حيث بات ضجيع
لم يقف موقفاً من الحزم إلا***وبه سن غيره المقروع
طمت أن تسومه القوم خسفاً***وأبى الله والحسام الضيع
كيف يلوى على الدتية جيداً***لسوى الله ما لواه الخضوع
ولديه جاش أرد من الدرع***لضمانى القنا وهن شروع
وبه يرجع الحفاظ لصدرٍ***ضاقت الأرض وهي فيه تضيع
فأبى أن يعيش إلا عزيزاً***أو تجلّى الكفاح وهو صريعُ
فتلقى الجموع فرداً ولكن***كل عضو في الروع منه جموع
رمحه من بنانه وكان من***عزمه حد سيفه مطبوع
زوّج السيف بالنفوس ولكن***مهرة الموت والخضاب النجيع
بأبي كالتأ على الطف خدرأ***هو في شفرة الحسام منيع

قَطَعُوا بَعْدَهُ عِرَاهُ وَيَا حَبِيبَ *** وَرِيدِ الْإِسْلَامِ أَنْتَ الْقَطِيعِ

وَسُرُوا فِي كِرَائِمِ الْوَحْيِ أُسْرَى *** وَعَدَاكَ ابْنَ أُمِّهَا التَّقْرِيعِ

ص: 412

لو تراها والعيش جسمها الحادي*** من السير فوق ما تستطيع

ووراها العفاف يدعو ومنه*** بدم القلب القلب دمعه مشفوع

ياترى فوقه بقيّة وجد*** ملء أحشائها جوى وصدوع

فترقق بها فما هي الا*** ناظر دامع وقلب مروع

لا تسمها جذب البرى أو تدري*** ربّه الخدر ما البرى والنسوع

قوّضي يا خيام علياً نزار*** فلقد قوّض العماد الرفيع

واملاي العين يا أمية نوماً*** فحسين على الصعيد صريع

ودعى صكّة الجباه لوي*** ليس يجديك صكها والدموع

أفلطماً بالراحتين فهلا*** بسيف لا تتقيها الدرود

وبكاء بالدمع حزنا فهلا*** بدم الطعن والرماح شروع

وهكذا تجد هذا السيد الجليل في هذه الرائعة قد ألهبه الحماس واثر فيه الحزن لمصاب جده الحسين تجده كيف يصور لك ذلك اليوم الذي لم يزل أساه باقياً ما بقي الدهر .

ومن هنا فقد كان مولانا زين العابدين (عليه السلام) دوماً يتصوّر ذلك اليوم وما جرى فيه من المصائب العظام على آل محمد فواقعة الطف مانلة أمام عينيه في كل لحظة من لحظات حياته المباركة على حد قول الشاعر :

كأن كل مكان كربلاء لدى عين*** وكلّ زمان يوم عاشوراء

نعم ، ، فانه سلام الله عليه ما فتأ وما انفق يذكر أباه الحسين (عليه السلام) ويذكر مصيبتته وما وضع بين يديه طعاماً ولا شراباً إلا ومزجه من دموع عينه وهو يقول : كيف آكل وقد قتل ابن رسول الله جائعاً؟ كيف أشرب وقد قتل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عطشاناً؟

ويقال : إنّه دخل عليه في يوم من الأيام أبو حمزة الشمالي فوجده يبكي ، فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا البكاء؟ ما هذا الجزع؟ أليس القتل لكم عادة؟ ألم تكن كرامتكم من الله الشهادة؟

فقال له الامام عليه التحية والسلام :رحمك الله يا أبا حمزة كما ذكرت، ولكن هل سمعت ان رض الصدور لنا عادة ؟ لا تلمني يا أبا حمزة
اني شاهدت كلما جرى على أبي الحسين (عليه السلام) يوم كربلاء ونظرت الى عماتي واخواتي في المخيمات والنار تشتعل في اذيالهن
والمنادي ينادي : احرقوا بيوت الظالمين.

ولقد جادت فريحة المقدس الحاج ملا عطية الجمري رحمه الله تعالى وهو يصف لنا

الحوراء المذكور بين أبي حمزة والامام السجاد(عليه السلام)بهذه الأبيات الجليلة :

قلبي يبو حمزه تراهو تقنتت وذاب*** ومثل المصيبة اللي دهنني محد انصاب

ذيك الاقمار اللي بمنازلنا يزهرون***والليل كله من العبادة ما يفترون

سبعة وعشرة فارقتهم كلهم اغصون*** يفرد ساعه وسدوهم حر التراب

لو شفت جسم اللي على المسناة مطروح*** وذاك الشباب اللي صباح العرس مذبوح

ولو شفت الاكبر ما لمتمتي بكثرة النوح*** ما خلت لنا كربلا شيخ ولا شاب

بعيني نظرت حسين بيده الطفل منحور*** وأمه الرباب تعايته وادموعه تقور

واقلوبنا فتها بونينه وعينه تدور*** وكلما طلع منا بدر بالمعركة غاب

وامصيبة اللي هجت حزني عليه*** عاينت صدر حسين تحت الاعوجيه

وحرقوا خيمنا وركبوا زينب مطيه*** شحجي يبو حمزة واشعدد من هالمصاب

قله يشبل المصطفى ورب السيادة*** صار القتل لكم يهل البيت عادة

وانتوا كرامتكم من الله الشهادة*** امعود على كثر المصائب بين الانجاب

قله يبو حمزة حشاي بنار ملهوب*** لا زاد يهنالي ولا اتهننا بمشروب

تشهير عماتي يبو حمزة بالدروب*** يخل ترا عظامي ولذيد العيش ما طاب

ما نكست راسي لجل ذبح الصناديد*** ما قصروا بالغازرية زلزلو البد

نكسى لراسي دخول زينب مجلس يزيد*** حسروا من نوح اليتاما راسها شاب

وهناك ماتم عزاء على الحسين(عليه السلام)لامه الزهراء (عليها السلام)، فانها قد بكت على ولدها الحسين(عليه السلام)قبل قتله وذلك

عندما أخبرها أبوها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)بقتله بكت

ونادت : وا ولداه واحسيناه:

حنت ونادت والدمع بالخد بادي *** إن تسألوني يا خلق كلهم اولادي

لكن صواب احسين ساطي في افادي *** اعظم مصايينا علينا مصيبة احسين

ابكي على اولادي قنوا بالسيف والسم *** وابكي على ابوهم قتيل لابن ملجم

ونجان بالله تسألوني ياهو أعظم *** كل المصايب هونها مصيبة احسين

دهري رمانى بالرزاي بكل غالي *** شتت اولادي عن يميني وعن شمالي

ما شوف ساعة فارغ من النوح بالي *** واعظم عليه لو نعى الناعي على حسين

أبكي على اولادي ذبايح يوم عاشور *** وانه انصبت إلهم عزية بوسط القبور

وانسيت ضلعي اللي ابستر الباب مكسور *** وكل البكاء والنوح والضجة على حسين

وكأني بها تنادي وهي باكية ولسان حالها يقول :

مني الوالدة يحسين بيني *** يمن ريت ذباحك ذبحني

مني الوالدة والقلب لهفان *** و دور عزه ابني وين ماچان

أويلي على ابني المات عطشان *** وتلعب عليه الخيل ميدان

بأبي عترة طه النبلا *** دارت الدنيا عليهم بالبلا

سيما من قد قضى في كربلاء *** واصريعاً عالج الموت بلا

شد لحيين ولا مد رذا

كان يستسقى به غيث السما *** فقضى روجي فداه بالظماء

ويخيل الكفر عدواً حطماً *** غسلوه بدم الطعن وما

كفّنه غير بوغاء الثرى

فالمعالي بالعزاء قائمة *** ودموع الأنبياء ساجمة

وعليه حورها لاطمة***ميتُ تبكي له فاطمة

وأبوها وعليّ ذو العلا

ص: 415

وأمين الله ادمي خده*** وجميع الرسل تبكي ففده

وأبوه النوح أمسى وردة*** لورسل الله يحيى بعده

قعد اليوم عليه للعزى

نكسو الرؤوس يا شيعة وساده*** على اللي شيد العالم وساده

على التربان خده بلا وساده*** وترضى صدره خيول الأعوجيه

ص: 416

هذه جنة الخلود تجلت *** وهي تجلى بزينة وازدهاء

هذه الحور بالجنان ابتهاجاً *** تتهادى بغبطة وهناء

هذه زمرة الملائك تكسى *** حُللاً من كرامة وبهاء

تتهادى أفرحها بين نجوى *** صلوات وهينمات دعاء

حيث يعلو فوج ويهبط فوج *** فوق وجه الثرى بأمر السماء

وإذا بالأمين وهو يناجي *** ملك الموت في رحيب الفضاء

هل قبضت الروح الزكية طهراً *** روح طه الامين قبل اللقاء

قال إني خيرته حين وافي *** أمر ربي بين البقا والفناء

فتواني حتى يراك فأهوى *** جبرئيل بآية الإعطاء

سوف يعطيك من براك فترضى *** إن خير الدارين دار البقاء

فدنا واضعاً بحجر علي *** رأسه راضياً بحكم القضاء

حينما علم الإمام علياً *** ألف باب للعلم بالإيحاء

فتوفاه ربّه وهو أزكى *** نبعة من سلالة الأزكياء

فخبيا للهدى سراج منير *** وانطوى للجهاد خير لواء

و تداعى للحق حصن منيع *** وهوى للرشاد أسمى بناء

وأصيب القرآن فهو المعزى *** بالنبي الكريم أشجى عزاء

أثكل المسلمون يتماً وحنناً *** لمصاب الشريعة الثكلاء

فإذا بالقلوب نار شجون*** واذا بالعيون ينبوع ماء

نعم، لقد أكل المسلمون لفقدهم نبيهم العظيم والرسول الكريم وانفجرت العيون بدموعها الجارية الغزيرة وكيف لا- تنفجر عيونهم بمدامعها وهم يفقدون الحبيب الغالي والعزيز الوالي

، يفقدون الرحيم والعطوف بهم والشفيق عليهم ، فالمصاب جلال والخسارت لا يمكن أن تعوّض بعوض .

وازداد حزنهم على الوالي عندما نظروا اليه وهو مسجى على المغتسل والأنوار تتساقط من غرته المباركة وأخذوا ينادون : وا محمداه وا حبيباه وا سيداه ، اليوم فقدنا عزنا ، اليوم فقدنا كفيلنا اليوم فقدنا الرحيم بنا ، اليوم فقدنا العطوف علينا ، اليوم منعت السماء عطاءها بفقد محمد العظيم الله.

وكأنى بلسان حال الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صاحبة المصيبة ترثي أبها بهذه الأبيات:

مات أو دفن في داره مات او دفن في داره*** حطوه فوق المغتسل واتشعشت أنواره

مدوه فوق المغتسل يا وجنة تزهى له*** يمغسلين الطاهر طاهر قبل تغسيله

لحد يدار الهادي ما أو حشك هالليله*** حني يغبرا او وني بعد النبي يا داره

مدوه فوق المغتسل ياليتني الممدوده*** في هالقبر والرضه ياليتني الملحوده

وانته ترد للدنيا واصير آني المفقوده*** واتعود يا بدر الدجى يالساطع ابنوره

يومك الي يا والدي انحس الي من أمسي*** اتمنيت آني بعدك ان اصبحت ما أمسي

واظلم عله كوني يوم الغبت يا شمسي *** حالي كمكفوف البصر ليله سوا ونهاره
مثلك ما شفنى ميت مات او تشعشع نوره *** تشتم ريح الجنه من رايحة كافوره
لحد يراية عزى يوم اصبحت مكسوره *** ظليت آنى بعدك يا والدى محتاره
كيف استطيع افراقك وانت حشاه افادى *** وانته يبويه شربى وانته يبويه زادى
يا ما على كتفينك يابه حملت اولادى *** حنى يغبرا او ونى بعد النبى يا داره
يا تربة الضميتى جسم النبى العدنانى *** باسايلك ما ينقل تربك ضريح الثانى
باقسم عليك إيشانه او قسم عليك ابشأنى *** سوي محل واخذينى تحت البدر باجواره
وكأنى بها نادت ومدامعها تتحادر على خديها قائلة فى شكايتها لأبيها : ابتاه الدنيا بعدك مظلمة وموحشة علينا :

بعدك الدنيا موحشة امظلمة عليه *** وكل يوم يزداد الغبن والهضم بيه
واللى ببو ابراهيم ما خلالي افاد *** كلما اتصبر عليه الحزن يزداد
شوفى حسن وحسين همونى هالأولاد *** كلما يجونى جددوا موتك عليه
فى وين جدنا ما نشوف اليوم جانا *** اوقت الفريضة ابلال ما نسمع أذانه
وكلما نجى وانروح وانطالع مكانه *** ما ننظر الايبوت فى وحشة خليه
يا به شقلهم من يجلووا عندي ينوحون *** وذيك العوايد لوله منك يطلبون
وكلما ردتهم يهجعوا صاروا يصيحون *** وامطالعي ليهم يرد همى عليه

مقدر على اكاهم واطالعهم ابهالحال *** عاشوا تحت ظلك وعنهم قوض وزال

موتك يبو ابراهيم ما بقى لنا حال *** شحوالنا الناس ردّوا جاهليه

ردّوا علينا بالجفا ردّة الكفار *** وخدي بصفرته وجيت احشم جمع لنصار

ينصار أبويه تتركوني مالي انصار *** ما شفت مالت عين برحمه عليه

كلهم يبويه اتعدروا منّي وجفوني *** ورضيووا على هضمي يبويه واغبوني

وردت داري والهضم سيل اعيني *** واللي لقيت اهناك أشد واصعب عليه

يا به اولادك والبنات اتحوم في الدار *** چنهم اطيور امهيجه ما عندهم اوكار

واللي نحلني ابرؤيته حيدر الكرار *** ذاك الأسد لا ويش ما ينغر عليه

جالس على افراشه ومنه تجري العين *** نوب يطالعني ونوب حسن وحسين

لو بالتماني ان كان أنا اتمنى لى العين *** موتي ولا هالحال يا خير البريه

أبتاه يا محمد هذا هو رضوان قد زيّن لك جنة الفردوس بالأنوار وأمر الولدان والحوار أن تتزين وأمر الله تعالى ملائكته أن ينزلوا لكي يزفّوا
روحك الشريفة الى الجنة .

رضوان زيّن جنة الفردوس بالنور *** او آمر على الولدان تتزين مع الحوار

ويملاك نزلوا زفّوا الروح الشريفة *** عن هالدينه في مقامات المنيفة

تمت النعمة من جعل حيدر خليفه *** والويل للي يظلمه ويتقدمه زور

وامتدت املاك السما في نزول واصعود *** فوج السما يصعد او فوج للنبي ايعود

وطه على افراش المنية ابروحه ايجود *** وام الأيمه تنتحب والقلب مفطور

ومن يوم اراد الله الحبيب وقرب حينه *** بالعرق ظل ايسيل كاللؤلؤ جبينه

وفارقت روحه وغمض المختار عينه *** وارتجت الدنيا على اجله واطلم النور

وشمّر اذياه حق تغسيله ابو احسن *** ومدده فوق المغتسل عمدة الكونين

مثله جنازه فى البشر ما لاحظت عين *** يتقلب ابروحه ومنه يسطع النور

واشتغل حيدر والحمولة في المواراة*** واهل السقيفة امعيده يوم النبي مات

ص: 420

يقولوا استرحنا يوم عنا تغيب اوفات*** حيدر فلا له في الخلافة اسم مذکور

و من قبل ما ايواري النبي تقضوا البيعة*** حبر اتنصب في قضا حكم الشريعة

وانقاد حيدر وانكسر ضلع الوديعة*** بالباب والحايط ضلعها راح مكسور

ولكن يا شيعة ان كل ما جرى على الزهراء من المصائب والمحن من اولئك القوم الظالمين فإنه يهون بالمقايسة مع ما جرى على ولدها الحسين لا يوم عاشوراء - كربلاء - ذلك اليوم العظيم ومن هنا أنه لو تصور المحب ما جرى على الآل، وما لاقوا فيه من الخطوب والأهوال ، لاختار الموت والفناء على الحياة والبقاء، كيف لا والحسين (عليه السلام) المجدل فوق الرمال ، معلى رأسه على رأس رمح ميال ، وذراويه تسبى حسراً على الجمال ، يطاف بهم في البلاد ، مقيدين في الاصفاد ، كل هذا والدموع جامدة، والعيون راقدة ، والأصوات خامدة . أين الضجة ؟ أين الرثّة ؟ أين الحنّة ؟ فينبغي لشيعة الآل أن يعقدوا مأتم العزاء على أبي الضميم في جميع الأوقات والأحوال، وأن يظهروا النوح والعويل على هذا الرزء، الجليل، وأن يوافقوا الملائكة في ثوابهم ويواسون النبي في الحزن على مصابهم .

فقد جاء في الخبر عن سيّد البشر أنه قال: من ذكر الحسين (عليه السلام) عنده فخر من عينه من الدموع بقدر جناح الذبابة كان ثوابه على الله تعالى ولم يرض له بدون الجنة جزاء.

وفي خبر ثان عن الريان بن شبيب قال : دخلت على الرضا(عليه السلام) في أول يوم من المحرم فقال لي: يا ابن شبيب أصائم أنت ؟

فقلت لا .

فقال (عليه السلام): إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا زكريا فيه ربه عزّوجل فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) فاستجاب الله تعالى له وأمر الملائكة ونادت زكريا وهو قائم يصلّي في المحراب: (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى) فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله تعالى استجاب الله له .

ص: 421

يا ابن شبيب ، ان المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال لحرمة ما عرفنا هذه الأمة حرمت شهرها ولا حرمة نبيها ، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه ، وانتهبوا ثقله ، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً ، يا ابن شبيب ، ان كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنه ذبح كما يذبح الكبش ، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهه ، ولقد بكت السماء والأرض لقتله ، ولقد نزل الى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصرته فلم يؤذن لهم عند قبره (عليه السلام) شعثاً غب الى ان يقوم القائم (عليه السلام) فيكونون من أنصاره ، وشعارهم: بالثارات الحسين (عليه السلام).

يا ابن شبيب ، لقد حدثني أبي عن أبيه ، عن جده (عليه السلام) أنه لما قتل جدي الحسين (عليه السلام) أمطرت السماء دماً وتراباً أحمرًا. يا ابن شبيب ، ان بكيت على الحسين ثم تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً أو كبيراً . يا ابن شبيب ان سرك ان تلقي الله ولا ذنب عليك فزر الحسين (عليه السلام).

يا ابن شبيب ، ان سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي الله فالعن قاتل الحسين .

يا ابن شبيب ، إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين (عليه السلام) فقل متى ما ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا ابن شبيب ، إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنات فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا ، وعليك بولايتنا ، فلو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

فيحق لشيعتنا أن ينصبوا المجالس للبراءة على الحسين (عليه السلام) في جميع الأوقات والأحوال وأن يذرفوا الدموع من العيون لما أصابه من المصائب والأهوال ، وأن يتمثلوا الامام الحسين (عليه السلام) وحيداً غريباً في كربلاء لكي تنهيج أحزانهم وكروبيهم فلا تفرح قلوبهم أبداً حزناً على أبي الضمير لكي يصدق عليهم قول من قال :

أيفرح من له كبد يذوب*** وقلب من صبابته كئيب
وقفت بكرلاء فهيجت لي*** كروياً ليس يشفيها طبيب
ومثل لي الحسين بها غريباً*** بنفسه ذلك التاوي الغريب
فلا سعد ابن سعد حين حرب*** إلى حرب الحسين به الحروب
عجبت لهم وحلم الله عنهم*** وكلّ فعالهم تعس عجيب
حبيب محمد فيهم صريع*** يناديهم وليس له مجيب
بنات محمد فيهم سبايا*** ورحل محمد فيهم نهيّب
كأنّي بالنساء مهتكات*** عليهن الكآبة والشحوب
فلما ان بصرن به صريعاً*** لقد على الرضا تريب
سقطن على الوجوه مولولات*** وأدمعن واكفة تصوب
وشققن الثياب عليه حزناً*** وشقت منهم أسفاً جيوب
وانت زينب من حزن قلب*** بنار الوجد محترق يذوب
ونادت ليت أمي لم تلدني*** ولم أر ما الذي بك يا غريب
تنادي أختها يا أخت قومي*** فموتك بعد سيدنا قريب
فيا ليت المنية قدمتنا*** ومتنا قبل ما قتل الحبيب

نعم، إنّ هذه الأيام التي يلتحق فيها الرسول الكريم والنبي العظيم بالرفيق الأعلى ويكي عليه المؤمنون لفقدهم إياه تتجدد أيضاً أحزانهم على سبطه الشهيد غريب كربلاء الحسين الله وذلك من جهة كون مصيبتة لا يضاهاها مصيبة، فتجدد الأحزان كما هي ما زالت يجدّها الناعون لقتلى الطفّ.

أناعي قتلى الطف لا زلت ناعياً*** تهيج على طول الليالي البواكيا

أعد ذكرهم في كربلا إنّ ذكرهم*** طوى جزعاً طيّ السجل فوادي

ودع مقلتي تحمّر بعد ايضاضها***بعد رزايا تترك الدمع داميا

ص: 423

ستسى الكرى عين كأن جفونها*** حلفن بمن تنعاه أن لا تلاقيا

وتعطى الدموع المستهلات حقها*** محاجر تبكي بالفودى غودايا

وأعضاء مجدٍ ما توزعت الضبا*** بتوزيعها إلا الندى والمعاليا

لئن فرقتها آل حرب فلم تكن*** لتجمع حتى الحشر إلا المخازيا

ومما يزيل القلب عن مستقره*** ويترك زند الغيظ في الصدر واريا

وقوف بنات الوحي عند طليقتها*** بحال بها يشجين حتى الأعدايا

نعم، لقد أدخل ثقل الامام الحسين (عليه السلام) ونساؤه ومن تخلف من أهله على يزيد وهم مقرنون في الحبال والامام زين العابدين (عليه السلام) مغلول في مقدمتهم ووقفوا بين يديه وهم على تلك الحال، فقال له الامام علي بن الحسين (عليه السلام): أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو آنا على هذه الصفة، فلم يبق في القوم أحد إلا وبكى، فأمر يزيد بالحبال، فقطعت وأمر بفك الغل عن زين العابدين (عليه السلام).

وجاء في رواية: ان يزيد لعنه الله تعالى دعا أشرف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثم دعا بعلي بن الحسين (عليه السلام) ومعه صبيان للحسين (عليه السلام) فقال: يا بن الحسين أبوك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت.

فقال الامام علي بن الحسين (عليه السلام): (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ).

وقيل: إن يزيد لعنه الله تعالى بعد أن قال الكلام المتقدم لمولانا زين العابدين قرأ قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) فردّه الإمام بالآية المتقدم ذكرها.

وفي رواية: انّ يزيد لعنه الله دعا بقضيب خيزران وجعل ينكت به ثنايا الحسين

(عليه السلام) ثم أنشأ يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا*** جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحاً*** ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم*** وعدلناه بيدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا*** خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم*** من بني أحمد ما كان فعل

وكان أبو برزة الأسلمي حاضراً في مجلسه، فلما رآه يفعل ذلك قال له: ويحك يا يزيد أتتكث بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة(عليها السلام)؟ أشهد ال لقد رأيت النبي الله يرشف ثنياه وثنايا أخيه الحسن(عليه السلام) ويقول: أنتما سيدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكم ولعنه وأعد له جنتهم وساءت مصيراً، فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحياً.

نعم، هكذا فعل يزيد كان يقرع رأساً طالما قبله رسول الله له بل وكان يأمر أهل الشام عندما دخل عليه أهل البيت في مجلسه بأن يجعلوا يوم دخولهم عليه يوم عيد وفرح وسرور، وأن يظهروا الشماتة بهم ويقتل الحسين(عليه السلام)، وأمرهم أن يدخلوا عليه بنات الزهراء عليهن السلام وهنّ مربوطات بحبل واحد يقول مولانا زين العابدين(عليه السلام)أدخلونا على يزيد عليه لعنة الله ونحن مربوطون بحبل واحد أول الحبل في عنقي وآخره في كتف عمتي زينب(عليها السلام).

دشوا بروس أهل المعالي مجلس الضال*** ويا اليتاما امكتفة بقيود واحبال

او راس ابن فاطم بالطست ينظر له يزيد*** بيده قضيب او يصفق بايد على ايد

ويقول يهل الشام سو والذبحة عيد*** من بيت حيدر ما بقت بس حرم واطفال

اوصد الرجس للراس صابه ابخيزرانه*** ويقول هذا ابن الذي رمل نسانا

يحسين كم مرة الهظم منكم علانا*** بوكم قتل عتبه او شبيهه اقروم لرجال

ثار العشيرة من علي ابذبحك دركته*** العباس عن شبيهه او عتبه ابشاره انتة

اوثار الوليد ابنك علي اكبر ذبحة*** وولادها هاشم كلهم ازياده ولبطال

متشوف عينك كيف جبنا امخدرتكم*** من غير والي ابمجلس طبت حرمكم

ما حد تخدّر بالحرير مثل اختكم *** تضرب الناس ابخدرها يحسين لمثال

وانا اهتكتها او ركبتها فوق هزل *** خلبتها فوق الهزيله ادموعها اتهل

عزها او خدرها الاولي بالذل تبدل *** او هذا الدهر شانہ ابصروفه ايبدل احوال

في وين عزوة هاشم اوين الفوارس *** زينب عزيزتهم ذليلة بالمجالس

ابلباولي ويزيد فوق التخت جالس *** متحيرة والدمع فوق الخد همال

قال تعالى في كتابه المجيد: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يُكَونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (1).

جاء في تفسير الصافي (2) نقلاً عن كتاب النخصال في حديث شريف عن صادق آل محمد الإمام جعفر بن محمد عليهما الصلاة والسلام أنه قال: تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وقبض عن تسع، فأما اللتان لم يدخل بهما فعمرة، والسنة وأما الثلاث عشرة اللواتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية، ثم أم عبدالله، ثم عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث ثم صفية بنت حيي بن أخطب واللاتي وهبت نفسها للنبي خولة بنت حلیم السلمي وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه مارية القبطية وريحانة الخندقية، والتسع

ص: 426

1- سورة الأحزاب : 50

2- ج 4 / 197 .

اللواتي قبض عنهن : عائشة وحفصه وأم سلمة وزينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وأم حبيب بنت أبي سفيان وصفية وجويرية وسودة، وأفضلهنّ خديجة بنت خويلد ثم أم سلمة ثم ميمونه، قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم من الشرائط والحصر في الأربع وما ملكت أيمانهم والجملة اعتراض لكيلا يكون عليك حرج أي خلص إحلالها لك لمعان تقتضي التوسيع عليك، وكان الله غفوراً لما يعسر التحرز عنه رحيماً بالتوسعة في مظانّ الحرج.

وقال مولانا أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره في كتاب إعلام الوری (1) ان أول امرأة تزوجها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وكانت قبله عند عتيق ابن عائذ المخزومي فولدت له جارية، ثم تزوجها أبو هالة الأسدي فولدت له هند بن أبي هالة ثم تزوجها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وربى ابنها هنداً، ولما استوى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وبلغ أشده وليس له مال كثير استأجرته خديجة إلى سوق خباشة، فلما رجع تزوج خديجة زوجها إياه أبوها خويلد بن أسد وقيل: زوّجها، عمها عمرو بن اسد وخطب ابو طالب في نكاحها، ومن شاهد قريش حضور فقال : الحمد لله الذي جعلنا من زرع ابراهيم وذرية إسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وأنزلنا حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي محمد بن عبدالله بن المطلب لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به ولا يقاس بأحد منهم إلا عظم عنه ، ولا عدل له في الخلق وإن كان ماله قليلاً فإن المال رزق حائل وظل زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة والصداق ما سألتهم عاجله وآجله من مالي. وكان أبو طالب له خطر عظيم، وشأن رفيع، ولسان شافع جسيم، فزوجه ودخل بها من الغد ولم يتزوج عليها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى ماتت وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة

ص: 427

وشهراً ومهرها اثنتا عشرة أوقية وكذلك مهر سائر نسائه فأول ما حملت ولدت عبدالله بن محمد وهو الطيب الطاهر وولدت له القاسم وقيل : إن القاسم أكبر وهو بكره وبه كان يكنى ، والناس يغلطون فيقولون: ولد له منها أربع بنين : القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وإنما ولد له منها ابنان وأربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة(عليها السلام).

فأما زينب بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فتزوجها أبو العاصي بن ربيع بن عبدالعزيز ابن عبد شمس بن عبد مناف في الجاهلية فولدت لأبي العاص جارية اسمها أمامة تزوجها الامام علي(عليه السلام) بعد وفاة فاطمة(عليها السلام) وقتل الامام(عليه السلام) وأمامة عنده فخلف عليها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وتوفيت عنده، وأم أبي العاص هالة بنت خويلد فخديجة خالته وماتت زينب بالمدينة لسبع سنين من الهجرة.

وأما رقية بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فتزوجها عتبة بن أبي لهب فطلقها قبل أن يدخل بها ولحقها منه أذى ، فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم سلط على عتبة كلباً من كلابك فتناولوه الأسد من بين أصحابه، وتزوجها بعده بالمدينة عثمان بن عفان فولدت له عبدالله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه، فمرضت وماتت بالمدينة زمن بدر وتخلّف عثمان على دفنها ومنعه ذلك أن يشهد بدمها وقد كان عثمان هاجر إلى الحبشة ومعه رقية. وأما أم كلثوم فتزوجها أيضاً عثمان بعد أختها رقية توفيت عنده .

وأما فاطمة(عليها السلام) فنفرد لها باباً إن شاء الله ، ولم يكن لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)ولد من غير خديجة إلا ابراهيم بن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)من مارية القبطية ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة ومات بها وله سنة وستة أشهر وبعض أيام وقبره بالقيع .

وقد كان الفارق بين الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وبين خديجة(عليها السلام) خمسة عشر سنة ومع ذلك فقد عاش معها عيشة الزوجة الواحدة هادئاً مطمئناً لم يتزوج سواها وذلك مدة

خمس وعشرين سنة وهو في مقتبل عمره الشريف وريعان شبابه حتى توفيت.

ومن هنا تعرف تفاهة ما يتناول به على شخصية الرسول الكريم من أنه كان انياً فلو كان الأمر كما يقوله أعداء الاسلام وأعداء نبيه الكريم لابتغى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) غير خديجة في أيام شبابه ثانية لها على أن تعدد الزوجات عند العرب كان شائعاً ولكن الأمر على العكس مما يدعيه أولئك الحاقدون على الاسلام ونبيه الكريم فإنك عند ما تنظر إلى حياة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في سن الشباب تجده مثلاً لكل رجل شريف من بني قومه وغيرهم فهذا يكون برهاناً ساطعاً ودليلاً واضحاً كوضوح الشمس على أن وقوعه بين مخالِب الشهوة أمر غير ممكن إطلاقاً. هذا في أيام شبابه وعندما كانت خديجة (عليها السلام) على قيد الحياة، أما بعد أن التحقت خديجة بربها وكان يوم ذلك قد تجاوز عمره الشريف الخمسين لم يكن الباعث على تعدد الزوجات باعثاً سهوانياً وإنما كان ذلك منه (صلى الله عليه وآله وسلم) كونه أمر يفرضه عليه وفاء الغير، خصوصاً وأنه الودود الرحيم والعطوف بالمؤمنين، ويتجلى لك بعض مظاهر الرحمة والوفاء منه (صلى الله عليه وآله وسلم) للغير عندما تنظر بعين البصيرة في اتخاذ ذلك العدد المتقدم ذكره من النساء بعد وفاة الصديقة خديجة (عليه السلام) فإنك ترى ان أول زوجة قد تزوج بها (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد خديجة (عليه السلام) هي سودة بنت زمعة تلك المرأة المسلمة الكهلة التي شارفت سنّ الشيخوخة وكانت أرملة السكران بن عمر أحد أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين فروا هاربين إلى الحبشة من اضطهاد الكفار، ولما مات صارت زوجته بلا معين ولا نصير.

فتزوج بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان زواجه بها وفاء لزوجها وجيراً لقلبها المكلم التي صبرت وناءت بالأعباء وتحملت المصنص بموت زوجها المسلم الغيور في دار الغربة والتي صبرت الصبر الجميل فلم تتبرم ولم تشتك ولم تنع على الاسلام الذي أصيبت من جرائه ما أصيبت.

فالزواج من هذه السيدة، الطريقة الوحيدة والوسيلة المنشودة لحمايتها

ومعوتها. وفاء لرجل فقد حياته بعد أن غادر الأهل والأوطان احتفاظاً بعقيدة. وشاركته الزوجة في أهوال النفي والتغريب وتقديراً من سخطها على الاسلام الذي افقدها زوجها لم يبق لها إلا ان تعود إلى أهلها وتؤدي وتتزوج بغير كفوء أو بكفؤ لا يريدها فتزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حماية لها وتأليناً لأعدائه من أهلها.

الزوجة الثانية : عائشة بنت أبي بكر وهي الوحيدة من بين زوجاته التي تزوجها بكرًا. وتمّ زفافها في السنة الثانية للهجرة.

الزوجة الثالثة : حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوّجها بعد ما مات زوجها

خنيس ابن عبدالله بن حذافة السهمي وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وجهه إلى كسرى فمات ولا عقب له ، وقيل انه مات من أثر جرح أصابه في موقعة بدر فعرضها عمر على أبي بكر وأعرض عنها وعلى عثمان فسكت وأعرض عنها فعز على عمر إعراضهما وأخذ من نفسه مأخذاً عظيماً فبث أسفه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الزوجة الرابعة : أم شريك التي وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واسمها غزية بنت دودان بن عوف بن عامر وكانت قبله عند أبي العكر بن سمى الأزدي فولدت له شريكاً. ومعلوم أمرها أنّها كانت أيضاً بعد زوجها بلا معين ولا نصير.

الزوجة الخامسة : أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي فهاجر بها إلى الحبشة وتتنصر بها ومات هناك فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده وكان وكيله عمرو بن أمية الضمري.

الزوجة السادسة : أم سلمة وهي بنت عمته عاتكة بنت عبدالمطلب، وقيل: هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة من بني فراس بن غنم واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وهي ابنة عم أبي جهل، وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسل إلى أم سلمة أن مري ابنك أن يزوجك، فزوجها ابنها سلمة بن أبي سلمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو غلام لم يبلغ وأدى عنه النجاشي صداقها بأربعمائة

دينار عند العقد، وكانت أم سلمة من آخر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وماتت بعده وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد وأمه برة بنت عبد المطلب فهو ابن عمه رسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان لأم سلمة منه بنت اسمها زينب وذكر اسمه عمرو، وكان عمرو مع علي يوم الجمل وولاه البحرين وله عقب بالمدينة، ومن موالها شيبه بن مصاح إمام أهل المدينة في القراءة، وخيرة أم حسن البصري.

الزوجة السابعة: زينب بنت جحش الأسدية وهي ابنة عمته ميمونة بنت عبد المطلب، والله في حكمه شؤون قضت الحكمة الإلهية في شريعته السهلة السمحة تغير ما يجب تغييره من عادات وتقاليد الجاهلية المحكمة الأركان عند العرب الأصيلة في نفوسهم المنتشرة بين ظهرانهم.

من العادات المتأصلة في نفوس العرب التبني وتنزيل الدعي منزلة الابن الحقيقي.

وكانوا يرون تحريم امرأة الدعي على من ادعاه. فأراد الله إبطال هذا الاعتقاد.

فالمصطفى أول من أراد هدم العادات والتقاليد، فقام بالمهمة بنفسه أولاً ليحصل التأسى ويكون لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة حسنة لهضم هذه العادات ودلالة الفعل في التسريع من أقوى دلالة القول.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز حكاية التزويج بقوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا).

الزوجة الثامنة: زينب بنت خزيمة الهلالية من ولد عبد مناف الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث وماتت قبله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان يقال لها: أم المساكين.

الزوجة التاسعة: ميمونة بنت الحارث من ولد عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة تزوجها وهو بالمدينة وكان وكيله أبا رافع وبنى لها بسرف حين رجع من

عمرته على عشرة أميال من مكة وتوفيت أيضاً بسرف ودفنت هناك أيضاً وكانت قبله عند أبي سبرة بن أبي رهم العامري.

الزوجة العاشرة : جويرية بنت الحارث من بني المصطلق سبأها فأعتقها وتزوجها وتوفيت سنة ست وخمسين.

الزوجة الحادية عشر : صفية بنت حيي بن أخطب النضري من خبير اصطفأها لنفسه من الغنيمة ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وتوفيت سنة ست وثلاثين.

الزوجة الثانية عشر : عالية بنت ظبيان ، وطلقها حين أدخلت عليه .

الزوجة الثالثة عشر : فتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس فمات قبل أن يدخل بها فتزوجها عكرمة بعده وقيل : انه(صلى الله عليه وآله وسلم)طلقها قبل أن يدخل بها ثم

مات(صلى الله عليه وآله وسلم).

الزوجة الرابعة عشر : فاطمة بنت الضحاك بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير فاخترت الدنيا وفارقها، فكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول : أنا الشقية اخترت الدنيا .

وقال أمين الاسلام مولانا أبو الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره: ومن

أزواجه أيضاً : سنى بنت الصلت إلا انه مات (صلى الله عليه وآله وسلم)لو لم تدخل عليه . وأسماء بنت النعمان بن شراحبيل ، فلما أدخلت عليه قالت : أعوذ بالله منك فقال : قد أعدتلك ، إلحقي بأهلك، وكان بعض أزواجه علمتها ذلك فطلقها ولم يدخل بها .

ومليكة الليثية ، فلما دخل عليها قال لها : هبي لي نفسك ، فقالت : هل تهب الملكة نفسها للسوقة ؟ فأهوى بيده الشريفة ليضعها عليها فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال : لقد عدت بمعاذ سرحها ومتعها .

وعمرة بنت يزيد، إلا(صلى الله عليه وآله وسلم)له قد رأى بها بياضاً فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): دلستم عليّ وردها.

وليلي بنت الخظيم الأنصارية، إلا انها قالت له : أقلني فأقالها.

وخطب امرأة من بنى مرة فقال أبوها : إن بها برصاً ولم يكن، فرجع فإذا هي برصاء.

وخطب امرأة فوصفها أبوها ، ثم قال : وأزيدك انها لم تمرض قط ، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): ما لهذه عند الله من خير . وقيل : انه تزوجها فلما قال ذلك ابوها طلقها .

هذه أمهات المؤمنين زوجات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالإضافة إلى المتقدم ذكرها وهي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد السيدة الجليلة والصديقة الكبرى أم البتول فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين سلام الله تعالى وتحياته وبركاته عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها .

نعم، هذه زوجاته(صلى الله عليه وآله وسلم) كلهن ثيبات عدا عائشة بنت أبي بكر، قد تزوج بهن(صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل مصالح ومنافع كثيرة تعود على الاسلام وإن خفيت علينا معرفة تلك المصالح، لا انّ زواجه بهذا العدد باعته الشهوة ولو كان الأمر كما يقوله أو يدعيه الحاقدون على الاسلام والنبي الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)لكان قد اختار(صلى الله عليه وآله وسلم) الباكرات الحسنيات وقد كان في وسعه ذلك فإنه قد تزوج على سبيل المثال بعائشة الباكرة كما مر بك ذلك فما يمنعه أن يتزوج غيرها مثلها فقد كان في وسعه ذلك لو أراد إلا فيما حرمه الله تعالى عليه .

ومن هنا نعلم أن زواجه أيضاً من عائشة ضرب من ضروب الحكمة التي لا تخفى على العارفين لأنه الا الله الأب الروحاني ومعلم البشرية والقدوة لها في العمل فلو أضرب لاسمح الله عن زواج الباكرة مطلقاً وكلياً فلربما يتخيل بعض الناس من المسلمين انّ الزواج من الباكرة محرم أو هو خلاف التعفف أو خلاف الأولى أو غير ذلك، والدليل على ذلك ان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد تجنبه.

ومجمل القول : ان الله سبحانه قد ذكر في الآيات الكريمة أنواع النساء التي تحلّ للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي كما يلي :

النوع الأول: (اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ) (1). المراد بالأ-جور هنا المهور، والإيتاء يكون بأداء المهر، ويكون بالالتزام به في الذمة، وتوميء الآية إلى أن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتزوج بأيّ بايٍ عدد شاء، وهذا من خصائصه.

النوع الثاني: (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ). من الفياء السبايا اللاتي كان يغنمها المسلمون بالحرب مع المشركين وتسمى السراري، وقد أباحها الله للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأتمته بغير عدد.

النوع الثالث: (وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ).

النوع الرابع: (وَأَمْرًا مُؤَمَّةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) من خصائص النبي له أن يتزوج امرأة - إن شاء - وهبت له نفسها بلا مهر شريطة أن تكون مؤمنة.... ويجوز لغيره أن يتزوج بمهر، ثم تهبه الزوجة مهرها كما يهب أي إنسان لمن يشاء ما يشاء من المال.

وها هنا أمور ينبغي التنبيه عليها فيما يلي: الأمر الاول إنك قد تسأل: إن عقد الزواج يصح حتى ولو لم يذكرفيه المهر، فلماذا قيد الله سبحانه التحليل بالمهر؟

قال العلماء في جواب ذلك: إن القيد هنا هو الالتزام بأداء ما تستحقه الزوجة من المهر، لا بذكر المهر في متن العقد، والتي لم يُسم لها مهر في العقد تستحق مهر أمثالها إن دخل بها الزوج... وكان مهر نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسمائة درهم، وقدر ب- (25) ليرة ذهبية.

الأمر الثاني: إن الفياء المشار إليه في قوله تعالى: (مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) السبايا اللاتي كان يغنمها المسلمون بالحرب مع المشركين، وتسمى السراري، وقد أباحها الله للنبي الكريم ولأتمته بغير عدد، وقد تقدم ذلك.

ص: 434

الأمر الثالث : إن بنات الأعمام والعمات والأخوال والخالات يدخلن في النوع الأول من النساء، فما هو الغرض من ذكرهن بالخصوص ؟

نقول : إنه غير بعيد أن يكون ذكرهن بالخصوص للتنبيه إلى أنّ الأليق بمقام الرسول أن يتزوج من القرشيات اللاتي هاجرن من دار الكفر إلى دار الاسلام، أما المؤمنات منهن غير المهاجرات فالأولى ترك الزواج بهن.

الأمر الرابع : أنه ذكر أهل السير ان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له عشرة أعمام، وهم : العباس، وحمزة، وعبد الله، وأبو طالب، والزيبر، والحارث، وحجل، والمقوم، وضرار، وأبولهب، وست عمات وهن صفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة. وقالوا : إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن له خال ولا خالة لأن أمه آمنة بنت وهب (عليه السلام) أخ لها ولا أخت.

إذن ما هو الوجه لقوله تعالى في الآية الكريمة : (وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ)؟

جاء في تفسير الكاشف : إن المراد بأخوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخالاته عشيرة أمه بنو زهرة، وكانوا يقولون : نحن أخوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي نهاية المطاف من التفسير الموجز لهذه الآيات الكريمة نرى أن إباحة التمتع بالنساء نعمة من جملة النعم الكثيرة التي أنعم الله تعالى بها على عباده عامة وعلى نبيه الكريم خاصة، وليس في ذلك ما يوجب تسويغ التنقيص أو الإهانة لمقام النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) طالما ان الله تعالى قد أحل له ذلك، ولكن الحاقدين على الاسلام ونبيه الكريم يتلمسون النوافذ لأذية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا كان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد آذاه بعض من دخل في الاسلام وفي قلبه ارتياب وشك فمن باب الأولى أن يؤذيه الذي لم يؤمن بنبوته.

نعم، آذوه في حياته وأخرجوا سلطانه عن أهل بيته بعد وفاته.

جاء في السيرة انه لما كان اليوم الثاني من وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل أمير المؤمنين (عليه السلام)

المسجد وإذا فيه جميع المهاجرين والأنصار فقال لهم : الله الله يا جميع المهاجرين والأنصار لا تنسوا ما عهد إليكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقي يوم الغدير وغيره ولا تخرجوا سلطان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من داره وهو جاركم ولا تتبعوا الهوى فإله أولى وأحكم ولا تدفعونا عن حقنا ومقامنا فوالله يا معاشر الجمع إن الله قضى وحكم وعلم نبيّه وأنتم تعلمون أنا أهل بيت النبوة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، وأنا وأهل بيتي أحق بهذا الأمر منكم ، وأنا القاري لكتاب الله ، وأنا الفقيه لدين الله ، المنصوص عليه بوحي الله ، المطلع لأمر الرعيّة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوالله إنّ فينا هذا الأمر لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فترتدوا وتفسدوا ما قدمتموه بما أحدثتموه فإنّ في الحق سعةً عن الباطل ، ومن ضاق عليه الحق فالحجور عليه أضيق ، ثم افتتح وقرأ : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) فقام سعيد الأنصاري الذي وطأ الأمر للأول وقال : يا أبا الحسن لو أنّ هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتهم للأول ما اختلف عليك اثنان ولسارعوا إلى مبايعتك فقال لهم : يا هؤلاء ما كنت أخلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا تجهيز وأتركه ولا أواريه في قبره وأخرج أناز عكم في الخلافة ، وقد أوصاني (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : يا أخي لا تفارقني حتى توازيني في رمسي، فوالله ما كنت أظنّ أنّ أحداً منكم يتقدّم على طلب الخلافة بعد نص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وينازعنا أهل البيت فيها ، ولا علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك لأحد حجّةً ولا لقائل مقالة ، فناشدتكم الله رجلاً بعد رجل انكم ما سمعتم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله ، أين من يشهد منكم اليوم بما سمع فقام إليه جماعة كثيرة فشهدوا بذلك ، وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت، فخشي عمر أن تصغي الناس إلى قول علي (عليه السلام) فيرجعون عن بيعة أبي بكر فقام وقال : انصرفوا يومكم هذا فإن الله مقلب القلوب والأبصار ، فلما جنّ الليل خرج علي (عليه السلام) إلى دور المهاجرين

والأنصار يدعوهم إلى نصرته ويذكرهم نص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير ويعلمهم بما قال فيه وما عهده إليهم ويبيعتهم له فبعضهم يعده بالنصر وبعضهم يتناقل عنه حتى طاف عليهم ثلاث ليال فلم يلق أحداً يوازره غير أربعة رجال وهم سلمان وعمّار والمقداد وأبا ذر (رضى الله)، فهؤلاء الأربعة كاشفوا معه وخرجوا من دورهم شاهرين سيوفهم لابسين لامة حربهم ، فلما رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) من القوم الوهن والخذلان بقي في بيته على تأليف القرآن ستة أشهر لم يحضر معهم جمعة ولا جماعة.

فقال عمر لأبي بكر : إلى متى نحن ساهون عن علي (عليه السلام) ؟ ألا- تبعث إليه يبايعك ولم يبق غيره، فأرسل أبو بكر إليه يدعوهم فقال للرسول : ارجع إليه وقل له : إني آليت على نفسي أنني لا- أضع ردائي على ظهري حتى أفزع من تأليف القرآن فإذا جمعته أتيت به، فلما سمع عمر قال : لا تقبل منه هذه المماطلة وقل له اما يأتيك طوعاً أو كرهاً ، فعاد الرسول إلى علي (عليه السلام) فاعتذر له بمثل الأوّل ، فلما فرغ من تأليف القرآن حمله وأتى به إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطرحه وصلى ركعتين وسلّم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم رجع إلى القوم وجميع المهاجرين والأنصار فقال: هذا كتاب الله مثل ما أنزل وقد ألفته لما أمرني رسول الله .

فقال له عمر : أتركه عندنا وامض لشأنك.

فقال : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصاكم فيه وفي وقال : إني مخلف فيكم الثقلين له كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فان قبلتموه فاقبلوني أحكم بينكم بما أنزل الله فيه فأنا أعلمكم بناسخه ومنسوخه، ومحكمه و متشابهه ، وحلاله وحرامه .

فقال له عمر : انصرف به حتى لا تفارقه ولا يفارقك فلا حاجة لنا فيه ولا فيك، فانصرف علي (عليه السلام) إلى بيته والقرآن معه فجلس يتلوه وعيناه تهملان دموعاً ، فدخل عليه عقيل (عليه السلام) فرآه يبكي فقال له : وما يبكيك يا أخي ؟

فقال : يا أخي بكائي من قریش وارتكابهم في الضلال، ومحاولتهم في

الشقاق والتفاق ، واجتماعهم على حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحربي فجزيت عني قريش شرّ الجزاء فإنّهم قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن عمي.

ويقال : ان الثاني - عمر بن الخطاب - جمع جماعة من الطلقاء والمنافقين والمؤلفة قلوبهم وأتى بهم إلى منزل علي (عليه السلام) فرأوا بابه مغلقاً فصاح به : اخرج يا عليه فإن خليفة رسول الله يدعوك ، فلم يفتح لهم الباب ولم يكلمهم ، فأتوا بحطب ووضعوه على الباب ليحرقوه بالنار، فلما عرفت فاطمة (عليها السلام) انهم يريدون حرق منزلها قامت وفتحت لهم واختفت من وراء الباب فدفعها عمر الخبيث بين الباب والجدار حتى أسقطها جبينها وتواثبوا على أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو جالس على فراشه فأخرجوه سحياً ملبتاً بثوبه إلى المسجد فحالت فاطمة (عليها السلام) بينهم وبين بعلمها لتخلصه منهم وقالت : لا أدعكم تخرجون باين عمي ظلماً وعدواناً يا ويلكم ما أسرع ما ختم الله ورسوله فينا أهل البيت وقد قال عزّ من قائل : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى فتركه أكثر القوم رحمة لها فأمر عمر قنفذ أن يضربها بسوطه على ظهرها وجبينها، فدخلوا على أمير المؤمنين (عليه السلام) ولتبوه بثوبه، وجعلوا يقودونه قسراً، فجاءت فاطمة (عليها السلام) لتخلصه منهم فلم تتمكن من ذلك فعدلت إلى قبر أبيها وأشارت إليه مسلّمة عليه وهي تقول :

نفسى على زفرتها محبوسة*** ياليتها خرجت مع الزفات

لاخير بعدك في الحياة وإنّما*** أبكي مخافة أن تطول حياتي

ثم انها (عليه السلام) لصاحت بأعلى صوتها وقالت وا أسفاه عليك يا أبتاه، واشقوتاه بعدك يا محمداه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واغربتي بعدك واضيعتي يا أبا القاسم، وأنت ووقعت مغشياً عليها فضجّ الناس بالبكاء وصار في المسجد مأتم وهي تنادي: وامحمداه واحبيباه ولسان حالها يقول :

بعدك الدنيا موحشة امظلمه عليه*** وكل يوم يزداد الغبن والهظم بيه

واللي يبو ابراهيم ما خلالي افاد*** وكلما اتاملهم عليه الحزن يزداد

شوفي حسن وحسين هموني هالا ولاد*** كلما يجوني جددوا موتك عليه

في وين جدنا ما نشوف اليوم جانا*** اوقت الفريضة ابلال مانسمع اذانه

وكلما نجى وانروح وانطالع مكانه*** ما ننظر الا ابيوت في وحشه خليه

يا به شقلهم من يجوا عندي ينوحون*** وذيك العوايد لوله منك يطلبون

وكلما ردتهم يهجعوا صاروا يصيحون*** وامطالعي ليهم يرد همي عليه

مقدر على ابكاهم واطالعهم ايها الحال*** عاشوا تحت ظلك وعنهم قوض وزال

موتك يبو ابراهيم ما بقي لنا خال*** شحوا لنا والناس ردوا جاهليه

ردوا علينا بالجفاردة الكفار*** وخدي بصفرته وجيت احشم جمع لنصار

ينصار ابويه تتركوني مالي انصار*** ما شفت مالت عين بالرحمة عليه

كلهم يبويه اتعدروا مني وجفوني*** ورضيوا على هضمي يبويه واغبنوني

وردت داري والهضم سيّل اعيوني*** اللي لقيت اهنالك اشد واصعب عليه

يا به اولادك والبنات اتحوم في الدار*** چنهم اطيور امهيجه ما عندهم اوكار

واللي نحلني ابرؤيته حيدر الكرار*** ذاك الاسد مني خذوا غصب عليه

جالس على افراشه ومنه تجري العين*** نوب يطالعني ونوب حسن وحسين

لوبالتماني إن كان أنا اتمنى لي العين*** موتى ولا هالحال يا خير البريّه

نعم، إن بكاء الزهراء (عليه السلام) وجزعها على أبيها رسول الله (عليه السلام) ليس يخفى على أحد، كما لها جزع وبكاء آخر وذلك على ولدها الحسين (عليه السلام) وقد سمع أهل المدينة

ص: 439

منها ذلك بعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، بل انها قد بكت على ولدها وهو بعد لم يقتل وذلك في مقامين .

المقام الأول: عندما حدثها أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما يجري على الحسين (عليه السلام) بعده من قتل وظلم وتشريد وهتك لحرمة وإن ذلك يكون في زمان حال منها عند ذلك بكت وندبت وصاحت قائلة : إذا أبه من يبكي على ولدي الحسين؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) يخلق الله له شيعة يجدون عليه العزاء جيل بعد جيل .

المقام الثاني : بكته (عليه السلام) عندما تهيأ للخروج من المدينة وجاء في جوف الليل لزيارة قبرها قائلاً : السلام عليك يا زهراء حسينك جاء لوداعك، فإنه سمع من قبرها

(عليه السلام) الجواب ممتزج بالبكاء : وعليك السلام يا قرّة عيني .

نعم، بكته وهي عالمة بما يجري عليه في سفرته من قتل وظلم وتشريد.

ومن هنا نعلم أن خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة هو باكورة المصائب التي حلت على آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو باعث الحزن والتألم إذ ان أهل المدينة يفقدون المصباح الذي كان يضيء لهم فكان لخروجه (عليه السلام) منها أثر كبير على نفوس أهلها ولا سيما أهل بيته وبالخصوص أخوه محمد بن الحنفية فقد عظم عليه الأمر .

يقول سيدنا الأمين (قدس سره) : لما تهيأ الإمام الحسين (عليه السلام) للخروج من المدينة مضى في جوف الليل إلى قبر أمه الزهراء (عليها السلام) فودعها ، ثم مضى إلى قبر أخيه الحسن ففعل كذلك، ثم رجع إلى منزله وقت الصبح فأقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية فقال : يا أخي أنت أحب الخلق إليّ وأعزهم عليّ ، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبشري، وكبير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي ، لأنّ الله قد شرّفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة تتح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فإن تابعتك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك إني

أخاف عليك ان تدخل مصرأ من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم فتكون لأول الأسنه غرضأ فإذا خير هذه الأمة كلها نفسأ وأبأ وأمأ أضيعها دمأ وأذلها أهلاً، فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): فأين أذهب يا أخي ؟

قال : تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك ، وهم أرف الناس وأرقهم قلوبأ ، وأوسع الناس بلادأ، فإن اطمأنت بك الدار وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبأك وجزت من بلد الى بلد حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال الامام الحسين(عليه السلام) : يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية فقطع محمد بن الحنفية عليه الكلام وبكى، فبكى الحسين (عليه السلام) معه ساعة، ثم قال : يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي أمرهم أمري، ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عني شيئاً من أمورهم، ثم دعا الإمام الحسين بدواة وبيض وكتب هذه الوصية لأخيه محمد بن الحنفية : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية :

إن الحسين(عليه السلام) يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده

ورسوله جاء بالحق من عند الحق ، وإن الجنة والنار حق، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، وإن الله تعالى يبعث من في القبور وأنني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبي علي(عليه السلام)، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني

وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين.

وعليه لا بد أن نعرف من خلال هذا النص الشريف الذي تضمنته هذه الوصية الجليلة لسيد الشهداء إلى أخيه محمد بأن مهمة الامام الحسين (عليه السلام) ووظيفته الشرعية هي الاصلاح والتصحيح ، وهي مهمة كبيرة جداً ، لأنّ هناك مرحلتان، يجب التمييز بينهما قبل اتخاذ أي موقف، وفي تقييم الأحداث وهما مرحلة التأسيس ، ومرحلة التصحيح . وتتميّز المرحلتان عن بعضهما البعض، بما يلي:

مرحلة التأسيس هي مرحلة البداية، وفيها تكن الحاجة ماسة إلى كلّ نقطة جهد، وكل ذرة قوة فلا يجوز التفريط فيها بأي جهد يبذل من قبل أي كان فالمرحلة هي مرحلة التكوين، ولا بد فيها من القبول بلا شروط مسبقة لأن الإنسان إذا فرط في الجهود المتاحة وفوت على نفسه الفرص الممكنة في هذه المرحلة، فإنّ الولادة تتحول إلى إجهاض .

ونستطيع أن نمثل لهذه المرحلة بداية الرسالة، فحين قام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتحمل أعباء المسؤولية كانت المرحلة بالنسبة إليه مرحلة التأسيس» ولذلك فنحن نجد أنه كان يستفيد من جهود المؤمنين من دون تمييز بين المؤمن الصادق مائة في المائة، أو نصف الصادق، وحتى أنه كان يستفيد من المنافقين، رغم أنه كان يندد بهم فكراً وعقائدياً.

فهو كان يستفيد من طاقة كلّ فرد حسب ما يكون مستعداً لبذلها ، فإذا ما كان واحد من المؤمنين مستعداً لبذل 20% فقط من طاقاته ، لم يكن النبي يفرط في من هذه العشرين بالمائة بحجة أن عليه أن يقدم 100% من طاقاته .

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في البداية كان يتدرج في مطالبه من الناس : فكان يقبل من كل إنسان أية نسبة من التزامات الايمان، فالذي كانت أعماله تخالف الاسلام بمقدار 80% ويوافقها في العشرين الباقية لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يحكم عليه بالموت، لأنه

كان بحاجة إلى أي جهة بأي مقدار .

ولهذا نجد في صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل عبدالله بن أبي الذي كان يوصف «برأس المنافقين وهم الذين تحدث القرآن عنهم بقوله وممن حولك من الأعراب ينافقون ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق لا تعلمهم، نحن نعلمهم ونجد أيضاً في صحابته ضباطاً للجيش كان يكلفهم بمهام عسكرية، رغم أنه لم يكن يثق فيهم، حتى أنه كان يضطر إلى الاستعانة ببعض «العيون» لمراقبتهم حتى لا يفترطوا في الأمانة العسكرية.

ونجده - كذلك - يدخل مع طوائف مشركة وأخرى ملحدة في أحلاف، ويعقد معهم الاتفاقيات التي تنص - فيما تنص - على وجوب دفاع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها من دون أن يكون لزاماً عليها الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

والسبب في هذا «التساهل» في الأمر هو : أن المرحلة كانت بالنسبة إلى الرسالة حينئذٍ مرحلة : أن تكون أو لا تكون فلو أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن «يغربل» أصحابه، ويشدد معهم لم يكن بإمكانه توطيد دعائم الرسالة في تلك الظروف العصبية التي كانت تمر بها .

أما مرحلة التصحيح : فإن الأمر يختلف جذرياً. فالرسالة في هذه المرحلة مطروحة على الساحة، ولكنها بحاجة إلى تصحيح المسيرة بها. وتصحيح المسيرة بحاجة إلى حزم، وتشدّد، وربما العنف أيضاً .

والسبب في ذلك هو : أن مرحلة التصحيح تتميز بأن الأشياء، والأوضاع، والمواقف ، تكون ملوّنة بصبغة الرسالة، ولكنها تفتقد جوهر الرسالة .

فالحاكم يحكم باسم الإسلام، وخلافة الرسول.

والمظاهر هي مظاهر إسلامية.

والعبادات قائمة على قدم وساق، ولكن الروح بعيدة كل البعد عن روح الرسالة. ومن دون استعمال الشدّة، والعنف لا يكون بالمستطاع إقناع الناس بكذب

ص: 443

المظاهر ، وخذاع الحاكم وخواية العبادات.

إنّ «الأسماء» في مرحلة التصحيح تكون حاكمة، فلا يجد الناس أي مبرر في الظاهر للقيام ضدّها.

فاسم «القرآن» يحكم : رغم أنه يستخدم للتخدير والخذاع واسم الخليفة عن رسول الله هو الذي يسود : رغم أنه يمارس عملية محو اسم النبي من الجذور .. واسم «الجهاد» هو الذي يحرك الناس : رغم أنه قد يكون ضدّ مثل الإمام الحسين...

وفي مثل هذه المرحلة يكون التشدّد، وعدم الرضا بأي انحراف، وعدم قبول أي شخص في صفوف العمل الإسلامي إلا إذا كان مؤمناً بالأهداف، وملتزماً بالمبادئ التزاماً كلياً ومطلقاً، يكون ضرورة ملحة.

ونستطيع أن نمثل لهذه المرحلة بالمرحلة التي تعلم فيها الامام علي (عليه السلام) مسؤوليات الحكم.

فالإمام جاء بعد أن عصفت أوضاع شاذة بالأمة الاسلامية ولكن هذه الأوضاع الشاذة لم تواجه بالرفض من قبل الأمة، لأنها كانت قد اتخذت صبغة مقدسة بسبب تلونها بغطاء رسالي كاذب .

فالمظاهر - في كل مكان - كانت مظاهر الاسلام.

لكن الروح كانت بعيدة - جداً جداً - عنه !

ولأنّ الامام كان مكلفاً بالتصحيح فإنّه كان يُعَنّف في التشدّد حتى لكأنه قائد مثالي، يطالب الناس بأمر مثالية إلى حدّ بعيد.

فهل كان الامام (عليه السلام) قائداً مثالياً بمعنى المثالية التي يمكن تطبيقها ؟ بالطبع : لا . ولكن كان في أوضاع خاصة تفرض عليه أن يطالب الناس بالمثالية لكي يعتدلوا ...

ولهذا فإننا نجد أنّ الامام قد يسحب ثقته فوراً من كل والٍ سابق ارتكب أي

انحراف عن الاسلام في أول لحظة تسلّم فيها مسؤولية الحكم.

ونجده أيضاً يهدد ولاته بالعزل لجرم انه اشترك في مأدبة لبعض الأثرياء، ويعزل آخر لأنه أخذ الناس بما لم يكلف به. فكل مخالفة بسيطة تجابه من قبل الإمام بثورة عارمة: أخوه الضيرير يطلب منه بعض الزيادة في الراتب، فيرفض الامام ذلك بعنف. وابنته تستعير قلادة من بيت المال بشرط ضمان تلفها، فيحامل عليها الامام(عليه السلام) البتهديدها وبتهديد الأمين لماذا هذا التشدد؟

لأن المرحلة تتطلب التصحيح، ولولا هذا العنف في وضع الأمور مواضعها، فإن الرسالة كانت تصبح «دين دولة» و«مهزلة حكام» و«تبرير مصالح» و«مظاهر خاوية» لا تعني شيئاً.

من هنا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول للإمام الله(عليه السلام):

-«يا علي تقاتل على التأويل، كما قاتلت على التنزيل».

-وهكذا فإنّ مرحلة التأسيس بحاجة إلى التساهل، بينما مرحلة التصحيح لا تساهل فيها.

ولكن القضية بحاجة إلى فهم، ودراسة وتمحيص لكي يعرف الانسان في أية مرحلة يعيش، وكيف يجب أن يتصرف؟ وماذا عن مرحلة الامام الحسين(عليه السلام)؟

لا شك أن المرحلة التي عاشها الامام الا كانت مرحلة تصحيح، فالأمة كانت قد توسعت كثيراً، والإسلام دخل إلى أقاليم متعدّدة، وعادات الأمم الأخرى كانت تتفاعل داخل الأرض الاسلامية، والحكم تحوّل إلى مغنم والجاهلية عادت مرة أخرى بثوب إسلامي، وعادات العشائرية، والتقاليد البالية، وعاد معها الخضوع لغير الله.

ورغم أنّ الامام علياً(عليه السلام) قاد ثورة تصحيحية واسعة، وأعاد بذلك نقاء الثورة الاسلامية وطهرها السابق، رغم ذلك فإن الأوضاع التي مرت بعد مقتل الامام(عليه السلام) أعادت الامة إلى الجاهلية الملونة بالاسلام من جديد.

وكما يقول الأستاذ عبدالله العلايلي - وهو من كبار علماء المسلمين في لبنان - : « نستقبل في عهد الدولة الأموية تجديداً يشمل الأوضاع كافة، ويتصل بجوهرها، حتى بات منه المجتمع العربي في شكلية لا عهد له بها، ولا تتصل بالعهد السابق إلا اتصالاً خفياً فيه كثير من الغموض، فهيئة الحكم وطريقة الاجراء والإدارة وقاعدة العمل العام لم تعد كما كانت».

وقد انتقل هذا التحلل إلى الشعب، فسرعان ما تغير وتحلل وطلب الحياة في الهواء الطلق - كما يقولون - وساعد الشعب على سرعة تحلله ، إن أكثر رجال القديم ذهبوا ضحية الصراع الثوري العنيف، فالجمهور الباقي يتألف من الشباب وحدهم وخليط من الأمم المنحلة فكان لديهم الاستعداد التام لحركة انقلابية من هذا النوع، فالأدبية الاسلامية إذن أصيبت بانحراف كبير إن لم نقل إن الحياة العامة خرجت عن قاعدتها - وهذا ما يعلل تفشي المجون في مهبط الوحي، وانتشار الحياة اللاهية المفتونة هنا وهناك .

إذن فمرحلة الامام الحسين(عليه السلام) كانت مرحلة تصحيح، وهذا ما يفسر لنا نوعية الثورة التي قادها حيث سرح كل جنوده الذين لم يكن لديهم استعداد للالتزام بالطهر المطلق حتى آخر لحظة، وحيث رفض عوامل النصر عندما كانت تتعارض مع التزامات بسيطة بينه وبين عدوه !

فلولا ان الثورة كانت ثورة تصحيح لكان على الامام أن يستغل كل جهد مع قطع النظر عن صاحبه. وكان عليه أيضاً أن يقوم بعملياته الثورية في سرية تامة: فيهاجر مثلاً من مكة إلى الكوفة كما هاجر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) منها إلى المدينة في سرية كاملة وبلا ضوضاء، ولكان عليه - كذلك - أن يكشف لأصحابه عن الانتصارات فقط ، وليس عن الهزائم - كما كان يفعل ذلك في طول الطريق.

ولكن الثورة كانت ثورة تصحيح، والمرحلة كانت تتطلب التشدد في الطهر ، والهدف كان وضع «أسس الثورة الاسلامية» موضع التنفيذ، والكشف عن الروح

والجوهر في الدين.

إنّ الأمة الاسلامية كانت تمر في عصر الامام الحسين (عليه السلام) بأصعب فترة من فترات حياتها فلم تمر في أية فترة سابقة باضطراب فكري، وحيرة، وانقسام وتمزق، مثل الفترة التي مرّ بها في ذلك الوقت .

كانت الفترة فترة انعدام الرؤية، وفي مثل هذا المجال كان الاسلام يفسّر حسب المصالح : فالتجار يفسرون مبادئه بما يتفق مع نوعية معاملاتهم التجارية. والحكام يفسرونه حسب آرائهم، والعامّة يفسرونه حسب ما يريدون.

وهكذا انقلب الاسلام - من حيث العمل والموقف - إلى آلاف الأديان، رغم أنّه كان واحداً من حيث الفكر والنظرية .

ولذلك فإنه كان بحاجة إلى ثورة تفسر الاسلام تفسيراً واقعياً حقيقياً صادقاً وكان على الامام - باعتباره الوحيد الذي يستطيع أن يصنع ذلك - أن يضع ثورة الاسلام في إطار دقيق من الطهر والالتزام العنيف بمبادئه .

ومن هنا نستطيع أن نعرف لماذا كانت نتائج ثورة الامام شاملة لكل جوانب حياة الأمة ؟

حيث إنها قلبت الموازين الساسية والاجتماعية والفكرية رأساً على عقب.

كيف حدث ذلك ؟

1 - على الصعيد الفكري:

نسفت ثورة الامام كل الصيغ والتراكيب الفكرية والنفسية التي كانت تشكل العمود الفكري للفكر، وبعد أن بدأت تتوضح ملامح الثورة وتكشفت عن الهوى والحفر في نوعية الفكر القديم، بدأ الإنسان المسلم يبحث عن هوية جديدة لفكره ، فقد خلقت ثورة الامام (عليه السلام) مرحلة جديدة هي مرحلة «فتح العيون» على زيف الافكار المطلاة بالاسلام والبعيدة في نفس الوقت عنه !

ص: 447

ب - على الصعيد الاجتماعي :

خلقت ثورة الامام أسساً جديدة للولاء. وسقطت الولاءات القبلية، فثار العبيد على الأسياد ، وثار القبائل على رؤسائها وحطمت الثورة حاجز الخوف بين الناس وبين الثورة، فإذا كانت المسلمّات الأخلاقية المزيّفة تحول بينهم أن يثوروا، فإن الثورة نسفت هذه المسلمّات ووضعت ضرورة الثورة مكانها .

فقامت ثورات في كل مكان من الأرض الاسلامية. وكانت الفتيلة : ثورة الإمام (عليه السلام).

ج - على الصعيد السياسي :

وضعت الثورة النظام مع المحاسبة ، وتجاوزته إلى خلفياته الفلسفية ، فنسفتها نفساً كاملاً وكشفت على الخليفة الصائبة للنظام : من يحكم ؟ وكيف يحكم ؟ ومسؤوليات الحاكم ؟ وواجبات الناس ؟

وكما قال الشاعر :

أعظم به بطلاً لم يعط متضعاً*** يد الصغار وأعطى دونها الراسا

كذلك الحرّ يستعدي الممات على*** عيش الدنية إذلالاً وإركاسا

أكرم بها خله كانت لنا نهجاً*** ثم استمرت على الأيام نبراسا

نعم هكذا كان أبو عبد الله (عليه السلام) في بطولته ، فلقد أعطى كل شيء امتلكه في

سبيل دين الله إلى أن ثوى صريعاً من أجل إعلاء كلمة الله تعالى وذلك بعد أن نكس راياتها وجبن شجعانها وقتل أبطالها وجعلها مطعماً للوحوش، وهو ما بين أصحابه كالبدر يقودهم إلى الله تعالى طالباً بذلك رضائه ومغفراته، ويعلمهم بصموده معنى الصمود والبساطة والتضحية والفداء من أجل دين الله .

يقول السيد حيدر الحلبي ولنعم ما قال:

غداة أبو السجاد جاء يقودها*** أجادل للهيّجاء يحملن أنسرا

عليها من الفتیان كلّ ابن نثره*** يعدّ قتيّر الدرّع وشياً محبّراً

ص: 448

أشْمُ إذا ما افتض للحرب عذره *** تشقُّ من أعطافها النقع عنبرا
من الطاغى صدر الكتيبة في الوعى *** إذا الصقُّ منها من حديد توقرا
هم القوم إمّا أجروا الخيل لم تطأ *** سناكبها إلا دلاصاً ومغفراً
إذا ازدحموا حشداً على نقع فيلقٍ *** رأيت على الليل النهار تكوّرا
كما تعد الحي منها إذا انبرت *** عن الطعن من كان الصريع المقطرا
ومن يخترم حيث الرماح تظافرت *** فذلك تدعوه الكريم المظفرا
فما عبروا إلا على ظهر سابح *** إلى الموت لَمّا ماجت البيضُ أبحرا
مضوا بالوجوه الزهر بيضاً كريمةً *** عليها لثام النقع لاثوه أكدا
فقل :

لتزار زار ما حنينك نافع *** ولو مت وجداً بعدهم وتزقرا
حرام عليك الماء مادام مورداً *** لأبناء حرب أو ترى الموت مصدرا
وحجر على أجفانك النوم عن دم *** شبا السيف يأبى أن يُطلَّ ويهدرا
اللهاشمي الماء يحلو ودونه *** ثوت قومه حرّى القلوب على الثرى
وتهدأ عين الطالبى وحولها *** جفون بني مروان ريباً من الكرى
كأنك يا أسياف غلمان هاشم *** نسيت غداة الطفّ ذاك المعفرا
هبي لبسوا في قتله العار أسوداً *** أيشفى إذا لم يلبسوا الموت أحمرأ
ألا بكر الناعي ولكن بهاشم *** جميعاً وكانت بالمنيّة أجدرا
فما للمواضى طائل في حياتها *** إذا بأعها عجزاً عن الضرب قصرا
اللعيش تستبقي النفوس مضامة *** وما الموت إلا أن تعيش فتقسرا
ثوى اليوم أحماها عن الضيم جانباً *** وأصدقها عند الحفيظة مخبرا
وأطعمها للوحش من جث العدى *** وأخضبها للطير ظفراً ومنسرا

قضى بعدما ردّ السيوف على القنا*** ومرهفه فيها وفي الموت أثرا

ومات كريم العهد عند شبا القنا*** يواريه منها ما عليه تكسرا

ص: 449

فإن يُمس مغبّر الجبين فطالما***ضحى الحرب في وجه الكتبية غربا

وإن يقض ضمّاناً تقطّر قلبه***فقد راع قلب الموت حتى تقطّرا

وألقحها شعواء تشقى بها العدى***ولود المنايا ترضع الحنّف ممقرا(1)

فظاهر فيها بين درعين نثرة***وصبر ، ودرع الصبر أقواهما عرا

سطا وهو أحمى من يصون كريمة***وأشجع من يقتاد للحرب عسكرا

فرافده في حومة الضرب مرهف***على قلة الأنصار فيه تكثرا

تعثر حتى مات في الهام حدّه***وقائمة في كفه ما تعثرا

كأن أخاه السيف أعطي صبره***فلم يبرح الهيجاء حتى تكسرا

له الله مفطوراً من الصبر قلبه***ولو كان من صمّ الصفا لتقطّرا

ومنعطف أهو لتقبيل طفله***فقبل منه قلبه السهم منحرا

لقد ولدا في ساعةٍ هو والردى***ومن قبله في نحره السهم كبرا(2)

نعم ، هكذا كان الامام(عليه السلام) في عطائه ، لقد بذل الغالي عنده في سبيل الله قبل بذل الرخيص ، وهل هناك شيء عند الحسين(عليه السلام) أغلى من طفله عبدالله الرضيع - الصغير الذي ذبحه القوم في حجر أبيه ، فالشاعر - السيد الكريم - في قصيدته هذه قد صور لنا الإمام(عليه السلام) في ذلك العطاء العظيم ، والبطولة الفذة ، والصمود . وحقاً أنه قد أجاد في هذا التصور ، لا كما يصوره الغير بأنه(عليه السلام) قد خرج خائفاً أو أنه خرج وانه لا يعلم ما يجري عليه ، وكيف يكون الامام(عليه السلام) غير عالم بما يجري عليه وهو يقول قبيل خروجه لأخيه محمد بن الحنفية : إن رسول الله قد أمرني بأمر أنا ماض فيه ، ويقول له كما مر عليك : «والله لو لم يكن لي ملجأ في الدنيا ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية» .

ويقول(عليه السلام)في يوم عاشوراء عند ما خطب في القوم تلك الخطبة البليغة فإنه

ص: 450

1- الممقر : المرّ .

2- ديوان السيد حيدر الحلّي : 78 - 80

قال من جملة قوله (عليه السلام): ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حميّة ونفوس أبية لا- تأخذ الدنية ولا تؤثر مصارع اللثام على مصارع الكرام، ألا وإني أعذرت وأندرت وزاحف إليكم على قلة العتاد وخذلة الأصحاب، ثم قال (عليه السلام): اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم من لا يرحمهم ولا يدع منهم أحداً إلا ضربه ضربة بضربة وقتلة بقتلة لينتقم الله لي منهم ولأهل بيتي وأشياعي وأنصاري فإنهم دعونا لينصرونا فخرجوا علينا يقاتلوننا ويسفكون دماءنا، ثم وجه كلامه (عليه السلام) إلى ابن سعد لعن الله ابن سعد فقال (عليه السلام): إيه يا ابن سعد أنت تقتلني وتزعم أن الدعي ابن الدعي يوليک بلاد الري وجرجان، فلا والله لا تهناً بعد قتلتني لا بدنيا ولا بأخرة، وكأني برأسك هذا في أزقة الكوفة يتراماه الصبيان يجعلونه غرضاً بينهم وهدفاً للرامي بالحجارة، فاصنع ما أنت صانع يا عدو الله وعدو رسول الله. فاغتاظ ابن سعد من كلام الحسين (عليه السلام) وقال: احملوا عليه إنما هي جولة واحدة، فأحاطوا به من كل ناحية، وكان الحسين الله كلما حمل على فرقة انهزمت من بين يديه تلقته فرقة أخرى وهو يقول كما نقل عنه (عليه السلام). فإن نهزم فهزّامون قدماً*** وإن نغلب فغير مغلبينا

وما طبنا حين ولكن*** منا يانا ودولة آخرينا

ولو خلد المملوك إذن خلدنا*** ولو بقي الكرام إذا بقينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا*** سيلقى الشامتون كما لقينا

هذا هو الامام أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) في صبره وصموده. ولكن بعض الشعراء والخطباء اعتادوا بأن يستدروا دموع المؤمنين على الحسين (عليه السلام) بأي كلام أو أي شعر يؤثر في نفوسهم ويهيج زفرااتهم حتى ولو كان الكلام أو الشعر يصوّر لنا الحسين

(عليه السلام) لها في صورة الضعيف أو الخائف، فتجد بعض الشعراء لكي يستدرّ الدمع

من عيون المؤمنين يقول : خرج الحسين من المدينة خائفاً ، ولا مانع من ذلك بشرط أن يعلم الشاعر ويعتقد بأن الحسين(عليه السلام) قوي الارادة .

خرج الحسين من المدينة خائفاً*** كخروج موسى خائفاً يتكتم

وقد انجلى عن مكة وهو ابنها*** وبه تشرفت الحطيم وزمزم

لم يدر أين يريح بدن ركابه*** فكأنما ما المأوى عليه محرم

طلعوا آل هاشم عن وطنهم*** أو ظل خالي جرم جدهم بعدهم

ساروا بليلهم وابتعد طعنهم*** أو لن صوت العلييلة ابقلب محتر

دريضوا هنا يهلنا للعلييلة*** يهلنا افراقكم مالش حيله

يهلنا بعدكم ما نام ليله*** أو عيني من بعدكم دوم تسهر

يهلنا خلوا اخويه الطفل بالله*** يضل عندي أو روحوا وداعة الله

يهلنا من المرض قلبي تقلا*** يهلنا خلوا اخويه الطفل واسدر

بچن ويلى ونادنها دخليه*** أهلها أو بحضن امه درديه

طفل وافراق أمه يصعب عليه*** ولا أمه على فرقه تصبر

صاح احسين يا فاطم دردي*** دردي للمدينة وطن جدي

أودّي لج على ابني اوچبدي*** أو لا بد ما تجي يمچ امخبر

ودّت للمدينة أو سار أبوها*** أو ظلت ترتجب عمها واخوها

ظنت فاطمه لنهم يجوها*** اخوها والبطل عمها المشكر

بگت تبجي يويلى او لا لفوها*** اوهم أمسوا يويلى ابر الأقر

جد السير احسين الغضنفر

يريد اوصال بيت الله الكبر

نزلوا بأرض مكة مستجيرين *** اويها خايفين او مستجيرين

اجت الكتب مترادف على احسين *** امن الكوفة الك لكين عسكر

ص: 452

بعث ليهم يواجههم ابمسلم*** كتب له بايعوني القوم أقدم

طلع خايف والحجاج تحرم*** او ما يدري بين عمه تكنظر

أدبره درى ابمسلم چاتلينه*** أو من قصر الامارة ذابينه

او من رجله يويلي ساچينه*** لمن سمع بمصابه تحير

و حين ما قارب الكوفة القشره*** تلقاه التميمي ابقاع قفره

او من التلاقي وقف مهرة*** عرفها كربلا ابشدة العسكر

نزلها او نزلت العدوان آلاف*** يحسبونه يطاوع أمر الجلاف

واخوته وصحبة الطيبين الأسلاف*** اسباع او بالحرب بكره تبخر

نعم، خرج أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) من مدينة جده قاصداً مكة المكرمة ثم منها إلى أرض كربلاء، خرج (عليه السلام) بأهل بيته وأشياعه وأتباعه، وبقيت مدينة الرسول بعد

خروجه (عليه السلام) مظلمة موحشة تعطلت مدارسها ومحافلها واطلمت مجالسها:

امن المدينة شالت اضعون الميامين*** والدور ضلت موحشة من سافرا حسين

ظلمى المدارس والمجالس بعد ليدور*** يا حيف غابوا بالحدود ابيوم عاشور

واهل الكرم شالوا طبقهم واغلقوا الدور*** او لفراقهم تنعى العلوم او يصرخ الدين

والدور والدنيا امظلمه من فقدهم*** والدين والتدريس دارس من بعدهم

او حادي المنايا ساق لضعون وحدهم*** لارض المنايا كربلا سافر لها

واو حامي الضعينة والعرينة البطل عباس*** بيده العلم قدام وجهه اشديد لمراس

يبرى الضعينة ايدود عنها مفرع الراس*** او من حول زينب كل بني هاشم امسلحين محلا- بني عدنان طلعتهم ابفرعها*** لو صاح صايحهم او لعمامه نزعها

صوته ايزلزل للعدى او يكثر جمعها*** خصه على اكبر او عمه فادي الدين

شبان ويلي بعد ما نبتت الحاهم*** بالغازيه ايزيد با جيوشه رماهم

او بالسيف لحد كل بني هاشم محاهم *** او خدامهم من عقبهم صاروا اسلاطين

يا حيف راحت ذيك لوجه المزهرات *** كانت مصايح الورى وامست مظلمات

ص: 453

نعم، بقيت تلك الدور مظلمة لما فقدت تلك المصابيح المزهرة :

الله يعينك يا منازلهم بعدهم*** صرتين وحشه ومظلمه بعد السلاطين

وكنى بالوفاد والضيوف تناشد تلك الدور المظلمة قائلة :

يا دار وين أبدورك يا دار وين أبدورك*** ذيك البدور الزاهرة يا دار وين ابدورك

قالت بعد لا تزيديني ما قدر أعد امصابي*** شوف المنازل خاليه واحسرتي وامصابي

هذا الترب والسافي سافي على اعتابي*** عرج ولا تسألني يا دار وين ابدورك

بدر الدجي من سافر ماجت لنا اخباره*** واحسرتي والهفي يمتى ارى انواره

كل من اتى سايلني وين الولي يا داره*** ذيك البدور المزهرة يا دار وين ابدورك

قالت يوفاد حسبك بالنوح لا تزيديني*** انا ابهلي مفجوعة وانتون بتفجعوني

عن ابو علي وارجاله وعاد تسألوني*** بس عاد لا تقولولي يا دار وين ابدورك

من يوم حث اضعونه ما جا خبر لي عنه*** ما خلف إلا امحمد هاللي بقى لي منه

كل ساع ما ذويني من صيحتة والونه*** اقله انا ويقول لي يا دار وين ابدورك

أو عنده حزينه اتجاويه لا من جذب وناته*** تنعى مثل ما ينعى ويصفق ابراحاته

زايد بكاه او نوحه كله لسهم فاته***كل ساع ما سألني يا دار وين ابدورك

الله يسهم فاتني بيه الاجانب فازت*** احظوظ الاقارب خابت واللي سواها طابت

مدري يدور ابدورك في وين عنك غابت***يا دورهم قولني لي في وين راح ابدورك

نادت عليه او قالت ياللي بقي امن ابدوري*** يا سايلك في وينه عني تحجب نوري

نعم، لقد هاجت زفرات محمد وأسبل دموع عينيه مثل القدران وهو يصفق براحاته على بعضها البعض وأخذ يخطب تلك الوفود والضيوف ويحيبها نيابة عن تلك الدور قائلاً لها : لقد شال أبو عبد الله مع أهل بيته وأصحابه وأحبته عن هذه الدور وبقيت فيها لوحدي أندبه وأبكيه وأناذي :

شال او مشى بالدولة شال او مشى بالدوله*** دار العلم واليه شال او مشى بالدوله

يحسين اخويه اخذوني في كربلا وياكم***وانته يخويه تدري مقدر على فرقك

خوفي يخويه تنذبح من قبل ما ألقاكم*** واحسرتي من شيخ شال او مشى بالدوله

يا ما ضربت ابسيفي او يا ما طعنت باسناني*** يا ما بطل اصرعته واضربت بيه الثاني

يا ما ابحور من دما خوضت فيها احصاني*** وفي منزلي خلاني شال او مشى بالدوله

ص: 455

يا ما علم لفيته والعلم بيدي شايح *** يا ما بطل في حربي خليت راسه تاسع
وانا الحرب مادشه الابنفسى بايع *** واليوم أخويه عافني وشال او مشى بالدوله
قاصد اراضى بيها عازم على استشهاده *** باهله او كل اخوانه أو جملة جميع اولاده
او حاشا على من مثله ما يختلف ميعاده *** خلاني عرضه للبلا شال او مشى بالدوله
ليت القضاء ما عاقني والمرض ما اذاني *** اتمنيت أنا وياهم لازم لظهر احصاني
وانا الحرب من سابق يا خوي فني او شاني *** واليوم اخويه عافني شال او امشى بالدوله
قولوا لخويه امحمدا يسلم عليك اسنادك *** ويقول لك يمحمد لا تتقطع وقادك
وانته على ما تعهد وانته على معتادك *** او لتقول اخويه عافني شال أو مشى بالدوله
الزم يخويه امضيبي او عينك على وفادي *** واطهر لهم من طيبي واطهر لهم من زادي
واما انا باسافر بهلي او جميع اولادي *** ولتقول اخويه عافني شال او مشى بالدوله
الزم يخويه امضيبي او حافظ على اطباعي *** والي الرعية انتة او نعم الولي والراعي

واما لك احناجينا وال يجيك الناعي*** وانته خلف سلطان شال او مشى بالدوله

والحره اللي عندك عينك عليها زينه*** بلغ سلامي لها او عماتها واسكينه

واما لك احناجينا والا بعد ماجينه*** والى الرعية انتة او شال او مشى بالدوله

من منشد لي عن صحب هنا نزلوا*** مثل البدور بها الأنوار تستعلوا

من طيبه طلعا في كربلا أفلوا*** بالامس كانوا معي واليوم قد رحلوا

وخلفوا في سويد القلب نيرانا

كيف السلو ونار الحزن تشتعل*** تهبا ودموع العين تنهمل

سيحاً على جيرة في كربلا نزلوا*** بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا

وخلفوا في سويد القلب نيرانا

هم الأمان لدهر راعه فرع*** والواصلون إذا ما أهله فظعوا

هل بعد غيبتهم في الوصل لي طمع*** نذر عليّ لئن عادوا وإن رجعوا

لأزرعن طريق الطف ريحانا

قاموا لنصر الهدى والدين قاطبة*** لينقذوا انفساً في الغيّ الغي طامسة

فمذ رأوها على الأوثان عاكفة*** باعوا على الله أرواحاً مقدسة

وما رضوا غير دار الخلد أثمانا

شممرت فتیان هاشم*** والظعن بالحرم شال

او رقت اعلام النشاما*** من على روس العيال

ناس امرجله او ناس*** راكبه اظهور الخيول

والعلم عباس شاله*** وفي الجدا غرد يقول

يا لخلق صدوا وموجوا*** عن سليلات البتول

والودائع في الهودج*** فرح مسرورة البال

والظعن بالحرم يمشي*** حي محلا مشيته

حسين قدام الطعينة*** وخلفه تمشي عزوته

امسلحه سبعين مدرع*** تحت طاعة نخوته

من يأمر طوع لبت*** دعوته كل لبطال

يا حصن زينب يخوها*** وين منوى هالسفر

دون كل السفار قلبي*** ممتلي هم او كدر

قال يم الصون يختي*** كربلا فيها المقر

اهناك فيها حسين عزمه*** ايشيد اظعون العيال

نادته قلبي جرحته*** وامتلا هم او بلا

وسالت ادموعي ابخدي*** يوم قلت ابكربلا

خايفه منها عليكم*** كربلا حوته بلا

كل نبي دمه عليها*** من قديم الزمن سال

وكأني بسيد الشهداء يخاطب جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الخطاب الحزين :

اگعد يهادي الامه لحسين عاين حاله*** امن المدينة شايلى وباهله وارجاله

وسط اللحد ضموني يا مصطفى وياكم*** لا حاجة لي في البقايا جد بين اعداكم

يا جدانا يردوني اشيل من ملجاكم*** هذي كتبهم بيدي أهل الغدر محتاله

بس غاب شخصك عنه ثارت علينا الامه *** او غضبوا لخلافه منا والكل يطلب دمه
واتفرقت لمتنا من عقب ذيك اللمه *** من بعد ذيك العزّه صرنا ابا سوّ حاله
يا جد امي الزهرا باسياطهم ضربوها*** للصلوع منها اتكسرت أو من الارث غضبوها
او شبيهة ابو يه المرتضى ابفيض الدماء خضبوها*في وسط فرضه او فرقوا بينه او بين اعياله
وابقيت انا واعضيدي من عقب ذيك الدوله ***بين العدى واسيوفهم بارقابنا مسلولة
او دسوا اللعينه اجعيده او سمت عضدي غيله ***وابقيت مالي ناصر ألوذ تحت اظلاله
ولا صديق جاني الا عدو جاير*** تحير يا جدي يا جدي والله دليل الحاير
خذني يجدي عندك وسط القبر بالحاير*** لا حاجة لي ابقى في دنية مياله
ما زل يبكي الجده مما جنته الامه *** والا ابجده جاء له واحنا عليه اوضمه
قبل جبينه او نحره او ظل الأمين ايشمه*** ويخاطبه وادموعه مثل المطر هماله
او قال الشهاده يا بني مالك مناص منها ***وارض البلا والكربه لا بد ما تسكنها

او جثة ربيتها كف العدى تطعنها*** او تبقى رميه اعلى الثرى واتدوسها الخياله
ويجيك سهم نافذ وانته على ميمونك*** من كف رجس ما رد فوق الثرى يرمونك
واتحوط بيك العسكر يبغون ما ينحرونك*** واتقر منك خيفه واتصير في زلزاله
ويجيك شمر الطاغي او يوطى ابنعله صدرك*** ويسل سيفه ابغيه ويمكنه في نحرك
ويحز رأسك منك ويصير آخر عمرك*** او ينشال رأسك بالرمح واسنان اله شياله

ص: 460

افتدى خير النبيين على *** سقمه ما بارح القوم أذاه
ما أطاعوا أمره مانفذوا *** جيشه ما قبلوا رشداً راه
إذ رأى أن يكتب العهد الذي *** لوله خط لما ضلوا وتاهوا
ومن الله له اختار اللقاء *** ودعاه راغباً لبي نداء
فقضى والقلب مملوء شجي *** وعلى عترته طال شجاه
بأبي أكرم مفقود شجا *** كل شيء فقده جل الإله
بأبي من أصبح الكون على *** فقده ليلاً فقد كان ذكاه
بأبي من من فقده، لم يبق من *** مسلم إلا ويتم قد عراه
بأبي أكرم ثاوقد ثوى *** في ضريح طاول العرش علاه
وخلا مهبط وحي الله من *** خير من أوحى إليه واجتباه
فبكى حزناً عليه وعلى *** فقده ما كان يوحى من سماه
وغدا منبره مستوحشاً *** أعقبت ظلمة راقية ضياه
وغدا المحراب يبكي إذ خلا *** من مناجاة بها يحيي دجاه

نعم بكت عليه أهل الأرض قاطبة وحتت إليه الجمادات، وغدا المنبر مستوحشاً بعد رحيله، ومحرابه (صلى الله عليه وآله وسلم) خال من المناجاة التي كان يحيي بها ليله، وضربت السيدة الجليلة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام عصاة على رأسها وهي عصاة التصبر على تلك المصيبة التي لا يوجد مثلها مصيبة

ممتثلة ما أوصاها به أبوها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)في وصيته إليها حيث قال لها : أي بنية تصبري على فقدي وعلى كل ما يجري عليك من أذى الناس وسلمي أمرك إلى مولاك واعلمي أنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ولسان حاله يقول:

للضيم شدي يا بتوله اعصابة الرأس*** واتصبري اعلى لي يصيبك من أذى الناس

صبري على حكم القضا يا زينة الحور*** و آيش عاد لو عشت ولا حصلت اسرور

ادري يزهراتواجهيني ابضلع مكسور*** ومن الهضم والضيم ما تبقى لك انفاس

كلما يزهراتواجهينه من أذية***أمرك إلى الله فوضي يا هاشمية

او بعدي قليل ايام واتعودي عليه*** واهناك سعد الملتقي في عز أو ناموس

يا ما مصائب ما لها عدّ ولا حساب***ومن بعد عيني لا تقولي عندي أصحاب

دارك يحرقوها وفيها داحي الباب*** جالس على افراشه وينظر هجمة الناس

قالت وحيدر ينظر بعينه ولا ياثور*** نادى بينتي حيدر الكرار مأمور

يصبر على هالضيم لا ينهض ولا يثور*** كلما اعينونه اتشوف عنها اينكس الراس

سبع الحرايبها الذي في الحرب مهيب*** غلاب كل غالب يذل وايصير مغلوب

بين الخلايق تنظرينه ابجبل مسحوب*** مكشوف رأسه وصايرا عجبوه الى الناس

وكاس الهضم بعدي يزهر تشرينه*** واتقاسين امرار المصائب في المدينة

بس تختلي داري وشخصي في الثرى ايغيب*** اتشوف المدينة ممتلية منكر وعيب

يا ما مصائب من عظمها اتشقي الجيب*** الله يعينك والوصي الله يعينه

يصعد الخائن منبري والناس حوله*** عاطين طاعة للذي فيهم يقوله

كلما يأمر من مناكر يسمعو له*** وبالباب ضلعك يا بتوله يكسرونه

قالت او حيدر وين غايب عن هالافعال*** ما يحمى ام حسين عنها ايرد لنذال

نادى القضاء ايخليه يمشي بحلقه احبال*** اشباه المراعي الاسد صاغر ياخذونه

هاللي قتل مرحب وزلزل حصن خبير*** والجيش سوى له جسر زنده وعبر

من وسط دارك تنظرينه ابجبل ينجر*** مكشوف راسه وبالدمع تجري اعيونه

نعم، لقد أخرج القوم علياً عليه الصلاة والسلام من داره قسراً في حالة يرثا لها مكشوف الرأس وفي عنقه الحبال وهو ينادي ابن عمه رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: «يا

ابن أمي إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»(1) وكما فعل القوم ذلك مع أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فقد فعل أبناء القوم أكثر من ذلك مع الامام الحسن وأخيه الامام الحسين عليهما الصلاة والسلام فإنهم قد أخرجوا الامام الحسن عليه الصلاة والسلام من مدينة جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بما أضمره له من العداوة وما فعلوه من الخيانة حتى أسلموه بعد ذلك إلى عدوه الخبيث بن الخبيث معاوية بن أبي سفيان لعنه الله تعالى وأجبره على مصالحته وأما سيد الشهداء الامام الحسين عليه الصلاة والسلام فقد أخرجوه من حرم جده قهراً.

يقول سيدنا محسن الأئمة رضوان الله تعالى عليه : لما مات معاوية عليه لعنة الله وذلك في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة وتخلف بعده نفيه يزيد كتب الى ابن عمه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان والياً على المدينة يأمره بأخذ البيعة على أهلها وخاصة على الحسين(عليه السلام) ولا يرخص له في التأخر عن ذلك ويقول : فإن أبي عليك فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه فأحضر الوليد مروان بن الحكم لعنه الله تعالى واستشاره في أمر الحسين عليه الصلاة والسلام فقال : إنه لا يقبل ولو كنت مكانك لضربت عنقه .

فقال الوليد : ليتني لم أك شيئاً مذكوراً، ثم بعث إلى الامام الحسين عليه الصلاة والسلام في الليل فاستدعاه فعرف الامام الحسين عليه الصلاة والسلام الذي أراد فدعا بجماعة من أهل بيته ومواليه وكانوا ثلاثين رجلاً وأمرهم عليه الصلاة والسلام بحمل السلاح وقال (عليه السلام) لهم : إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمن أن يكلفني فيه أمر لا أحبه إليه وهو غير مأمون فكونوا معي فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنوه عني، فصار الحسين عليه الصلاة والسلام إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم لعنة الله لعنة الله فنعى إليه الوليد موت معاوية لعنه الله تعالى فاسترجع الامام الحسين عليه الصلاة والسلام،

ص: 464

1- اقتباس من الآية 150 من سورة الأعراف.

ثم قرأ الوليد عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه ليزيد لعنه الله تعالى.

فقال الحسين عليه الصلاة والسلام: إني أراك لا تقنع ببيعتي سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس؟ فقال له الوليد: أجل.

فقال الامام الحسين عليه الصلاة والسلام: تصيح وترى رأيك في ذلك.

فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان لعنة الله: والله لئن فارقك الحسين عليه الصلاة والسلام الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه ولكن احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب الحسين عليه الصلاة والسلام عند ذلك ثم قال (عليه السلام): ويلى عليك يابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي، كذبت والله ولؤمت، ثم أقبل على الوليد فقال: ايها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد لعنه الله تعالى رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معتل بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصيح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة، ثم خرج ومعه مواليه وهو يتهدى بينهم ويتمثل بقول يزيد بن المفرغ الشاعر المشهور:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح *** مغيراً ولا دعيت يزيداً

يوم اعطي مخافة الموت ضيماً*** والمنايا يرصدني ان أحيدا

حتى أتى منزله، فقال مروان لعنه الله تعالى للوليد: عصيتني.

فقال: ويحك إنك أشرت على بذهاب ديني ودياري والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وإني قتلت حسيناً، والله ما أظن أحداً يلقي الله بدم الحسين (عليه السلام) إلا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه.

قال الحكيم والفيلسوف العارف والأديب الماهر شاعر آل محمد وهو يصف هلاك معاوية وكيف ان الله تعالى قد أمر شياطين جهنم باستقبال روحه القذرة وكيف

جعل خنزيره يزيد خليفة على المسلمين، ورؤيا يزيد لعنه الله تعالى وكتابه إلى الوليد يطلب فيه البيعة من الحسين عليه الصلاة والسلام وردّ الامام الحسين عليه الصلاة والسلام على الوليد بما ملخصه : «ومثلي لا يبايع مثله».

قال الفرطوسي رضوان الله تعالى عليه :

قد تداعى ركن من الجور عال***فتداعى للشرك شر بناء

وانطوت صفحة من الإثم أبقت*** خزيها بعدها ليوم البقاء

وتلاشى حكم من الغي باغ*** وتوارى عهد من الافتراء

وأتى ربّه ينوء من الوزر*** بعبء من أثقل الأعباء

فاستعانت جهنّم من وقود*** شبّ فيها لشدة الاضطواء

وأعدت له السلاسل حتى*** ضج من حرّها مقر الشقاء

وأقيمت له الموائد فيها*** حين صفت على صعيد البلاء

وكؤوس الحميم شرّ شراب*** وطعام الزقوم شرّ غذاء

و تنادى فيها الشياطين بشراً*** بشقي من أعظم الأشتياء

قد تعالى الطاغوت والجبّت فيه*** ورجال التابوت بالخيلاء

وتبنّى الترحيب فرعون فيه*** مع هامان في أتم احتفاء

وأقاموا حفلاً يغص احتشاداً*** بعناة الإلحاد والكبرياء

حين وافى إلى الحجيم ابن هند*** وتراءى خليفة الطلقاء

بعد عهد قد ضجت الأرض ممّا*** كان من جوره ضجيج السماء

اكتفى في صفين فيما جناه*** من ألوف القتلى وسفك الدماء

والضحايا أمثال عمّار فيها*** وسواه من خيرة النظراء

واغتصاب العهد الإلهي ظلماً*** هو حق لسيد الأوصياء

مع قتل الأبرار (حجراً وعمراً)*** وساهم من صفوة الأولياء

وبدس السم الذعاف ضلالاً*** واغتيالاً لسيد الأذكفاء

ص: 466

وسواها من الفظائع ممّا*** قد جناه في البدء والإنتهاء
من شرور حتى أقام يزيداً*** خلفاً بعده على الحتفاء
وأتى نعيه لخوران يسعى*** ويزيد فيها حليف البغاء
فأتى الشام وارتقى حين وافي*** لثرى الشام منبر الخطباء
بعد دفن الضحاك فيها ابن صخر*** حين واره في صعيد الوباء
قال قد مات والدي وتوارى*** بين مثواه من ثرى الحصباء
وهو يعطي ثلثاً لكم بعد ثلث*** حين يعطيكم رسوم العطاء
وأنا أدفع العطاء جميعاً*** لكم دفعة بكل سخاء
وهو يغزو في البر والبحر فيكم*** خارج الشام من فناً لفناء
وأنا هاهنا احتفاظاً عليكم*** سوف أبقىكم بدون غناء
غير أنني أظنّ حرباً ستعرو*** مع أهل العراق دون تنائي
حيث أنني أبصرت في النوم نهراً*** مستطيلاً يجري بحمر الدماء
قد أردت اجتيازه في عبور*** فتعصّى عليّ بعد العياء
وتستى العبور لابن زياد*** فيه فاجتازه وطرفي رائى
فأجابوه إننا لك جند*** سوف نغدو في الحرب خير فداء
فأفاض الأموال فيهم سيولاً*** وجباهم منها بأسنى حباء
وأتى للوليد شرّ كتاب*** من يزيد مبطن بالعداء
يطلب البيعة الخبيثة فيه*** من أهالي المدينة الصلحاء
وخصوصاً من الحسين ورهط*** عظماء من أسرة الخلفاء
فاستشار الوليد مروان فيما*** قد أتاه في أصوب الآراء
قال أرسل إليهم وخذ البيعة*** منهم ليلاً بظل الخفاء

والذي قَطَّ لم يبايعك فاقطع ***رأسه بالحسام بعد الإباء

وأتى للحسين منه رسول *** وهو في البيت لاهج بالثناء

ص: 467

فأتى بيته وأحضر جمعاً*** من بنيه وآله النجباء

قال إن الوليد ليلاً دعاني*** وأنا في مخافة واختشاء

حذراً أن يريد مني أمراً*** لست أعنو له بوقت الدعاء

فلتكونوا أنتم على الباب منه*** وامنعوه عني بوقت النداء

وأتى داره فرحب فيه*** ودعاه لبيعة الأدياء

قال إني أظن أنك تهوى*** علنا بيعتي مع الشهداء

وسبيدو غداً ونأتيك فيمن*** لك يأتي من سائر الحنفاء

قال فاذهب مودعاً بسلام*** وأمان يا خيرة الأمناء

قال مروان لا يفوتك فامسكه*** وخذها قهراً بغير ارتضاء

وإذا الشخص لم يبايع إباء*** وامتناعاً فأقتله دون رخاء

قال ردعاً أنت أم هو يمسي*** قاتلي يا سلالة الزرقاء

ثم بعد ذلك قال الامام عليه الصلاة والسلام: «ومثلي لا يبايع مثله».

أي هذا الأمير إن يزيداً*** فاسق فاجر بغير حياء

قاتل النفس شارب الخمر جهراً*** معلن بالفجور دون ارعواء

وهو دوني ولا يبايع مثلي*** مثله في حساسة وازدراء

ولقد قال في الخلافة جدّي*** إنها حرّمت على الطلقاء

غير أنا في الأمر ننظر طراً*** حين نغدو وبحكمة وبلاء

فترى أينأ أحق وأولى*** بيعة في خلافة الخلفاء

وعلا صوته فوافي إليه*** من مواليه خيرة الأولياء

أخرجوه قهراً عليهم وكرهاً*** بعد حفظ له من الإيذاء

نعم، لقد أخرجته إخوته وأولاده ومواليه من دار الوليد قهراً وهم شاكون في السلاح وهو

(عليه السلام) بينهم كالقمر ما بين النجوم يقدمهم أبو الفضل العباس بن علي قمر بني هاشم عليه الصلاة والسلام وهو كالأسد الغضبان
حتى أتوا بسيدنا وسيدهم

ص: 468

الامام الحسين عليه الصلاة والسلام إلى منزله مكرماً لم يصبه سوء من خنازير بني أمية لعنهم الله تعالى يقول العالم الجليل والمهذب النبيل والأديب الفاضل خادم وشاعر آل محمد الله عليهم الصلاة والسلام الحاج ملا عطية الجمري قدس الله نفسه الزكية وهو يصف الحالة التي كان عليها بني هاشم عندما هجموا على دار الوليد وأخرجوا الامام عليه الصلاة والسلام قهراً من دار الوليد:

هجت اليوث الحرايب والشعورا منشره*** والسيوف على الكتا اتلوح كلها مشهره

اويو الفضل جدامهم والغضب لاح ابغرته*** ايصيح لحد والدي الكرار وانا ضنوته

زيد وارعد وانذهل مروان بس من لحظته*** او صاح انا عبدك يخويه والاردان امشمره

عبدك او بمرك ييو السجاد امرني اشتريد*** والله لو تامر لطب الشام وخبصها وزيد

حيدر الكرار ابونا ما يذللنا يزيد*** واحنا معروفين كلنا اسباع عند الزمجره

او حورب ابن الحنفية او نشر راسه على الكتاف** او صاح كلنا الشبال حيدر ما نزل او

لا نخاف

او من بريج السيف بيديه الوليد الموت شاف*** او حفت ابدر المجد ذيك النجوم المزهره

ما حلاهم يوم صفوا حول عزهم ينتخون*** لو لهم حصلت الرخصة يعلم الله اشيفعلون

كلهم احيود او ضياغم على الهظم ما يصبرون*** نكسوا روس الاعادي او طلغوا ليوث الشرى

ص: 469

نعم، هكذا فعل بنو هاشم مع الوليد فخلصوا الامام الحسين عليه الصلاة والسلام من، داره ولكن أين كان بنو هاشم عن سيدنا وسيدهم الحسين عليه الصلاة والسلام يوم عاشوراء حين بقي وحيداً فريداً بين القوم الظالمين لعنهم الله تعالى وهو(عليه السلام) لا ناصر له ولا معين (بلي) كانوا مطرحين على الرمضاء مرملين بالدماء مقطعة أعضاؤهم مبددة أوصالهم قد هشم القوم الكافرين لعنهم الله تعالى منهم الروس والصدور، فيحق لبني هاشم أن لا يهدأ لهم بال ولا يستقر لهم حال ولا يغمض لهم جفن من أجل تلك المصائب والمحن التي نزلت بساحة الحسين وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولذا تجد السيد النجيب والأديب الحبيب السيد حيدر الحلي رضوان الله تعالى عليه يخاطبهم معاتباً لهم مرة ومرة أخرى يستنهضم ومرة ثالثة يطلب منهم أن يردوا الجفون على القذا بقوله:

لتلو لويّ الجيد ناكسة الطرف *** فهاشمها بالطف مهشومة الأنف

وفي الأرض فلتنتل كنانة نبلها *** فلم يبق سهم في وفاضهم يشفى

ويا مضر الحمراء لا تشري اللوا *** فإنّ لوك اليوم أجدر باللف

ويا غالباً ردي الجفون على القذا *** لمن أنت بعد اليوم ممدودة الطرف

لتنض نزار الشوس نثرة زغفها *** فبعد أبي الضيم ما هي للزغف

بنى البيض أحساباً كراماً وأوجهاً *** وساماً وأسيافاً هي البرق في الخطف

ألستم إذا عن ساقها الحرب شمّرت *** وعن نابها قد قاصت شفة الحتف

سحبتم إليها ذيل كلّ مفاضة *** تردّ الضبا بالثلم والسمر بالقصف

فكيف رضيتم من حرارة وترها *** بماء الطلا منكم ضبا القوم تستشفي

ألم يأتكم أن الحسين تنازعت *** حشاه القنا حتى ثوى بشرى الطف

بشم أنوفٍ أكرهوا السمر فانتنت *** تكسرُ غيضاً وهي راعفة الانف

آبا حسن أبناؤك اليوم حلقت *** بقادمة الأسياف عن خطة الخسف

ثنت عطفها نحو المنيّة إذ أبت *** بأن تغتدي للذلّ مثنية العطف ل
لقد حشدت حشد العطاش على الردى *** عطاشاً وما بلّت حشاً بسوى اللهف
ثوت حيث لم تدمم لها الحرب موقفاً *** ولا قبضت بالرعب منها على كفّ
سل الطف عنهم أين بالأمس طنّبوا *** وأين استقلوا اليوم عن عرصة الطفّ
وهل زحفُ هذا اليوم أبقى لحيهم *** عميد وغي يستنهض الحي للزحف
فلا وأبيك الخير لم يبق منهم *** قريع وغيّ يُقري القنا مهج الصف
مشوا تحت ظلّ المرهفات جميعهم *** بأفئدة حرّى إلى مورد الحنّف
فتلك على الرمضاء صرعى جُسومهم *** ونسوتهم هاتيك أسرى على العجف
مضوا بالأنوف الشمّ قدماً وبعدهم *** تخال نزاراً تنشق النقع في أنف
وهل يملك الموتور قائم سيفه *** ليدفع عنه الضيم وهو بلا كف
خذي يا قلوب الطالبين قرحةً *** تزول الليالي وهي دامية القرف
فإنّ التي لم تبرح الخدر أبرزت *** عشيةً لا كهف فتأوى إلى كهف
لقد رفعت عنها يد القوم سحفتها *** وكان صفيح الهند حاشية السجف
وقد كان من فرط الخفارة صوتها *** يغصّ، فغصّ اليوم من شدّة الضعف
وهاطقةٍ ناحت على فقد إلفها *** كما هتفت في الدوح فاقدة الإلف
لقد فرعت من هجمة القوم ولّها *** إلى ابن أبيها وهو فوق الثرى مخفٍ
فنادت عليه حين ألفته عارياً *** على جسمه تسفى صبا الريح ما تسفى
حملت الرزايا قبل يومك كلّها *** فما أنقضت ظهري ولا أوهنت كتفي
ولا ويت من دهري جميع صروفه *** فلم يلو صبري قبل فقدك في صرفي
ثكلتك حين استعضل الخطب واحداً *** أرى كلّ عضومك يغني عن الألف
بودّي لو أنّ الردى كان مرقدي *** ولا ابن أبي نبهت من رقدة الحنّف

ويالوعاً لو ضمنى اللحد قبلها*** ولم أبد بين القوم خاشعة الطرف (1).

ص: 471

1- ديوان السيد حيدر الحلبي : 95 - 97 .

جاء في السيرة: انّ السيدة الجليلة زينب الحوراء عليها أفضل الصلاة والسلام لما كان يوم عاشوراء وبعد أن قتل الامام الحسين عليه الصلاة والسلام جاءت إليه فأكبّت عليه وقالت له : أخي يا حسين ثلاثاً قلم يرد عليها جواباً، ثم قالت له : أنت حمانا ، أنت رجانا ، أنت ابن محمد المصطفى، أنت ابن علي المرتضى، يا أخاه كلمني بحق جدك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو لا يستطيع ردّ الجواب لكثرة الضرب والطعن الذي في جسمه الشريف ولكن أشار إليها بكلام خفيّ وقال لها : يا أختاه بالله عليك أن تسكتين ولا تعولين فقد ازددت كراباً على كربي، ولكنّ زينب(عليها السلام) لم يمكنها الصمت والسكوت وهي تراه على تلك الحالة فنادت : يا جداه يا محمداه صلّى عليك مليك السماء هذا حسين بالعراء قد غسل بالدماء قتله أولاد البغايا والأدعياء وا أخاه ليت الموت أعدمني لحياة قبل هذا اليوم ولم أرك خضيباً بالدماء صريعاً على الرمضاء وليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل يابن مكة ومنى يا بن زمزم والصفاء، يابن محمد المصطفى، ثم قالت (عليه السلام): فإلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى، واطول حزناه واكربتاه واغربتاه اليوم مات جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، اليوم مات أبي علي المرتضى اليوم ماتت أمي فاطمة الزهراء(عليها السلام)بأبي القتيل المغسل بالدماء بأبي محزوز الرأس من القفا، بأبي مسلوب العمامة والردا بأبي العطشان حتى قضى بأبي المهموم حتى مضى، بأبي من لا هو غائب فيرتجى ولا هو جريح فيداوى، بأبي ابن محمد المصطفى، بأبي ابن علي المرتضى بأبي ابن فاطمة الزهراء، بأبي الصريع في كربلاء ، بأبي الذبيح على شاطئ الفرات، بأبي الظمآن ، بأبي السليب العريان.

قال من حضر ذلك الموقف : فأبكت زينب(عليها السلام) بهذا الكلام وهذا الندب كلّ من سمعها حتى الأعداء، فكانت دموع ابن سعد لعنه الله تنحدر على لحيته المشؤومة ، فقالت له زينب(عليها السلام): ويحك يابن سعد : ويحك يابن سعد أيقتل أبو عبد الله الحسين(عليه السلام)وأنت تنظر إليه .

نعم، هكذا بقي أبو عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام على بوغاء كربلاء ثلاثة أيام بلا تغسيل ولا تكفين ومع ذلك وفي آخر لحظة من لحظات حياته المباركة كان يوصي أخته الحوراء زينب عليها الصلاة والسلام بالصبر والتجلد وأن تبلغ عنه إلى شيعته ومريديه وأهل بيته السلام وأن لا يتركوا النياحة والبكاء عليه :

مهجة الزهري على الغبري يطوح ونه*** اتصدع الجملد وصايا اللي بداها الشيعة

شيعتي نصبوا المأتم والعزى لمصيبتي*** واذكروا تعفير خدي بالتراب او ذبحتي

ولو شربتوا لماي ذكروني العطش فت مهجتي**واقصدوني الكربلاء والكل يسكب عبرته

لو تشوفوني يشيعه اعلى الشا مرمي طريح*** خدي موسد ترايب والدماء مني تسيح

كم عضيد وكم ولد ليه قضى قبلي ذبيح***واحد ايضل بالشريعة او احد ارفع جثته

شيعتي واللي قطع ظهري ونحل مني القوى***وحدتي من وقع يم النهر شيال اللوى

وصلت يمه ولقيته ادموعه او مخه سوى*** ولكفوف امقطعه ايدوب القلب من شوفته

شيعتي وابن الحسن جسام عريس او شباب**صارت العركة عروسه ودمه السافح اخضاب

والنثار النبل وافراش الولد حر التراب***ويين كوفي او بين خطي وبين هندي زفته

شيعتي وابني على لكبر نحل مني الجسد*** بس شبح بالعين ليه اعلى الشرا راح الجلد

بدر كامل ماجرى عند الخلق مثله ولد*** يجذب الونه او يعالج نور عينه ارويحته

شيعتي او لازم يوصلكم خبر عني او علم*** طفلي عبدالله على صدري انفر انحر ابسهم

شفته او قلبي تفرط واستهل دمعي ابدم*** شبح لي ابعينه وجذب ونه او مالت رقبته

شيعتي كثر البكا حقي عليكم والنحيب*** شفتوا مثلي بالخلق مذبوح عطشان اوغريب

ولكفن سافي يشيعه وبالدماء شيبني خضيب*** والحراير نصب عيني من خدرها امشثته

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني*** او سمعتم بقتيل او ذبيح فاندبونني

فانا السبط الذي من غير جرم قتلوني*** ليتكم عندي جميعاً يوم عاشوراء تروني

جئت أستسقى لطفلي فأبوا أن يرحموني*** ويجرد الخيل ظلماً بعد قتلي سحوني

خبر لهل المروة من يشيعه*** جنازة حسين مرمى من يشيعه

فدى بروحه وعزوته الكم يشيعه*** فرض واجب تنصبوا له عزيه

أفدي الذي رزوه ابكى السما دماً*** وزعزع الدين والأركان والحرما

يا من بخيل الأعادي صدره حطماً*** أيّ المحاجر لا تبكي عليك دماً

أبكيت والله حتى محجر الحجر

رزو تكاد السّما تهوى لمصرعه *** وجبرئيل شجاً يذرى لأدمعه

والبدر كور لم يظهر بمطلعه *** وإن بكى القمر الأعلى لمصرعه

فما بكى قمر إلا على قمر

قال الله تعالى في كتابه المجيد (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) هذه الآية المباركة تأمر النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يظهر أمر الدعوة الإسلامية المباركة وأنه لا حاجة إلى التكتّم في أمرها بعد أن مكّنه الله تعالى من إجتياز العقبات التي قد واجهته في بداية الأمر حيث اضطر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أن يباشر أمر الدعوة بصورة التكتّم والتستر .

ومن هنا ينبغي أن نعرف بأن الدعوة في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ بعثته إلى وفاته كانت على ثلاث مراحل نتحدّث في هذه الجلسة المباركة ولو بالإشارة إليها

فيما يلي:

المرحلة الأولى : كانت دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سرّاً لا يفتح بها إلا من على الظن انه سيسمع لها أو يؤمن بها.

وتبدأ هذه المرحلة بنزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غار حراء. قال ابن هشام: «وكان يدعوهم إلى ذلك سرّاً وحذراً من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيها فلم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) يظهر الدعوة في المجالس العمومية لقريش، ولم يكن يدعو إلا من كانت تشده إليه صلة قرابة أو معرفة سابقة، وكان هؤلاء يلتقون بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سرّاً وكان أحدهم إذا أراد ممارسة عبادة من العبادات ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها عن أنظار قريش».

وفي هذه المرحلة شكل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نواة الدعوة الأولى لتحمل مسؤولية الدعوة، ولتمارسها بخفاء وحذر (ولما أربي الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين ما بين رجل وامرأة، اختار لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبي الأرقم ليلتقي بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم وكانت حصيلة الدعوة في هذه

ص: 475

الفترة ما يقارب أربعين رجلاً وامرأة دخلوا الإسلام عامتهم من الفقراء والأرقاء، وممن لا شأن لهم بين قريش».

ولا ريب أن تكتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعوته إلى الإسلام خلال هذه السنوات الأولى، لم يكن بسبب الخوف على نفسه، بل خوفاً على مستقبل الدعوة من أي نشاط إرهابي يقضى عليها وهي لما تكتمل بعد ولم ترسخ لكي تصمد أمام أي معارضة أو مواجهة سافرة، قد يتهددها بالفناء.

والعمل السري الذي اتبعه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعوته أراد به ضمان أمرين :

1- عدم تعريض الطليعة المؤمنة، لأي عمل إرهابي يشل الحركة ويفكك ارتباطها، ومن ثم يدفعها إلى التشرذم والضياع.

2 - توفير العدد الكافي من المؤمنين بالرسالة لكي تتحمل مسؤولياتها في التغيير الإسلامي بجدارة وإيمان.

ولما ازداد نشاط المسلمين وتكاثر عددهم أصبح من الصعب ستر أعمالهم وتجمعهم وصلاتهم، وإن تم ذلك في الشعاب والوديان وعلمت قريش بوجود الدعوة، وحسبت للأمر حسابه وحاولت جاهدة أن تستطلع الأمر، وتحصل على تفصيلات أكثر حول اتباع الدين الجديد فأرسلت عيونها يراقبون المسلمين عند حلهم وترحالهم ويتتبعون أخبارهم وفي ذات يوم بينما كان سعد بن أبي وقاص (1) في نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى، قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من من المشركين بلحى بعير فشجه فكان أول دم أهرق في الإسلام. هذه الحادثة الخطيرة لم تقزع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بل اعتبر انكشاف الدعوة جزئياً أمراً طبيعياً، بعد أن فشا أمر الدين الجديد في مكة،

ص: 476

1- سعد بن أبي وقاص ولده عمر قاتل الامام الحسين عليه الصلاة والسلام وعليه لا خير فيه وان كان هو حارساً أدخل الإسلام كما يقال، كما لأن الله تعالى يقول: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) .

وبلغ حداً الانتشار، بحيث لا يمكن معه الكتمان التام فقد آن الأوان للجهر بالدعوة وإظهار الدين، وكانت إيداناً بتحوّل الدعوة إلى طور جديد من أطوار العمل، بعد أن اطمئن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تكامل العناصر الضرورية لهذه المرحلة، إذ بلغ عدد المسلمين وفهمهم للإسلام حداً مناسباً وأصبحوا من القوة، بحيث لا يمكن القضاء عليهم - مع ملاحظة بقية الظروف الاجتماعية كحمايته (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل عمه أبي طالب الا الله ، وإيمان جماعة يعتز بهم الإسلام كعمه حمزة بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام.

«كما أن العنصر الثاني من عناصر الدعوة في هذه المرحلة كاد أن يتكامل، وهو تطلع الأمة إليها وقبول كثير ممن عرضت عليهم الدعوة».

واستمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات، وإلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه بقوله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) الآية الكريمة التي عطرنا بذكرها جلستنا هذه وبقوله تعالى أيضاً (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وقوله تعالى: (وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ) .

المرحلة الثانية وفي هذه المرحلة استجاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لقوله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) وبدأ بتنفيذ أمر ربه، حيث دعاء جميع ذويه وأهل قرابته وعشيرته - دعاهم فيها للإسلام، وأبلغهم رسالة الله تعالى : فقال له : «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس : أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف : أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة : أنقذي نفسك من النار، فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً غير ان لكم رحماً سأبليها ببلاها أي وصعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر، يا بني عدي حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر : ما هو ؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم

قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزل قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) وكان ردّ الفعل من قريش أمام جهره بالدعوة أن أدبروا عنه وتكفروا لدعوته، حتى تحمّل المسلمون من أجلها صنوف الاضطهاد والتعذيب وقاسوا من الأذى ما عبّد لهم طريق النصر، ليحققوا رضا الله تعالى، ويسقوا العقيدة بالدماء، حتى قال: الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أؤذي نبي مثلاً أؤذيت ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: «بينما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبه بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى بمنكبه، ودفعه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟»

ومنه ما رواه الطبري وابن إسحاق أن بعضهم عمد الى قبضة من التراب، فنثرها على رأسه وهو يسير في بعض سكك مكة وعاد إلى البيت والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لها: يا بنية، لا تبكي فإن الله مانع أباك وأما أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، فقد تجرّع كلّ منهم ألواناً من العذاب، ويروى عن خباب بن الأرت أنه قال: أتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن لقي من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟

فقعد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو محمر الوجه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنّ الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله».

وعند ما شعر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن دعوته وصلت إلى حالة ركود وانكماش في مكة، وتوقفت تقريباً حركة الإنضمام الجماعي والمستمر للدعوة، بعد أن وصل الإرهاب والتعذيب، قمته، ورأى أن حالة الركود هذه تحمل تهديداً مباشراً بانحسار الدعوة

وتوقف مدها وبالتالي نهايتها... كل هذه الاعتبارات جعلته (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتقل بدعوته إلى

الطائف يلتبس النصره من ثقيف ، ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله تعالى، ليكسب بهم أعواناً جدداً لرسالته المباركة يهيؤون القاعدة الجديدة ومركز انطلاقها، بعد أن وجد(صلى الله عليه وآله وسلم) أن مكة لا تصلح أن تكون قاعدة لعمله الرسالي وخصوصاً بعد ما أثمرت عمليات التعذيب والإرهاب في تركيد وتوقف حركة المد التي حدثت قبل ذلك .

ولما انتهى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)إلى الطائف ، أراد أن يكسب إليه الزعامات المتنفذة فيها لأهميتها وكثرة أتباعها ، فعمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ ساداته فجلس إليهم ودعاهم إلى الله...فردوا عليه ردّاً منكرًا، وفاجأوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمح القول - فقام رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش فلم يجيبوه إلى ذلك أيضاً . ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة، حتى أن قدمي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لتدميان، وقد سُج في رأسه الشريف عدة شجاج، فشكا أمره إلى الله تعالى، وقد رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدوّ وملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

ثم عاد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)ومعه زيد بن حارثة يريد دخول مكة ، فقال له زيد: كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك؟

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم)يا زيد ، إنّ الله تعالى جاعل لما ترى فرحاً ومخرجاً وان الله تعالى ناصر دينه ومظهر نبيه، ثم أرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي يخبره أنه

داخل مكة في جواره، فاستجاب مطعم لذلك وعاد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة .

وبعد عودة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة، أخذ يتدبّر تجربة الطائف الأليمة، وسوء العاملة التي لقيها منهم، وعدم إنجاز هدفه من خلق قاعدة ارتكاز لدعوته في الطائف بدل مكة. ويبدو أن دراسة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتجربة الطائف وتقييمها وتحليل أسباب عدم نجاحها جاءت بالمعطيات العملية التالية :

1 - اكتشف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الطائف لا تصلح قاعدة ارتكاز لعمله، نظراً لعلاقتها وارتباطاتها الوثيقة بمكة كما أنها جغرافياً لا تبعد عنها إلا بحوالي (40) ميلاً مما يجعلها غير مأمونة من هجمات قريش ومباغتها لقربها .

2 - عدم صلاحية تولي (صلى الله عليه وآله وسلم) عرض الدعوة بنفسه في وسط معادي، مما أدى إلى محاصرته وإحباط دعوته بالشعب عليه وعدم منحه فرصة الحديث وممارسة

تأثيره عليهم.

ومن هنا نرى أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) استأنف جهوده عند حلول موسم الحج منتقلاً بين وفودها حيث اجتمع بستة من أهل يثرب - المدينة - وأخذ يدعوهم لرسالته، فأمنوا به، وأقسموا أن يعملوا في سبيلها عند عودتهم إلى بلدهم. وفي نجاح النبي الله بإقناع هؤلاء تكمن أخطر تحولات العمل التنظيمي للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تاريخ الإسلام. ولم يكن اجتماعه (صلى الله عليه وآله وسلم) بهؤلاء الستة عملاً عفواً بل مقصوداً، حيث اجتمع بهم بشكل شبه سري وركز على عدد محدود، لا كما فعل مع باقي الوفود حيث كان يدعوها علانية.

إن سرية الاجتماع، واختيار التوقيت موسم الحج تحمل دلالات كبيرة لا يمكن إغفالها، وذلك بالمقارنة مع تجربة الطائف الأليمة، الغنية بالدروس... فقد غير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خطته بالنسبة لقاعدة الارتكاز، فكانت يثرب - المدينة - موضع اختياره الجديد معتمداً على بعدها الجغرافي عن مكة حيث تبعد عنها أكثر من (250) ميلاً مما يجعلها بمأمن من هجمات قريش المتتالية والمفاجئة.

ولقد كانت يثرب مهياً اجتماعياً لتكون قاعدة ارتكاز للدعوة، فإن طول

النزاع القبلي بين سكانها من الأوس والخزرج واليهود جعلها منطقة مفككة اجتماعياً، فكما أنها لا تستطيع أن تتماسك أمام رياح الإسلام فإنها كانت تتطلع إلى فكرة أو رجل تلتف حوله لينزع عنها إلى الأبد هذه العصبية المستعصية وإلى جوار لك كله كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في يثرب أخوال من بني النجار، ويثرب نفسها تدرك ذلك وتدرك أن الوالديه (صلى الله عليه وآله وسلم) قبرا فيها .

بالإضافة إلى ذلك تعتبر يثرب غنية بإمكانياتها المادية ... وتسيطر على طريق تجارة مكة - الشام. وفي هذه المرة لم يذهب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه إلى يثرب كما فعل في الطائف - حيث التجربة الأليمة - بل تخلى عن أسلوب العمل المباشر ، واعتمد في نشر الدعوة وتعاليمها بواسطة أهل المدينة أنفسهم، فذلك أسلوب أكثر فائدة، وأسرع في تحقيق النتائج، لأنهم أقدر على معرفة بلدهم وظروفها وظروف أهلها، وهم بالتالي أكثر تأثيراً في أهلهم وأصحابهم ولن يستريب فيهم أحد.

واستهدف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنشاط هؤلاء الستة، وما يكسبونه من أنصار، تهيئة الجوّ وخلق مناخ مؤيد متعاطف مع الدعوة ومبادئها الجديدة.

وعندما حلّ موسم الحج الثاني التقى له الله مع اثني عشر رجلاً من اليثريين، واجتمع بهم سرّاً في وادي ضيق بالعقبة وهي العقبة الأولى، أعلنوا فيها إيمانهم، وقبولهم في نشر الدعوة الإسلامية.

فلما أرادوا الانصراف بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معهم مصعب بن عمير وهو واحد من أكفأ الصحابة من مسلمي مكة، ليقوم بتعليم أهل يثرب الإسلام ويفقههم في الدين، وليجعل منهم قوة منظمة أكثر فاعلية ودقة في نشر الدين الجديد في صفوف أهل المدينة.

ومصعب بن عمير كما هو معروف من أوائل من أسلموا في مكة ومعروف بوعيه للدين ومعاصرته لفترة الإرهاب والاضطهاد التي شنتها قريش والقوى الجاهلية على مسلمي مكة، وبالتالي فهو خير بشى أساليب العمل والتنظيم.

إن وجود مصعب بن عمير رضوان الله تعالى عليه على رأس هذه الجماعة ضماناً تنظيمية حتى لا يرتد هؤلاء المؤمنون الجدد عن إيمانهم وعن وعدهم بالعمل المثمر في نشر الإسلام ، خصوصاً وإن مرور عام كامل بين موسم وآخر كفيل بأن يوهن من عزيمتهم واندفاعهم، وهم لم يتلقوا التعاليم كاملة ويفهموها بعمق ومعرفة تامة ليكونوا دعاة على مستوى عالٍ من الفهم والقدرة على الإقناع وعلى كسب الآخرين ... وانعدام الارتباط المنظم يؤدي بالضرورة إلى تحلل أي جماعة وعدم انضباطها أو ترابطها وتشتت جهود أفرادها وفشلهم فيما بعد.

الهجرة والانتقال إلى قاعدة الارتكاز :

ثم إن مصعب بن عمير عاد إلى مكة في موسم العام التالي ومعه جمع كبير من مسلمي المدينة، خرجوا مستخفين مع حجاج قومهم المشركين... ويبدو أن مصعباً قبل حضوره إلى مكة، قد رتب اجتماعاً بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين مسلمي يثرب بعد انتهاء موسم الحج، بعد أن حدثه عن أعماله ونشاطه وعمّا أحرزته الدعوة الإسلامية من نجاح، حيث ازداد عدد المسلمين وأصبح جوّ المدينة العام مؤيداً ومهيئاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال محمد بن إسحاق يروي عن كعب بن مالك : فواعدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها، نمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تتسلل تسلّل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من رجلاً ومعنا امرأتان من نساتنا... قال : فاجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب، فتكلم القوم وقالوا : «خذ منا لنفسك ما أحببت فتكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام ، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم وسألهم (صلى الله عليه وآله وسلم) هل هم هل هم مستعدون لحمايته ولنصرته في سبيل الدين وتحمل كافة التبعات المترتبة على ذلك.

ص: 482

ويقول ابن هشام: «وبإيعام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربّه وجعل لهم على الوفاء بذلك

الجنة، ووافق الجمع وأقسموا على حمايته حتى النصر أو الموت».

قال عبادة بن الصامت بإيعام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن

نقول بالحق وإنما كنا لا نخاف في لومة لائم . وكانت أول آية نزلت في الإذن بالحرب للرسول قوله تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

المرحلة الثالثة : قدّر الله تعالى لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد كل هذه المحاولات أن يجد في حجاج يثرب غاية التي كان ينشدها فيها جر (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يثرب بعد أن اشتد العذاب والبلاء بالمسلمين، وهناك أنشأ (صلى الله عليه وآله وسلم) أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف مشنها الأول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال ابن سعد في طبقاته : «لما صدر السبعون عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طابت نفسه ، فقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ، ونجدة ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى . فشكا ذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستأذنوه في الهجرة ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها» فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك».

أما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فانطلق إلى الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الودائع التي كانت عنده (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس . ولما كانت عتمة تلك الليلة التي هاجر فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتمع المشركون على باب رسول الله الا الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يترصبون به ليقتلوه ، وخرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من بينهم، وقد ألقى الله عليهم سنة

من النوم بعد أن ترك علياً في مكانه نائماً ، وطمأنه بأنه لن يصل إليه أي مكروه.

وبوصول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يثرب، واستقراره فيها، أقبل على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، واستلم على الله فيها زمام الحكم كأول قائد في هذا المجتمع الجديد بكل ما يرتبط بالحكم من شؤون السياسة والاقتصاد والإدارة والقضاء. وبعد أن تجذر الوجود الإسلامي في المدينة، بادر (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مرحلة المواجهة والجهاد ليهاجم القوى الجاهلية المتمثلة بقريش، وليقضي على خطرهما وتأثيرها على الدعوة الإسلامية.

ولقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حاسماً في مواجهته للمشركين واليهود في هذه المرحلة.... فقد كانت مسألة الحكم صراعاً بين الإسلام والجاهلية، وكان لابد من القوة والعنف حينما كان الأمر يتطلب ذلك.

هذه آخر مرحلة من مراحل الدعوة، وقد مرّ بنا من خلال الحديث ان الآية الكريمة تشير إلى المرحلة الثانية من تلك المراحل المذكورة.

قال الأديب الفرطوسي حاكياً لنا ظروف الدعوة الإسلامية المباركة ومخاطباً الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله :

يا رسول الإسلام بوركت فيها*** دعوة بوركت بوحى السماء

قد رفعت الإسلام صرحاً منيعاً*** بيد منك للهدى بيضاء

وتحملت من جهادك عبأً*** في ظروف محفوفة بالبلاء

دون وهن يعرفون بقلبك ممّا*** كنت تلقاه من عظيم العناء

يوم كان الإسلام غرساً جديداً*** ناشئاً فوق تربة جذباء

وشعاعاً من الرشاد ضئيلاً*** بين أطباق ظلمة عشواء

ومعينا نزرأ بقلب خضم*** من أجاج يطغى على كلّ ماء

ونسيماً عذباً يرف فيطوى*** بين عصف الزوابع الهوجاء

وقوارير من زجاج رقيق*** ترتمي فوق صخرة صماء

ودعاة الفساد تهدم كفرة*** من دعاة الإصلاح كل بناء

وجميع الأصنام تعبد شركاً*** وضلالاً فيهم بغير اهتداء

والتقاليد تقتفى وهي عرف*** قبلي بأبعد الإقتفاء

واختلاف الأهواء يلعب دوراً*** في حياة تجري مع الأهواء

والزعامات وهي تضرى بعصر*** جاهلي يغص بالزعماء

وهي تبغي تحكماً ونفوذاً*** فوضوياً في أنفس الضعفاء

والكهانات يقتدى في رواها*** كالقيافات في أتم اقتداء

وعداء اليهود للدين أقوى*** عامل مفسد وأعظم داء

يتبنى من الدسائس حشداً*** فاتكاً بالهدى بظل الخفاء

وقريش تقود جيش عقوق*** لابنها البر معلناً بالعداء

كل هذا عوامل تتلاقى*** بعد بعد ما بينها وتناهي

وجهود تظافت بقواها*** وهي حرب لخاتم الأنبياء

وقال أيضاً في هجرة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة وأسبابها، ومبيت عليّ عليه الصلاة والسلام على فراش الرسول ،
وحديث كيفية دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغار، وكيفية دخوله إلى مدينة يثرب ما يلي:

يمكر الله بغتة بالأعادي*** حينما يمكرون بالأولياء

آية أنزلت بمكر قريش*** حين هموا بخاتم الأنبياء

يوم وافي إليه سبعون شخصاً*** من سراة الأنصار والزعماء

بايعوه (صلى الله عليه وآله وسلم) وآمنوا فيه صدقاً*** بعد إيمانهم برّب السماء

وهم عاهدوه أن يمنعوه*** من أذى المعتدين والسفهاء

مثل ما يمنعون أغلى نفوس*** وأهال لهم من الأعداء

حين من مكة ليثرب يأوي*** بعد عهد جرى مع النقباء

و تناهی حدیثهم لقریش *** حین نادی ایلیس شرّ نداء

ص: 485

فأتى المشركون منهم فصدوا*** بعلي وسيد الشهداء
وتناجى في ندوة الغدر منهم*** أربعوناً كانوا من الرؤساء
أجمعوا أمرهم على قتل طه (صلى الله عليه وآله وسلم)*** بعد تمحيص سائر الآراء
بيته في الدار كي يقتلوه*** حين جاؤا إليه وقت العشاء

الهجرة المباركة والوداع

هذه مكة وهذا حماها*** وهي أمن لكلٍ دانٍ ونائي
هذه التربة الزكية مهد*** وصعيد لصفوة الأزكياء
ولد المصطفى محمد فيها*** وتوارى أطايب الآباء
وابنها البر لم يجد في ثراها*** هي أم الأمان أي احتماء
أخرجوه وهو الأمين عقوقاً*** من حماها الأمين بعد الجفاء
عند فقد النصير والعون فيها*** وأبو طالب رهين الفناء
فتتاءى مودعاً لتراها*** بحنين ولوعة وبكاء
حين وافى جبريل بالوحي منه*** فاضحاً كيدهم بكشف الغطاء
بعد أمر منه بهجرة طه*** تحت جنح من الدجى وغشاء
ومبيت الوصي وهو عليّ*** بفراش النبي تحت الخفاء
مبيت علي (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ودعى المصطفى عليّاً فلبيّ*** دعوة الحق عند وقت الدعاء
قال قد جاء أمر ربي فكُن لي*** عنهم جنةً لدفع البلاء
فهوى ساجداً إلى الله شكراً*** مستجيباً لرّبّه باخشاء
حين ينجو محمد من قريش*** وهو يمسي رمزاً لهذا الفداء

وأتى الوحي من إله البرايا*** في علي مجلجلاً بالثناء
ومن الناس من يبيع ابتغاء*** لرضا الله نفسه بالشراء
واصطفاه النبي لما ارتضاه*** وعلّي أخوه بالاصطفاء
حين أعطى له الودائع طراً*** لتؤدّي لأهلها بوفاء
واجتبه إلى المبيت فداء*** على أحق بالاجتباء
فوقاه بنفسه وكفاه*** أنه للنبي خير وقاء
حين باهى الإله ميكال فيه*** بعد جبريل أفضل الأمان
يوم آخي ما بين هذا وهذا*** فأراد الفردان طول البقاء
قال هلا أصبحتما بالتفادي*** كعلّي وأحمد في الإخاء
اهبطا واحفظاه من كيد باغ*** واحرساه من سطوة الأعداء
فجثا عند رأسه جبرئيل*** وهو مُلقى على صعيد العلاء
وهو يدعو بخ بخ لك فضلاً*** يا عليّ بمثل هذا العطاء
وقريش لطلعة الفجر ترنو*** ولطه بأعين الرقباء
وإذا بالوصي أتوه*** يتلقى منهم جموع العداء
شاهراً سيفه عليهم فقالوا*** أين طه فقال دون اتقاء
ما أنا حارس عليه مقيم*** لكم يا معاشر الجهلاء
أفلستم أخرجتموه فعادوا*** خيبة بالقنوط بعد الرجاء

حديث دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغار

وسرى جبرئيل في جنب طه*** وهو يتلو في ليلة الإسراء
وجعلنا من الغشاوة سداً*** بين أيديهم عمى والوراء
وقريش بالباب ترصد طه*** عين أسرى من دون رؤية رائني

فنجى والوقاء خير وقاء*** منهم والحفيظ ربّ السماء

ص: 487

حينما أخرجوه منها بكرة*** خائفاً في غياب الظلماء

يوم أوى للغار خوفاً وجاءوا*** يتبعون الآثار بالافتقاء

فحماء الإله من كل كيدٍ*** ووقاه من شرهم بوقاء

حين أوحى للعنكبوت فغطت*** فوهة الغار عنهم بغطاء

بيضت عنده الحمامة حتى*** صار عشاً إلى طيور الفضاء

وتدلّت ثمامة (1) ظلّته*** شُعبٌ من غصونها الخضراء

وهو غشى العيون منهم ضللاً*** فكفاه البلوى بأوهى غشاء

دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مدينة يثرب

هذه يثرب وهذا تراها*** وهو مهد الشريعة الغراء

والمروج الخضراء تزهو ابتهاجاً*** والروابي تضوع بالأشذاء

وعذاري النخيل تهتز بشراً*** من رفيف الجدائل الزرقاء

والصبايا وهي الأفاحي ثغوراً*** تتهادى بفرحة وازدهاء

والأغاريد بالمسرات تشدو*** فتعجّ الأجواء بالأصداء

وبطاح الثرى تسيل احتشاداً*** وجموع الأنصار كالأنواء

كلّ هذا بشراً بمقدم طه*** وابتهاجاً بخاتم الأنبياء

والنبيّ الأمي خير سراج*** مستنير للأمة العمياء

منبع العلم، والحضارة علماً*** ورشاداً من منبع العلماء

مشرق النور والهداية أفق*** شق بالنور ظلمة الصحراء

مهبط الوحي والأمين عليه*** معدن للرسالة البيضاء

هو فجر من الجهاد منير*** وانطلاق من ريقة الأدياء

ورسول بالحق يحكم عدلاً*** وحكيم يسمو على الحكماء

أبصر الأفق بالمدينة رحباً*** فتجلّى من الهدى بضياء

وأخيراً وقبل أن تنتقل بالأخوة الكرام في هذه الجلسة المباركة إلى المصيبة نهيب بالدعاة الاسلاميين أن يستفيدوا في تبليغاتهم للإسلام من تجارب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يجعلوه قدوة لهم في ذلك لأنه القائد الأعلى والمؤسس لدولة الاسلام العظيم. لذا عليهم أن يلتزموا بما يلي:

1 - أن يصمدوا في تبليغاتهم من أجل إعلاء كلمة الله وذلك بنشر التعاليم الاسلامية في الناس أولاً ومحاربة اعداء الله تعالى ثانياً حتى يتم النصر والظفر والعلو للإسلام ويسود المعمورة ومن ثم يسود المسلمون بسيادته.

2 - عليهم أن يعلموا أن القتل والتعذيب أو الموت من أجل الاسلام وفي سبيل الله تعالى كرامة وعزاً لهم من الله تعالى.

3- أن يعلموا أن كلما يتحملونه من تعب ونصب ومرض وغير ذلك في سبيل الله يضاعف الله تعالى لهم فيه الأجر والثواب.

4 - عليهم أن يعلموا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تحمل في سبيل الله وفي سبيل الاسلام ونشر تعاليمه من التعب والنصب والبلاء أكثر مما يتحملونه هم بالفعل في ذلك بملايين المرّات، وكان نتيجة ذلك أن بقي أبى وأمي طريح الفراش قد أخذت

منه (صلى الله عليه وآله وسلم) الحماء مأخذها وهكذا اشتدّ به المرض إلى أن فارق (صلى الله عليه وآله وسلم) الحياة.

ومع هذا كلّه فإن العناية الربانية والألطف الإلهية لم تتركه لحظة واحدة من لحظات حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) بل كانت تلاحقه ، فقد كان جبرئيل الله ينزل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرضه كلّ يوم وليلة ويقول : السلام عليك يا رسول الله أن ربك يقرؤك السلام ويقول لك : كيف يجردك وهو أعلم بك ولكن أراد أن يزيدك كرامة إلى كرامتك، وعزّاً مضاعفاً إلى عزّك، وأراد أن تكون عيادة المريض سنة في أمّتك فإن كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرخياً في حال خفيف قال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوجد في مرخياً، فالحمد لله على ذلك فيجب أن نحمده ونشكره

وإن كان موجوعاً فيقول جبرئيل (عليه السلام): إن الله يشدّد عليك حتى تلقاه مستوجباً للدرجة العليا والثواب الدائم والكرامة على جميع الخلق .

قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: إن لجبرئيل (عليه السلام) وقتاً ينزل فيه، فلمّا حسّتُ بنزوله قلت لمن كان في البيت أن يتنحى فدخل جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجلس عند رأسه ، ثم قال : السلام عليك يا نبي الله .

قال : وعليك السلام حبيبي جبرئيل فما حاجتك ؟

قال : إن ربك يقرؤك السلام ويسألك كيف يجدهك وهو أعلم بك ؟

قال: يجدنني ميتاً.

قال جبرئيل (عليه السلام) : أبشر فإنّ الله أراد أن يبلغك ما أعد لك من الكرامة.

وجاء في خبر ثان : قال علي عليه الصلاة والسلام: إن رجلاً أراد الدخول على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقامت إليه وقلت : ما الذي تريد ؟

قال : أريد الدخول على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقلت : لست تصل إليه .

فقال : لا بد من الدخول عليه، فدخلت وأخبرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فأذن له فدخل وسلّم عليه ، فقال : وعليك السلام فما حاجتك ؟

فقال : أنا رسول الله إليك.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : وأى الرسل أنت ؟

قال : أنا ملك الموت أرسلني الله إليك وهو يقرؤك السلام ويخيّرُك بين لقائه أو الرجوع إلى الدنيا .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أمهلني يا ملك الموت حتى يأتي حبيبي جبرئيل وأستشيره، فخرج ملك الموت واستقبله جبرئيل (عليه السلام) في الهواء ، فقال : يا ملك الموت هل قبضت روح محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقال : يا أخي سألني أن لا أقبض روحه حتى تأتي إليه ويستشيرك.

فقال جبرئيل (عليه السلام) : إن أبواب السماء مفتحة لروح محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أما عله أما ترى الحور العين قد تزينت لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال (عليه السلام) : ثم إن جبرئيل سلّم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : وعليك السلام يا أخي جبرئيل، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن ملك الموت استأذن عليّ وأراد قبض روحي واستصبرته لمجيتك .

فقال جبرئيل الله : يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إن ربك يقرؤك السلام وهو مشتاق إليك ولم يستأذن ملك الموت على أحد قبلك ولا يستأذن على أحد بعدك.

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا أخي جبرئيل إن ربي خيرني بين لقائه أو الرجوع إلى الدنيا فما الذي ترى ؟

قال جبرئيل (عليه السلام) : يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وللآخرة خير لك من الأولى ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى .

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لقاء ربي خير لي لا تبرح يا حبيبي جبرئيل حتى ينزل عليّ ملك الموت، فما كان إلا ساعة حتى نزل ملك الموت وقال : السلام عليك يا

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال : وعليك السلام يا ملك الموت ما تريد تصنع ؟

قال : أقبض روحك .

فقال : امضى إلى ما أمرت به.

فقال جبرئيل (عليه السلام) : إن هذا آخر هبوطي إلى الأرض.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ادن مني يا أخي جبرئيل، فدنا منه وكان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله وملك الموت قابض الروحه المقدسة .

فقال جبرئيل (عليه السلام) : لا تعجل يا ملك الموت حتى أرجع إلى ربي ثم أهبط .

فقال ملك الموت : إن روح محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صارت في موضع لا أقدر على

تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل (عليه السلام) : يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا آخر هبوطي إلى الأرض وإنما أنت حاجتي فيها فالآن أصعد إلى السماء ولا أنزل إلى الأرض أبداً.

فنظر إلى عظمة هذا النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى هذه الكرامة العظيمة التي تفضل بها الله تعالى على حبيبه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قيل أيضاً أن ملك الموت وقف على باب بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل ما يقف العبد الذليل بين يدي سيده حتى يحصل على جواز الدخول، والله در شاعر آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الحاج محمد آل نتيف حيث جادة قريحة بهذه الأبيات الجليلة التي تصوّر لنا كيفية دخول ملك الموت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيفية حصول ملك الموت على الإذن بالدخول حيث يقول الشاعر المذكور:

يا لذي الباب واقف روح ما من مدخل *** كل ساعة يصير مغشى اعليه ونظن انتقل

قال مرسل من الجبار يا حيدر إليه *** لمر ربي طوع لأزم أدخل الساعة عليه

خبر الهادي ابكلامه وأمره يأذن إليه *** جلس يمه وصاح بيه المصطفى اي الرسل

قال مرسل الجلالة القبض روحك يا نجيب ** قال دمهل استشير الروح جبرئيل الحبيب

ومن لقي الروح استشاره وعولت فاطم بالنحيب * من درت بيموت ابوها ليت لاحان الأجل

والنبي لو فتح عينه ولحظ صحبه وعيلته *** جذب ونه وصاح كل حاضر وقطع جبدته

وصاحت اهله ولطمت الهمام البتوله بضعته *** وصاح يا كرار ظمني عندك أمر الله نزل

وصار يقبض روح طه والنبي بنفسه يجود***وقله جبرئيل لا تعجل لحتى اصعد وعود

قال صارت روح طه في مكان ما تعود***سكن من طه ونيه والعرق منه هطل

ربي فدنوت منه ،

قال أمير المؤمنين(عليه السلام)في الحديث المذكور وهذه تتمته: فلما أن نزل برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القضاء قال لي(صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي ادن مني يا أخي فقد جاء أمر ربي فناجاني من تحت ثوبه فجعل فاه في اذني فناجاني طويلاً حتى خرجت نفسه الطيبة (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان كلما كشف الثوب عن وجهه قال عند الشدائد لا تخذلني يا حبيبي جبرئيل .

فقال : يا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)إنك ميت وإنهم ميتون.

فقال جبرئيل(عليه السلام):يا ملك الموت احفظ وصيئة الله في روح محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلما قضى نحبه ويد علي عليه الصلاة والسلام تحت حنكه الشريف وفاضت نفسه المقدسة فيها مسح بها وجهه ووجهه إلى القبلة وغمض عينيه، ثم انسل عنه من تحت الثوب، وقال لمن حضر : عظم الله أجوركم في نبيكم فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وجعل علي عليه الصلاة والسلام يكثر من النظر إليه ويطيل النظر في وجهه المبارك وهو يبكي :

سكنت اطرافه وقضه وظل أبو اليمه ينظره*ومن شخص غرته وفي صدره العبره امكسره

فرت الزهرا لبوها الشعر منها امنشره*** شافت المختار منه الروح فاضت وانتقل

والوصي الكرار جسمه مدده ومد الازار*** وصارت الدنيا ابنلازل والفلك لجله احتار

ص: 493

والحرم تصرخ حواسر ما على وحده اخمار*** ليتنا فدواك كلنا وليت يومك لا وصل

قال علي عليه الصلاة والسلام : ولما قضى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)نحبه قمت في تجهيزه: فاستدعى(عليه السلام) الفضل بن العباس وأمره أن يناوله الماء بعد أن عصب عينيه فغسله كما أمره(صلى الله عليه وآله وسلم) وما أن لاحت من الزهراء عليها الصلاة والسلام لفتة ونظرت إلى أبيها وهو مسجى على المغتسل نادى وهي باكية العين لاطمة الوجه متألمة لفقد العزيز الغالي والكفيل الوالى وأخذت تلوح بيدها وهي تقول:

اسم الله على طولك يا جمال الهاشميه*** على المغتسل ممدود يا خير البريه

يا مرتضى اكشف لي عن الوالى او جماله*** او شيل الكفن عن غرته اتودعه اشباله

هذا الحسن مشعوب قلبه انظر الحاله*** او هذا الشهيد حسين عبراته جريه

يا لي تغسل والدي وين العمامه*** فوق المنابر ما حلا حلوا الجهامه

قبل تشيله خله اتودعه اليتاما*** منه بعد ما نرتجي للبيت جيه

بهداى قلب جسم ابو ابراهيم بهداي*** وانته بين عباس بالهوان اسكب الماي

طوله على المغسل شعبني وفتت احشاي*** ممرود قلبي او موحشه الدنيا عليه

يا اللي تحفرون القبر وسعوا مكانه*** و بهداي نزلوا جنازته واسفروا أكفانه

ويلاه يعز شال عناولا لفانا*** هيهات بعده اتصير عيشتنا هنيه

يا اللي تهيلون الثرى دفنوني اوياه*** مقدر اشوف البيت خالي من محياه

قشرا تراهى تصير عيشتنا بلياه*** بعد التبي ما ريدها الدنيا الدينه

فلما فرغ أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام من تغسيله وتحنيطه وتكفينه قال عليه الصلاة والسلام وقد اختلف أصحابه وأهل بيته في دفنه :

اعلموا أن الله تعالى لم يقبض روح نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم)إلا في أطهر البقاع واني لدافنه في البيت الذي توفي

فيه.

وقيل إنَّ العباس بعث إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل المدينة،

وبعث الامام علي عليه الصلاة والسلام إلى زيد وقال : اللهم خر لنبيك، فوجد زيد ولم يوجد أبو عبيدة فحفر له لحداً في بيته ثم خلي علي سريره علي شفير قبره ثم أنه أول من صلى عليه الجبار جل وعلا وحده لا شريك له وكان المسلمون يخوضون فيمن يؤمهم بالصلاة عليه وأين يدفن فخرج أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وأمر من كان في المسجد من بني هاشم والمهاجرين والأنصار من لم يحضر السقيفة وقال : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إمامنا حياً وميتاً فليدخل عليه منكم فوجاً فوجاً يصلون عليه، وإن الله تعالى لم يقبض روح نبي إلا- في مكان ارتضاه لرمسه، وإني لدافنه في حجرته المباركة التي توفي فيها، وأطاعه الناس ورضوا بقوله، ثم إن أمير المؤمنين (عليه السلام) نزل إلى القبر هو والعباس والفضل فنادت الأنصار ممن كان داخل البيت : إنا نذكرت حظنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدخل منا رجل تكون لنا في مواراة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة حسنة ، فقال : يدخل أوس بن خولي، وكان من الخزرج، فلما نزل وضع أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام على يديه ودلاه في حفرة، فلما حصل ذلك في الأرض قال علي (عليه السلام) : اخرج، فخرج ونزل أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلى القبر وكشف عن وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووضع خده الأيمن على الأرض موجّهاً إلى القبلة ، ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب.

وقيل : إن أمير المؤمنين (عليه السلام) وقف على القبر بعد أن أهال عليه التراب وهو يبكي علي فراق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنشأ يقول :

أمن بعد تكفين النبي محمد *** باثوابه آسى على ميت ثوى

لقد غاب في جنح الظلام لفقده *** عن الناس طراً خير من وطأ الثرى

رزتنا رسول الله فينا فلن نرى *** بذاك عديلاً ما حيينا من الورى

وكان لنا كالحصن من دون أهله *** له معقل حصن حصين من العدى

وكنا بمرآه نرى النور والهدى *** صباحاً مساءً راح فينا أو اغتدى

لقد غشيتنا ظلمة بعد موته *** نهراً وقد زادت علي ظلمة الدجى

وكنا به شم الأنوف بنحوه***على موضع لا يستطاع ولا يرى
فيا خير من ضمّ الجوانح والحشا***ويا خير ميت ضمّه التراب والثرى
كأن أمور الناس بعدك ضمت***سفينة موج البحر والبحر قد طما
وضاق فضاء الأرض عنهم برحبه***لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى
لقد نزلت بالمسلمين مصيبة***كصدع الصفا الأرتق للصدع في الصفا
فواحزننا إنا رزينا نبينا***على حين تم الدين واشتدّت القوى
فلن يستقلّ الناس تلك مصيبة***ولن يجبر العظم الذي منهم وهي
وفي كلّ وقت الصلاة يهيجنا***بلال ويدعو باسمه كلّما دعا
ويطلب أقوام موارث هالك***وفينا موارث النبوة والهدى
كمثل رسول الله إذ حان يومه***لفقدانه فليك(1) يا عين من بكى
وقيل : إنه عليه الصلاة والسلام بكى بكاء شديداً ، وقال أيضاً:
الا طرق النَّاعي بليل فراغني***وأرقني لم- وأرقني لما استقر منادياً
فقلت له لَمَّا رأيت الذي أتى***ألا إنع رسول الله إن كنت ناعياً
فحققت ما أشفقت منه ولم أقل***وكان خليلي عزّياً وجمالياً
فو الله لا أنساك أحمد ما مشت***بى العيس في أرض تجاوز وادياً
وإني متى أعلو أعلو من الأرض تلعة***أرى أثراً منه جديداً وعافياً
جدير جوى صدري عليه وإنه***هو الموت مدعوّ عليه وداعياً

أقول : إذا كان هذا هو حال الامام صلوات الله وسلامه عليه في حزنه وجزعه على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فما ظنّك بحال الصديقة الجليلة السيّدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها - في ذلك ؟ كأنني بها قد أعولت ونادت : وا محمداه وا أبتاه وا حبيباه، وأشارت بيدها الشريفة لعلي عليه الصلاة والسلام قائلة : بالله عليك يا أبا الحسن إلا ما أغمضت عين أبي ورفعت عنه هذه الوسادة وأسبلت يديه

1- هكذا في النسخة، ولكن الأصح: فليكه كل من بكى، والله العالم.

لأنني آراه يدير فينا عينه وما أظنه إلا مفارق الحياة، تقول (عليه السلام) هذا لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهي باكية منتحبة ولسان حالها يقول :

غمض اعيونه او شيل الوساده يبو حسين *** بطل ونيته المصطفى خير النبيين

غربت عينه بين عمي دسبل ايديه *** شوفه يدير العين لينا او مد رجليه

وجبريل ينعي والفلك متعطل اعليه *** والمصطفى ينادي يفاطم لا تنوحين

بطلي البواكي ذاب قلبي يا حزينه *** لازم بينتي اليوم عزج تفقدينه

او ثوب المصايب عقب عيني تلبسينه *** او منك يكسرون العدا بالباب ضلعين

وأهوت على أبوها تصيح ابدمع سكاب *** إن كان ضلعي يكسرونه ابصاير الباب

وصى الوصي الكرار بيه أوصى الاصحاب *** لحد عليه يجتري يا قره العين

هذا الحسن مكسور قلبه من يجبره *** او هذا العزيز احسين يا هو يشم نحره

او يا هو عقب عينك يحطه فوق صدره *** ذلت يبو ابراهيم من بعدك السبطين

قلها يفاطم لو شربت كاس المنيه *** جيبك يزهر لا تشقينه عليه

او صد للحسين ومدامعه بخده جريه*** او شاف الحزن نحل اعظامه او قرح العين

قله يعقلي ذويت قلبي من ابجك***ونادايو الحسين بالله سكت ابنك

ودعتك الله يا علي والملتمى هناك***او شبكت الزهرا على رسول الله باليدين

نعم، لقد شبكت السيدة الصديقة فاطمة الزهراء على أبيها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)بكلتا يديها وأخذت تشمه وتقبله وهي تنادي: أبتاه يا رسول الله عزّ عليّ والله فراقك يا أبا القاسم، تقول هذا ودموعها جارية لم يهد لها بال ولم يستقر لها بأي حال من الأحوال حال إلا- بعد أن أخبرها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها قادمة عليه عن قريب وأنها أول أهل بيته لحقواً به، فياله من موقف يذكرني بحفيدتها فاطمة الكبرى بنت الحسين صلوات الله وسلامه عليه وذلك عند ما عزم أبوها الامام الحسين عليه الصلاة والسلام على الخروج من مدينة جده فإنها جاءت إلى وداعه وهي عالمة بأنّ ليس بعد هذا اللقاء لقاء في الدنيا وإنما اللقاء في الجنة، أخذت(عليه السلام)تنّ وتحنّ وتناشد أباه الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بأن لا يتركها لوحدها غريبة في المدينة. وكأني بلسان حالها يقول :

اخذوني ببويه اولا تخلوني بلديار*** ينتحل جسمي او بالضماير تشتعل نار

من شوفتي ابيوتك عليها سافي اغبار*** كيف البصر لو نوح الوافد نجيبه

الوافد شقله لو لفي ياسر لوجود*** خذني ببويه او ياك لو قلبي متي اتعود

ضمها الصدر والدمع يجري بلخدود*** او قلها يا بنتي القلب زيدتي لهيبه

ردي المنازل يا عزيزه وانديني*** او قطعي الرجامني ولا تترقبيني

صاحت ببويه فرقوا بينك او بيني*** او صدت لبو فاضل تنوح او تنتخي به

وأهوت تحب إيده او راسه صعب المراس*** اتقله يعمي فراق أبوي يشيب الراس

أتوسل بيويه احسين ياخذني يعباس*** روجي ترى راحت يسردال الحريه

متعجة منكم يفرسان الحميه*** كلكم غيورين او شيمكم هاشميه

نشف يعمي دمعتي والتفت اليه*** او خاطب ابويه لا يخليني غريبه

قله يخويه هالبكا والنوح فتني*** او بنتك تراحي ها لعليلة ذوبتني

قله شسوي وكتبت الله قيدتني*** مقدر اشوف ادموعها ابخدها سكيبه

هذي مهني مكتوب تتودي هديه*** اولاهي يخويه من سبايا الغاضريه

ردي بيويه اوردتك غصب عليه*** او طلي من الله يعودنا لديار طيبة

وأهوت تحب رجله او تصيح بقلب مفتوت*** خذني ترى ينتحل منى الجسد واموت مقدر على الوحده او على معاين هليوت*** ظل
ينتحب والحرم ضجت من نحيبه

ردت بحسرتها او ساق الظعن عنها*** نوب تقوم او نوب توقع من حزنها

ومن رجعة اخوتها وأبوها انقطع ظنها*** وانتقول راح احجاب صوني منين اجيبه

وكأني بها تخاطب المنازل التي بقيت خالية من أبيها الحسين عليه الصلاة والسلام قائلة :

ديار مزهرة تاضي بهلها*** منها النور يتساطع بهلها

منازل نيرة كانت بهلها*** اسكنتها ليش يغراب المنيه

نعم، لقد خرج أبو عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام من مدينة جده (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أهل بيته وإخوته ومواليه وسار ركب
النبوّة وعليه المهابة والوقار والامام عليه الصلاة والسلام يشير بيده المباركة إلى قبر جده (صلى الله عليه وآله وسلم) ملوحاً لتوديع
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

قال الأديب الفرطوسي وهو يصف لنا كيفية خروج الامام الحسين عليه الصلاة والسلام من المدينة المنورة ودخوله (عليه السلام) مكة
المكرمة :

هذه يثرب وهذا تراها*** منزل الوحي مهبط الأنبياء

موطن الهجرة الذي شحّ منه*** كل فتح لخاتم الأصفياء

تربة المصطفى الزكية طيباً*** هي مهد للعترة الأركياء

سار منها ركب النبوة خوفاً*** حين أسرى ليلاً إلى البطحاء

وحسين يرنو لتوديع طه*** من ثنايا ربوعها الغراء

والبهاليل من بني شيبه الحمد*** نسور ترف في الصحراء

كل نجم موكل بثريراً*** تبني قداسة العذراء

هذه رملة ترف حناناً*** وهي ترنو لشبلها بحباء

وعلي أمام هودج ليلي*** يتهادى بغبطة وازدهاء

ولواء العباس يهفو جلالاً*** فوق رأس العقيلة الحوراء

وبنو هاشم أسود غضاب*** تتبارى لغاية الهيحاء

مشهد حاشد بكل وقار*** وفخار وهيبة وبهاء

موكب للحسين وافي مطلاً*** فوق دنيا كرامة وعلاء

حين وافي نعي ابن هند إليه*** وابن هند من أخبث الأشقياء

وأرادوا من الهدى ليزيد*** بيعة الفاتحين للطلاق

فأبى ثائراً ونفس أبيه*** بين جنبيه ترتدي برداء

و تراءت له السعادة تزهو*** بين أفقي شهادة وإباء

عند توديعه لتربة طه*** جده في غياهب الظلماء

وأستطالت أم القرى بفتاها*** وهو فيها لقمة الإرتقاء

حين أضحى أبو الأئمة فيها*** قبله بين أمة الحنفاء

ووفود الحجيج أضحت عليه*** تتوالى من كلّ دانٍ ونائي

يوم دار العباس أضحت مقرّاً*** مقاماً لسيد الشهداء

واصطفى مكة فكاتب منها*** رؤساء الأخماس في الفيحاء

قال فيما قد خطّه من كتاب*** فيه أدلى بالحجة البيضاء

أكرم الله بالنبوة طه*** واصطفاه بأحسن الإصطفاء

واجتباها من الوري فحباها*** كرمأ في رسالة الأمانة

ص: 500

ودعا للرشاد فيهم فأدى ما *** ما اجتباه له تجير أداء
وأتى ربه رسولاً كريماً *** مستجيباً لربه في النداء
حينما اختاره فأدناه قريباً *** منه في قبض رافة وولاء
وحرماً ونحن عترة طه *** وبنوه و توه وخيرة الأوصياء
من موارثه وخير مقام *** نحن أولى به من الخلفاء
عند ما استأثروا علينا اغتصاباً *** وضلالاً فيه بغير ارعواء
فتركنا ونحن أجدر فيه *** حقنا خوف فرقة وتنائي
ورأينا أئمة الجور أضحت *** تتمادى بالطيش والكبرياء
أفلا تنظرون سنة طه *** قد أميتت في باطل الإفتراء
وأقيمت مكانها فاستطالت *** بدع الكفر في أتم بناء
وأنا والدعاء للحق عهد *** من عهود الباري على الأمان
لكتاب الباري وسنة طه *** خير داعٍ لكم فلبوا دعائي

وجاء في السيرة ان الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قبل أن يغادر مدينة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رفع شعارات ثورته المباركة المتمثلة في كلماته الشريفة: «ألا وإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمه جدِّي».

ومن هنا نعلم أنّ الامام عليه الصلاة والسلام لم يخرج من مدينة جده من أجل أمر غير الامور التي ذكرها في مقالته الشريفة الشهيرة. الأمر الأول: من أجل الإصلاح وهو يعني إرجاع الأوضاح الشاذة إلى وضعها الطبيعي، من دون أن يكون للامام مطمع مادي في ذلك. الأمر الثاني: من أجل الحق: إن الحق يعني: سيادة القيم الانسانية، وهي القيم التي تتكفل بتحقيق الخير والرفاه للإنسان والحق هو هدف كل الأديان، وكل الرسائل.

وقد رفع الامام عليه الصلاة والسلام شعار «من أجل الحق، عندما برّر ثورته المباركة بقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن الدنيا قد تغيرت، وتنكرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به؟ وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً».

وكانت رسالة الامام(عليه السلام)التي بعث بها مع مبعوثه الشخصي مسلم بن عقيل(عليه السلام) تصرح: «قد فهمت كل الذي قصصتم، وذكرتم ومقالة جللكم: أنه ليس لنا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والهدى، وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملائكم وذوي الفضل والحجج منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى فلعمري ما الامام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن يدين الحق، الحابس نفسه على ذلك الله، والسلام». وجاء في خطبته الثانية التي ألقاها على جيش الكوفة، قوله(عليه السلام): «أيها الناس إنكم إن تتقوا الله، وتعرفوا الحق لأهل يكن أرضى الله عنكم، ونحن أهل بيت محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان....» ويوم غفى في الطريق إلى كربلاء - واسترجع عليه الصلاة والسلام بقوله: «إنا لله وإنا إليه راجعون» وهي آية مباركة يرددونها المفجوع عادة، قال له ولده علي الأكبر(عليه السلام): «يا أبتاه...» جعلت فداك ممّ استرجعت؟

جابه عليه الصلاة والسلام: «سمعت هاتفاً يقول: القوم يسرون والمنايا تسير بهم إلى الجنة، فعلمت أنها أنفسنا قد نعت إلينا».

فقال علي الأكبر عليه الصلاة والسلام: يا أبتاه... أولسنا على الحق؟

فقال الامام عليه الصلاة والسلام : «بلى» والذي إليه مرجع العباد».

فقال علي الأكبر عليه الصلاة والسلام وهو يرى أن شعار ثورته قد تحققت: إذن لا نبالي!! الأمر الثالث : من أجل التحرر : التحرر من قيود المجتمع الفاسد، والتحرر من ضغط الشهوات والتحرر من التقاليد الجاهلية : هدف مقدس من أهداف كافة رسالات ،الله فمن دون الحرية لا يمكن تحقيق الحق، ومن دون الحق لا يمكن الاصلاح . إن الحرية مطية الحق - كما أن الحق هو الاصلاح والحرية - بعد ذلك - الميزة التي أعطاها الله للإنسان، وبها كرامة على كثير مما خلق .

والحرية بالنسبة إلى الإنسان كالهواء بالنسبة للطير. من دونها لن يتحقق وجوده، ويبقى مهملًا من مهملات الكون..... والحرية مطلوبة على كل حال : لكي يجرب الإنسان ذاته ويحاول اكتشافها ولذلك رفع الامام عليه الصلاة والسلام شعار التحرر من الذل والعبودية والقهر والقيم البالية .

فكان صلوات الله وسلامه عليه يقول: «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كأنه حقاً على الله تعالى أن يدخله مدخله.....» .

وكان(عليه السلام) يقول أيضاً: «لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد».

ويقول(عليه السلام): «كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً».

ويقول عليه الصلاة والسلام لعدوّه : إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم».

وعندما أبن الحر بن يزيد الرياحي - بعد تمرد الأخير على قائد جيشه : «أنت الحرّ كما سمتك أمك» .

وكان نشيد مبعوثه الشخصي مسلم بن عقيل في شوارع الكوفة :

أقسمت لا أقتل إلا حراً*** وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

ومن هنا ينبغي لنا أن نستلهم من الامام الحسين ومن أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين معنى الحرية لتكون أحراراً حقيقيين وبذلك نصبح أعزاء.

يقول بعض الشعراء في رثاء مسلم بن عقيل صلوات الله وسلامه عليه :

إن شئت عزّاً خذ بمنهج مسلم*** من قد نمته بالمكارم هاشم

شهم أبي إلا الحفائظ شيمة*** فنحن العلا والمكرات سلالم

او هل يطيق الذلّ من وشجتُ علا*** منه بأعياص الفخار جرائم

فمضى بماضي عزمه مستقبلاً*** أمراً به ينبو الحسام الصارم

بطل تورث من بني عمرو العلا*** حزمًا يُدلّ له الكمي الحازم

للدين أرخص أي نفس مالها*** في سوق سامية المفخر تسائم

لقد اصطفاه السبط عنه نائباً*** وحسام حقٍ للشقا هو حاسم

مذ قال لما أرسلت جند الشقا*** كتباً لها قلم الضلالة راقم

أرسلت أكبر أهل بيتي فيكم*** حكماً وفي فصل القضا هو حاكم

فأتى ليثبت سنة الهادي على*** علنٍ وتمحى في هداه مظالم

أبدت له عصب الضلالة حبّها*** والكلّ للشحنا عليه كاتم

قد بايعته ومذ أتى شيطانها*** خفت إليه وجمعها متراحم

فانصاع مسلم في الأزقة مفرداً*** متلذداً لم مستلذداً لم يتبعه مسالم

قد بات ليلته بإشراك الردى*** وعليه حام من المنية حاتم

وتنظمت بنظام حقد كامن*** للقاء ينظمها الشقا المتقادم

فأطل معتصماً بأبيض صارم*** من فتكه لعداه عزّ العاصم

قد خاض بحر الموت في حملاته*** وعبابه بصفاهم متلاطم

فتخال مرهفه شهاباً ثاقباً*** للماردين انقض منه راجم

ص: 504

وركام يمناه يصبب حاصباً***ان كرمنا جيشها المتراكم
إن أوسع الأعداء ضرباً حزمه***ضاقت بخيل الدار عين حيازم
وتراه طلاع الثنايا في الوغى***تبكي العدى والثغر منه باسم
غير ان للدين الحنيف مجاهداً***زماً بها أفق الهداية قائم
من عصبه لهم الحتوف مغانم***بالعز والعيش الذميم مغارم
سلبته لامة حربه لغدرها***عصب الضلالة ولثام السوائم
سلبته لامة حربه ثم اغتدى***متأمرأ فيه ظلوم غاشم
أسرته ملتهب الفؤاد من الظماء***وله على الوجنات دمع ساجم
لم بيك من خوف على نفس له***لكنه أبكاه ركب قادم
بيكي حسيناً أن يلاقي ما لقي***من غدرهم فتباح منه محارم
فبعين باري الخلق يوقف ضارعاً***وله ابن مبتدع المئاتم شاتم
وينال من عليا قريش سيادة***البطحاء وهو لها الطليق الخادم
ويدير عينيه فلم ير مسعفاً***ينفي إليه بسره ويكاتم
فرمته مكتوفاً من القصر الذي***قامت على الطغيان منه قوائم
والهفتاه المسلم يرمى من***القصر المشوم وليس يحنوا راحم
ويجر في الأسواق جهراً جسم من***تنميه للشرف الصراح ضراغم
قد مثلت فيه وتعلم أنه***يعلى أبيه للممانل قائم
أوهي قوى سبط النبي مصابه***وبه تقوّت للضلال دعائم
شمخت أنوف بني الطغام بقتله***كبراً وأنف بني الهداية راغم
ظفر الردى نشبت بليث ملاحم***لله ما أسدى القضاء الحاتم
فلتبكين عليه ظامية الضبا***إذ كان ينهلها غداة يقاوم

يا نفس ذوبي من أسي لملمة*** غالت بها ليث العرين بهائم

قد هد مقتله الحسين فأسبل*** العبرات وهو لدى الملمة كاظم

ص: 505

وقال آخر في رثاء مسلم عليه الصلاة والسلام أيضاً :

قليل بكائي على ابن عقيل *** وإن سال دمعي كل مسيل

فتى علم الناس ان الوفا *** حز الغلاصم دون الخليل

بنفسي أسيراً بأيدي الضلال *** قادوه للموت قود الذلول

وما غاله منهم غائل *** سوى الغدر والغدر شان الذليل

على أنه لم يكن ضارعا *** ولكن قضاء الإله الجليل

وأعظم ما كان في قلبه *** من الهم ذكر الحسين النبيل

محاذرة أن يذوق الحسين *** ما ذاقه من جفاء النفول

إذا حشد الغي أبناءه *** وجاء بهم بين عور وحول

فأنت مزعزع أخيالها *** وقاذف أسيافها بالفلول

عقيل الذي نال من مسلم *** ذرى المجد لا مسلم من عقيل

أب لا يجاري مداه أب *** شناه ابنه في المدى المستطيل

وليس عجيب بأن الليوث *** تعلقو مفاخرها بالشبول

وقد قال أحمد من قبلها *** أحبّ عقيلاً وآل عقيل

فصدقت ما قاله أحمد *** وما كنت عن قوله بالنكول

أبو الفضل مثلك في كربلاء *** إذا كنت أعدمهم للمثيل

فذاك أخوه وأنت ابن عم *** ولا فرق بينكما في الأصول

وذاك الحسام وأنت السنان *** ولا فرق بينكما في الوصول

لأبكى مصابك سبط الرسول *** وكان بكاه بعين الرسول

وحسبك فخراً بأنّ عليك *** علا في الجنان صراخ البتول

وقد قلّ عنك اصطبار الهدى *** وصبرك في الله غير قليل

وذللّ لموتك أهل الهدى *** وما كان موتك موت الذليل

يعزّ عليّ بأني أراك *** قليل النصير كثير الخدول

ص: 506

وقال الأديب الفاضل والأستاذ الكبير الحاج الشيخ محمد علي اليعقوبي رضوان الله تعالى عليه في رثاء مسلم بن عقيل هذه الأبيات الجليلة :

أجل هذه آثار لمياء في الحمى *** فكن مسعفي إن كنت صباً متيما

مساحب أذيال عرفت بطيبتها *** على النأي أطلالاً للميا وأرسما

أخا الودّ لا تنفك إلا معرجاً *** معي نحوها تيك الربوع مسلما

ديار هوى نستاف ذارى تربها *** ونندب عهداً عندها قد تصرّما

عسى ولعلّ الشوق يطفى أواره *** وإن لم تكن تجدي عسى ولعلما

أما وليالينا التي سلفت به *** إلية حرما أعف وأكرما

قضينا ديون الحب يا سعد صادقاً *** إذا كنت لم تسعد على الوجد مفرما

قضينا ديون الحب فيها ولم نكن *** نراقب عدالاً عليها ولوما

ولست بدعوى الحب يا سعد صادقاً *** إذا كنت لم تسعد على الوجد مفرما

فكم بين من يرعى الدراري مسهداً *** وبين الذي نام الدياتي مهوما

ومالك في الإسلام حظ وفي الهدى *** نصيب إذا لم تبك عينك مسلما

قتيل بكوفان بكى السبط رزءه *** فأية عين لم يسئل دمعها دما

ولو لم يكن خير الأقارب عنده *** لما اختاره منهم سفيراً مقدّما

لحي الله قوماً بايعوه على الهدى *** وسرعان ما مالوا إلى الغيِّ والعمى

فأمسى وحيداً لم يجد من يده *** سبيلاً ولا حام يذود ولا حمى

وبات يمني القتل نفساً شريفةً *** لها الله يأبى أن تذلّ وترغما

بحيث المنايا السود ألقّت جرانها *** لديه وبات انسر الموت حوّما

ولما سعى الواشون فيه إلى العدى *** أتوه يجرون الخميس العرمرما

فقام بوجه باسم الشجر أبلج *** يحيي المواضي والوشيج المقوما

فردّ لهام الجيش نزرأً عديده*** وطبق كوفاناً نعيّاً ومأتماً

بنفسي الذي فادى الحسين بنفسه*** فأوردها بحر المنية مفعماً

وأقسم أن يغشى الوغى غير ناكلٍ*** ويقتل حراً رابط الجأش مقدماً

ص: 507

على حين ما غير الحسام مرافد*** فلم ير ذاك اليوم أثبت منهما
ولما أبى إلا الشهادة صابراً*** وقد نال منه الطعن والضرب والظما
فسالمهم المهم لا رغبة بأمانهم*** ولكن أمر الله كان محتما
فمن مبلغن أن ابن عمه*** أسير الأعداي يفدي تكرّما
ولم يبك خوف القتل لكنّ بكأوه*** عليه لما يلقي من القوم مثلما
وقد أخذوا منه المهنتد بعدما*** نبا حده من قرعهم وتثلما
ومما دهى البطحاء أن ابن شيخها*** دعي بني صخر عليه تحكّما
وأعظم خطب يوم أوقف مسلم*** لديه وسب المرتضى كان أعظما
فياهل درى قصر الإمارة من رقى*** عليه وهل يدري ابن حمران من رمى
رمى منه نحو الأرض كوكب هاشم*** فتسب بدر التم خرّ من السماء
وأصبح في الأسواق يسحب جسمه*** ومن عجب بالجبل جروا يلملما
إذا كنت لا تدرين ما الموتُ فانظري*** إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه*** وآخر يهوى من جدار قتيل
أصابهما فرخ البغي فأصبحا*** أحاديث من يسرى بكل قتيل
ترى جسداً قد غيّر الموتُ لونه*** ونضح دم قد سال أيّ مُسيل

نعم، هكذا فعلوا بمسلم وهاني سلام الله وصلواته عليهما، فقد أخذ القوم الظالمين يجرونهما في الأسواق بعد قتلها ولكن لم يقدر القوم على أسر المسلم (عليه السلام) إلا بعد أن ردّ لهام الجيش نزراً عديده وطبق كوفاناً نعيّاً ومأتماً فإنه عليه الصلاة والسلام لما دنوا من الدار وسمع مسلم (عليه السلام) حوافر الخيل وقعقة الرماح خرج إليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشدّ عليهم يضربهم بالسيف حتى أخرجهم من الدار فعادوا إليه فشدّ عليهم وأخرجهم كذلك، فاختلف هو (عليه السلام) وبكر بن حمران الأحمري لعنه الله تعالى بضربتين فضرب بكر لعنه الله تعالى فم مسلم صلوات الله وسلامه عليه بالسيف فقطع شفته العليا وأسرع السيف إلى السفلى وفصلت له ثناياه، وضرب مسلم (عليه السلام) بكر بن حمران على رأسه بالسيف ضربة منكرة وثناه بأخرى

على جبل العاتق حتى كادت الضربة تطلع إلى جوفه، فلما رأوا ذلك من أشرفوا عليه من فوق السطوح وأخذوا يرمونه (عليه السلام) بالحجارة ويلهبون النيران في أطناب القصب، ثم يرمونها عليه من أعلى السطوح والبيوت، فلما رأى ذلك منهم خرج إليهم مسلم (عليه السلام) مصلاً سيفه في سكة الطريق كان من قوته أن يأخذ الرجل منهم بيده فيرمي به من فوق السطح حتى قتل منهم جماعة كثيرة، فبلغ ذلك ابن زياد لعنه الله تعالى فأرسل إلى ابن الأشعث لعنه الله تعالى يقول إليه : ثكلتك أمك يا ابن الأشعث أرسلناك إلى رجل واحد فثلم في أصحابك ثلثة عظيمة فكيف بك إذا أرسلناك إلى من هو أشد بأساً وأصعب مراساً يعني بذلك الامام الحسين صلوات وسلامه عليه ؟ فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد لعنه الله تعالى يقول إليه : أتظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقال الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الحيرة ؟ ألم تعلم أنك أرسلتني وبعثتني إلى بطل همام وأسد ضرغام وسيف من أسياف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

وجعل مسلم عليه الصلاة والسلام كلما أتت إليه شردمة فرقتها وهزمها فأرسل ابن زياد إلى ابن الأشعث لعنه الله تعالى أن اعطوه الأمان.

فقال ابن الأشعث لمسلم (عليه السلام) : لكل الأمان يا مسلم لا تقتل نفسك استسلم خير لك .

فقال مسلم (عليه السلام) : وأي أمان للغدرة الفجرة ؟ فلم يركن إلى أمانهم ولم يزل يقاتلهم وهو يقول :

أقسمت لا أقتل إلا حراً*** وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

الآبيات المتقدم ذكرها وهي التي تعرفنا بعظمة مسلم (عليه السلام) وعظمة جهاده في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته تعالى فقاتل قتالاً شديداً حتى أثنى بالجراح وتكاثروا عليه بعد أن أثنى وقد ضعف عن القتال فأسند ظهره الشريف إلى جدار تلك الدار يرتاح قليلاً فعملوا له مكيدة حفروا حفرة في الأرض ودفنوها بالدغل ثم حملوا عليه وانهزموا من يديه فوقع مسلم (عليه السلام) في تلك الحفرة فاجتمعوا عليه،

فقال (عليه السلام) لقوم لعنهم الله : ءآمن أنا ؟

قال ابن الأشعث: نعم لكل الأمان ، ثم قال (عليه السلام) للذين معه: إلي الأمان قالوا: نعم

إلا عبيد الله بن العباس السلمي لعنه الله تعالى فإنه قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل . فقال مسلم (عليه السلام) : لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم ثم أتى ببغلة فحمل عليها ونزعوا سيفه من يده الشريفة فعلم عند ذلك أنه أخذ غدراً، فيئس من حياته وانهملت عيناه بالدموع ، فقال (عليه السلام) : هذا أول الغدر إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم كثر منه البكاء ولم يعلموا ما السبب حيث انه لا يخشى الموت فكيف هذا البكاء منه .

فقال له عبد الله بن العباس السلمي لعنه الله تعالى : إن من يطلب مثل الذي طلبت لم يبك إذا نزل به مثل الذي نزل بك.

فقال مسلم عليه الصلاة والسلام : لا لنفسى أبكي ولا لها من القتل أرثي وإن كنت لا أحب لها طرفة عين تلفاً ولكن أبكي لأهلي المقبلين علي، أبكي حسيناً وآل حسين فكأنه أراد أن يشارك الباكين على الحسين (عليه السلام) فلقد بكاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يقتلوا في كربلاء.

عظم الله أجورنا واجوركم، فلما أن انتهوا به إلى باب القصر الذي فيه ابن زياد لعنه الله تعالى وعلى باب القصر قوم جلوس وإذا بقذّة ماء باردة، فقال مسلم (عليه السلام) : استقوني من هذا الماء، فقال له ابن عمرو الباهلي لعنه الله : أتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم.

فقال له ابن عقيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا الذي عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه يزيد إذ غششته، وأطاعه إذ ، خالفته أنا مسلم بن عمرو الباهلي لعنه الله.

فقال له مسلم عليه الصلاة والسلام : لأئك الشكل ما أجفأك وأقطعك وأقسى قلبك يابن باهلة أنت أولى بالحميم ونار الجحيم.

ثم جلس مسلم (عليه السلام) وتساند إلى جدران القصر حتى يؤذن له بالدخول على

ابن زياد لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، فقام عمرو بن حريث وبعث لمسلم عليه الصلاة والسلام قدحاً فيه ماء فقال له : أشرب يا مسلم فأخذ كلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً من فمه المبارك وفعل ذلك مرتين فلما أخذ في الثالثة ليشرب سقطت ثناياه الشريفة في القدح ، فقال : الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم الشربته فرفض الماء من يده ولم يشرب منه شيئاً .

وخرج رسول ابن زياد لعنه الله فأمر بإدخاله، فلما دخل مسلم(عليه السلام) على ابن زياد لعنه الله تعالى لم يسلم عليه بامرة، فقال له الحرسى : لما لا تسلم على الأمير فقال له مسلم(عليه السلام): ويحك إنه ليس لي أمير، بل أميرى الحسين عليه الصلاة والسلام.

أميرى حسين ونعم الأمير*** سرور فؤاد البشير النذير

علي وفاطمة والداه*** فهل تعلمون له من نظير

فقال ابن زياد لعنه الله : لا عليك سلّمت أو لم تسلّم فإنك مقتول لا محال.

فقال له مسلم صلوات الله وسلامه عليه : إن قتلتني فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خير منّي.

فقال ابن زياد لعنه الله : قتلني الله إن لم أقتلك قتلة ما قتلتها أحد من المسلمين في الإسلام.

قال له مسلم(عليه السلام) : إنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك، وجعل ابن زياد لعنه الله يخاطب مسلم(عليه السلام) شتماً خطاب العاهرة للأحرار، فقال له يا شاق يا عاق خرجت على إمام الفاسقين يزيد بن معاوية لعنه الله وشققت عصا الفاسدين والقحت الفتنة.

فقال له مسلم صلوات الله وسلامه عليه : كذبت إنما شق عصا المسلمين معاوية لعنه الله وولده يزيد ، وأما الفتنة ألقحتها أنت وأبوك زياد بن عبيد وعبد بني علاج ، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي أشرار برّيته .

وأخيراً التجأ ابن زياد لعنه الله تعالى إلى الشتائم والسباب فجعل يسب

مسلم (عليه السلام) ويشتمه ويسبّ علياً وحسناً وحسيناً عليهم أفضل الصلاة والسلام والسبّ عادة بني أمية لعنهم الله تعالى ولكن مسلم صلوات الله وسلامه عليه لم يصبر على الضيم ، فقال له : أنت وأبوك زياد أولى بالشتيم واللعن فاقضي ما أنت قاض يا عدو ورسوله ، فازداد غضبه وقال : أين الذي ضرب رأس مسلم فدعي بكر بن حمران الأحمر لعنه الله تعالى وهو الذي اختلف معه بضربتين فقام يريد أن يجهز عليه بعد أن جرحه بشفتيه فأمره ابن زياد وقال له: فلتكن أنت الذي تتولى قتله، اصعد به إلى أعلى القصر فاضرب عنقه وارم بجثته إلى الأرض ، فلما صار مسلماً فوق القصر ، قال : اللهم احكم بيننا وبين القوم الظالمين فإنهم غرونا وخذلونا فدعونا لينصرونا فأسلمونا لعدونا يريق دماءنا.... ثم وجّه وجهه عليه الصلاة والسلام إلى صوب الحجاز يسلم على الحسين الله قائلاً : السلام عليك يا أبا عبد الله ، السلام عليك يا ابن رسول الله ، ولسان حاله يقول :

يحسين أنا مقتول ردوا لا تجوني *** حانوا هل الكوفة عقب ما بايعوني

أو للفاجر ابن زياد كلهم سلموني *** مفروء وانتوايا هلى عني بعيدين

يا ليت هالدم الذي يجري على القاع *** مسفوح بين ايديك يا مكسور الاضلاع

يا حيف منك محتضيت بساعة اوداع *** بيني او بينك يا حبيبي فرق البين

ما هيچ اهمومي الذي جار عليه *** وجدي او حزني الجيتك يا ابن الشفيه

خوفي تجي او يصدر عليك الصار بيه *** واتضيع من من بعدك بين عمي الخواتين

صاح الدعي ابن زياد فيهم لا تمهلوه *** بالعجل من فوق القصر للقاع ذبوه

قطعوا كريمه والجسد بالسوق سحبه *** بالحبل ما بين الملا وافجعة الدين

وسفه الجسد ذبوه من قصر الاماره *** ويزيد لرض الشام راحت له ابشاره

وكان ايترجا احسين وانقطعت اخباره *** اوزينب تنشده اشخبر مسلم يا ضيا العين يحسين مسلم ما لفت منه مكاتيب *** شا السبب ما

يطرش خبر نفهم الترتيب

والله من الكوفة يخويه قلبي امريب *** ذبحوا علي او خانوا بعهد الحسن يحسين

قلها الخبر عندي يمهجة سر لوجود *** مسلم من الكوفة ينور العين ميعود

كنى اشوفنه اسوق الغنم ممدود*** ما بينهم ينسحب لنهم ما مسلمين

نعم، لقد أخرجه (عليه السلام) هو وهاني بعد قتلها (عليه السلام) إلى السوق وأخذوا يجرونهم بالحبل وهم ينادون عليهما: هذا جزء من خرج على خلافة بني أمية- الفاسدين لعنهم الله تعالى .

وفي هذه الرزية يصف لنا الشاعر البحراني ملاً علي الفائز حالتيهما وكيف وضع الظالمون الحبل في حلقيهما وجعلوا يضربوهم بالأحجار فهو يقول :

طلعوا ابهاني والبطل مسلم إلى السوق*** والحبل في حلقينهم مشدود مريوق

والله فعائلهم ابها الامجاد متلوق*** ويش الجنو للذبح صاروا مستحقين

اوفي السكك والاسواق قاموا يسحبوهم*** والخلق بالا حجار ظلوا يضربوهم

او اما هل الكوفة مكنهم يعرفوهم*** ولا رعوا حرمة الى الكرار ابو احسين

يا ليت أبو السجاد يحضرهم يراهم*** ينظر ينظر جثتهم ما تواروا في ثراهم

مسلم اوهاني اصبحوا ابولية اعداهم*** وامت نسا هم من بعدهم مستعدين

والروس فوق ارماع ودوهم الى الشام*** ويعايدوا في الشام اهلها سبعة ايام

ويزيد أمر بالفرح للخاص والعام*** وامر يدوروا ابروسهم كل البلادين

وارسل الى ابن ازياد في خطه يخبره*** ان حشت سبط المصطفى مهجة الزهرا

بعد الذبح بالخيول رض صدره او ظهره*** وارفع كريمه برمح واحرق للصياوين

ولا تبقى من أولاد حيدر من بقيه*** او كسر أعضاهم بالخيول الاعوجيه

او فوق الهزل ركب نساء الهاشمية*** ثاراتنا ابصفين ناخذها من احسين

لا بارك الله في زمان خان عهده*** واخرج سليل المرتضى من وطن جده

أو أمسى ابمكه حابر بأهله او ولده*** ما حصل له ايكمل الحج ويه المسلمين

وقال أيضاً يستهض أهل الفخر والشيم والبسالة من بني هاشم في طلب ثار مسلم صلوات الله وسلامه عليه :

يهل الفخر والشيمه يهل الفخر والشيمه*** في تار مسلم ثوروا يهل الفخر والشيمه

ما يجسرون الحربه يوم الفزع والصايح*** يا ليتكم شفتونه وسط الحفير طايح
نصبوا العزه والماتم على الغريب النازح*** مرمي ولا جبتونه يهل الفخر والشيمه
ضاعت ادموم ليكم ما بين اهل الكوفه*** واضحت عليكم ها العدى متباشره أو مشفوفه
راياتهم منشوره او راياتكم ملفوفه*** في ثار مسلم ثوروا يهل الفخر والشيمه
لولا الحفيره او سابق امر قضاه الباري*** جابوه عند الطاغي يبكي ادمع جاري
وبنه هلي ميجوني حتى يدركوا ثاري*** في ثار مسلم قوموا يهل الفخر والشيمه
عند اللعين الطاغي جابوا إله امكيدينه*** امر عليه ابن الخنا امن اعلى القصر يرمونه
يهل الفخر والمرجله ياليتكم شفتونه*** في ثار مسلم قوموا يهل الفخر والشيمه
ماجت لكم اخباره يا أهل الفخر العالي*** يوم العدى ايدبونه من فوق قصر عالي
وابقى عفير ادمه مرمي بليا أمواري*** ما حد حضر له منكم يهل الفخر والشيمه
يهل الحميه ثوروا واسيوفكم مسلوله*** او نار الحرب خلوها بعد وانكم مشعوله
مدري الخبر ما جاكم قبل الحرب والصوله*** وانتوا الحميه فيكم يهل الفخر والشيمه

واضيعتي يابن أمي او فجعتي يا سنادي *** مسلم قضه بالكوفه اول ذبيح او بادي
راح او مضى او ضيعني واشمتت حسادي *** گوموا بعجل ردونا يهل الفخر والشيمه
قلها السبط يا زينب انا لنا والرجعه *** حن او بكى واتزفر واجرى ابخده دمعه
يختي المدينه ليها هيهات ما من رجعه *** في ثار مسلم قوموا يهل الفخر والشيمه

جيه يحنيدر جيه مسلم قضه بالكوفه *** يا ليت لئنك حاضر واتعابنه واتشوفه
جيه يحنيدر جيه مسلم ترى خانوا به *** و بحبال شدوا رجله قوم الخنا او داروا به
يا ليت لئنك حاضر واتشوف ما فعلوا به *** لفقار سله عاجل او بالخيال طب الكوفه
يا ليت شفت لولاده يوم الخبر وصلهم *** ذبوا العمائم بالثرى لجله او بكوايم عمهم
وامخدراتك بالخيم تبكي او زايد همهم *** حن حين سمعوا بالخبر مسلم قضه بالكوفه
واحسين قام اينادي او بالعجل دش اخيامه *** حط الفتاة ابججره وامدامعه سجامه
وحست ابوها قاضى او قالت لفاه احمامه *** او قالت يعمي الكوفه هي بالغدر معروفه

ص: 515

وظلت تحن وتنادي واخوانها ايسعدوها*** واحريم آل المصطفى بامصابها ايعزوها
او قالت البيعه يا هلي نكتوا بها او خانوها*** يا ليت ابويه انظره ابعيني انا واشوفه
وظلت تحن النسوه وارتح ذاك الوادي*** هذي تنادي عمه وهذي تصيح سنادي
او حده تكله المسلم شمتت علي حسادي*** او صاحوا عليه ابصيحه مسلم قضه بالكوفه
عباس نادى ابصوته قوموا ادركوا والينا*** احنا اولاد المرتضى والكفر ما تولينا
يحسين اخويه هذي اول مصيبه فينا*** سورلنا غدروا به اولاد الخنا بالكوفه
زينب تجر الحسره وادموعها تتناثر*** حيدر دثور ابهمه والسيف بيدك شاهر
والله هضيمه او ذلة معها لمكدر صاير*** هذا عزيزك ينتحب وامدامعه مذروفه
جارت عليه الامه او نكتوا ببويه البيعه*** وابن الخنا بالكوفه قتل جميع الشيعه
واحنا عقب والينا صرنا بعظم ضيعه*** ويا هي مصيبه علينا نزلت براضي الكوفه
مسلم ابوليه اعادي وين قومه او عزوته*** فوق عالي القصر جزوا يا ضياغم رقبته
انذبح وادموعه على اهله فوق وجناته تخر*** وقع راسه او جثته يا خلق من فوق القصر

والروايا شهروها وشهروا سيوف النصر*** واخل ابو فاضل وسط كوفان ينشر رايته
راية الكرار نشرها او توروا بالفزع***على الكوفه وزلزلوها من القصر مسلم وقع
شانكم عزا ومعالي ما تعرفون الجزع*** وين ابو سكنه الشفيه ما يذب عمامته
الكم ييوسكنه جنازه ما لها مواري ترى*** من القصر للقاع خرت بالتراب معفره
جنازة الطاهر ابن عمك ضلوعه مكسره*** تنسحب فوق الصخر بين الخلايق جثته
يا صن ديد الحريه وين ذيك المرجلة*** بالحبل ينسحب مسلم كي رضيتو ياهله
ما جرت عاده الجنائز تنسحب بين الملا*** وين عبدالله ابن مسلم ما يعاين حالته
وين بوسكنه الشفيه ما يسلم سيفه ويثور*** وين جعفر وين عبد الله وعثمان الغيور
عن ذبيح بدار غربه ما احتضى بنوم القبور*** لا يذلكم هالدعي ابن زياد هجموا كوفته
يا ليوث الغاب كيف على المذله تصبرون*** هذا مسلم مثلوا بيه شالسبب ما تنهضون
بيوفاضل يا علي الاكبر يجاسم ما تجون*** تنفرون الولد عمكم ترفعون جنازته
يحييدر محضرت مسلم خانت بيه اهل كوفان*طايح بالحفيره ايصيح وين اهلي بني عدنان

يحيدر لو شفت حاله اودمه امن الوجه يجري**ينادي وعني احسين أظن بالحال ما يدري
الهواشم ما يشوفوني يشوفون اشغل دهرى***اعالج بالحفيرة الروح والتمت علي عدوان
ينادي وينكم يهلي تشوفوني بلامحامي*** امكتف بالحبل والناس من خلفي او جدامي
وأنا أتلظا على شربه او قلبي امفتت او ظامي*ونا محصور بين الدور ما عندي سعة ميدان
لو عندي سعة ميدان لحمل حملة الكرار***وأملني بلجساد ابرور واشعل للحرايب نار
اشبيدي والقضى جاري اضل محصور وسطا الدار**ذبحت اولا اشتفتي قلبي أبد من عصابة الشيطان
ينادي يا هلي او تالي على ابن زياد دخلوني*بقى يسبني بين حيدر ونا بس تهمل اعيوني
وامر من على قصره على التريان يرموني*** ونا حزني على فرقاك يا سيد بني عدنان
يحيدر واعظم امصيبة يوم اللي اصعدوا بمسلم***على قصر الدعي ابن زياد اودمه امن الوجه يسجم
توجه للشهيد احسين يجري الدمع ويسلم**سلامي يا شهيد اعليك واعلى جملة الشبان
قطع نسل الخناراسه اودبه امن القصر للقاع***او جنة اترضضت ويلي او منه اتكسرت الاضلاع
ابحبل قاموا يسحبونه يبو الحسنين ثور الساع***ترضى ينسحب مسلم على وجهه برض كوفان

أمل الناس في البقاء طويل *** وهو ظل عمّا قليل يزول
لا تغرنك غدوة بسرور *** وانتظر ما يجيء فيه الأصيل
وعظتنا الدنيا وكم قد أرتنا *** عبراً لو تدبرتها العقول
خذ من الزاد ما استطعت كثيراً *** لغد فالبقاء فيها قليل
ليس فيها وان يكن جل وقعاً *** بعد يوم النبي خطب جليل
يوم فيه قد أجهش الملاء الأعلى *** وصك الأسماع منه العويل
أيّ يوم به البتولة تكلى *** وبه شخص أحمد مشكول
زلزل الأرض من أطلّ وكادت *** راسيات الجبال منه تزول
غاب نجم السارين ان عسّس الليل *** وضل الهادي وحرار الدليل
هل مقيل من عثرة الدهر أم هل *** بعد ظل الإله فيها مقيل
فمن الغوث والزمان مهول *** ومن الغيث والسنون محول
صعد الروح منه في روح قدس *** ماله بعدها بوحى نزول
أيها المدلج المفذ بحرف *** شفها الوخد بالفلا والذميل
أن تجيء طيبة فقبل ضريحاً *** من شذاه طابت صبا وقبول
قل له واسكب المدامع عن ذي *** مهجة ملؤها جوى وغليل
يا رسول الله الأمين على الوحي *** لقد خانك الملاء والقبيل
إن يوماً مضيت فيه ليوم *** ليس يساوه للقيامه جيل

غير ان الأعداء بعدك لماً*** غبت هاجت أحقادهم والذحول

مال فيها نحو الضلال هواها*** عن سنا الحق والهوى يستميل

نقضوا عهد حيدر فأعاديه*** كثير والناصرون قليل

جحدوا نصك الصريح عليه*** وياجماعهم أقيم الدليل

إن يوم الغدير أنكره القوم*** وغالت خلافة الحق غول

إن تلك الذناب بعدك غالت*** أسد الله واستبيح الغيل

وتواصوا على اغتصاب حقوق*** قد حوتها بالإرث منك البتول

جرعوها من بعد عينيك غيظاً*** ما إلى بته إليك سبيل

لم يصونوا ريحانة كنت تجنيها*** وسرعان ما عراها الذبول

وسقوا أكؤس المنية سبطيك*** ولم أدر بعد ماذا أقول

أدركوا وترهم فذلك مسموم*** وهذا بثار بدر قتيل

بسنا رأسه تنؤ العوالي*** وعلى صدره تجول الخيول

لقد عدد هذا الشيخ الجليل والأديب الفاضل في هذه الأبيات الجليلة بعض المصائب التي تحملها أهل البيت عليهم الصلاة والسلام بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي كان من أكبرها فضاغة وأعظمها جراءة هو اغتصاب مولانا وسيدنا وإمامنا مولى المتقين وأمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام منصب الخلافة الثابت له من الله تعالى بنص القرآن الكريم ووصية الرسول العظيم بذلك، وان يوم الغدير ذلك اليوم العظيم الذي حضره مائة وعشرون ألف من المسلمين والذي أقام فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً عليه الصلاة والسلام إماماً وعلماً وهادياً للناس لأكبر دليل على ثبوت هذا الحق لعلي وأولاده الأحد عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجعلني الله وإياكم من المتمسكين بهم السائرين على طريقهم إلى يوم الدين.

ويرغم من ثبوت ذلك الحق لهم عليهم الصلاة والسلام فإن أولئك الذناب قد اغتصبوا ذلك المنصب الإلهي منهم ظلماً وعدواناً، وتمادوا في جراتهم حتى حتى قدموا

على اغتصاب حقوق قد حوتها فاطمة عليها الصلاة والسلام بالارث من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وزادوا في ذلك بأن هجموا عليها في بيتها بغير إذنها :

هجموا عليها بغير اذنها في خدرها*** والجزل معهم والدعي الثاني انتهرها

حامل وبين الباب والحايط عصرها*** ومن شد عصرتها سقط محسن بلتراب

ولمن أفاقت صاحت ابفضه ادركيني*** كسروا اضلوعي وسقطوا مني جنيني

فضه عرفتي اللي لطمني فوق عيني*** واللي اضلوعي كسر الها ابصفجة الباب

ما صار في النسوه مثيلي طول لدهور*** وبس مات ابويه واندفن جسمه بلقبور

متي اتورم بالضرب والضلع مكسور*** فضه ولا حرمة بقت لي بين لصحاب

عميت اعيني من لطمني ولد لنذال*** وبالدار ما شوف البطل خواض لهوال

قالت عن اللي تشدني انقاد بحبال*** مكشوف راسه والدمع كالغيث سكاب

خرجت صلوات الله وسلامه عليها وأخذت تحقق نظرها(عليهم السلام) فيما صنعه الذئاب في ابن عمها وإذا بها ترى عزها قد أحاط به القوم الظالمين من كل جانب وهو عليه الصلاة والسلام مكشوف الرأس والحبل في عنقه الشريف انتحبت عليها الصلاة والسلام باكية :

وتزلزلت طيبة من اصياح الحزينه*** والله فلا اصبر بالحبل ينجر ولينا

ما ارجع لحتى ايعود من يحمي علينا*** ولا اشق جيبني واخل الشعر منشور

ما ارجع بلا الوالي الصميدع نور السلام*** اتريدون ترميلي وولدي تصبح ايتام

عمري لبيعه ولو بذلت العمر ملام*** عيشه بليا ارجال ليت الجسد مقبور

نعم، لقد هجم الذئاب على ذلك الأسد وأخرجوه من بيت فاطمة(عليه السلام)وهو مكشوف الرأس والحبل في عنقه الشريف، ويذكرني يا محبين هذا الحبل بحبل آخر وهو الحبل الذي وضع في رجلين مسلم وهاني صلوات الله وسلامه عليهما وكيف كان أعداء الله يجرونهما في سوق الكوفة فيا لها من مصيبة أبكت عين الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأبكت أهل السموات وأهل الأرض حتى صار

البكاء عليهما من لوازم الإيمان وخواص الإيقان:

عين جودي لمسلم بن عقيل *** لرسول الحسين سبط الرسول

لشهاد بين الأعادي وحيد *** وقتيل لنصر خير قتيل

ابك من قد بكاه أحمد شجواً *** قبل ميلاده بعهد طويل

وبكاه الحسين والآل لما *** جاءهم نعيه بدمع همول

تركوه لدى الهياج وحيداً *** لعدو مطالب بذحول

ثم ساقوه بينهم يتهادى *** للعين الرذيل وابن الرذيل

طاوياً ظامياً جريحاً عليلاً *** طالباً منهم رواء الغليل

وإن نسيت فلا أنسى ما صنعه ابن حمران لعنه الله تعالى بمسلم صلوات الله وسلامه عليه حيث ضرب عنقه الشريف واتبع رأسه جثته من أعلى القصر فتقطع إرباً إرباً، وفي وفي هذه الرزية يقول الأديب اليعقوبي رثياً له عندما وقف على أطلال قصر الأمانة الواقعة في الجنوب الغربي من جامع الكوفة وذلك عندما اكتشفتها مديرية الآثار العراقية سنة 1356 هجرية وقد هاجت أحزان الأديب عند ما نظر إلى الآثار فأنشأ يقول :

أقصر الامارة ذكرتني *** فوادح منها لصفا تشعب

فلا نفحت جاريات الصبا *** رباك ولا رشها صيب

بنوك على الظلم من أسسوك *** وذاك البناء للبلبي أقرب

فليت طلولك لي لم تلح *** فقد هاج فيها الجوى المكرب

فمنك رموا مسلماً موثقاً *** كما خر نحو الثرى كوكب

وشدوا برجليه فيك الحبال *** وأضحى بأسواقهم يسحب

وفيك يعود ابن مرجانة لعنه الله *** ثنايا الشهيد عدت تضربُ

وقد أوقفوا فيك زين العباد *** أسيراً وأدمعه تسكب

ويسمع شتم أبيه الوصي *** به فوق أعواهم تُخطب

وينظر رأس آل الهدى *** كؤوس الطلا عندها تشرب

يرى حرم الوحي في حالة*** لها الله في عرشه يغضبُ

سوافر ليس لها حاجب*** ونسوة آل الخنا تحجب

وقال الأديب الفرطوسي :

وأتوا يهرعون للقصر فيه***هدم الله ما به من بناء

فراى عند بابه حين وافى***قلَّة بردت بأعذب ماء

استقى شربةً فما جاد لؤماً***مسلم الباهلي بعد الإباء

فائلاً لا تذوق منها قليلاً***دون ورد الحميم بعد الفناء

قال يا باهلي إنك أولى***بشراب الحميم يوم البقاء

وأتاه عمرو بقلَّة ماءٍ***بيدي عبده بده لأجل الرواء

فتجافى كأساً ثنياه فيها***سقطت بعد رميه للإناء

ولقد أدخلوه لابن زيادٍ***وهو يزهو في حلة الخيلاء

فراه ولم يسلم عليه***مستخفاً به بكل ازدراء

قال سلّم على الأمير بزجرٍ***حرس القصر ساعة الإبتداء

قال فاسكت فليس لي بأميرٍ***بعد مولاي سيّد النجباء

قال دعه سلّمت أم لم تسلّم***سوف تجزى بالقتل شر جزاء

أوه يا مسلم أتيت البرايا***وهم في تآلف والتقاء

فشقت العصا وفرقت منهم***وحدة الصف بعد طول اللقاء

قال إني ما جئت قط لهذا***بل لزعم منهم بدون افتراء

أنّ شر الورى أباك زياداً***وهو نبع الخنا وفرع البغاء

قتل الخيرة الأماثل واستبقى***جميع الأشرار والأشقياء

فأتيناهم لنأمر بالعدل***ونهى عن منكر الفحشاء

قال ما أنت- قد كذبت وهذا*** الزعم فسقاً يا فاجر يا مرائي

قال ربّ الفجور والفسق غيري*** وهو من كان والغا في الدماء

قال والله سوف تقتل قتلاً*** ماله في القدم من نظراء

ص: 523

قال أما لأنت أجدر أن*** تحدث بدعاً في أمة الحنفاء

فاستشاط اللعين غيظاً وأضحى*** شاتماً أتماً مسلماً بشر اعتداء

وتمادى غياً بشتم حسين*** وعقيل وقيل وسيّد الأوصياء

ثم نادى بكر بن حمران خذه*** واعتل القصر فيه شر اعتلاء

واقطع الرأس منه بالسيف ضرباً*** وارم في جسمه على الغبراء

فاعتلوا فيه وهو يلهج بالتسبيح*** شكراً لربه والدعاء

وتلاه بركتين ختاماً*** حين أداهما خير أداء

وسلام على الحسين كريم*** من بعيد رده وهو نائي

ثم حزوا في مرهف الغدر بغياً*** منه صبراً رأس العلى والوفاء

ورموا جسمه على الأرض طوداً*** قد تردى على صعيد الآباء

وتلوه في جسم هان فكانا*** في الضحايا من أفضل الشهداء

وتمادوا في مثلة الكفر غياً*** حين جروهما بغير اهتداء

بعد شدّ الحبال في كل رجل*** منهما في الطريق دون ارعواء

لحد يمسلم خانت ابعهدك الانذال*** لكن بديت المرجله يا فحل لرجال

لولا الحفيره والقضا وافق الحيله*** ما صابك ابن ازياد بارجاله او خيله

لكنهم يوم الحرب صابوك غيله*** فعلة خمائم فيك ما هي فعلة ارجال

والله لون حربك معاهم في سعة بر*** ما كان صاروا بالحرايب منك اظفر

يا حى ذاك الوجه منك يا غضنفر*** ليتك حشتهم في سعة مطراد خيال

اتمنيت حاضر يوم حرب الغاضريه*** يوم تصك اجموعهم بالسهمريه

أو زينب تنادي راحت ارجالي سويه*** افنى اهلنا السيف ما بقى لنا ارجال

أو حاز المراجل من ضرب بالسيف واروى*** هاني طعن بالعواد او حد السيف روى

ألا لا عدا صوت الحيا يا بن عروة*** ثرى لك في نشر الشهادة يارج

ذكرتك والآماق ينهل دمعها*** ونار الأسى بين الضلوع تأجج

ص: 524

حميت ابن عم السبط في حيث لم يجد*** حمى فيه يأوى أو عليه يُعرج

لك الله محمولاً بمكر وخدعة*** إلى القصر في حال لها القلب يزعج

فأنفك في عود الدعي مهشم*** وشيبك من فيض النجيع مضرج

ورحت بأبراد الشهادة رافلاً*** وباءت بأثواب الخزاية مذحج

هتفت بهم في القصر تدعوفلم تكن*** ظبى بيضها تنضى ولا الخيل تسرج

إذا دخل الزوار مشهد مسلم*** فمئتك باكما الزيارة تخرج

ألا يابن عروة يا من رقي*** من الفخر ذروته الشاهقه

سقت هاطلات الحيا تربة*** بريك قد أصبحت عابقه

نصرت رسول ابن بنت الرسول*** وأعطيته البيعة الصادقه

وفيت إلى أن لقيت الحمام*** وقد خانت الفئنة المارقه

أتهتف بالقصر في مذحج*** ولم تأت راياتهم خافقه

ويسحب جسمك ما بينهم*** وأعينهم نحوه وامقه

فأين صوارمها الماضيات*** وأين صواهلها السابقه

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (بسم الله الرحمن الرحيم: تبت يدا أبي لهبٍ وتبَّ ما أغنى عنه مالهُ وما كَسَبَ سيَّلى ناراً ذاتَ لهبٍ
وامرأته حمالة الخطب في جيدها حبلٌ من مسد).

قبل أن نشرع في بيان ما ذكره المفسرون حول تفسير هذه الآيات المباركة الشريفة نشير إلى أمور مهمة تتعلق بمن يمث إلى الرسول
الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)بصلة الحسب أو النسب :

الأمر الأول : لقد كان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)تسعة أعمام، هم بنو عبدالمطلب: الحارث، والزيبر، وأبو طالب، وحمزة
،والفيذاق، وضرار، والمقوم، وأبو لهب واسمه عبدالعزى، والعباس، ولم يعقب منهم إلا أربعة : الحارث وأبو طالب والعباس وأبو لهب لعنه
الله . فأما الحارث فهو أكبر ولد عبد المطلب، وبه كان يكنى، وشهد

معه حفر زمزم وولده أبو سفيان، والمغيرة، ونوفل، وعبد شمس.

أما أبو سفيان فلم يعقب وأما نوفل فله عقب، وأما عبد شمس فعقبه بالشام، وأما السيد الجليل أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان مع أخيه عبد الله ابني أم، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم واسمه عبد مناف وله أربعة أولاد ذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي صلوات الله وسلامه عليه، ومن الإناث هاني واسمها، فاخنة وجمانة أمهم جميعاً فاطمة بنت أسد رضوان الله تعالى عليها، وكان عقيل الأسنّ من جعفر بعشر سنين ولهما كلاهما عقب ولسيدنا وإمامنا مولى المتقين علي عليه الصلاة والسلام العقب الطيب والنسل الطاهر، أما طالب فإنه ليس له عقب.

ولم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ممنوعاً من الأذى بمكة حتى توفي أبو طالب عليه الصلاة والسلام فنبت به مكة ولم يستقر له بها دعوة حتى جاءه جبرئيل فقال: إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: اخرج من مكة فقد مات ناصرك، ولما قبض أبو طالب أتى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعلمه بموته، فقال له: امض يا علي فتولّ غسله وتكفينه وتحنيطه فإذا رفعتة على سريره فاعلمني ففعل ذلك، فلما رفعه على السرير اعترضه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: وصلت رحم وجزيت خيراً يا عم، فلقد ربّيت، وكفلت صغيراً، ووازرت كبيراً، ثم أقبل (صلى الله عليه وآله وسلم) على الناس وقال: أما والله لأشفعن لعمّي شفاعته يعجب لها أهل الثقلين، فصلوات الله وسلامه عليك وعلى روحك الطيبة وجسدك الطاهر يا ناصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما العباس فكان يكنى أبا الفضل وكانت له السقايه وزمزم، وأسلم يوم بدر واستقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عام الفتح بالأبواء، وكان عام الفتح بالأبواء، وكان معه حين فتح، وبه معه حين فتح وبه ختمت الهجرة، ومات بالمدينة في أيام عثمان وقد كف بصره، وكان له من الولد تسعة ذكور وثلاث إناث: عبدالله، وعبيد الله، والفضل، وقثم، ومعبد، وعبدالرحمن وأم حبيب أمهم لبابة بنت الفضل بن الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتمام، وكثير،

والحارث ، وآمنة ، وصفية لأمهات أولاد شتى . وأما أبو لهب فولده - عتيبة ، وعقبة ، ومعتب ، ومعتب ، وأمهم أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان لعنة الله عليه وعليها .

وكانت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمات سناً من أمهات شتى وهنّ - أميمة ، وأم حكيم ، وبرة ، وعاتكة ، وصفية ، وأروى .

وكانت أميمة عند جحش بن رثاب الأسدي ، وكانت أم حكيم وهي البيضاء عند كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت برة عند عبد الأسد بن هلال المخزومي فولدت له أبا سلمة الذي كان تزوج أم سلمة ، وكانت عاتكة عند أمية ابن المغيرة المخزومي ، وكانت صفية عند الحارث بن حرب بن أمية ، ثم خلف عليها العوام بن خويلد فولدت له الزبير ، وكانت أروى عند حمير بن عبد العزى بن قصي لم يسلم منهنّ غير صفية وقيل : أسلم منهن ثلاث : صفية ، وأروى ، وعاتكة . الأمر الثاني : أنه لم يكن لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قرابة من جهة أمه إلا من الرضاعة فان أمه آمنة بنت وهب لم يكن لها أخ ولا أخت فيكون (صلى الله عليه وآله وسلم) خالاً أو خالة إلا ان بني زهرة كما أشرنا سابقاً في بعض الجلسات المتقدمة يقولون : نحن أخواله لأن آمنة منهم ، ولم يكن لأبويه عبد الله وآمنة ولد غيره فيكون له الله أخ أو أخت من النسب ، وكان له خالة من الرضاعة يقال لها : سلمى وهي أخت حليلة بنت أبي ذؤيب ، وله اخوان من الرضاعة : عبد الله بن الحارث وأنيسة بن الحارث أبوهما الحارث بن عبد العزى بن سعد بن بكر بن هوازن فهما أخواه (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرضاعة .

الأمر الثالث : اننا فيما تقدّم قد ذكرنا في بعض الجلسات السالفة عدد أبنائه وبناته (صلى الله عليه وآله وسلم) . أما بالنسبة إلى زيد الذي كان يدعى زيد بن رسول الله فهو ليس من أبنائه وإنما كان من مواليه وقد كان لخديجة (عليها السلام) قد اشتراه لها حكيم بن حزام بسوق عكاظ بأربعمائة درهم فوهبته (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن تزوجها فأعتقه فزوجه أم أيمن فولدت له أسامة وتبناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان يدعى زيد بن رسول الله حتى أنزل الله تعالى : (ادعوهم لأبائهم) . كما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً غير زيد

من مواليه وموليّاته وجواريه، ولتمام الفائدة نذكرهم بما يلي:

1- أبو رافع واسمه أسلم، وكان للعباس (عليه السلام) فوهبه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما أسلم العباس بشر أبو رافع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإسلامه فأعتقه، وزوّجه سلمى مولاته فولدت له عبيد الله بن أبي رافع، فلم يزل كاتباً لعلي (عليه السلام) أيام خلافته.

2- سفينة واسمه، رباح، اشتراه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعتقه.

3- نوبان يكنى أبا عبد الله من حمير أصابه سبي فاشتراه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعتقه.

4 - يسار وكان عبداً نوبياً أعتقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

5 - شقران واسمه صالح .

6 - أبو كبشة واسمه سليمان.

7 - أبو ضميرة أعتقه (صلى الله عليه وآله وسلم) وكتب له كتاباً فهو في يد ولده .

8 - مدعم أصابه سهم في وادي القرى فمات.

9 - أبو مويهبة.

10 - أنسة.

11 - فضالة .

12 - طهمان .

13 - أبو أيمن .

14 - أبو هند.

15 - أنجشة ، وهو الذي قال فيه : رويدك يا أنجشة رفقاً بالقوارير .

16 - وصالح .

17 - أبو سلمى .

18 - أبو عسيب .

19 - عيد .

20 - أفلح .

21 - رويغ .

22 - أبو لقيط .

23 - أبو رافع الأصغر .

24 - يسار الأكبر .

25 - كركرة، أهداه هودة بن علي الحنفي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعتقه.

26 رباح.

27 - أبو لبابة .

28 - أبو اليسر وله عقب.

وأما مولياته فإنَّ المقوقس صاحب الاسكندرية أهدى إليه جاريتين إحداهما مارية القبطية ولدت له إبراهيم عليه الصلاة والسلام وماتت بعده بخمس سنين سنة ستة عشر ، ووهب الأخرى لحسان بن ثابت.

وأم أيمن خاصة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت سوداء ورثها عن أمه، وكان اسمها بركة فأعتقها وزوجها عبيد الخزرجي بمكة فولدت له أيمن فمات زوجها، فزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . من زيد فولدت له أسامة، أسود يشبهها فأسامة وأيمن إخوان لأم. وريحانة بنت شمعون غنمها من بني قريظة.

وأما خدمه من الأحرار فأأس بن مالك وهند وأسماء ابنتا خاتمة الأسميتان.

تفسير الآيات الكريمة

بعد الاستفادة من الأمور السالفة الذكر نشرع في تفسير الآيات الكريمة المذكورة فنقول :

ص: 529

1- ان معنى التَّب في قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) هو الهلاك والخسران، وتَبَّ إخبار بأنَّ الهلاك واقع لا محالة، وأبو لهب أحد أعمام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذين قد ذكرناهم فيما تقدم واسمه عبد العزى، وكان كثير البغض والأذى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال الرواة: نادى محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)الناس في الناس في ذات يوم، فلما اجتمعوا ومنهم أبو لهب قال(صلى الله عليه وآله وسلم): لو أخبرتكم بعدو يغزوكم أتصدقوني؟

قالوا: أجل .

قال: أنا نذير لكم بين يدي عذاب .

فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك؟ فنزلت هذه السورة، ولفظها يشعر بذلك.

2- (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) المال مادة الشهوات في الدنيا، أما نعيم الآخرة فهو وقف على من اتبع الهدى، ونهى النفس عن الهوى.

3- (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) أعدت له .

4- (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) هي جميل بنت حرب أخت أبو سفيان وعمّة معاوية لعنه الله، والحطب كناية عن لومها وإثمها الذي قادها إلى النار .

5- (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) الجيد العنق، والمسدّ: الليف، والمعنى ستخنق وتشنق غداً بحبل من نار جهنّم، وهذا النوع من العذاب معدّ لكل من يمشي بالنميمة لأنها مهنة أم جميل كما قيل.

ولقد كانت هذه الخبيثة الملعونة وزوجها أبو لهب وأخوها أبو سفيان وكذلك أبو جهل لعنهم الله من أشدّ المعادين والمناوين الرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولدعوته التوحيدية قد نصبوا كل الحبائل لهدم الإسلام، وتوسلوا بجميع الوسائل لإخفات صوته، وإخماد ضوئه، وأعملوا كل بأس وسطوة في مقاومة تلك الدعوة، حتى ألجأت جماعة ممن تدين بها فهاجروا إلى الحبشة وتحمل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه من الاضطهاد والأذى أكثر من عشر سنين حتى اضطر إلى الجلاء من وطنه ووطن آبائه، ومركز عزّه، فهاجر إلى يثرب فطارده أخوها أبو سفيان الخبيث، وتلاحقه إلى دارهجرة (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ص: 530

أما بالنسبة إلى زوجها أبو لهب لعنه الله تعالى فقد كان يقول إلى الناس : أيها الناس لا تصدقوا ابن أخي . أما هي فلقد كانت لعنة الله تعالى عليها تضع الشوك في طريق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما لقيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأذى والاضطهاد من غير هؤلاء الأربعة من قريش فليس بقليل أيضاً. يقول :

أمين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره: جدت قريش فيأذى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان أشد الناس عليه عمه ، وكان أشد الناس عليه عمه أبو لهب، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)عله ذات يوم جالساً في الحجر فبعثوا إلى سلى الشاة فألقوه على رسول الله ، فاغتم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)من ذلك فجاء إلى أبي طالب ، فقال : يا عم كيف حسبي فيكم ؟

قال (عليه السلام)وما ذاك يا بن أخي ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم) : إن قريشاً ألقوا على السلي.

فقال أبو طالب الحمزة(عليه السلام) : خذ السيف وكان قريش جالسة في المسجد، فجاء أبو طالب(عليه السلام)ومعه السيف وحمزة(عليه السلام)ومعه السيف فقال : أمر السلي على سبالهم فمن أبي فاضرب عنقه، فما تحرك أحد حتى أمر السلي على سبالهم، ثم التفت إلى رسول الل(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : يا ابن اخي هذا حسبك فينا.

وعنه نقلا عن كتاب دلائل النبوة عن أبي داود عن شعبة، عن أبي اسحاق : انه قال : سمعت عمر بن ميمون يحدث عن عبد الله قال : بينا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ساجد وحوله ناس من قريش - وإذا سلى بغير فقالوا : من يأخذ سلى هذا الجزور أو البعير فيقذفه على ظهره(صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فجاء عقبة بن أبي معيط فقفذه على ظهر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وجاءت فاطمة عليها الصلاة والسلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك، قال عبدالله : فما رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)دعا عليهم إلا يومئذ ، فقال : اللهم عليك الملاء من قريش ، اللهم عليك أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط ، وأمّية بن خلف أو أبي بن خلف - عد سبعة - قال عبدالله : فرأيتهم لقد قتلوا يوم بدر وألقوا في القليب أو قال : في بئر غير ان أمية بن خلف أو أبي بن خلف كان رجلاً بادناً فتقطع

قبل أن يبلغ به البئر.

وعنه أيضاً أنه قال : قد اجتمعت قريش في دار الندوة وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يؤاكلوا بني هاشم ولا يكلموهم ولا يباعدوهم ولا يزوجهم ولا يتزوجوا إليهم ولا يحضروا معهم حتى يدفعوا إليهم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقتلوه، وأنهم كلهم يد واحدة على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقتلوه غيلة أو صراحاً ، فلما بلغ ذلك أباطالب (عليه السلام) جمع بني هاشم ودخل الشعب وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب (عليه السلام) بالكعبة والحرم والركن والمقام لئن ساكت محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) شوكة لا تبني عليكم يا بني هاشم وحصن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مضطجع ثم يقيمه ويضطجعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا وكله ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار وأصابعهم الجهد، وكان من دخل من العرب مكة لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً أو باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط لعنهم الله تعالى يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة فمن رأوه معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً ويحذرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ما له ، وكانت خديجة لها مال كثير فأنفقته على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الشعب ولم يدخل في الصحيفة مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدالمطلب بن عبد مناف وقال : هذا ظلم، وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعقلوها في الكعبة، وتابعهم أبو لهب على ذلك، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج في كل موسم ويدور على قبائل العرب فيقول لهم : تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب الله ربي وثوابكم على الله الجنة، وأبو لهب في أثره فيقول : لا تقبلوا منه فإنه ابن أخي وهو ساحر كذاب، فلم يزل حاله فبقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون إلا من موسم ولا يشترون ولا يباعدون إلا في الموسم ، وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة، فكان إذا جاء الموسم تخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثم لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم

موسم

ص: 532

الثاني فأصابهم الجهد وجاعوا وبعثت قريش إلى أبي طالب: ادفع إلينا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) لنقتله ونملكك علينا، فقال أبو طالب صلوات الله وسلامه عليه : قصيدته المشهورة الطويلة :

فلما رأيت القوم لا ودّ فيهم *** وقد قطعوا كل العرى والوسائل

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا ولا يعني بقول الأباطيل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطوف به الملاك من آل هاشم *** فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتهم وبيت الله تبنى محمداً *** ولما نطعن دونه وناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه *** ونذهل عن أبنائنا والحلائل

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد *** وأحبيته حبّ الحبيب المواضل

وجدت بنفسي دونه وحميته *** ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها *** وشيئاً لمن عادى وزين المحافل

حليماً رشيداً حازماً غير طائش *** يوالي إله الحق ليس بماحل

فأيده رب العباد بنصره *** وأظهر ديناً حقه غير باطل

فلما سمعوا منه(عليه السلام) هذه القصيدة آيسوا منه ، وكان أبو العاص بن الربيع وهو ختن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يجيء بالعين بالليل عليها البر والتمر إلى باب الشعب، ثم يصيح بها فتدخل الشعب فيأكلها بنو هاشم وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): لقد صاهرنا أبو العاص فأحمد مد صهنا، لقد كان يعمد إلى العير ونحن في الحصار فيرسلها في الشعب ليلاً، فلما أتى لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله تعالى ونزل جبرئيل على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره بذلك فأخبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأبأ طالب عليه رسول الصلاة والسلام، فقام أبو طالب(عليه السلام) فلبس ثيابه ثم مشى حتى دخل المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه، فلما بصروا به :قالوا قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلم ابن أخيه، فدنا منهم وسلم عليهم فقاموا إليه وعظموه وقالوا: يا أبا طالب قد

علمنا أنك أردت مواصلتنا والرجوع إلى جماعتنا وأن تسلّم إلينا ابن أخيك، قال: والله خما جئت لهذا ولكن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني ان الله أخبره انه قد بعث على صحيفتكم القاطعة دابة الأرض فلحست ما فيها جميع من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله تعالى، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقاً فانتقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم فإن شئتم قتلتموه، وإن شئتم استحييتموه، فبعثوا إلى الصحيفة فأنزلوها من الكعبة وعليها أربعون خاتماً فلما أتوا بها نظر كل رجل منهم إلى خاتمه ثم فكوها فإذا ليس فيها حرف إلا باسمك اللهم .

فقال لهم أبو طالب: يا قوم، انتقوا الله وكفوا عما أنتم عليه، فتفرق القوم ولم يتكلم أحد منهم ، ورجع أبو طالب إلى الشعب وقال في ذلك قصيدته البائية التي أولها :

ألا من لهم آخر الليل منصب *** وشعب القضا من قومك المتشعب

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة *** متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم وعقوقهم *** وما تقموا من ناطق الحق معرب

وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً *** ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

وأسمى ابن عبد الله فينا مصدقاً *** على سخط من قومنا غير معتب

فلا تحسبونا مسلمين محمداً *** لذي عزة منا ولا متعزّب

ستمنه منا يد هاشمية *** مركبها في الناس خير مركب

وقال عند ذلك نفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم مطعم بن عدي بن عامر بن لؤي وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد وأبو البختری بن هشام، وزهير بن أمية المخزومي في رجال من أشرفهم : نحن براء مما في هذه الصحيفة، وقال أبو جهل لعنه الله تعالى: هذا أمر قضى ليليل ، وخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الشعب ورهطه وخالطوا الناس، ومات أبو طالب سلام الله تعالى عليه بعد ذلك بشهرين، وماتت خديجة عليها الصلاة والسلام بعد

ذلك، وورد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً، ودخل على أبي طالب (عليه السلام) وهو يجود بنفسه، فقال: يا عم ربيت صغيراً، ونصرت كبيراً، وكفلت يتيماً، فجزاك الله عنى خير الجزاء خير الجزاء، اعطني كلمة أشفع بها لك عند ربي، قال ابن عباس: فجعل يحرك شفثيه فأصغى إليه العباس يسمع قوله فرفع العباس عنه ثم قال: يا رسول الله قد والله قال الكلمة التي سألتها إياها.

وبموت هذا الرجل العظيم أبو الأئمة الأطهار والحامي عن النبي المختار تتابعت المصائب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام وقيل ثلاثون ليلة توفيت خديجة أم الأئمة أيضاً وأم المؤمنين صلوات الله وسلامه عليها وبقي بعد ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا ناصر بأبي أنت وأمي يا رسول لقد تحملت الأذى والاضطهاد من أهل الكفر والعناد وجاهدتهم خير جهاد من أجل إظهار هذا الدين القويم حتى كسرت من أجل ذلك رباعيتك بل انه لم يمر عليك يوم واحد من حياتك المباركة خالياً من أذى المشركين واستهزاء المستهزئين حتى خرجت من هذه الدنيا مسموماً بعد أن أضعفتك العلة وأنهكت قوتك فصلوات الله وسلامه عليك وعلى أهل بيتك وجزاك الله عن دينه وعننا خير الجزاء بما صبرت واحتسبت وأسأل الله تعالى أن يعظم لنا الأجر والثواب في مصيبتنا بك يا حبيب قلوب المؤمنين وسيد الأنبياء والمرسلين.

بأبي أنت وأمي وإن نسيت فلا أنسى حبيبتك الزهراء وصفيتك البتول الصديقة العذراء عندما نظرت إليك في آخر لحظة من لحظات أنفاسك الشريفة وأنت تجود بنفسك ألقت بنفسها عليك والأسى والحزن يهدّها ... همست في أذنها كلاماً، رفعت رأسها وأجهشت في البكاء ... ثم استولى عليك الضعف وأخذك ما يشبه ثم سكرة الموت ... ثم أفقت وأشرت إليها ... فانحنيت عليك حتى كادت نفسها أن تخرج من شدة الجزع والحزن فهمست في أذنها مرة أخرى فتبسّمت.

إنك يا رسول الله نعت إليها نفسك وقلت لها: يا حبيبتي إنني مفارقكم اليوم ... واللقاء عند رب العالمين فما حالها (عليه السلام) وكيف كان صبرها عندما تيقنت أن أبيها

مفارق الدنيا بكت وجزعت لولا أنك أخبرتها بأنها أول اللاحقين بك من أهل بيتك. وهناك مشهد ثاني يجب أن لا أنساه ولا ينساه إخواني المؤمنين الحاضرين في هذا المكان الشريف المبارك ألا وهو مشهد الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما وذلك عند ما طلبهما جدّهما إليه جاء كلاهما فوقعا على رسول الله فأخذ (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبلهما ويشمهما ... وقام الامام علي عليه الصلاة والسلام ليرفعهما عنه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي! دعني أشبع وداعاً منهما ثم أخذ الحسين صلوات الله وسلامه عليه. وكان في السابعة من عمره الشريف - وجعل يشمه في نحره الشريف وهو يقول: مالي وليزيد بن معاوية لعنه الله تعالى؟ ما لي وليزيد بن معاوية لعنه الله تعالى؟ لا بارك الله في يزيد بن معاوية وأخذ يكرر هذه الكلمات في آخر لحظات حياته المباركة، ثم يعتنق الحسن والحسين عليهما السلام ويبكي ثم ينظر إلى الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما وهو يبكي حتى فارقت روحه الشريفة الدنيا وهو في حجر عليّ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه...

فأخذت فاطمة عليها الصلاة والسلام تبكي أبيها وقد طلبت من بلال الحبشي أن يؤذن، فلمّا صعد بلال المئذنة وقال: الله أكبر الله أكبر سمعته الزهراء (عليها السلام) وحتّت لصوته لأنها تذكرت أيام أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلمّا قال بلال: أشهد أن لا إله إلا الله، بدت دموع فاطمة بالانسياب على خديها لأنها تذكرت تلك الأيام التي كان بلال يؤذن وأبوها رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتظر الصلاة في المسجد فلما قال بلال: أشهد أن محمداً رسول الله بكت الزهراء ورفعت صوتها منادية: «أبّة اسمك على المنائر ورسمك في المقابر ثم وقعت مغشياً عليها ... فأقبل الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما يهرولان» «يا بلال ... اقطع الأذان فلقد ماتت أمنا فاطمة!!» فقال بلال: هذا الذي كنت أحذر منه وأخاف.

فجاء عند ذلك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ونثر عليها شيئاً من الماء، فلما أفاقت طلبت من الإمام عليّ أن يريها قميص أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فكانت تأخذ القميص وتشمه إلى أن تقع على الارض وهي تنادي:

تنادي بيويه العمر بعدك ما أريده*** ابفقدك يبو إبراهيم قلبي راح مطعون
مدوك فوق المغتسل يا حلو لطباع*** چبدي فطرها البين ليته ضمنى القاع
ما حال يا يابه الحزينة راحت اضياع*** يحق لي لغسل جثتك من ماي العيون

أگعد يبوإبراهيم شوف اللي عليّ صار*** مكسور ضلعي او منزلي محروق بالنار
جيتك اخبرك واشتكي من فعلة القوم*** استهضممتي امتك يا كنز العلوم
يا مصطفى ليتك تعان حالي اليوم*** مكسور ضلعي او ما إلى ثاير أو نفار
أمتك يا هادي علينا ردّت اردود*** ردّت ظلم يايا ب تطلب منك احقود
بالباب عصروني او علي سحبه مقيود*** يردون يخضعونه او هو حيدر الكرار
ويوم اعصروني طحت مغشي عليه*** او حيدر يعايني ولا ينغر عليه
او لمن فقت او عاينت داري خلية*** سايلت فضه وين عنيّ حامي الجار
قالت خذوه القوم يا بنت الرساله*** وامكتفين ايمنه يزهره او شماله
وضعوا وسط حلقة احوال القوم لجلاف*** او راحوا به امكتف يزهره يا ام لطهار
وفريت مذعوره او لن حيدر مشوايه*** لهل الظلم اللي قصدهم البطش بيه
وادركتهم يايا ب قبل أوصوليه*** ورد إلي بسوطهم يا أبه هلاشرار
ومن بعد عينك كم عدو جار او تعدّي*** او جاني ابتي يتبعه جنده ابهده
او دخلوا عليّ يا رسول الله ابشده*** والنار شبوا بمنزلي او صار الذي صار
او نخيت بصحابك ولا واحد رحمني*** يابه لخلي النوح والتعدا دفتي
واحسين ايدوبني إلا منه نشدني*** ويقول وينه جدنا احمد المختار
او هذي بيويه للفريضة اياذن ابلال*** او يهلن لذكرك يا رسول يسر دال
واني المصائب فوق راسي مثل لجبال*** لقضي العمر بالنوح في ليلي ولأنهار

بعذك فلا ابطل ولا هيد من النوح*** ليلي أو نهاري ما بقت في جسمي الروح

لو عشت في الدنيا مثل عمر النبي نوح*** ولدعي أدموع العين تجري مثل المطار ويذكرني يا محبين بكاء الصديقة الطاهرة فاطمة
الزهراء (عليها السلام) على أبيها بكاء

ص: 537

يتيمة مسلم على أبيها وذلك عندما وصل خبر شهادة مسلم (عليه السلام) إلى الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام وسمعت به بنت مسلم بل علمت به عندما أخذ الامام (عليه السلام) يمسح على رأسها وقد أحست باليتم أخذت تبكي على أبيها، وأخذ الامام (عليه السلام) يكرر المسح على رأسها وهو يقول : أنا أبوك ، عند ذلك تيقنت بشهادة أبيها فجعلت تندبه وهي تخاطب خالها الامام الحسين اليها قائلة : لم تعودني يا خال من قبل بمثل هذا الفعل، ولقد كسرت قلبي وتركتني حزينة ، وعبراتي جارية على خدي !

قلبي كسرته يا غريب الغاضرية*** مثل اليتاما تمسح ايكفك عليه

تمسح على راسي او دمع العين همال*** كني يتيمة الكافي الله من هلهوال

ما عودتني ابها الفعل من قبل يا خال*** خليت عبراتي على خدي جريه

ابمسحك على راسي تركت القلب ذايب*** هذا يعمي من علامات "مصايب

قلبي اتروع حيث أبويه اسفر غايب*** طول الغيبة ايعوده الله ابعجل ليه

ضمها ابصدره والدمع يجري بلخدود*** او قلها يفاطم والدك ما ظنتي يعود

شهقت او ظلت تنتحب وابروحها تجود*** او نادت يعمي لا تفاول بالمنيه

سافر عساه ايعود ليه بالسلامه*** واجلس ابججره او ينشرح صدري بكلامه

شهنوا اسمعت عن والدي حلو الجهامة*** قلها بينتي غيبته عنك بطيه

جاني الخير عن حال مسلم يا حزينه*** ايقولون من قصر الأمانة ذابينه

لو بالحبل بالاسواق جسمه يسحبونه*** او راسه المشكر راح للطاغي هديه

صرخت الطفلة والدمع بخدودها ايسيح*** واتقوم مذعوره او على وجه الثرا اطيح

تلطم على الهامة ابعشرها او نوب تصيح*** قومي ييمه والبسي احداد الرزيه

خيالها من رزية ويالها من مصيبة قد بكى من أجلها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل حدوثها حتى جرت دموعه على صدره وقال : إلى الله أشكو ما تلقي عترتي من بعدي. فإذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبكي من أجل رزيه مسلم (عليه السلام) قبل حدوثها فهل تجفّ عيون المؤمنين والمحبين ؟ أم تبقى جارية إلى الأبد.

بكتك دماً يا ابن عم الحسين*** مدامع شيعتك السافحة

ولا برحت هاطلات الغمام *** تحييك غادية رائحة

لأنك لم ترو من شربة *** ثناياك فيها غدت طائحة

أتقضي ولم تبكك الباقيات *** أما لك في المصر من نائحة

رموك من القصر اذا أو ثقوك *** فهل سلمت فيك من جارحة

وبالجبل في السوق جراً سحبت *** ألت أميرهم البارحة

قضيت ولم تدركم في زرود *** عليك العشيّة من صائحة

فيا ناصر الدين القويم بسيفه *** ومردى جمع الناكثين النواصب

فلله يوم إذا عليك تجمعوا *** فأردت منها جانباً بعد جانب

تغرّ كعزاة تهيم من الردى *** لما شاهدت منك اللقاء في المواكب

فأطعمت عقباناً لحوم أمية *** بثن بها أيدي المنون السوالب

رمتك من القصر المشوم بحقدتها *** إذا قد رمت حقداً لؤي بن غالب

عظيم بان تضحى أسير أمية *** وأنت عظيم من قرون أطائب

فكم هشموا منك الترائب والقرى *** وكم هشموا للمصطفى من ترائب

وداروا بك الأسواق سحياً وإثماً *** أرادوا به إدراك وتر لطالب

جلى طلائعها وأطلع جليها *** بالمشرفي على الحتوف معلما

لا يرعوي لأمانهم لكن غداً *** بلسان مشحوذ الغرار مكلما

يطفو ويرسف مفرداً في جمعهم *** مستنجداً بأساً وعضباً مخدماً

يرمى الكمي إلى الهواء كأنه *** كرة يحلقها إلى جوّ السما

ويكر كرة عمه الكرار لا يلقى *** وإن كثر الأعداي محجماً

حفروا له وسط المفازة ريبة *** لما رأوا ليتهاً هزبراً ضيغماً

فبكى بها الليث المقييل وقد قضت ***أيدي القضاء عليه أن يستسلما

نفسى الفداء له وقد حقوا به *** فهناك مدمعه بأدمعه همي

ما كان إلا للحسين بكائه *** خوفاً بأن يؤتي حسين مثل ما

ص: 539

وسقوه ماء كلما أدنوه من *** فمه امتلا ذاك الإناء من الدما
حتى إذا سقطت ثناياه به *** نحاه عنه قائلاً لن يقسما
ودنوا إلى نادى الدعى فلم *** يهدي السلام محقراً ومذمماً
وغدى يؤنبه ويشتم عمه *** متشمتاً بغياً فلن يتكلماً
وأدار بالجلاس لحظاً ما رأى *** إلا دعياً أو بغياً مجرماً
ورقوا به لشهادة فيها رقى *** أعلا مراق في الجنان وأعظما
وتسنموا أعلى الطمار به ولن *** ينفك في قنن العلا مسنماً
يرقى مراقيه ويذكر ربه *** فمهلاً ومسبحاً ومعظماً
ورماه بكر من طمار شاهق *** شلت يدا بكر أيعلم من رمى
وهوت إلى وجه الثري جثمانه *** والروح حلق صاعداً نحو السما
إن يغدروا بك عن عمدٍ فقد غدروا *** بالمرتضى وابنه سرّاً وإعلاناً
لافاك جمعهم في الدار منفرداً *** كما تلاقي بغاث الطير عقباناً
فعدت تنثر بالهندي هامهم *** والرمح ينظمهم مثنى ووحداناً
حتى غدوت أسيراً في أكفهم *** وكان من نوب الأيام ما كان
كأنما نفسك اختارت لها عطشاً *** لما درت ان سيقضي السبط عطشاناً
فلم تطق ان تسيغ الماء عن من ظمأ *** من ضربة ساقها بكر بن حمراناً
يا مسلم بن عقيل لا أغب ثرى *** ضريحك المزن هطالاً وهتاناً
نصرت سبط رسول الله مجتهداً *** وذقت في نصره للضر ألواناً
ورام تقريعك الرجس الدعى بما *** قد كان لفقه زوراً وبهتاناً
ألقمته بجواب قاطع حجراً *** وللجهول به أوضحت برهاناً
بذلت نفسك في مرضاة خالقها *** حتى قضيت بسيف البغي ظماناً

قال المحدث المازندراني الحائري قدس نفسه الزكية : إنّ لمسلم بن عقيل صلوات الله وسلامه عليه مقامات كريمة ومناقب سنّية لا يسعها
الطومير والطروس

ص: 540

وكيف لا والعرق صحيح، والمنشأ كريم والشأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، واللسان خطيب، والصدر، رحيب، فأخلاقه وفق أعرافه، وحديثه يشهد لتقدمه، فهو من دوحة امتد عرقها، وبسق فرعها وطاب عودها، واعتدل عمودها كيف وقد رباه عمه أمير المؤمنين وكبر في حجر سيد الوصيين بأبي وأمي شجاع هو في غارب السنام من الدرجة القصوى في الشهادة والفوز بالسعادة، فهنيئاً له هذا الشرف والسيادة، فقول الامام(عليه السلام)في شأنه يكشف عن كونه في أعلى ذروة الشرف من المكارم والفواضل والنجدة والفضائل حيث يقول(عليه السلام) : اني باعث اليكم إلخ ، وقول رسول الله كقول الحسين(عليه السلام)في شأن مسلم يفيد أصولاً إيمانية وضوابط إيقانية.

فمنها ان درجته دون درجة أهل العصمة وفوق درجات غيرهم من أصحاب المقامات الجليلة والدرجات العلية.

ومنها - انّ البكاء عليه من لوازم الايمان والاسلام وخواص الايقان.

ومنها انه قد بكى عليه جميع أهل السموات والملائكة المقربين.

ومنها - ان شأنه من بين شؤون حوارى سيدالشهداء كشأن أبي الفضل العباس وعلي الاكبر والقاسم (عليه السلام)من جهة التأييد والتسديد، كما انه لا يبلغ في شجاعته أحد ممن ممن في زمانه من الذرية الهاشمية إلا أبو الفضل وعلي الاكبر والقاسم بن الحسين عليهم الصلاة والسلام، وقد شهد بشجاعته الصديق والعدو والفضل ما شهدت به الأعداء).

ثم قال رضوان الله تعالى عليه : دخل مسلم بن عقيل الكوفة ونزل في دار المختار بن أبي عبيدة وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمع عليه منهم جماعه وقرأ عليهم كتاب الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وهم خذلهم الله ويكون وبايعه منهم ثمانية عشر ألفاً ولكنه بعد بعد ما عرفهم حق المعرفة ولم يعلم ان اهل الكوفة لا وفاء لهم، ولهذا كتب إلى الامام الحسين (عليه السلام) يأمره بالقدوم إلى الكوفة ويخبره ببيعتة ثمانية عشر ألفاً ولم تكن بعد ذلك حتى انعكس الأمر وغدروا به

عندما دخل عدو الله ابن زياد الكوفة وجلس على سرير الامارة وأمر باحضار أشرف أهل الكوفة وحذرهم من القتل والقتال وخوفهم بجنود أهل الشام وقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود حمار المفسدين يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى قد أقبلت وقد أعطى الشيطان للشيطان عهداً لأن تمتم على حربه ولم تصرفوا من عشيتكم هذه ان يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتليكم في مفازي الشام وأن يأخذ البريء منكم بالسقيم والشاهد منكم بالغائب حتى لا يبقى له بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت أيديها، وتكلم الذين من هم على شاكلة عدو الله بن زياد لعنه الله بنحو من ذلك، فلما سمع الناس مقالته أخذوا لعنهم الله يتفرقون وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف ان الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه ويقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب؟ انصرف، فيذهب به فينصرف. فما زالوا يتفرقون حتى أمسى مسلم بن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد، فلما رأى انه قد أمسى وليس معه إلا أولئك نفر خرج متوجهاً الى أبواب كندة فلم يبلغ الأبواب إلا ومعه عشرة، ثم خرج من الباب فاذا ليس معه إنسان فاذا هو غريب وحيد وليس معه من يده على الطريق، ولا من يده على منزله ولا أحد يواسيه بنفسه، فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى أتى إلى باب دار امرأة يقال لها طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها وتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردّت، فقال لها: يا أمة الله أسقيني ماء فسقته، وجلس ودخلت طوعة ثم خرجت فرأته جالساً على الباب قالت: يا عبدالله ألم تشرب الماء؟

قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك فسكت ثم أعادت الكلام بمثل ذلك فسكت ثم قالت في الثالثة سبحان الله يا عبد الله قم عافاك الله واذهب إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على باب داري ولا أحله لك.

فقام مسلم صلوات الله وسلامه عليه وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر

أهل ولا دار ولا عشيرة فهل لك في أجر ومعروف لعلّي مكافئك بعد هذا اليوم؟

قالت: يا عبدالله من أنت وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبي هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني.

قالت: أنت مسلم؟

قال: نعم.

قالت ادخل فدخل إلى بيت في دارها وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج في ذلك البيت فسألها عن السبب فأبت أن تخبره، فلما أصرّ عليها أخذت عليه الأيمان المغلطة فحلف لها فأخبرته الخبر فسكت اللعين، فما أصبح حتى أوصل الخبر إلى عدوّ الله ابن زياد عليهما لعنه الله، وبات مسلم بن عقيل صلوات الله وسلامه عليه ليلته في دار تلك العجوز ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد، وتارة يناجي ربه وأخرى يتضرع، وتارة يتلو القرآن، هذه ليلة بات فيها مسلم في دار طوعه رضوان الله عليها.

أمّا الليلة الثانية من حياته المباركة فقد كانت في الجنة بقرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمه أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي رآه في منامه وهو يقول له: الوحا الوحا العجل العجل ولهذا فقد كان مسلم عليه الصلاة والسلام مشتاق إلى الجنة فما أن سمع حوافر الخيل وأصوات الرجال وعرف أنه قد أتى لبس لامته وقال: يا نفس اخرجي إلى رضوان الله وحنانه.

فقالت له طوعة: سيدي أراك تتأهب للموت!

قال (عليه السلام): نعم لا بد من ذلك وأمّا أنت فقد أديت ما عليك من البر والإحسان وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد الإنس والجان، وعندما اقتحموا عليه الدار وهم ثلاثمائة رجل شدّ عليهم حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا إليه فحمل عليهم وهو يقاتلهم قتالاً شديداً ويقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع *** فأنت بكأس الموت لاشك جازع

ص: 543

فصبراً لأمر الله جل جلاله*** فحكم قضاء الله في الخلق ذائع

حتى قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً . وقال مخنف : مائة وثمانين فارساً ، وكان من قوته (عليه السلام) أن يأخذ الرجل بيده فيرمي به من فوق البيت فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد لعنهم الله تعالى جميعاً : أدركني بالخيل والرجال فقد قتل مسلم مقتلة عظيمة ، فأنفذ ابن زياد لعنه الله يقول : ثكلتك أمك وادموك قومك ، رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشد بأساً وأصعب مراساً يعني بذلك الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ؟

فكتب إليه : عساك تظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقال أهل الكوفة أو إلى جرمقاني من جرامقة الحيرة إنما وجهتني إلى بطل همام وشجاع ضرغام وسيف حسام في كفت بطل همام من آل خير الأنام، فأرسل إليه العساكر وقال إليه أعطه الأمان فإنك لا تقدر عليه إلا به ، فيبينما هو يقاتل إذ اختلف بينه وبين بكر بن حمران لعنه الله بضربات فضرب بكر لعنه الله تعالى فم مسلم (عليه السلام) فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلى وفصلت له ثنيتاه ، وضرب مسلم عليه صلوات الله وسلامه رأس بكر لعنه الله ضربة منكرة وثناه بأخرى على حبل العاتق وحمل على القوم وشدّ فيهم أيضاً، فلما رأوا منه ذلك أشرفوا عليه من أعلى السطوح وأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب ثم يرمونها عليه.

وقد حكى لنا الحاج ملا محمد شاعر أهل البيت (عليهم السلام) بطولات مسلم بن عقيل عليه الصلاة والسلام بقوله :

شدّ الغضنفر ميزره والباب طوعه زلزله*** اينادي المنيه لادنت يامر حبا ايها وياهله

لجناح ذبه اعلى القلب والميمنه اعلى الميسره*** وتجي الكتيبه وينتخي ابسيفه ويردها على وري

لابرق سيفه اتراعدت الجموع والهاتل جرى** من دم كل ليث جرى وعيون كل امدالله

ص: 544

كم ولد ينعى والده وكم والد ينعى ولد***وكم راس فارق جثته وكم كف فارق من جسد
لا كسر باسه وحدته ولا خاف من كثر العدد**چنه العقيمه اللي جرت في زمن عاد الأوله
كلما استضاقت واعبست للنفس نادى ابها اطربي***ويا شمس بفواد السما هاليوم بالك تغربي
ويا شفرة احسامي على هام الأعادي دلعي**وان كان عطشانه اشربي من دم هامات الملا
ضاقت الكوفة واطلمت والارض بالدم ارتوت*ماجت كتبه إلا انفتت منه وبيارقها انطوت
ما هم اكفاية للأسد يا حيف بالحيله استوت***لولوا الحفيرة ما انقبض ماهي بلعد مرحله
داروا على الليث الفحل دور الاجادل بالسرب***وقادوه مكتوف ابجل والراس بالسيف انضرب
وسفه على اشجاع انولى ما بين عدوان وغرب***هذا الذي ابيفه دعى كم من مصونة أرمله
وامسى كما الكعبه البطل لكن احتاطت به كفر*واحد ابرمحه يطعنه وواحد يضربه بالحجر
ما بينهم مثل الشبح يا ليت ابو سكتته حضر*ويشوف مسلم شيبته من فيض دمه امغسله
خوف المنية ما بكى ودمعه على انسفك*خوفه على احسين السبط يقتل او زينب تنهتك
لازم يمسلم تتسي ادش المجالس والسكك**واحسين واهله يذبخوا كلهم ابعرصة كربله

نعم ، لم يبك عليه الصلاة والسلام خوف المنية وإنما بكى لقدوم الحسين عليه الصلاة والسلام حيث إنه كتب إليه يأمره بالقدوم فكان يبكي وهو يخاطب طوعة قائلاً:

يطوعه اللي حنا اضلوعي وخلا مدمعي سيال**سلطان الحرم هاليوم من مكة اباهله شال

عرفته يجي الكوفه وظنه زمت اطعونه***ولا ظني يخونونه ولا عهدي ينقضونه

يطوعه خايف ايجيها ابو سكنه ويذبحونه***حالا بايعوا ابن از ياد نقضوا بيعتي لنذال

ما ليهم عهد خوان طوعه واصفج اكفوفه***ولا اتمكن اطرش له رسول اتجنب الكوفه

إذا ايجيها يذبحونه وحريره اتروح مكشوفه***يرووا بالثرى دمه مثل مادم ابوه قد سال

أنا مذبح يا طوعه وحتى احسين ورجاله***يطوعه حسرتي وحزني وتزفيري على حاله

وچني ابلدة الكوفة سبايا تدخل اعياله***تشوفيها عقب لخدور وزينب تنجفت بحبال

وانا بوصيك بوصية يا طوعة تنفذها***تجيكم في الطعينة لي يتيمة اتروح رحميها

مسلوبه بليا اقناع طوعة اقناع تعطيهها***ولا اتقولي لها مسلم سحبوا جثته بحبال

نعم، أن بكاء مسلم(عليه السلام)لم يك خوف على نفسه من القتل وإنما كان لحبيبه وسيده وحبیبناه وسيدنا الامام الحسين عليه الصلاة والسلام وأيضاً ليتيمته العزیزة

ص: 546

الغالية(عليه السلام) ولهذا كان يوحى بها طوعة، وهذه الوصية شفقة منه(عليه السلام) إلى ابنته وإلا فإنه كان(عليه السلام) يعلم تمام العلم بأنها في حجر أبيها الثاني وهو خالها الامام الحسين عليه الصلاة والسلام بل كأنها لم تفقد أباه بوجود الامام الذي كان يراها ويكثر العناية بها ، ولكن هناك يتيمة أخرى أصغر منها وربما تكون بحاجة إلى وصية من أبيها أكثر من يتيمة مسلم(عليه السلام) لأن هذه اليتيمة لا تفقد أباه فقط بل تفقد كل أهلها ولم يكن لها أب ثانٍ يراها ويعتني بها كما كان الامام الحسين (عليه السلام) يعتني بيتيمة مسلم(عليه السلام) وأعتقد ان المحبين الحاضرين في هذا المكان الشريف إن لم يكونوا كلهم فلا شك أنّ البعض منهم يعرف من هي اليتيمة الثانية التي أشرنا إليها ولم نذكر اسمها.... إنها يتيمة الامام الحسين عليه الصلاة والسلام وقد كانت بنت صغيرة أربع سنين تسمى رقية ، وقيل : إن عمرها الشريف ثلاث سنين وكانت(عليه السلام) مع الاسراء في الشام وكانت تبكي لفراق أبيها ليلاً ونهارها وكانوا يقولون لها : هو في السفر.

قال المحدّث المازندراني (قدس سره) نقلاً عن كتاب الإيقاد للسيد الجليل ثقة الاسلام الحاج السيد محمد علي الشاه عبد العظيم (قدس سره) ما ملخصه انه كانت للحسين عليه الصلاة والسلام بنت صغيرة يحبها وتحبه تسمى رقية وكانت تبكي لفراق أبيها ليلاً ونهارها وكانوا يقولون لها : هو في السفر فرأته ليلة في النوم فلما نبتت جزعت جزعاً شديداً وقالت: اتنوني بوالدي وقرّة عيني وكلما أراد أهل البيت إسكاتها ازدادت حزناً وبكاءً ولبكائها هاج حزن أهل البيت فأخذوا في البكاء ولطموا الخدود وحثوا على رؤوسهم التراب ونشروا الشعور وقام الصياح، فسمع يزيد لعنه الله تعالى صيحتهم وبكاءهم فقال لعنه الله : ما الخبر ؟

قيل له : إن بنت الحسين(عليه السلام)الصغيرة رأت أباه في نومها فانتبعت وهي تطلبه وتبكي وتصيح ، فلما سمع يزيد لعنه الله ذلك قال : ارفعوا إليها رأس أبيها وحطوه بين يديها تتسلّى، فأتوا بالرأس في طبق مغطى بمنديل ووضعوه بين يديها فقالت(عليه السلام) : ما هذا إني طلبت أبي ولم أطلب الطعام؟

فقالوا : إنّ هذا أبك ، فرفعت المنديل ورأت رأساً فقالت: ما هذا الرأس؟

قالوا : رأس أبيك ، فرفعت الرأس وضمته إلى صدرها وهي تقول: يا أبتاه من ذا الذي خضبك بدمائك ؟ يا أبتاه من ذا الذي قطع وريديك؟ يا أبتاه من ذا الذي أيتمني على صغر سني؟ يا أبتاه من لليتمة حتى تكبر؟ يا أبتاه من للنساء الحاسرات؟ يا أبتاه من للأرامل المسبيات؟ يا أبتاه من للعيون الباكيات؟ يا أبتاه من للضايعات الغريبات؟ يا أبتاه من للشعور المنشورات؟ يا أبتاه من بعدك واخيبتاه، يا أبتاه من بعدك واغربتاه، يا أبتاه ليتني لك الفداء ، يا أبتاه ليتني قبل هذا اليوم عمياً، يا أبتاه ليتني توسدت التراب ولا أرى شيك مخضباً بالدماء ثم وضعت فمها على فم الشهيد المظلوم وبكت حتى غشي عليها ، فلما حركوها فإذا هي قد فارقت روحها الدنيا فارتفعت أصوات أهل البيت بالبكاء وتجدد الحزن والعزاء.

ولقد حكى لنا الحاج الملا عطية البحراني(قدس سره) كيفية ذلك المشهد الرهيب خصوصاً عندما أخذت تلك اليتيمة ذلك الرأس الشريف وصارت تقبله أو انها وقعت عليه تقبله وفارقت روحها الدنيا بقوله :

طفلة المظلوم خرت فوق راسه اتقبله*** اتصيح بويه ضيعتني او قبل كنت امدلله

قرح اجفاني يبويه او ذوب احشاي اليتم*** من تهل الدمع عيني يضربوني ونشتم

حيث بحماكم عزيزة او لا شفت ذلة او هظم*** واصبحت بعدك يتيمة فوق ناقه امهزلة

لو جرى دمعي ابخدي من ينشف دمعتي*** امروعة ماشوف لي والي يسكن روعتي

لا بقي العباس ليه ولا شباب من اخوتي*** روسهم فوق الأسنة ولجساد ايكربله

ص: 548

وانحنت فوقه اتشمه اودمعها بخدها سفوح*** او عن جبينه امسحت دمه او شهقت أو غابت الروح

ماتت وراسه ابجرها والحرم ضجت بنوح*** او كعبة الأحران قامت والمدامع سايله

مددت طفلة أخواها او غمضت منها العين** وعن حجرها راس ابوها شالته ابلوعه او حنين

او دارت النسوة عليها وجددوا ماتم حسين*** واهوت اسكينه على اجنازة اختها معوله

اتصيح موتك نحل اعظامي اوفت للقلوب*** امئدة والناس تتفرج علينا امن الدروب

لشق جيبي اعليك لكن ما بقت لنا جيوب*** والدمع قرح ولا ظل دمع لجلك نهمله

او صرخت او نادت يعمه بالعجل ودي خبر*** كربلا حتى يجينا بوالفضل يحفر قبر

والشهيد احسين خله ايجيب كافور واسدر*** والولد لكبر يشوف اخته او نعشها يحمله

اشلون ندفن هاليثيمة والاهل كلهم اغياب*** بين عدوان او جنازة معطّله او بلدة اجناب

وين جدنا وين ابونا المرتضى داخي الباب*** وين اهلنا ما دروا عدنا اجنازة امعطلة

او مهجة الزهري تنادي بس يسكنه امن النحيب*** ما نظرتي جسم ابوك احسين بالغبر تريب

وشفتي راسه قبل عينك شبيه بدمه خضيب*** تركناه ابكر بلا مطروح محد غسله

حق انا نتصور *** حالة الهادي المطهر

وجفه بالسقم مصفر *** جسمه بالسقم مخضر

أوهن السقم قواه *** قطع السقم حشاه

أظهر القوم جفاه *** ليتنا كنا فداه

فلنوع خير مرسل *** من جوى في القلب مشعل

أدهش اللب وأذهل *** فرسول الله يرحل

مزدنا منه الحمام *** شب في القلب ضرام

للذي تلقى الكرام *** بعده تؤذى اللثام

وإليه الله جلا *** يرسل الروح الأجلا

بسلام منه يتلى *** وسؤال كي يجلا

ومذ اختار الإله *** جل في الخلد لقاها

وعطاه وحباه *** ملك الموت أتاه

فأتى أفضل مرسل *** من إله العرش يسأل

وله الخيرة يجعل *** والذي يختار يفعل

كيف لا ينفذ قوله *** وإليه الأمر كله

في البرايا وهو أهله *** من إله جل نبيله

وله أوحى لكيما *** يستشير الروح عمّا

فيه قد جاء ولما*** اختار للرحلة أومى

لعلى فأسره*** مودعاً للطهر سره

وقضى الجبار أمره*** فاعتري الآفاق غيره

وقضى خير البريه*** بسموم وأذيه

فقدته أدهى بليه*** عضمت فيه الرزيه

نعم، لقد كان فقد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)أدهى بلية على الاسلام والمسلمين كافة وبالخصوص أهل بيته عظمت عليهم المصيبة وجلت الرزية، فلقد كانوا في ذلك اليوم في حزن وعزاء ارتفعت أصواتهم بالبكاء والعيويل ومن سمع من أهل المدينة بكاءهم بكى فلم ير في ذلك اليوم إلا باك أو باكية في المدينة أو في غيرها من أجزاء العالم الاسلامي عند وصول الخبر إليهم.

وسهم فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة في الجزع والحزن والبكاء والعيويل أوفر الأسهم فإنها(عليه السلام) نادت: واغربتاه من بعدك يا أبتاه، ليتني لك الفداء، يا أبتاه ليتني توسّدت التراب قبل هذا اليوم وبكت حتى غشي عليها من كثرة البكاء والعيويل، هذا مع علمها سلام الله عليها أنّ أباه سافر إلى الجنة وإنما تبكي لفراقه حيث حُرمت من النظر إلى وجهه المبارك. فاطم على موت النبي المختار تجذب الوّنه*** واتقول ابويه سافر بالبحور فرجوا عنه

ما ظن ابويه يرضى باللي عليه جاري*** يا ياب ما رحموني او هجموا عليه داري

ما ظنتي تنساني لاكن قضى الله جاري*** بعدك علي المرتضى نصب الماتم فنه

ليتك تعان حاله يوم انه ايسحبونه *** ليتك نظرت البيتي يوم العدى ايجرقونه

ليتك شفتني بعدك في منزلي محزونه *** ليتك شفت سبطينك والكل يجذب ونه

اما الحسن من بعدك دايم يهلّ ادموعه *** واحسين مرتاع الحشا ما سكن بعدك روعه

واني حزينه ابداري او بمصيبتك مفعوجة *** دوبي اهل ادموعي واجذب عليك الوته

امست يويه دارى ابنار الحطب مشبوبة *** واني العزيزة عندك واليوم اني مضروبه

والنحلة اللي ليه منها اني مغصوبة *** يا ليت يومي قبلك وما رحت يابه عنا

ويذكرني يا محبين بكاء الزهراء (عليها السلام) على أبيها ببكاء حميدة (1) بنت مسلم بن عقيل على أبيها فإنّها (عليه السلام) لما أن مسح الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام على رأسها وناصيتها كما يفعل بالأيتام قالت يا عم ما رأيتك قبل هذا اليوم تفعل بي مثل ذلك أظن أنه قد استشهد والدي فلم يتمالك الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام من البكاء وقال : يا ابنتي أنا أبوك وبناتي أخواتك، فصاحت ونادت بالويل فسمع أولاد مسلم بن عقيل ذلك الكلام وتنفّسوا الصعداء وبكوا بكاء شديداً ورموا بعمائمهم إلى الأرض ونادوا وا مسلماة وا ابن عقيلاه ، وبكى من كان حاضر معهم من أصحاب الحسين عليهم أفضل الصلاة والسلام حتى صارت زرود كأنها المدينة يوم فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ص: 553

1- وقيل : اسمها عاتكة وأمها رقية بنت علي وعمرها سبع سنين ، وقيل ان عمرها احدى عشرة سنة .

قال المحدث المازندراني (قدس سره) نقلاً عن كتاب البحار : إن الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام قال لما وصل إليه خبر شهادة مسلم وهاني (عليه السلام) : لا خير في العيش بعد هؤلاء، ثم سار صلوات الله وسلامه عليه قاصداً الكوفة .

قال الطرماح بن الحكم : لقيت حسيناً عليه أفضل الصلاة والسلام وقد امترت لأهلي ميرة فقلت : اذكرك الله في نفسك فلا يغرّتك أهل الكوفة والله إن دخلتها لتقتلنّ، واني أخاف أن لا تصل إليها فإن كنت مجتمعاً على الحرب فانزل اجاء فإنه جبل منيع والله ما نالنا فيه ذلّ قطّ وعشيرتي جميعاً يرون نصرتك ما قمت فيهم فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف فارس يضربون بين يديك بأسيافهم فوالله لا يصل إليك أحد أبداً وفيهم عين تطرف.

فقال (عليه السلام) له : جزاك الله وقومك خيراً إن بيني وبين القوم مواعيد اكره أن أخلفها ، وقولاً لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندرى على ما تصير بنا وبهم الأمور في عاقبة فإن يدفع الله فقديماً ما أنعم الله علينا وكفى، وإن يكن ما لا بد منه ففوز وشهادة إن شاء الله تعالى . ومضى لوجهه عليه أفضل الصلاة والسلام قال فودعته وقلت له : دفع الله عنك شرّ الإنس والجن إني قد امترت لأهلي ميرة من الكوفة ومعني نفقة لهم فآتيهم فأضع ذلك فيهم ، ثم أقبل إليك إن شاء الله فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك.

قال (عليه السلام) فإن كنت فاعلاً فعجل رحمتك الله تعالى .

قال : فعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل.

قال : فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون : إنك تصنع مرتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم ! فأخبرتهم بما أريد وأقبلت حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاه إليّ وأخبرني بشهادته، فرجعت مغموماً.

ثم سار الامام عليه الصلاة والسلام حتى مرّ بيطن العقبة فنزل عليها فلقبه

شيخ من بني عكرمة يقال له : عمرو بن لوذان ، فسأله : أين تريد ؟

فقال له الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام : الكوفة .

فقال الشيخ : انشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحدّ السيوف، وأن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال
فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فأما على هذه الحالة التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل .

فقال عليه أفضل الصلاة والسلام له : يا عبد الله ليس يخفى عليّ الرأي ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره ، ثم قال صلوات الله وسلامه
عليه والله : لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقمة من جوفي فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أدلّ فرق الأمم .

ثم سار صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته وأصحابه وأصحابه حتى صار من بطن العقبة حتى نزل شراف، فلما كان في السحر أمر فتياته
فاستقوا من الماء انتصف النهار ، فبينما هو يسير إذ كبر رجل من أصحابه ، فقال فأكثرنا ثم سار حتى له الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام
الله أكبر ، لم كبرت ؟

قال: رأيت النخل.

فقال عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعل : والله إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قطّ .

فقال الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وجعلني الله له الفداء: فما ترونه ؟

قالوا نرى والله هوادي الخيل ونرى أسنة الرماح وآذان الخيول. فقال الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه : وأنا والله أرى ذلك ، ثم قال
عليه أفضل الصلاة والسلام ما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد.

فقلنا : بلى هذا ذو حسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت إليه فهو

ص: 555

كما تريد، فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبينناها، وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسنتهم اليعاسيب وكأن راياتهم أجنحة الطير فاستبقنا إلى ذي حسم أوذي جشم فسبقناهم إليه، وأمر الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام بأبنيته فضربت وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد الرياحي التميمي حتى وقف هو وخيله مقابل الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في حرّ الظهيرة والامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه (عليهم السلام) متعممون متقلدوا أسيافهم، فقال الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام لفتيانه: اسقوا القوم واروهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً، ففعلوا وأقبلوا يملأوا القصاص والطاس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوها كلها .

قال علي بن طعان المحاري: كنت مع الحر يومئذ وجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام ما بي وبفرسي من العطش قال عليه الصلاة والسلام: أنخ الراوية والراوية السقاء، ثم قال: يا ابن أخي أنخ، الجمل، فأنخته، فقال عليه الصلاة والسلام اشرب، فجعلت كلما أشرب سال الماء من السقاء، فقال عليه الصلاة والسلام: اخنث السقاء، أي اعطفه فلم أدر كيف أفعل، فقام عليه الصلاة والسلام فخنته فشربت حتى ارتويت وسقيت فرسي، بأبي أنت وأمي يا أبا عبدالله ما أشفقه عليهم سقاهم في وادي غير ذي زرع لا ماء فيه ولا نبات وهم منعوه من الماء وهو بجنب الفرات. قال السيد ابن طاووس اللهوف: فلم يزل الحرّ موافقاً للحسين عليه الصلاة والسلام حتى حضرت صلاة الظهر، فقال الامام عليه الصلاة والسلام للحر: لنا أنت أم علينا؟

فقال: بل عليك يا أبا عبدالله .

فقال الامام عليه الصلاة والسلام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال العلامة المجلسي في كتاب البحار فأمر الحسين عليه الصلاة والسلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن، فلما حضرت الإقامة خرج الامام عليه الصلاة والسلام في إزار ورداء ونعلين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس علينا إمام لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ، فإن كنتم على ذلك فقد جنتكم فاعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم فسكتوا عنه ولم يتكلموا كلمة .

فقال(عليه السلام) للمؤذن : أقم الصلاة، فأقام الصلاة فقال الامام عليه أفضل الصلاة

والسلام للحر(عليه السلام) : أتريد أن تصلي بأصحابك ؟

فقال الحر(عليه السلام) : لا بل تصلي أنت ونصلي نحن بصلاتك، فصلّى بهم الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم دخل فاجتمع عليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه الذي كان فيه فدخل خيمة قد ضربت له فاجتمع إليه خمسمائة من أصحابه وعاد الباقون إلى صفهم الذي كانوا فيه ، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان فرسه وجلس بظله، فلما كان وقت العصر أمر الحسين عليه الصلاة والسلام أن يتهاوا للرحيل ففعلوا، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام فاستقدم الحسين عليه الصلاة والسلام وقام فصلّى بالقوم ثم سلّم(عليه السلام) وانصرف إليهم بوجهه المبارك فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن الله أرضى عنكم ونحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أبيتم إلا الكراهة لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت عليّ به رسلكم انصرفت عنكم.

فقال الحر(عليه السلام) : أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر .

فقال الامام عليه أفضل الصلاة والسلام يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين الذين فيهما كتبهم إلي ، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فثرت بين يديه.

ص: 557

فقال الحر(عليه السلام): لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك. ولعمري إنّه صادق فيما قال لأنه ذو مروة وحميّة رضوان الله عليه . حيث انتهت عاقبته إلى خير وصلاح، وكان في زمرة شهداء الطف عليهم أفضل الصلاة والسلام وكفى الحر فخراً بأن صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف يسلم عليه في الزيارة.

وقال فيه الامام الحسين عليه الصلاة والسلام مقالته الشهيرة : لنعم الحر حر بني رياح
(أنت حرّ كما سمّتك أمك) .

وقال الفرطوسي في توبة الحر(عليه السلام):

ورأى الحر وهو حرٌّ سعيد*** في الحياة الدنيا وأخرى البقاء

جنة الخلد والسعير فأضحى*** حائراً بين خيفة ورجاء

وتجلّت له الحقيقة جهراً*** بين جيشي ضلالة واهتداء

ففرّيق للنار يسعى حيثاً*** وفريق لجنة السعداء

فأتى لابن سعد دون توانٍ*** قائلاً في تثبت وبلاء

أفحقاً مقاتل أنت هذا*** وهو يومي السيد الشهداء

قال إي وإلا له أضرى قتال*** فيه تقنى النفوس أي فناء

وتطيح الأيدي من الضرب قطعاً*** وتطير الرؤوس شبه الهباء

قال فيما لكم من العذر أبدي*** أفلا تكتفون خير اكتفاء

قال لو كان لي بذلك رأي*** لتقبلته بخير ارتضاء

غير أن الأمير ياباه كرها*** وجفاءً له أشد الإباء

فانبرى راجعاً وقال بلطف*** حين وافى لقرة (1) وإخاء

أفستقى جوادك اليوم ماء*** قال كلا من فطنة وذكاء

بعدما ظنّ أنه قال هذا*** وهو ينوي اعتزال هذا البلاء

و تداني نحو الحسين قليلاً*** فقليلاً برعشة واختشاء

واغتندى نحوه المهاجر يرنو*** مستريباً من وضعه المترائي
قائلاً لو سئلت قلتُ بحق*** أشجع المصر أنت عند اللقاء
أي شيء هذا الذي منك أضحي*** يتراءى جهراً إلى كل رائى
قال إنىء أخير النفس بين النار*** خوفاً وجتة الأتقياء
أم والله لستُ أختار شيئاً*** طول عمري على نعيم البقاء
وأتى للحسين يسعى سريعاً*** وتدانى إليه بعد التناي
قالبا ترسه منكس رمح*** مستنبياً مطأطأ من حياء
قائلاً إنىء إليك منيب*** من خطاياي يا إله السماء
أنا أربعت خيفة آل طه*** حين فيهم جمعجت من دون ماء
أترى لي من توبة يا ابن طه*** بعد هذا من سائر الأخطاء
فدعاه نعم عليك يتوب*** الله وهو الرؤوف بالأولياء
فعر الأ من قلبه حين أضحي*** موقناً في سعادة الشهداء
ولقد حدّث الحسين حديثاً*** كان مستودعاً بظل الخفاء
قال إنىء سمعت عند خروجى*** ملكاً هاتفاً برحب الفضاء
قال فابشر بجنة قد أعدت*** منه للمتقين يوم الجزاء
قلت إنىء لخارج في ضلالٍ*** لقتال الحسين دون ارعواء
كيف تلك الحسنى أبشر فيها*** بعد هذا في غبطة وهناء
قال فابشر قد نلت خيراً وأجراً*** بعد حسن العقبى وأسنى حباء
وأتى الحر نحوهم بعد إذن*** من حسين مجلجلاً بالنداء
حين أوحى لأمكم بعد هذا*** هبل يا معاشر الجهلاء
إذ دعوتهم هذا الإمام إليكم*** فأتاكم بالأهل بعد الدعاء

فأخذتم بكظمه وأحطتم *** فيه من كل جانب وفناء

بعد منع منكم له عن ذهاب *** وإياب في هذه الغبراء

ص: 559

دون جلب للنفع أو دفع ضرر *** عنه يقوى عليه كالاسراء

وبنوه والصحب حلا تموهم *** وبقايا أطفاله والنساء

عن ورود الفرات وهو مباح *** للنصارى في ساعة الإرتواء

وجميع اليهود تشرب منه *** وعتاة المجوس دون إباء

وكلاب السواد تمرغ فيه *** والخنازير عند وقت الرواء

ولعمري هاهم عطاشى جميعاً *** صرعوا من تلهف وظماء

أفهذا خلفتم فيه طه *** في نبيه يا عصابة الأشقياء

لاسقيتم يوم القيمة رياً *** حينما تظمأون أعذب ماء

وأنته السهام تترى فوافي *** لحسين تقهقراً للوراء

قال المحدث المازندراني الحائري (قدس سره) : إن الحر (عليه السلام) لما صرب فرسه قاصداً الحسين عليه الصلاة والسلام كانت يده على رأسه وهو يقول : اللهم إليك أنبت فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك ، فلما دنا من الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام قلب ، ترسه ، وفي رواية : نزل عن فرسه وجعل يقبل الأرض بين يديه .

فقال الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام : من تكون أنت ، ارفع رأسك ؟

فقال : جعلني الله فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان ، وما ظننت أنا القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ولا يبلغون منك هذه المنزلة ، والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما فعلوا ما ركبت منك الذي ركبت وأنا تائب إلى الله مما صنعت فترى لي في ذلك توبة .

فقال الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام : نعم يتوب الله تعالى عليك .

يقله :

ص: 560

جيتك ابدنبي معترف غثني من النار*** ما خاب من ينخاك بالشدة يمغوار
اويك افعلت أفعال ما واحد فعلها*** اذنوب اكسبتها ما جنا العالم مثلها
تعجز هلجبال الرواسي عن حملها*** ونيان قلبي ما طففتها امياه لبحار
يحسين كم امخدره خليتها اتوح*** لمن منعتك راح منها القلب مجروح
من شافت اجيوش الضلالة اسيوفها اتلوح*** اتمنت جسدها بالترب والعمر ما صار
كم مصونه للوصي ما حد سمعها*** يحسين من فعلي جرى انجدها دمعهها
واظنها من الخيفه احتنى منها ضلعها*** متلام من من شافت الجيش جرار
اذنوب جرت مني ولفيت اليوم تايب*** وحاشاك ما جالك احد ويعود خايب
قله ومن جور الأعادي القلب ذايب*** مفتوح باب المغفره ولرب غفار

نعم، أجابه الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام قائلاً: نعم يا حر، يتوب الله عليك .

وفي كتاب نفس المهموم أنه عليه الصلاة والسلام قال: أهلاً وسهلاً أنت والله الحر في الدنيا والآخرة، فانزل .

ص: 561

قال : أنا لك فارساً خير مني راجلاً أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

فقال الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام : فاصنع رحمك الله ما بدالك .

نعم، لقد قبل عليه الصلاة والسلام توبة الحر بقوله : يا حر يتوب الله عليك فكيف لا يقبل سيد الشهداء(عليه السلام) توبة الحر وهو(عليه السلام)سبط شفيح المذنبين ذلك الرسول العظيم والنبي الكريم الذي كان(صلى الله عليه وآله وسلم)يكتز من قوله داعياً ربه اللهم اهدي قومي واغفر لهم فإنهم لا يعلمون، وكم حصل(صلى الله عليه وآله وسلم)من القوم الجاهلين من الأذى والكرب لولا دفاع عليّ عليه الصلاة والسلام عنه فلقد كان(عليه السلام)يردّ عنه الكتاب في يوم أحد ويصول في الجيش ويحطم الفرسان ويفلل صفوفها.

يقول الشاعر الكريم الحاج ملا محمد آل نتيف وهو يصف دفاع علي(عليه السلام) عن ابن عمه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

بعد ابو ابراهيم ابن عمي الودود*** عايف الدنيا وحبّ نوم اللحد

ونبض عرق الهاشمي مثل العمود*** وصال داخي الباب وحده في الأمم

حطم الفرسان فل اصفوفها*** خلط هامات العدى يكفوفها

يوم ذكره انساها يوم اوقوفها*** واختلى الميدان والكل انهزم

شاف ابن عمه المشفع في البشر*** امكسره منه الثنايا بالحجر

جلس يمه ودمعه ابخده انهمر*** وصار عن شيب النبي يمسح الدم

رفع راسه المصطفى ابججره الامام***فتح عينه وشاف رزاق الرخام

جت كتيبه وقال ردها يضرغام*** حمل واجلاها أبو الغيرة وقدم

كم كتيبة المرتضى فلها الوصول*** كشف كرب المصطفى فحل الفحول

اعجب املاك السما فيها يجول*** جول ليث يشد في وسط الغنم

رج ارضها واعجب الأملاكها*** وصاح داخيها ومدير افلاكها

أنا محيها وانا هلاكها*** أنا سيف الله كشف الظلم

أخذ ثاره المرتضى الليث الولي *** وصاح جبرئيل بالأمر العلي

ورفع صوته لافتى إلا علي *** دون طه وكم بطل منهم هشم

نصر طه والهدى ركنه اعتلا *** والمبشر صاح والضيم انجلي

وعن الزهرا راح كل ضيم او بلا *** وعيدت لمن لفي سيد الأمم

وصار ذاك اليوم ما له من مثيل *** غير يوم صاح مرسل العليل

يهل يثرب راح وليكم وچتيل *** الجسد منه انداس وامغسل ابدم

قال الله تعالى في كتابه العزيز: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (1).

قال في تفسير الصافي واذكر إذ يمكر بك قريش ذكره ذلك ليشكر نعمة الله تعالى عليه في خلاصة لثبوتك بالحبس أو يقتلوك بسيوفهم أو يُخْرِجُوكَ من مكة ويمكرون ويمكر الله يردّ مكرهم ومجازاتهم عليه والله خير الماكرين. وقال أمين الاسلام الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره في ذكر مكر المشركين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لفظه أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة وكانوا أربعين رجلاً من أشرفهم ، وكان لا يدخلها إلا من أتى له أربعين سنة سوى عتبة بن ربيعة فقد كان سنّه دون الأربعين فجاءهم الملعون إبليس في صورة شيخ فقال له البواب : من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد فاستأذن، فاستأذنوا له ، وقال : بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئتمكم لأشير عليكم فلا يعدمكم مّي رأي صائب، فلما أخذوا مجلسهم قال أبو جهل لعنه الله : يا معشر قريش إنه لم يكن أحد من العرب أعزّ منا ونحن في حرم الله وأمنه فقد إلينا العرب في السنة مرتين ولم يطمع فينا طامع حتى نشأ فينا محمد فكنا نسّميه الأمين لصلاحه وأمانته فزعم أنه رسول رب العالمين، سب آلهتنا وسفه أحلامنا وأفسد شباننا وفرق جماعتنا ، وقد رأيت فيه رأياً وهو أن

ص: 563

ندس إليه رجلاً يقتله فإن طلبت بنو هاشم دمه أعطيناهم عشر ديات.

فقال إبليس لعنه الله : هذا رأي خبيث فإن بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض أبداً، ويقع بينكم الحروب في حرمكم :

فقال :آخر الرأي أن نأخذه ونحبسه في بيت ونثبته فيه ونلقي إليه قوته حتى يموت كما مات زهير والنابغة .

فقال إبليس :إن بني هاشم لا ترضى بذلك فإذا جاء موسم العرب اجتمعوا عليكم وأخرجوه فيخذلهم بسحره .

وقال آخر: الرأي أن نخرجه من بلادنا ونطرده فنفرغ لآلهتنا.

فقال إبليس : هذا أخبث من الرأيين المتقدمين لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً وأفصحهم لساناً وأسحروهم فتخرجوه إلى بوادي العرب فيخذلهم بسحره ولسانه فلا يفجأكم إلا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجالاً ، فبقوا حيارى . ثم قالوا للملعون إبليس : فما الرأي عندك فيه ؟

قال: ما فيه إلا رأي واحد أن يجتمع من كل بطن من بطون قريش رجل شريف ويكون معكم من بني هاشم ، واحد ، فيأخذون حديدة أو سيفاً ويدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربة واحدة فيتفرق دمه في قريش كلها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا دمه وقد شاركوا فيه فما بقي لهم إلا أن تعطوهم الدية فأعطوهم ثلاث ديات بل لو أرادوا عشر ديات.

فقالوا بأجمعهم : الرأي رأي الشيخ النجدي فاخترنا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لهب على أن يدخلوا على رسول الله فيقتلونه، فأنزل الله سبحانه على رسوله الآية المباركة التي عطرنا جلسنا بذكرها وهي قوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ثم تفرقوا على هذا وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً وكتبوا أمرهم.

فقال أبو لهب : بل نحرسه فاذا أصبحنا دخلنا عليه، فيأتوا حول حجرة

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر رسول الله أن يفرش له وقال لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): يا علي افدني بنفسك.

فقال (عليه السلام): نعم يا رسول الله .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) له : نم على فراشي والتحف بيردي.

فنام (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتحف ببرده، وجاء جبرئيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له : اخرج والقوم أشرفوا على الحجرة فيرون فراشه وعلي (عليه السلام) نائم عليه فيتوهمون أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم وهو رسول له يقر عليهم وهو يقرأ (يس) إلى قوله : (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) وأخذ تراباً بكفّه ونثره عليهم وهم نيام ومضى ، فقال له جبرئيل (عليه السلام): يا محمد ، خذ ناحية ثور وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فمرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلقاه أبو بكر في الطريق فأخذ بيده ومرّ به، فلما انتهى إلى ثور دخل الغار ، فلما أصبحت قريش وأضاء الصبح وثبوا على الحجرة وقصدوا الفراش فوثب علي عليه الصلاة والسلام إليهم وقام في وجوههم، فقال لهم : ما لكم ؟

قالوا: أين ابن عمك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قال علي (عليه السلام): جعلتموني عليه رقيباً؟ أستم قلتم له : اخرج عنا فقد خرج عنكم فما تريدون؟ فأقبلوا إليه يضربونه فمنعهم أبو لهب وقالوا: أنت كنت تخذعنا منذ الليلة، فلما أصبحوا تفرّقوا في الجبال وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له : أبو كرز يقفو الآثار فقالوا له : يا أبا كرز اليوم اليوم، فما زال يقفو أثر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وقف بهم على باب الغار ، فقال : هذه قدم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي والله أخت القدم التي في المقام، وهذه قدم أبي قحافة أو ابنه ، وقال هاهنا عير ابن أبي قحافة فلم يزل بهم حتى وقفهم إلى باب الغار وقال لهم : ما جازوا هذا المكان إما أن يكونوا صعدوا السماء أو دخلوا الأرض، وبعث الله العنكبوت فسجّت على باب الغار - وجاء فارس من الملائكة في صورة الإنس على باب الغار وهو يقول لهم : اطلبوه في هذه

الشعاب فليس هاهنا فأقبلوا يدورون في الشعاب وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغار ثلاثة أيام ثم أذن الله له في الهجرة وقال يا محمد اخرج عن مكة فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الغار وأقبل راع لبعض قريش يقال له : ابن أريقط فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له : يا ابن أريقط أء تمنك على دمي ؟

قال : إذا أحرسك واحفظك ولا أدل عليك، فأين تريد يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قال : يثرب .

قال : والله لأسلكنَّ بك مسلكاً لا يهتدى إليه أحد.

قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انت عليا(عليه السلام)وبشره بأن الله تعالى قد أذن لي في الهجرة فيهيء لي زاداً وراحلة.

وقال أبو بكر: انت أسماء بنتي وقل لها تهييء لي زاداً وراحتين واعلم عامر بن فهيرة أمرنا - وكان من موالى أبي بكر وقد كان أسلم وقل له : اثنتا بالزاد والراحتين.

فجاء ابن أريقط إلى علي وأخبره بذلك فبعث علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بزادٍ وراحلة وبعث ابن فهيرة بزاد وراحتين وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الغار وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا إلى الطريق إلا بقديدٍ فنزلوا على أم معبد هناك، فلما كان من الغد وافت قريش سراقة بن مالك بن جشعم المدلجي فقالوا له: يا سراقة هل لك علم بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قال : قد بلغني أنه خرج عنكم وقد تقضت هذه الناحية لكم ولم أر أحداً ولا أثراً، فارجعوا فقد كفيتمكم ما هاهنا .وقد كانت الأنصار بلغهم خروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم فكانوا يتوقعون قدومه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان يخرج الرجال والنساء إذا أصبحوا إلى طريقه فإذا اشتد الحر رجعوا .

وجاء عن ابن شهاب الزهري أنه قال : كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة أشهر وكانت بيعة الأنصار الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذي الحجة وقدم

ص: 566

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الإثنين، وكانت الأنصار خرجوا يتوكفون أخباره، فلما أيسوا رجعوا إلى منازلهم، فلما رجعوا أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما وافى «ذالحليفة» سأل عن طريق بني عمرو بن عوف، فدلوه فرفعه الال فنظر رجل من اليهود وهو على اطم له إلى ركبان ثلاثة يمرون على طريق بني عمرو بن عوف فصاح يا معشر المسلمة هذا صاحبكم قد وافى، فوقعت البشرية في المدينة فخرج الرجال والنساء والصبيان مستبشرين لقدمه (صلى الله عليه وآله وسلم)، يتعاودون فوافى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقصد مسجد قبا ونزل واجتمع إليه بنو عمرو بن عوف وسروا به واستبشروا واجتمعوا حوله، ونزل على كلثوم بن الهدم شيخ من بني عمر وصالح مكثوف البصر، واجتمعت بطون الأوس وكان بين الأوس والخزرج عداوة، فلم يجسروا أن يأتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما كان بينهم من الحروب، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتصفح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج، وقد كان قدم على عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ناس من المهاجرين، فنزلوا فيهم.

ولما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة جاء النساء والصبيان فقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع*** وجب الشكر علينا ما دعا الله داع

فلما أمسى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) افارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقبا نازلاً على بيت كلثوم بن الهدم، فلما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة المغرب والعشاء الآخرة جاء أسعد بن زرارة مقنعاً فسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفرح بقدمه ثم قال: يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك إلا ان بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم فكرهت أن آتيهم، فلما أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للأوس : من يجيره ره منكم ؟

فقالوا: يا رسول الله جوارنا في جوارك فأجره ، قال : لابل يجيره بعضكم.

فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة : نحن نجيره يا رسول الله فأجاروه،

وكان يختلف إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيتحدث عنده ويصلي خلفه، وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة عشر يوماً فجاء أبو بكر فقال : يا رسول الله تدخل المدينة فإن القوم متشوقون إلى نزولك عليهم .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا أديم من هذا المكان حتى يوافي أخي علي عليه الصلاة والسلام وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد بعث إليه أن أحمل العيال وأقدم.

فقال أبو بكر : ما أحسب علياً يوافي .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : بلى ما أسرع إن شاء الله، فبقي خمسة عشر يوماً فوافي علي (عليه السلام) بعياله، فلما وافى كان سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة يكسران أصنام الخزرج، وكان كل رجل شريف في بيته صنم يمسحه ويطيئه ولكل بطن من الأوس والخزرج صنم في بيت الجماعة يكرمونه ويجعلون عليه منديلاً ويذبحون له فلما قدم الاثنا عشر من الأنصار أخرجوها من بيوتهم وبيوت من أطاعهم.

فلما قدم السبعون كثر الاسلام وفشا وجعلوا يكسرون الأصنام.

قال : الراوى : وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد قدوم علي يوماً أو يومين ثم ركب راحلته فاجتمعت إليه بنو عمرو بن عوف فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا فإننا أهل الجدة والجهد والحلقة والمنعة .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فإنها مأمورة. وبلغ الأوس والخزرج خروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلبسوا السلاح وأقبلوا يعدون حوله وحول ناقته لا يمر بحي من أحياء للأنصار إلا وثبوا في وجهه وأخذوا بزمام ناقته وتطلبوا إليه أن ينزل عليهم ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى مر بني سالم. وكان خروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبا يوم الجمعة فوافى بني سالم عند زوال الشمس، فعرضت له بنو سالم وقالوا هلم يا رسول الله إلى الجدة والجلد والحلقة والمنعة فبركت ناقته عند مسجدهم وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزل في مسجدهم وصلّى بهم الظهر وخطبهم ، وكان أول مسجد خطب فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجمعة ، وصلّى إلى بيت المقدس وكان

الذين صلوا معه في ذلك الوقت مائة رجل، ثم ركب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ناقته فأرعى زمامها فانتبهى بها إلى عبد الله بن أبي، فوقف عليه وهو يقدر انه يعرض عليه النزول عنده، فقال عبد الله بن أبي بعد أن ثارت الغبرة وأخذ كفه ووضعها على أنفه: يا هذا اذهب إلى الذين غرّوك وخذعوك وأتوا بك فانزل عليهم ولا تغشنا في ديارنا فسلط الله على دور بني الحبلى الذرّ فخرّب دورهم فصاروا نزولاً على غيرهم وكان جد عبد الله بن أبي يقال له: ابن الحبلى فقام سعد بن عبادَةَ فقال: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء فإننا كنا اجتمعنا على أن نملكه علينا وهو يرى الآن انك قد سلبتَه أمراً قد كان أشرف عليه فأنزل عليّ يا رسول الله فإنه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئر مني ونحن أهل الجلد والعز، فلا تجزنا يا رسول الله فأرعى زمام ناقته المباركة ومررت تخبّ به حتى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم ولم يكن مسجداً وإنما كان مربداً ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل وسهيل وكانا في حجر أسعد بن زرارة، فبركت الناقة على باب أبي أيوب خالد بن يزيد، فنزل عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما نزل اجتمع عليه الناس وسألوه أن ينزل عليهم فوثبت أم أبي أيوب إلى الرحل فحلته وأدخلته منزلها، فلما أكثروا عليه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أين الرحل؟ فقالوا: أم أبي أيوب قد أدخلته بيتها.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): المرء مع رحله وأخذ أسعد بن زرارة بزمام الناقة فحولها إلى منزله وكان أبو أيوب له منزل أسفل وفوق المنزل غرفة فكره أن يعلو رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول بأبي أنت وأمي العلو أحب إليك أم السفلى فإني أكره أن أعلو فوقك؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): السفلى أرفق بنا لمن يأتينا، قال أبو أيوب: فكنا في العلو أنا وأمي لعل الله فكنت إذا استقيت الدلو أخاف أن يقع منه قطرة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكنت أصعد وأمي إلى العلو خفياً من حيث لا يعلم ولا يحس بنا ولا نتكلم إلا خفياً، وكان إذا نام (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تتحرك وربما طبخنا في غرفتنا فنحيف الباب إلى غرفتنا مخافة أن يصيب

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دخان ، ولقد سقطت جرة لنا وأهريق الماء فقامت أم أبي أيوب قليفة ولم يكن لنا والله غيرها فألقتهما على ذلك الماء تستشف به مخافة أن يسيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك شيء، وكان يحضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمون من الأوس والخزرج والمهاجرين.

وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يبعث إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل يوم غداء وعشاء في قصعة تريد عليها عراق فكان يأكل من جاء حتى يشبعون ، ثم ترد القصعة كما هي، وكان سعد بن عباد يبعث إليه في كل يوم عشاء ويتعشى معه من حضره - وترد القصعة كما هي - وكانوا يتناوبون في بعثه العشاء والغداء إليه أسعد بن زرارة وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمر وسعد بن الربيع وأسيد بن حضير ، قال : فطبخ له أسيد يوماً قدراً فلم يجد من يحمله فحملها بنفسه، وكان رجلاً شريفاً من النقباء فوافي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد رجع من الصلاة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): حملتها بنفسك؟

قال : نعم يا رسول الله لم أجد أحداً يحملها .

فقال : بارك الله عليكم من أهل البيت.

ونقل أمين الاسلام الفضل بن الحسن الطبرسي : عن علي بن إبراهيم بر : هشام : انه عندما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة جاءه اليهود قريظة والنضيره والقينقاع فقالوا: يا محمد إلى ما تدعو؟

قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله الذي تجدونني مكتوباً في التوراة والذي أخبركم به علماؤكم ان مخرجي بمكة ومهاجري بهذه الحرة وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام فقال : تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبي يبعث في هذه الحرة مخرجه بمكة ومهاجره هاهنا وهو آخر الأنبياء وأفضلهم يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالكسرة في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة ويضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى وهو الضحوك القتال يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر.

فقالوا له : قد سمعنا ما تقول وقد جنناكم لتطلب منك الهدنة على أن لا نكون لك ولا عليك ولا نعين عليك أحداً ولا تتعرض لنا ولا لأحد من أصحابنا حتى نظرنا إلى ما يصير أمرك وأمر ، قومك، فأجابهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)إلى ذلك وكتب بينهم كتاباً أن لا يعينوا على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا سلاح ولا بكراع في السر والعلانية لا بليل ولا بنهار والله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)في حلّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم وكتب لكل قبيلة منهم كتاباً على حدة، وكان الذي تولى أمر بني النضير - حي بن أخطب -.

فلما رجع إلى منزله قال له إخوته جدي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك ؟

قال : هو الذي نجده في التوراة والذي بشرنا به علماؤنا ولا أزال عدواً لأنّ النبوة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً ، وكان الذي ولي أمر قريظة كعب بن أسد والذي تولى أمر بني قينقاع مخيريق وكان أكثرهم مالاً وحدائق ، فقال لقومه : إن كنتم تعلمون أنه النبي المبعوث فهلتموا تؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين ، فلم تجبه قينقاع إلى ذلك.

قال : وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يصلي في المرید لأصحابه، فقال لأسعد بن زرارة : اشتر هذا المرید من أصحابه فساوم اليتيمين عليه فقالا : هو لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) .

فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): لا- إلّا بثمن فاشتره بعشرة دنانير وكان فيه ماء مستنقع فأمر به رسول الله فسيل وأمر باللين فضرب، فبناه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فحفر في الأرض ثم أمر بالحجارة فنقلت من الحرة، فكان المسلمون ينقلونها فأقبل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يحمل حجراً على بطنه فاستقبله أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله اعطني أحمله عنك.

قال : لا ، اذهب فاحمل غيره، فنقلوا الحجارة ورفعوها من الحفرة حتى بلغ

وجه الأرض بناه أولاً بالسعيدة لبنة لبنة ، ثم بناه بالسमित وهو لبنة ونصف ، ثم بناه بالأنثى والذكر لبنتين مخالفتين ورفع حائطه قامة وكان مؤخره (ذراع) في مائة ، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يا رسول الله لو أظلمت عليه ظللاً، فرفع أساطينه في مقدم المسجد إلى ما يلي الصحن بالخشب، ثم ظلله وألقى عليه سعف النخل فعاشوا فيه فقالوا يا رسول الله لو سقفت سقفاً .

قال : لا عريش كعريش موسى الأمر أعجل من ذلك ، وابتنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منازل ومنازل أصحابه في حول المسجد، وخط لأصحابه خططاً ، فبنوا فيها منازلهم، وكل شرع منه باباً إلى المسجد، وخط لحمزة وشرع بابه إلى المسجد، وخط لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) مثل ما خط لهم وكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) وقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تأمر كل من كان بابه إلى المسجد يسده، ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلا لك ولعلي ويحل لعلي فيه ما يحل لك، فغضب أصحابه وغضب حمزة وقال: أنا عمه يأمر بسد بابي ويترك باب أخي وهو أصغر مني، فجاءه فقال : يا عم لا تغضب من سد بابك وترك باب علي فوالله ما أمرت أنا بذلك ولكن الله أمر بسد أبوابكم وترك باب علي (عليه السلام).

فقال : يا رسول الله رضيت وسلمت الله ولرسوله .

ومن هنا نعرف عظمة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام في الاسلام وكذلك عظمة بيته المبارك الذي بقي بابه مفتوح ومتصلاً بالمسجد بينما سدت جميع الأبواب، وفي الأمر بسد الأبواب جميعها وترك باب بيت علي (عليه السلام) متصلاً بالمسجد تنبيه للقوم ان بيت علي عليه الصلاة والسلام لا فرق بينه وبين المسجد الذي هو محل العبادة في العظمة، وأنه على كافة أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تعظيم هذا البيت الذي عظمه الله .

ولاشك أن القوم فهموا ذلك تماماً ولكنهم لم يحفظوا حرمة ، بل هجموا على

أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيته وأخرجوه مكتوفاً بعد أن أشعلوا النار في ذلك البيت
الهلال الطاهر، وكانت الزهراء فاطمة بنت محمد عليها أفضل الصلاة والسلام متحيرة
بشأنه قد انتحل جسمها وهي تخاطبه :

جسمي نحلته يابن أبي طالب يكرار *** متحيره ابشانك ودوبي أضرب افكار
ظليت محتاره وضيعك تيه البال *** اهموي اهموم يابن عمي مثل لجبال
كيفه تصد عينك وعني تعرض البال *** چنك جنين المستمل ما تدري اشصار
ما حد رمى ابنفسه يچيدر وسط الصفوف *** غيرك وفوق الهام فل احدود لسيوف
وعني يداحي الباب تتوانى من الخوف *** للجار تحمى وانتهك وياك بالدار
انت الغضنفر ما تشا بالكون تفعل *** يا هو قطع سيفه قوادم كل اجدل
ما حد كفو لك بالحرب منك امجدل *** او ليعزك ما يخونك يبو الأظهار
لو يالبطل سليت سيف العزم والناس *** ما وصل باب الدار واحد من هلرجاس
ولمن ضرعت الخد خدك كل رجس داس *** كرار في الغارات عني اتصير فرار
ياما انيابك تقترس في الحرب لذياب *** جنها او انسها لو بغت حربك فلا اتهاپ

خلاك بس حظ الذليلة اتنام بتراب*** من هالظلامه وصار حيدر هالذي صار

يا لضرغام كيف اتنام*** تصرع ابخحك للقهر

وانته اتشوف يالموصوف*** بالباب ويش اللي صدر

فتنه على الزهرا استوت يا كرار

تمنع على اهجوم الاعادي بالدار

خدها اللطم والباب حرقوا بالنار

يا لمندوب يا المهيوب*** ما هاجك اللي لك صدر

بيك اشصدر يا مرتضى يا موصوف

بالحرب قلبك ما دخل بيه الخوف

كيفه البتوله تنعصر وانته اتشوف

ما لك هاب دق الباب*** وام الائمة لها عصر

جالس وتسمع ونة المهضومة

و اتصيح عمري ليت وصل يومه

موتي ولا اعيش ابعمر مظلومه

ياكرار بيك اشصار*** تسمع وغضيت النظر

واكبر عجب منك يا مردي الابطال

تنظر الزهرا معفرة فوق ارمال

تصرخ على فضة ادركيني بالحال

ص: 574

وانته اتشوف يا موصوف *** ما قمت غضبان ابكدر

عمرو بن ود الجا يقود الاعراب

من كل جهة وكل صوب حزب الحزاب

خليت جسمه امعفر ابجر اتراب

ومهما طاح صار اصياح *** الشرك والجيش انكسر

ومرحب ابخير يوم اجا واتعناك

معجب ابنفسه ولو عرف لك ما جاك

وصار الحرب والسيف شلته ايمنك

ضربه وصاح منها وطاح *** من فوق رمضا واعتفر

لقد كانت السيدة الجليلة فاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام تذكر ابن عمها علياً عليه أفضل الصلاة والسلام بصولاته وجولاته وشجاعته وثباته على الضرب والطعن في سبيل الله ومن أجل الدفاع عن أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تذكره بتلك الشجاعة وأنه لا يخاف الموت : وهذه حقيقة ثابتة وصفة شبه ذاتية لعلي عليه الصلاة والسلام (أنه لا يخاف الموت فهو المتفاني في سبيل الله فكيف لا يدفع الضيم عنها ؟ نعم قيده وصية من أبيها لا خوف الموت فإن علياً عليه أفضل الصلاة والسلام وأبناء الكرام البررة لا يخافون الموت ولا يهتمون بالدنيا .

هذا هو سيدنا وإمامنا وحبیب قلوبنا سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام عند ما قال له الحر بن يزيد الرياحي وهو يسايره أثناء توجهه إلى العراق : اذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن.

فقال له الحسين (عليه السلام): أقبال الموت تخوفني ؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني

وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخوّفه ابن عمه وقال: أين تذهب فإنك مقتول .

فقال :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى *** إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه *** وفارق مشوراً وودع مجرماً

فإن عشت لم اندم وإن مت لم الم *** كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً

ثم أقبل الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام على أصحابه وقال : هل فيكم أحد يعرف الطريق على غير الجادة ؟

فقال الطرماح بن عدي وقيل الطرماح بن الحكم: نعم، يا ابن رسول الله أنا أخبر الطريق. فقال الامام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين) سر بين أيدينا، فسار الطرماح واتبعه الامام (عليه السلام) وأصحابه، وجعل الطرماح يرتجز ويقول :

يا ناقتي لا تدعري من زجري *** وامضي بنا قبل طلوع الفجر

بخير فتيان وخير سفر *** آل رسول الله آل الفخر

السادة البيض الوجوه الزهر *** الطاعنين بالرماح السمر

الضاربين بالسيوف البتر *** حتي تحلي بكريم الفخر

الماجد الجد رحيب الصدر *** أصابه الله لخير أمر

عمره الله بقاء الدهر *** يا مالك النفع معاً والضمر

أيد حسيناً سيدي بالنصر *** على الطغاة من بقايا الكفر

على اللعينين سليلي صخر *** يزيد (لعنه الله) لا زال حليف الخمر

وابن زياد العهر بن العهر

فلما سمع الحر ذلك سار ومعه أصحابه في ناحية والحسين عليه الصلاة والسلام في ناحية حتى وصلوا جميعاً إلى البيضة بالكسر ما بين واقصة إلى عذيب

ص: 576

قال المحدث المازندراني (قدس سره) نقلاً عن الطبري: إن الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه خطب في أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة بالكسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزمو طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم بيعتكم انكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا، رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم في أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتكم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر. لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم سار عليه الصلاة والسلام وسار أصحابه معه، فبينما هم كذلك فإذا بأربعة نفر قد لحقوا به، فسألهم الحسين عليه الصلاة والسلام عن خبر الناس خلفهم فقال له أحدهم وهو مجمع بن عبد الله العائذي أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم يستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم الب واحد عليك، وأما سائر الناس بعدهم فإن قلوبهم تهوي إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك وسألهم عن رسوله قيس بن مصهر الصيدائي (عليه السلام) فقالوا: نعم أخذته الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه ودعا إلى نصرتك وأخبر بقدمك فأمر ابن زياد لعنه الله تعالى به

فألقى من طمار القصر فترقرقت عينا حسين بالدموع ولم يملك دمه ، ثم قرأ صلوات الله وسلامه عليه (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) ثم قال (عليه السلام) : اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك

قال شيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه وواصل الامام عليه الصلاة والسلام السير حتى نزل القطقطنية وهناك نظر عليه الصلاة والسلام إلى فسطاط مضروب فقال (عليه السلام): لمن هذا الفسطاط ؟

فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفي . وقيل كما عن المفيد انه (عليه السلام) لما انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل له (عليه السلام) فإذا بفسطاط مضروب فقال (عليه السلام) : لمن هذا الفسطاط ؟

فقيل : لعبيد الله بن الحر الجعفي وعبدالله بن الحر المذكور كان عثمانياً على ما ذكره المحدث المازندراني نقلاً عن كتاب القمقام، وكان يعد من الشجعان ومن فرسان العرب، وكان في وقفه صفيين في جيش معاوية بن أبي سفيان لعنه الله تعالى لما كان في قلبه من محبة عثمان ولما قتل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه انتقل إلى الكوفة وكان بها إلى أن حضرت مقدمات قتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه فخرج تعمداً لئلا يحضر في قتله، والحاصل فقال الحسين صلوات الله وسلامه : ادعوه الي .

قال المحدث المذكور نقلاً عن القمقام : انه (عليه السلام) أرسل إليه الحجاج بن مسروق ليدعوه، فلما أتاه الرسول قال له : هذا الحسين بن علي (عليه السلام) يدعوك .

فقال عبيد الله : إنا لله وإنا إليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهية أن يدخلها الحسين (عليه السلام) وأنا فيها ، والله ما أريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فقام إليه الحسين عليه الصلاة والسلام في جماعة من أصحابه وإخوانه وأهل بيته حتى دخل عليه وسلم وجلس .

وفي خبر : لما دخل عليه أوسع له من صدر مجلسه واستقبله إجلالاً له،

وجاء به حتى أجلسه وقبل يديه ورجليه، ثم دعاه الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى الخروج فأعاد عليه ابن الحرّ تلك المقالة واستقاله مما دعاه إليه ثم قال له الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه : أيها الرجل أنت خاطيء مذنب، وإنّ الله عز وجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتتصرنى فيكون جدي شفيحك بين يدي الله تبارك وتعالى .

فقال : يا ابن رسول الله والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك ولكن هذا فرسي خذه اليك فوالله ما ركبته قط وأنا اروم شيئاً إلا بلغته ولا أراذني أحد إلا نجوت عليه فدونك فخذ، فأعرض عنه الحسين صلوات الله وسلامه عليه بوجهه، ثم قال(عليه السلام) : لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك وما كنت متخذ المضلين عضداً ولكن فر فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبننا أكبه الله تعالى على وجهه في نار جهنم.

فقال عبيد الله : ولن يكون هذا، ثم قام الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من عنده حتى دخل، رحله ثم تداخله الندم بعد ذلك على قعوده عن نصره الحسين صلوات الله وسلامه عليه حتى كادت نفسه تفيض وكان يضرب يده على الأخرى ويقول : ما فعلت بنفسى وأنشأ يقول :

فيالك حسرة مادمت حياً*** تردّد بين صدري والتراقي

حسين حين يطلب نصر مثلي*** على أهل الضلالة والشقاق

غداة يقول لي بالقصر قولاً*** أتتركنا وتزعم بالفراق

ولو أني أواسيه بنفسى*** لنلت كرامة يوم التلاق

مع ابن المصطفى نفسي فداه*** تولى أودع بانطلاق

فلو فلق التلهف قلب حيّ*** لهم اليوم قلبي بانفلاق

فقد فاز الأولي نصروا حسيناً*** وخاب الآخرون أولو النفاق

ولكن كيف يفيد الندم والحسرة وقد ترك السعادة الأبدية بنفسه، وقد خسر

في نهاية أمره الدنيا والآخرة فإن ندمه كان حيث لا ينفعه الندم وحسرتة حيث لا تنفعه الحسرة لأنه ظالّ مضلّ.

ومن هنا فإن الامام(عليه السلام)قال له كما تقدم بيانه : أيها الرجل أنت خاطيء مذنب وان الله عز وجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك فتتصرنني ، وعند ما لم يفد معه نصيحة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتهرب من واجبه وقد عرض على الحسين صلوات الله وسلامه عليه فرسه.

فقال له الامام(عليه السلام): لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك وما كنت متخذ المضلين عضداً . أعوذ بالله من سوء العاقبة.

قال المحدث المازندراني نقلاً عن كتاب اللهوف : إن الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه واصل السير حتى انتهى إلى شفيه بفتح أوله وكسر ثانيه منسوب إلى الشفاء قال : يحتمل ان مراده كربلاء باعتبار أن تربته وترابه شفاء لكل داء وفيه نظر . والحاصل انه

(عليه السلام) لما أن وصل إلى المكان المذكور قام خطيباً في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده فصلّى عليه ثم قال : إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيرت وتكثرت وأدبر معروفها واستمرت جذاء ولم تبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا- ترون إلى الحق لا- يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً فإنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً .

فقام زهير بن القين رحمه الله وقال : قد سمعنا -هداك الله يا ابن رسول الله مقاتلك ، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة .

وقام بعده هلال بن نافع البجلي فقال : والله ما كرهنا لقاء ربنا وإنما على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

وقام بعدهما برير بن خضير الهمداني فقال : والله يا ابن رسول الله لقد من الله

بك علينا أن نقاتل بين يديك وتقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك(صلى الله عليه وآله وسلم) شفيعنا يوم القيامة .

قال المحدث المذكور نقلاً عن البحار إنّ نافع بن هلال البجلي تكلم أيضاً : بهذا الكلام فقال : يا بن رسول الله ، أنت تعلم أن جدك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)لم يقدر أن يشرب الناس محبته ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأمر من الحنظل حتى قبضه الله إليه، وأن أبك علياً صلى الله عليه قد كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة نكث ومن عهده وخلع بيعته فلن يضّرّ إلا نفسه والله معن عنه فسر بنا راشداً معافى إن شئت مشرقاً وإن شئت مغرباً فوالله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك .

قال المازندراني : ثم إن الحسين صلوات الله وسلامه عليه قام وركب وسار وكلما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه أخرى حتى بلغ كربلاء، فلما وصلها تغير حاله واستعاذ بالله من كرباتها - وقيل : إنه صلوات الله وسلامه عليه قال : ما اسم هذه الأرض ؟ فقيل : كربلاء ، فقال : اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء.

ثم قال : هذا موضع كرب وبلاء انزلوا ههنا محط رحالنا ومسفك دماننا ومحل قبورنا ، بهذا حدثني جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فنزلوا جميعاً ونزل الحر وأصحابه ناحية وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم.

وقيل : إن الفرس لم ينبعث فنزل عنه الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فلما وطأ الأرض بأقدامه الشريفة تغير لون التراب وصار كلون الزعفران وسطع منه غبار علا وجهه ولحيته بحيث اغبر رأسه ووجهه ولحيته الشريفة .

فنظرت أم كلثوم إليه فقالت : واعجابه من هذه البيداء ما أشد وأعظم هولها

أرى منها هولاً عظيماً، فسأها الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. يقول الرائي :

الى ان أتى أرض الطفوف بأهله*** فلم ينبعث مهر ولم يجر منسم

فقال فما هذي البقاع التي بها*** وقفن الخيول السابقات فاعلموا

فقالوا تسمى نينوى قال او ضحوا*** فقالوا تسمى كربلا قال خيموا

وقال الشيخ الدمستاني البحراني في ذلك:

بينما السبط بأهليه مجتداً في المسير*** وإذا الهاتف ينعاهم ويدعو ويشير

ان قدام مطاياهم مناياهم تسير*** ساعة اذا وقف المهر الذي تحت الحسين

فعلا صهوة ثان فأبى أن يرحل*** فدعا في قومه يا قوم ما هذي الفلا

قيل هذي كربلاء إذ قال كرب وبلا*** خيموا ان بهذي الأرض مقلى العسكرين

ههنا تنتزع الأرواح عن أجسادها*** بضبا تعناظ بالأجساد أغمادها

وبهذي تحمل الأمجاد في أصفادها*** في وثاق الطلقاء الأدياء الوالدين

وقال العلامة الجشي في ذلك :

وإذا بالمهر تحت السبط لم يرفع يدا*** عن يد حيران والاعداء حاطت بالحسين

أيها المهر لماذا لم تجز أرض الطفوف*** والعدى بالسبط دارت برماح وسيوف

ألك الجبار اوحى حين اوحى بالوقوف*** قاتلا قف ان فيها مصرع السبط الحسين

فدعا ما اسم الفلا يا قوم قالوا كربلا*** قال فيها الكرب ما زل مقيما والبلا

وبها موقفنا للحشر يغدو مثلاً*** يملؤ الدنيا بفخر وبشجو دائمين

ستفيض الأرض منا ومن القوم دماً*** ويعود الظهر بالعثير ليلاً مظلماً
والمواضي في سما الهيجا تبدو انجماً*** تتهاوى غائبات في الطلا والودجين
وستغدو حرم التنزيل من غير حجاب*** وستطوي البيد في الأسر ويقطعن الرحاب
وترى منا حسوماً عفرت فوق التراب*** ورؤوساً في القنا تكسف نور النيرين
سبط الرسول بكر بلا اتحير نجيبه*** او نادى ششم هالقاع يليوث الحريه
قالوا يبوا السجاد اسمها الغاضريات*** ولها اسم عند الخلايق شط الفرات
مع نينوى والعقر يا سيد السادات*** قلمهم او قلبه امن الوجد يسعر لهيبه
يا الله شسمها غير هذا يا صنديد*** قالوا الطفوف او كربلا يا ابن الاماچيد
قلمهم دنزلوا غير هذه الارض ما ريد*** او قولوا لزيب تستعد الها المصيبه
حطوا ظعنا ابها الفضى او نصبوا خيمنا*** او بهداي يسباع الحرب نزلوا حرمننا
معلوم عندي ابها الارض ينسفك دمننا*** موعود بيها او عدي امن الله وحببيه
ان كان هذي كربلاء بشروا بلايا*** او نزلوا ترا لاحت علامات المنيا

لازم ابجانب هالنهر تقضي ظمايا *** واجسادنا تبقى على الغبرى سليبه
كم شاب ما يهنا ابشبابه ايظل معفور *** كلنا ابتراها انظر عرايا ما لنا اقبور
هذي مصارعنا او عدنا يوم عاشور *** طير المنون اسمع على راسي نعيه
طنب اخيامه بكر بلا مهجة المختار *** او دارت عليه جنود اميه او ظل محتار
وادموعه تصب فوق خده شبه المطار *** واقبال وجهه ينتخي كبش الكتيه
ثار ابو عيده صاحب الصولات عباس *** قله البكا خله يخويه وارفع الراس
افعل فعل للحشريه تتحدث الناس *** نشف ادموعه بو على او سكن نحيه
قله او قلبه امن الوجد والحزن مفتوت *** تدري بخوك حسين ما يهرب من الموت
حزني لجل سلب الحريم او حرق البيوت *** كم ارمله تبقى عقب عيني سليه
ما هاجت احزاني لجل ذبحت ارجالي *** حزني ببو فاضل على ضيعة اطفالي
واشحال زينب لو بقت من غير والي *** متحيره بيتام مدهوشة او غريبه

نبي أبك طويلاً*** وأجعل النوح عويلاً
وأهجر الصبر الجميلاً*** فقدمه كان جليلاً
وأبك بالدمع الهمول*** واتبع أثر البتول
في بكائها للرسول*** غير سال وملول
إذ بكت شجواً أباهاً*** ببكا أشجى عداها
لم تفتقر عن بكائها*** في ضحاها ودجاها
فأجعل الحزن شعاراً*** وأبك ليلاً ونهاراً
من جوى أوقد ناراً*** وأترك الدمع بحارا
فلقد عاش سعيداً*** ومضى براً حميداً
أسفاً يقضي شهيداً*** ولقد عزّ فقيداً
مثل طه أين يوجد*** سر ما في الكون موجد
وله أيد بلا حد*** في الورى جلت عن العد
ولقد قاسى مصائب*** هونت كل النوائب
وقضى والقلب ذائب*** من أذى شرالعصائب
آه من أهل النفاق*** أظهروا دعوى الوفاق
كم غدا منهم يلاقي*** من بلاء وشقاق
أسلموه للأعادي*** عند كر وطراد

تركوه في الوهاد*** ثم فروا عن جهاد

أسلموه للخصوم*** كروب وهموم

ثم هموا بهموم*** وسقوه للسموم

قطعوا منه الفؤادا*** بلغوا فيه المرادا

للهدى هدوا العماد*** فلقد كان السنادا

وعلى فرش السقام*** قد ثوى خير الأنام

بمعاناة السمام*** فاشتفت شر الأنام

نعم، لقد بقي نبينا الكريم وحبیب قلوبنا ونور عیوننا(صلی الله علیه وآله وسلم)على فراش الأستقام یعلني ما یعاني من تلك السموم التي قد سرت في جسده الشریف حتى قطعت فؤاده وقضى روعي فداه وقلبه ذائب وذلك بعد أن قاسى مصائب ونوائب نزلت بساحته المباركة حیاً وقبل أن یفارق الدنيا، فكم قد لقي من بلاء القوم وشراهم وشقاقهم وتمردهم على أوامره الشریفة، وتركهم له في الوهاد وفرارهم عن ساحة الجهاد وإظهارهم له الوفاق وهم مع ذلك كانوا یبطنون النفاق، ولم یکن له ناصر منهم غیر ابن عمه علي بن أبی طالب الله(علیه السلام) ونفر قليل منهم.

ومن هنا فقد كان(صلی الله علیه وآله وسلم)وهو على فراش الموت یوصي أمير المؤمنین (علیه السلام)أن یتخذ الحذر من غوائلهم وكیدهم ونفاقهم ولسان حاله(صلی الله علیه وآله وسلم)یقول :

الله یعینک من عقب عینی یکرار*** بتقاسی أمرار المصابیل لیل وانهار

کم من مصیبة ابتستوي واعیونک اتشوف*** وانت الشجاع اللی علی الشدات موصوف بتصد عنها لاجبن منک ولا خوف*** صابر وخاضع للذی قدر الجبار

جیب الحسن وحسین عندي یحضرونی*** ومن قبل ما افارق دنیا ایودعونی

هالیوم ویا هم وباچر یفقدونی*** واقلوبهم من وحشة افراقه تشب نار

وناد على الزهرا تجيني قبل ما اموت***ومن قبل شخصي تختلي منه هاليوت

يتعيش بين الناس بعدي عيشة الموت***الله يساعدها على امقاسي هالمرار

بتشوف ابو الحسين من داره يجروه***وبالزور والبهتان عن حقه يوخروه

والضلع بين الباب والحايط يكسره***وتصبح على ذل وهضم ما بين لشرار

بعدي يزهر تصبري والصبر محمود***كلما تشوفى من أذية وجور واصدود

صبري على اللي قدره الباري المعبود***راضين يا زهرا على كل ما لنا اختار

لقد صبرت السيدة الجليلة والصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بنت محمد عليها أفضل الصلاة والسلام على كل الذي جرى عليها وحل بساحتها المباركة من المصائب والنوائب والمحن التي تدكدكت لها الجبال الرواسي وأظلم لها الكون محتسبة ثوابها في ذلك من الله وموفوضة أمرها إليه فإنه الجبار القدير الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحد. وقد تعلم منها أبنائها السادة البررة والأئمة الخيرة معنى الصبر والتجلد على المصائب والمحن. انظروا الى إمامنا وسيدنا وحبیب قلوبنا الحسين بن علي(عليه السلام) في صبره وثباته وتجلده على المحن والنوائب التي حلت بساحته المباركة في يوم عاشور حتى لقد عجبت من صبره(عليه السلام) ملائكة السماء .

فتحمّل عليه الصلاة والسلام كلما جرى عليه بصدر رحب، ووقف أمام تلك ذلك في

الجيش الغفيرة التي ملأت وادي كربلاء بحزم ثابت وإيمان راسخ وهو مع قلة العدد وخذلان الناصر لم يوجد له إلا تلك الفتية الصالحة والنخبة المؤمنة القليلة أمثال، زهير وبرير وهلال وغيرهم ، ولقد كان سيدهم ومقدمهم هو حبيب بن مظاهر الأسدي ويُعد حبيب سلام الله تعالى عليه حبيب لحسين عليه أفضل الصلاة والسلام. ومن هنا يقول الشاعر في رثائه :

أحبيب أنت الى الحسين حبيب*** إن لم ينظ نسب فأنت نسيب
يا مرحباً بابن المظاهر بالولا*** لو كان ينهض بالولا الترحيب
شأن يشق على الضراح مرامه*** بعداً وقبرك والضريح قريب
قد أخلصت طرفي علاك نجية*** من قومها واب اعزّ نجيب
بأبي المقدمي نفسه عن رغبة*** لم يدعه الترهيب والترغيب
مازاغ قلباً من صفوف أمية*** يوم استطارت للرجال قلوب
يا حاملاً ذاك اللواء مرفقاً*** كيف التوى ذاك اللوى المضروب
لله من علم هوى وبكفه*** علم الحسين الخافق المنصوب
ابني المواطر بالأسنة رعباً*** في حيث لا برق السيوف خلوب
غالبتم نقرأ بضفة نينوى*** فغلبتم والغالب المغلوب
شكت الطفوف طفيفها فاكالها*** بكم أبي الضميم وهو غريب
ما منكم الا ابن أم للردى*** ليث أكل للعدى وشروب
كنتم قواعد للهدى ما هدّها*** ليل الضلال الحالك الغريب
شاب واشيب يستهل بوجهه*** قمر السما والكوكب المشبوب
لولا فخامة شبيهم وشبابهم*** شرفاً لرق بهم لي التشيب
فزهرها طلق الجبين وبعده*** وهب ولكن للحياة وهوب
وهالها في الروع وابن شبيها*** وبريها المتمر المذروب
والليث مسلمها ابن عوسجة الذي*** سلم الحتوف وللحروب حريب

قال المحدث المازندراني قدس الله نفسه الزكية نقلاً عن كتاب (الأسرار) لمؤلفه الدربندي أعلى الله مقامه : إن حبيب بن مظاهر صلوات الله وسلامه عليه كان ذات يوم واقفاً في سوق الكوفة عند عطار يشتري صبغاً لكريمته المباركة فمر عليه مسلم بن عوسجة صلوات الله

وسلامه عليه فالتفت إليه حبيب (عليه السلام) وقال : يا أخي يا

ص: 588

مسلم إني أرى أهل الكوفة يجمعون الخيل والأسلحة، فبكى مسلم (عليه السلام) وقال: يا أخي إن أهل الكوفة صمموا على قتال ابن بنت رسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبكى حبيب عليه الصلاة والسلام ورمى الصبغ من يده وقال: والله لا تصبغ هذه إلا من دم منحري دون الحسين صلوات الله وسلامه عليه .

وفي ذلك يقول خادم أهل البيت وشاعرهم وحبيب قلوب أهل البحرين جناب الحاج شيخ ملا عطية بن علي الجمري قدس الله نفسه الزكية وطيب الله تربته حاكياً لنا وصف حبيب (عليه السلام) عندما سمى بالخبر من مسلم حيث رمى الصبغ من يده كما ذكرنا وقال :

اخضابي بعرضة كربلا ما اريد انا اخضاب*** لازم يجيني من حبيب المصطفى اكتاب

مسلم بين عمي دخبرني اشصاير*** اشوف لونك منخطف والقلب طائر

مذهول تمشي بالسكك مشية الحاير*** تخفي النشيح او مدمعك بالخد سكاب

قله هل الكوفة تراهم مستعدين*** لموا عساكرهم قصدهم ذبحة احسين

وابكربلا مولاي لا ناصر ولا امعين*** عاف الدينه او من كثر جوار الدهر شاب

عاف الدينه ويح قلبي او طلع مقهور*** خلا عقب عينه امظلمه او موحشه الدور

او شال ابعزيزات النبي هايم بلبرور*** ما ظل بعده ابمنزله شيخ ولا شاب

انظر ابعينك يا حبيب اتجهز الجيش ***اعلن الصايح والزمان اقبل ابتحيش

واحنا عقب سبط النبي ساعة فلا انعيش ***اشلون المعيشة من بعد بن داخي الباب

قله حبيب النوح والحسرات متفيد *** اتوكل على الله وكر بلا عنا مهبي

عجل قبل لا يندبح نسل الاماجيد ***يا سعد من يحضى ابنومة ذاك لتراب

هذا من المختار في الأمة وديعه ***عجل قبل لا توقع اعلينا الفجيعة

نوصل قبل لا تنهدم كعبة الشيعة ***العراق كلها امجندة وما عنده اصحاب

الله ابوصلني قبل توصل هلجنود ***وانكان رب العرش بلغني المقصود

لفدي ابروحي شبل حيدر سر لوجود ***وانشر البيرق وانتخي ما بين لطناب

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (مَا كَانَ لِسِرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتَّبْوَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَوْلِيَاءَ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (1)

ص: 590

1- سورة آل عمران : 79 - 80 .

ليس غرضنا من طرح هذه الآيات المباركة في هذه الجلسة الكريمة هو من أجل بيان تفسيرها وإنما لنعلم من خلال التفسير الموجز الذي سوف نذكره أنها رد على من يلصق بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صفة من صفات الربوبية فنقول : جاء في الحديث الشريف ان رجلاً قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنسجد لك ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يجوز أن يسجد لأحد من دون الله .

وقال له :آخر أتريد أن تعبد، وتتخذك إلهاً ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): معاذ الله ! ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت وعليه ينبغي أيضاً أن يعلم أنّ كل من دعا الناس إلى عبادة نفسه فهو كافر، وكل من دعاهم إلى تعظيمه بقصد التعظيم والاستعلاء فهو فاسق .

ومن ذلك أيضاً ما جاء عن مولانا الامام الرضا صلوات الله وسلامه عليه في دعائه حيث قال (عليه السلام) : اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم إني أبرأ إليك وأعوذ بك من الذين أدعولنا ما ليس بحق اللهم اني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم أنت خالقنا وخالق آباءنا الأولين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلا بك، ولا تصلح الألوهية إلا بك، اللهم العن النصارى الذين صغروا عظمتك، والعن الضاهيين، اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك ، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً ، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منهم براء، ومن زعم أن إلينا إياب الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منهم براء كبراءة عيسى من النصارى ، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون.

كما أنّ الآية الكريمة فيها - شهادة من الله تعالى بتنزيه الأنبياء، وتبرئتهم من الرضا بالخلو فيهم ... ان النبي يوقن بأنه عبد من عباد الله ، وان الله وحده هو المعبود

لا شريك له في عبادته ، فكيف يعقل أن يدعو الناس لعبادة نفسه، أو عبادة الملائكة .

ومن هنا جاءت الآية الكريمة لتبرئة ساحتهم الشريفة من الرضا بالغلو فيهم كما أشرنا إلى ذلك.

وخالصة ما ذكره المفسرون في معنى قوله تعالى: (مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ) الآية : أنه ليس من شك ان الذي يختاره الله للكتاب والحكم والنبوة يمتنع عليه أن يدعو الناس لعبادة نفسه، لأن هذا كفر ، والله لا يختار الكافرين أنما يختار البشر الذي يأمر عباده بأن يكونوا ربانيين ، أي عالمين عاملين معلمين لأن (ربانيين) جمع واحده رباني، ومعناه المتأله الذي يعلم كتاب الله ، ويعمل به ويعلمه للغير ويشهد لذلك قول أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام الناس ثلاثة : عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع.

والمراد بالكتاب في الآية الكتاب المنزل من الله كالتوراة والزيور والإنجيل والقرآن الكريم ، والمراد بالحكم العلم والسنة النبوية.

وخالصة تفسير الآية الثانية وهو قوله تعالى: (وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَوْلِيَاءَ) . أي أن النبي لا يأمر ولن يأمر أحداً بأن يتخذ معبوداً غير الله .

ومن هنا يعلم تميّز الاسلام عن غيره من الأديان بأنه لا يجوز عنده بحال أن تنسب صفة الألوهية إلى مخلوقٍ نبياً كان أو ملكاً أو ولي ... والسر في التكرار والتأكيد انّ الانسان ميال بفطرته إلى الغلو، كما نشاهد ذلك في بعض أهل الأديان.....

وعلى الرغم من ذلك التأكيد فقد وجد غلاة بين المسلمين.... وإن كثيراً من مسلمي اليوم ونحن في القرن العشرين - ينسبون إلى بعض الموتى ما لا تجوز

نسبته إلا إلى الله وحده لا شريك له .

وقديماً قد وجد أيضاً غلاة قد تجاوزوا الحدّ وخرجوا عن القصد من حيث إنهم نسبوا الامام أمير المؤمنين والأئمة من ذريته صلوات الله وسلامه عليهم إلى الألوهية والنبوة وهم ضلال كفار قد حكم أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام فيهم بالقتل والتحريق بالنار وقضت فيهم الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم بالكفر والخروج عن الاسلام.

تنبيه مفيد : لكن ينبغي أن نعرف الفرق بين الغلو الذي هو نسبة صفة الألوهية للأنبياء وبين تعظيمهم والتمسك بهم والاعتقاد بعظمتهم فإنّ هذا كله ليس من الغلو في شيء بالخصوص تعظيم محمد وآل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فإنهم كمثل نجوم السماء إذا هوى نجم طلع نجم كما أشار لذلك أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

وقال صلوات الله وسلامه عليه وقد ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليه السلام): حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الارومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناؤه عترته خير العتر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال ، وثمر لا ينال فهو إمام من اقتى وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوؤه، وشهاب سطع نوره وزند، لمعه سير سيرته القصد وسنته الرشد، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم.

نعم والله إنه (صلى الله عليه وآله وسلم)سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره عندما وضعه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام على المغتسل بعد أن فارقت روحه (صلى الله عليه وآله وسلم)المباركة الدنيا وجد تلك الأنوار الساطعة في جبين ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)ثم أخذ ينظر في وجهه المبارك وبعد ذلك استعبر وبكى ونادى وامحمداه وياحبيب الله نفسي

ص: 593

لنفسك الفداء وبكت فاطمة عليها الصلاة والسلام وجميع بني هاشم، ثم إنه (عليه السلام) قال : إن الله وإنا إليه راجعون وأنشأ يقول :

رزئنا رسول الله فينا فلن نرى *** بذاك عديلاً ما حيينا من الورى

وكان لنا كالحصن من دون أهله *** له معقل حصن حصين من العدى

وكننا بمرآه نرى النور والهدى *** صباحاً مساءً راح فينا أو اغتدى

لقد غشيتنا ظلمة بعد موته *** نهراً وقد زادت على ظلمه الدجى

ونظرت إليه السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) على المغتسل والنور يتشعشع من
عرة جبينه الشريف ورائحة الجنة تشم من رائحة كافوره (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنشأت تقول :

مثلك ما شفت ميت مات او تشعشع نوره *** تشتم ريح الجنة من رايحة كافوره

لحد يراية عزى يوم اصبحت مكسوره *** وظليت آنى بعدك يا والدى محتاره

كيف استطيع افراقك وانته حشا افادى *** وانته ييويه شربى وانته ييويه زادى

يا ما على كتفينك يا به حملت اولادى *** حتى يتربة اونى بعد النبى يادره

يا تربة الضميتى جسم النبى العدنانى *** با سايلك ما ينقل تربك ضريح الثانى

باقسم عليك ابشأنه او باقسم عليك ابشأنى *** سوى محل واخذينى تحت البدر باجواره

ولئن حزن علي والزهراء عليهما أفضل الصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلقد حزن على السجاد وعمته السيدة
الحوراء زينب عليه وعليها أفضل الصلاة والسلام على سيد الشهداء (عليه السلام) وعلى أهل بيته أقمار بني هاشم وأصحابه الشرفاء
المتفانيين في حبه والذين بذلوا مهجهم دونه واستبسلا في ساحات الجهاد حتى عانقوا السمر والسيوف ولكن أدركوا بعدها عناق الحوراء .

تلك الفتية الذين بمجرد أن سمعوا صوت الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام استجابوا إلى ذلك الصوت المبارك عليهم صلوات الله
وسلامه أجمعين استجاب الحاضرون إلى صوت إمامهم وإمامنا وسيدهم وسيدنا حيث كانوا قريبين منها (عليه السلام)

وكانوا معه في كربلاء، أما الذين كانوا بعيدين عن كربلاء أمثال حبيب بن مظاهر وغيره فإنهم (عليه السلام) بمجرد وصول الخبر إلى كل واحد منهم تجده يسارع إلى اللحق بالحسين عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد كان لحبيب بن مظاهر أهمية كبيرة عند الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام. ومن هنا فإن الامام لم يترك حبيب أن يسمع الخبر من الناس بل أرسل له كتاباً يدعو فيه إلى نصرته .

قال المحدث المازندراني رضوان الله تعالى عليه : إن الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام قد كتب كتاباً إلى حبيب هذه نسخته :

من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر.

أما بعد، يا حبيب فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله وأنت أعرف بنا من غيرك وأنت ذو شيمة وغيره فلا تبخل علينا بنفسك يجازيك جدّي رسول الله يوم القيامة ، أرسله إلى حبيب وكان حبيب جالساً مع زوجته وبين أيديهما طعام يأكلان إذ غصت زوجته في الطعام فقالت: الله أكبر يا حبيب الساعة يرد علينا كتاب كريم من رجل كريم، فبينما هم في الكلام وإذا بطارق يطرق الباب فخرج إليه حبيب وقال : من الطارق ؟

قال : أنا رسول الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام إليك.

فقال حبيب: الله أكبر صدقت الحرة بما قالت، ثم ناوله الكتاب ففضّنه وقرأه فسألته زوجته عن الخبر فأخبر فبكت وقالت : بالله عليك يا حبيب لا تقصر عن نصره ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال : أجل حتى أقتل بين يديه وتصبغ شبيتي من دم نحري، وكان حبيب يريد أن يكتم أمره على عشيرته وبنو عمه لئلا يعلم به أحد خوفاً من ابن زياد لعنه الله ، فبينما حبيب الا ينظر في أموره وحوائجه واللحق بالحسين صلوات الله وسلامه عليه إذ أقبل بنو عمه إليه وقالوا: يا حبيب بلغنا أنك تريد أن تخرج لنصرة الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام ونحن لا نخليك مالنا والدخول بين السلاطين، فأخفى حبيب ذلك وأنكر عليهم فرجعوا عنه وسمعت زوجته فقالت: يا حبيب

ص: 595

كأنك كاره للخروج لنصرة الحسين (عليه السلام) الفأراد أن يختبر حالها؟ فقال: نعم، فبكت وقالت: يا حبيب أنسيت كلام جده الا الله في حقه وأخيه الحسن (عليه السلام) حيث يقول: ولداي هذان سيديا شباب أهل الجنة وهما إمامان قاما أو قعدا؟ وهذا رسوله وكتابه أتى إليك ويستعين بك وأنت لم تجبه .

فقال حبيب: أخاف على أطفالي من اليتيم، وأخشى أن ترملي بعدي.

فقلت: ولنا التأسى بالهاشميات والبنيات والأيتام من آل رسول الله والله تعالى كفيلا وهو حسبنا ونعم الوكيل، فلما عرف الحبيب (عليه السلام) منها صدق الأمر دعا لها وجزاها خيراً وأخبرها بما هو في نفسه وانه عازم على المسير والرواح.

فقلت: لي إليك حاجة .

فقال: وما هي؟

قالت: بالله عليك يا حبيب إذا قدمت على الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام قبل يديه ورجليه نيابة عني واقراه عني السلام.

فقال: حباً وكرامة، ثم جعلت رضوان الله تعالى عليها بل سلام الله عليها تبكي كثيراً وهي تناشد حبيب الله بأن لا يقصر في نصرته ابن البتول ولسان حالها يقول:

يا حبيب ابن البتول لا تخلي نصرته*** بكر بلا يقولون ضل من محصور بهله واخوته

بكر بلا يقولون شبل المرتضى خط الخيم*** ما له ناصر يا حبيب وعنده اطفال او حرم

او كان راح احسين ما يرتفع للشيعه علم*** ترضى عليه بالخدر واحسين تسبى نسوته

وقفت اتخى او تخمس للخدود امفرعه*** انكان ما تنهض بهمه وتطلب ذيك المعمه

ص: 596

جيب لعمامه بين عمي وخذها لمقنعه*** وظل حبيب يعاين لها وغصب هلت دمعه

صاح ما يحتاج هالنخوات بطلي من الحنين***وانا عبد ابن الرسول او عبد امير المؤمنين

ذاب قلبي من سمعت ابكربلا خيم حسين***واسمعت ايقولون جيما ان الاعادي حاطته

بعد ذلك أقبل حبيب سلام الله تعالى عليه على جواده وشده شداً وثيقاً وقال لعبده : خذ فرسي وامض به ولا يعلم بك أحد وانتظرنني في المكان الفلاني، فاخذه العبد ومضى به وبقي ينتظر قدوم سيده، ثم إن حبيب(عليه السلام)ودع زوجته وأولاده وخرج مختفياً كأنه ماض إلى ضيعة له خوفاً من أهل الكوفة فاستبطأه الغلام وأقبل على الفرس وكان قدأمه علف يأكل منه فجعل الغلام يخاطبه ويقول له : يا جواد إن لم يأت صاحبك لأعلون ظهرك وأمضي بك إلى نصرة سيدي ومولاي الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما سمع الجواد خطاب الغلام له جعل يبكي ودموعه تجري على خديه وامتنع عن الأكل، فبينما هو كذلك فإذا بحبيب (عليه السلام)قد أقبل فسمع خطاب الغلام فصفق بإحدى يديه على الأخرى وقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله العبيد يتمنون نصرتك فكيف بالأحرار ، ثم قال لعبده يا غلام أنت حر لوجه الله ، فبكى الغلام وقال : سيدي والله لا تركتك حتى أمضي معك لنصرة سيدي ومولاي الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وأقتل بين يديه، فجزاه خيراً فساراً.

وكان الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام قد نزل في طريقه بأرض وعقد فيها اثني عشر راية وقد قسم راياته بين أصحابه وبقيت راية واحدة فقال له بعض أصحابه : منّ عليّ بحملها .

فقال(عليه السلام) : يأتي إلينا من يحملها عن قريب . وقيل : إن أكثر من واحد تقدموا

للامام عليه الصلاة والسلام يسألونه أن يمن عليهم بحملها إلا أنه(عليه السلام)يقول لهم وهو مشير بيده المباركة إلى تلك الراية بأن لا يحملنها أحد منكم ولسان حاله يقول :

لاحد يشيل الراية لاحد يشيل الراية***يا سيوف حربي منكم لاحد يشيل الراية
بس ما طواها ولفها ثارت جميع ارجاله***كلمن يريد ايشيلها كلهم كفو خياله
قلهم عزيز الزهرا با مدامع هماله***سيوف حربي منكم لاحد يشيل الراية
ايقلهم عزيز الزهرا وا مدامعه يجريها***لاحد يشيل الراية حتى يجي راعيها
ابصدر العدى يركزها او نار الحرب يوريها***يسبوع حربي منكم لاحد يشيل الراية
قالوا له يابو علي منهو الذي تعني له***او من هالذي بالكوفة مكتوب باتودي له
قلهم حبيب اسنادي باكتب إله هالليله***لازم يجي امن الكوفه لينا يشيل الرايه
أعني حبيب اسنادي ذي رايته ملفوفه***باكتب اله هاليله لازم يجي امن الكوفه
خط الكتاب ابن النبي وا مدامعه مذروفه***ينخى حبيب ايقول له عجل او شيل الرايه
أو ليمن وصلك اكتابي يحبيب لاتتوانا***احنا ابعرصة كربلا حاطت علينا أعدانا
وانجان تبغي الجنه سرعك تعال أويانا***في السير لا تتوانا عجل او شيل الرايه

ص: 598

ذي رايتك مطويه يحييب عجل ليها*** الدنيا الدنيه اتركها او الجنان بادر ليها

وانجان تبغي الجنه يحييب عجل ليها*** فى السير لا تتوانا عجل او شيل الرايه

وأتوجه رسول ابن النبي لحبيب ويا اكتبه*** واحبيب بارض الكوفة والا الرسول ابابه

فض الكتاب او عاينه او دمعه سكا به*** او عاين كلام ابن النبي عجل او شيل الرايه

في الحال جر الونه او دمعه جرى في خده** الله او لحد يابن النبي حاطت عليك الاعداء

وأنا ابارض الكوفه ما تهنتي لي كعه*** لازم انا باغدي لك وياك اشيل الرايه

قال شيخنا المازندراني رضوان الله تعالى عليه : إنّ الحسين صلوات الله وسلامه بعد أن عقد الرايات في تلك الأرض قال له أصحابه : يا ابن رسول الله دعنا نرتحل من هذه الأرض.

فقال (عليه السلام): صبراً حتى يأتي إلينا من يحمل هذه الراية التي تنتظر من يحملها ، فبينما الامام الحسين (عليه السلام) وأصحابه (عليه السلام) في الكلام وإذاهم بغبرة ثائرة فالتفت الامام الله وقال لهم : إنّ صاحب هذه الراية قد أقبل ، فلما صار حبيب قريباً من الامام المظلوم ترجل عن جواده وجعل يقبل الأرض بين يديه وهو يبكي، وقيل: إنّ الامام عليه الصلاة والسلام قال لمولانا وسيدنا وحبيب قلوبنا العباس بن علي وعلي الأكبر ومعهما بني هاشم : استقبلوا عمكم حبيب.

قال الشاعر وهو يصف حبيب عند وصوله كربلاء :

محلى ذيك الشماليل يوم طب الكربلا*** او طلع عباس البطل بولاد اخوه يستقبله

مرحب ايقله الشهيد او زينب اتقله هلا*** وصل مستبشر لبوا سكنه او تناول رايتيه

جاه من زينب سلام او مدمعه بالحال سال**واقبل يسلم على الحورى وعلى ذيك العيال

صاح يا وسفه يزيب تركيبين اعلى الجمال***حيته باحسن تحية وسر قلبها ابنخوته

صاح زينب بالذي من قبل كنتي امدلله***اتروح شيعتكم طبق فوق الصعيد امجلده

أرواحنا تطلع ولا اتركبين ناقه امهزله***فدوه لحسين الشفيه اتروح كلها شيعته

بعد ذلك صار حبيب(عليه السلام)يسلم على الامام والدموع تتحادر على خده وهو مشغول بتقريب يديه والنظر إلى وجهه المبارك، ثم التفت وسلّم على أصحاب الامام(عليه السلام) الفردوا(عليه السلام)، فسمعت زينب(عليها السلام)فقال: من هذا الرجل الذي قد أقبل؟

فقبل لها : حبيب بن مظاهر.

فقال: اقرأه عني السلام، فلما بلغوه سلامها لطم حبيب الله على وجهه وحثا التراب على رأسه وقال: من أنا ومن أكون حتى تسلّم عليّ بنت أمير المؤمنين .

وقيل : إن حبيب(عليه السلام) استأذن من الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بأن يسلم على بنات الرساله فأذن له الامام ال ، فجاء حبيب (عليه السلام)ووقف على باب المخيم ونادى : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرساله عبدكم حبيب يسلم عليكم.

فقال زينب : وعليك السلام، ثم قالت يا حبيب الله الله في نصره الغريب.

فقال لها حبيب يا سيدتي والله لأنعمتك العين.

ص: 600

وكأني بها تخاطبه بلسان الحال ولسان حاله يجيها بمقوله :

يحيب دنهض وانقل الرايه عن احسين*** عاين او شوف الخيل وصلت للصياوين

شوف العدى والخييل وصلت يم لرحال*** وانظر ولينا احسين حاير بين لنذال

قلها يزيب لا تقولين ابهالمقال***الله يسلم أبو علي قد وتنا احسين

قالت اله او نعمين يحيب الغضنفر*** لكن اشوف احسين وحده بين عسكر

انهض مع العباس والجاسم ولكبر*** او حملوا على جيش الضلاله اشمال ويمين

انهض ابهمه يا حبيب اشهر البتار*** انته وبوفاضل او معكم كل لنصار

أو حملوا على جيش الاعادي واشعلوا النار*** قلها يزيب بس ليه لا توصين

قالت ثلاثتعام منك وافي الباس***انته مع الندب البطل جاسم او عباس

انظر إلى احسين الشفيه بين الرجاس*** قلها حبيب او بالمدامع هلت العين

مادام ابو السجاد والعباس موجود*** لحمل على جيش العدى وادرك المقصود

والله يزيب انا ابهذا اليوم موعود*** جتني الزهرا وامرتني اخضب ابحين

قالت صدق يحييب جاتك بنت لطياب***من قبل انته عندنا مرفوع لجناب

جت لك الزهرا وامرتك استعمل اخضاب***قلهانعم معلوم يا بنت الميامين

ثم أشارت السيدة الحوراء زينب سلام الله عليها إلى تلك الجيوش التي قد ملات وادي كربلاء وقالت لحبيب يا حبيب انظر إلى هذا
العسكر المجتمع الذي قد التفّ بنا وأخذ يجول علينا ولسان حالها يقول :

يحييب شوف العسكر قامت تجول اعلينا***من كربلا ردونا لا يندبح والينا

حبيب شوف العسكر قامت لنا تتلافافا***كلما نظرت أجمعهم يحييب انا مختافه

يمتى يحيينا ابو الحسن ابعسكره والآفه***حتى تصير امقابله اما لهم لولينا

قلها الحسن يا زينب لا ترقبي له عوده***وانتين عنها لوقعة يخت السبط موعوده

من يوم ابوك امطبر واعصابته مشدوده***قول الذي قاله إللك هاليوم باتلاقينه

واحيات امك فاطم والتربة المخفيه***ما عندنا وياكم يوم اجتمعنا نيه

والله لولا اقلوبنا فيها بيها لكم حنيه***ما جيت انا واغلامي في كربلا تعينينا

عبدك وانا تعرفيني لك لك في السمع والطاعه***وانكان ما شفيتني في أول الفزاعه

ص: 602

معلوم با تشوفيني في حومة الزعزاعه*** خفي العتب يا زينب كثر العتب يزرينا

قال المحدث المازندراني (رحمه الله) : قتل حبيب عليه الصلاة والسلام يوم عاشوراء عند الظهر حين استأذن الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام أهل الكوفة الصلاة الظهر وطلب (عليه السلام) منهم المهلة لأداء الصلاة قال له الحصين بن نمير لعنه الله تعالى : صلّ أنّها لا تقبل منك .

فقال له حبيب عليه الصلاة والسلام : زعمت الصلاة من آل رسول الله لا تقبل وتقبل منك يا خمار .

فحمل الحصين عليهم فخرج إليه حبيب (عليه السلام) وضرب وجه فرسه بالسيف فشت به الفرس ووقع عنه فحمله أصحابه واستنقذوه وجعل حبيب عليه أفضل الصلاة والسلام يحمل فيهم ليختطفه منهم .

ونقل عن بعض الرواة: إن حبيب سلّم عن سلّم عن الحسين عليه الصلاة والسلام وودعه وقال : والله يا مولاي إني لأرجو أن أتمم صلاتي في الجنة وأقرأ أبك وجدك وأخاك السلام، ثم برز ولم يزل يقاتل القوم ويضربهم بسيفه وهو يقول:

أنا حبيب وأبي مظهر*** فارسي هيجاء وحرب تسعر

أنتم أعد عدة وأكثر*** ونحن أوفى منكم وأصبر

وأنتم عند الوفاء أغدر*** ونحن أعلى حجة وأظهر

حقاً وأتقى منكم وأعذر

وقال المحدث المذكور نقلاً عن بعض الرواة أنّه قال أبو مخنف سلّم : سلّم حبيب على الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وودعه وقال : والله يا مولاي إني لأرجو أن أتمم صلاتي في الجنة وأقرأ أبك وجدك وأخاك السلام، ثم أخذ رايته من سيدنا الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبرز للقوم ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم اثنين وستين فارساً ، فحمل عليه رجل ملعون من بني تميم يقال له بديل بن

صريم من بني عقفان عليه اللعنة عقفان عليه اللعنة وسوء الدار فضرب حبيب(عليه السلام) بالسيف على رأسه وحمل عليه ملعون آخر من بني تميم وطعنه برمحه فوق وذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير لعنه الله تعالى على رأسه بالسيف فسقط سلام الله تعالى عليه ، فنزل إليه التميمي فاحتز رأسه بالسيف فسقط سلام الله تعالى عليه، فنزل إليه التميمي فاحتز رأسه، فقال الحصين : هو شريكه في قتله. فقال التميمي لعنهم الله

جميعاً : والله ما قتله غيره هو .

فقال له الحصين : أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنه هو يعني الحصين شريكه في قتله، قال له : ثم خذه أنت فامض به إلى عدو الله بن زياد لعنه الله فلا- حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه، فأبى عليه فأصلح قومهما فيما بينهما على ذلك، فدفع إليه رأس حبيب(عليه السلام) فعلقه بعنق فرسه فجال به في العسكر ثم دفعه بعد ذلك إليه فأخذه التميمي لعنه الله فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد لعنهم الله جميعاً .

وقيل أيضاً : إن حبيب عليه أفضل الصلاة والسلام أقبل إلى إمامنا وسيدنا وحبيب قلوبنا أبي عبدالله الحسين عليه وعلى أهل بيته وأصحابه آلاف الصلاة والسلام ووقف وقفة المتأدب طالباً من الامام(عليه السلام)الا الإذن في مبارزة القوم الكافرين لعنهم الله ، وقال فيما قال مخاطباً الامام عليه أفضل الصلاة والسلام : يا حبيب أحمد المختار ويا سرور قلب المرتضى حيدر الكرار ويا مهجة الزهراء، ويا حاوي كل المفخار، ويا كافل الأيتام والأرامل يا نور المسلمين يا مولاي إني لأرجو أن أتمم صلاتي في الجنة وأقرأ بك وجدك وأخاك عنك السلام ثم برز للقوم الظالمين، وفي ذلك يقول الفايز الله(رحمه الله):

اقبل حبيب الليث واتقدم الى احسين*** او نادى ابعبره او داعة الله يا ضيا العين

في وداعة الله يا حبيب احمد المختار*** يسرور قلب المرتضى حيدر الكرار

يا مهجة الزهرا يحاوي كل لسرار*** يا كافل الأيتام يا نور المسلمين

ودي انا اصلي معك آخر صلاتي *** لكن اشوف القوم سدت كل جهاتي

اشلون أصلي يالولي او حانت وفاتي *** راجي اصلي عند جدك يا ضيا العين

واقول سبطك يا رسول الله حاطوه *** في كربلا جيش الدعي والماي منعوه

نكثوا مواعيده أو مواثيقه او خانوه *** او تنفطر كبك لو ترى حال الرضيعين

صول حبيب او فرق الجيمان بالسيف *** او فرت من اقباله مداهيش مراجيف

او نعمين بالطاهر حبيب الليث المخيف *** ناصر الهادي والحسن واخوه لحسين

لمن قرب يومه وله حتفه تدانا *** لتموا على قتله او ضربوا له ابزانه

واحسين جاه لكنه منهده أركانه *** واحنا اضلوعه الموتته واصفق بليدين

سمعت بنات المصطفى ابذبح الشفيه *** ضجوا فرد ضجه أبارض الغاضريه

كلمن تنادي ضاقت الدنيا عليه *** والله حسافه راحت ارجال الولي احسين

واتغررت عين الشفيه بالمدامع *** واحنا على موت الشفيه للاضالع

او نادى قضيتوا الفرض يا نجوم اللوامع *** او رحنوا او خلنوا عمدكم ما له امعين

وقال بعض الرواة: إنَّ حبيب قال للامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام بعد أن ودعه وأراد أن يبرز للقوم الكافرين: يا ابن رسول والله لو

علمت أنني أقتل فيك ثم أُحيي ثم أذرى ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ثم استلم رايته من الحسين عليه

أفضل الصلاة والسلام وأخذ يهزها بيده ويقول:

عايف حياتي والوطن لجللك يصنديد *** تشهد صنديد الحرب عندي الحرب عيد

موت ابمعزه اولا نعيش ابطاعة ايزيد *** يا ابن الرسول او طاعتك فرض عليه

والله بين بنت النبي لو قطعوني *** بالسيف والخطى او بالنار احرقوني

او ذروا اعظامي بالهوى او تالي انشروني *** سبعين مرة هالفعل يجري عليه
والله يبوا لسجاد ما فارق جمالك *** روحي او مالي والاهل كلهم فدى لك
كل شيعتك تفنى ولا تهتك اعيالك *** والتفت لصحابه او عبراته جريه
قلهم يفرسان الحرب كلكم تسمعون *** باكرابها لعرصه يثور الحرب والكون
او ليكون سادتنا بنوهاشم يحملون *** الاعقب ما ننفني كلنا سويه
قله البطل عباس ما ترضى شيمنا *** المطلوب اخونا او هالحرم كلها حر منا
ونكان ثار الحرب يتقدم علمنا *** منسور بيدي واخوتي تمشي ابغيه
قال الشهيد احسين يا مهجة الكرار *** حدا مناخلها يخويه اتقوت لنصار
منا او منهم يا الاخوا تفنى الأعمار *** تالي النهار اخيامنا تبقى خليه
او تالي اعلى المخيم يخويه تهجم الخيل *** وتطلع خواتك من خباها تصيح بالويل
رتيك اتعابن حالها لوهود الليل *** واتصير قشرى على النسا ذيك العشية

الجلسة الحادية والعشرون

ومذ اختار خالق الخلق زلفي *** خير دار لخاتم الأصفياء

نبغ الخامل الغوي نشاطاً *** وتجلت حسيكة (1) للرياء

واغتندى بالياً وكان قشياً *** قبل هذا للدين خير رداء

واعتلى هادراً فنيق (2) ضلالاً *** بعد نطق لكاظم (3) الأشقياء

والخبيث الشيطان أطلع فيكم *** رأسه هاتفاً بشر نداء

فراكم لدعوة الكفر منه *** مستجيبين عند وقت الدعاء

وخفافاً عند النهوض ضلالاً *** وغضاباً له بدون رضاء

فنهضتم والكلم (4) بعد رحيب *** وكفرتهم والعهد ليس بنائي

قبل أن يقبر الرسول ويلقى *** جرحنا فيه ماثلاً للشفاء

حذر الفتنة التي قد زعمتم *** ولعمري سقطتم في البلاء

فابتعاداً لكم وهيئات أنى *** أنتم توفكون دون ارعواء

وكتاب الباري أمام المآقي *** ونذتم أحكامه للوراء

ص: 607

1- الحسيكة : العداوة .

2- الفنيق : الفحل المكرم من الإبل .

3- والكاظم الساكت .

4- الكلم : الجرح .

واضحات منه الأوامر جهراً*** والنواهي لكم بدون خفاء

باهرات أعلامه زاهرات*** كل أحكامه إلى كل رأيي

لائحات منه الزواجر ردعاً*** لكم دون خيفة وانتهاء

قد رغبتم عنه عمى وحكمتم*** بسواه من شدة الإفتراء

بس للظالمين منكم نكالاً*** بعد زيغ عن منهج الاستواء

والذي يتبغي سوى الحق ديناً*** فمن الخاسرين يوم الجزاء

ثم لم تلبثوا قليلاً إلى أن*** سلسلت في القياد دون إباء

فأخذتم تورون جمرة حقدٍ*** وتهيجون كامن البغضاء

تجيبون رغبةً وانقياداً*** لهتاف الشيطان عند النداء

ولإطفاء نور دين جلي*** وإهمال سنة الأصفياء

تشربون الشراب حسواً فحسواً*** حينما تشربونه في ارتغاء

وتسيرون بالعداء لأهل البيت*** في الخمر ضلة والضراء

بعد صبرٍ منه على مثل حرّ السيف*** منكم والوخز في الأحشاء

وزعمتم بأننا لم نورث*** أيّ إرثٍ منه وأي حباء

أفحكماء للجاهلية تبغون*** وهذا عهد عن الدين نائي

أترى من يكون أحسن حكماً*** وقضاً من حكم رب القضاء

قد تجلى بلى لديكم بأنني*** نبت طه كطلعة من ذكاء

ورمت للأنصار بالطرف منها*** ثم قالت بحسرة وراث

أنتم معشر النقيبة والحزم*** وأعضاء ملة الحنفاء

ورعاة الإسلام بعد احتضان*** منكم للإسلام في الابتداء

أفلستم أويتم ونصرتم *** وبنيتم للدين خير بناء

كيف يعرفون هذا التغافل منكم *** والتغاضي من رقدة وانطواء

ص: 608

أَيَّ شَيْءٍ هَذَا الْغَمِيْزَةُ مِنْكُمْ *** عَنْ حَقُوْقِيْ بَدُوْنَ أَيِّ اِرْعَوَاءِ

مَا لَكُمْ عَنْ إِغَاثَتِيْ أَيِّ عَذْرِ *** بَعْدَ تَقْصِيْرِكُمْ بِوَقْتِ النِّدَاءِ

أَوْ مَا قَالِ يَحْفَظُ الْمَرْءُ طَه *** حِيْنَ يَرْعَى فِيْ وَوَلَدِهِ النِّجْبَاءِ

بَيِّدَ عَجَلَانِ ذَا إِهَالَةٍ أَنْتُمْ *** قَدْ خَلَقْتُمْ إِفْكَاءً بَدُوْنَ بَطَاءِ

وَلَكُمْ طَاقَةٌ عَلَيَّ رَدِّ حَقِّيْ *** وَاقْتِنَادِ لِنَصْرَةِ الْأَرْكَبَاءِ

أَنْقُولُوْنَ أَنْتُمْ مَا تَطَه *** وَلِعَمْرِيْ خَطْبُ جَلِيْلِ الْبَلَاءِ

وَاسِعٌ وَهِنَّ الْعَظِيْمُ رَحِيْبٌ *** دُونَ رَتَقِ لِفَتْقِهِ الْمَتْرَائِي

وَلَهُ الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ بَعْدَ كَسْفِ *** لَسْنَا بِدِرْهَا وَنُورِ ذِكَا

وَعَرَا فِي النُّجُوْمِ مِنْهُ اِنْتِشَارٌ *** حِيْنَ أَكْدَى عَلَيْهِ كَلِّ رَجَاءِ

وَبَدَا فِي الْجِبَالِ مِنْهُ خَشُوْعٌ *** وَاضْبِيعِ الْحَرِيْمِ دُونَ وَقَاءِ

تَلْكَ وَاللَّهِ كَرْبَةٌ لَا تَضَاهِي *** وَهِيَ أَذْهَى مَصِيْنَةِ عَشُوَاءِ

أَعْلَنَ الذِّكْرَ بِالتَّلَاوَةِ فِيْهَا *** هَاتِفًا فَيَكُمُ بِكُلِّ فَنَاءِ

وَهُوَ حَكْمٌ حَتْمٌ وَفَصْلٌ قَضَاءٌ *** حَلَّ قَدَمًا فِي سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ

أَفَانِ مَا تَ أَوْ أُصِيبَ اِنْقَلَبْتُمْ *** بَعْدَ طَه ضَلَالَةٍ لِلْوَرَاءِ

لقد ابتليت السيدة الجليلة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها بمصائب ونوائب كثيرة ليس لها عد ولا حصر ، وفي طليعة تلك المصائب وأعظمها على قلبها (عليه السلام) مصيبتين كانت الأولى منهما أعظم من الثانية على قلبها أيضاً : أولاً : مصيبة فقد أبيها (عليه السلام) وثانياً : اغتصاب إرثها ، والمتتبع لتلك المصائب التي واجهتها السيدة الجليلة (عليه السلام) يعلم أن المصيبتين المذكورتين قد كان لهما الأثر الأكبر في نفسها (عليه السلام) دون بقية المصائب الكثيرة التي حلت بساحتها المباركة، كما ان اغتصاب إرثها الذي هو ثاني

المصيبتين العظيمتين فإنه وإن عظم عليها إلا أن فقد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كان أعظم بكثير على قلبها من نهب الإرث الثابت لها في كتاب الله .

من هنا راحت الصديقة (عليها السلام) لتعلم القوم بعظيم المصيبة وتأثرها بها كما جاء في بعض مقاطع خطبتها الشريفة حيث قالت (عليه السلام) وهي تخاطب القوم :

أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فخطب جليل استوسع وهنه واستنهر فتقه وانفلق رثقه وأظلمت الأرض لغيبته وكسفت النجوم لمصيبته وأكدت الآمال وخشعت الجبال وأضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بانقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفئيتكم في ممساكم ومصبحكم يهتف في أفئيتكم هتافاً وصراخاً وتلاوةً والحاناً ولقبه ما حلّ بأنبياء الله ورسله حكمٌ فصل وقضاء حتم وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين.

بعد ذلك قالت (عليه السلام) : إيها بني قيلة أهضم تراث أبي وأتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الحيرة وأتم ذوو العدد والعدة والآلات والقوة وعندكم السلاح والجنّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ... وكأني بلسان حالها يقول:

قلت شيمكم لو جفيتونا بالانصار *** بضعة نبيكم وانتخي ولاشوف نغار

چم دوب انخي وانتحب ما تنصروني *** اتشوفون عدواني وسط بيتي لفوني

تنزع اولادي او كلکم تنظروني *** شمسويه اتجيني العدا بالحطب والنار

ينصار ابويه وين غيرتکم علينا*** ما تنظرون الحالنا يهل المدينة

شجاري من الکرار حتى يلبونه *** مبتدع بدعه لو هجر سنة المختار

واهل البدع ما بينکم بالمسجد اعود *** الهم على منبر ابوي انزول واصعود

وصاحب البيعة والعهد بالحبل مقيود *** ملب وهو لولا يمينه الفلك مادار

ينصار أبويه ما شفت نغار منكم *** بالي جرا راضين لو قلت شيمكم

لو ما سمعتوا الصوت لو راحت هممكم *** ما ظن خفت ضجة اولادي داخل الدار بالأمس أبويه على المنية تبايعونه *** كل ساع بالعترة
يوصي او تسمعونه

وهذا الوصي بالدار حاير تتركونه *** او من شوفته قلبى يذوب او يلتهب نار

او مني فدك منهوب قوه والعوالي *** ما خافوا من الله ولا رحموا اطفالي

ثلا او حزينه او ظلمني جور الليالي *** شحجي او شعد امن الهظم يا جمع الانصار

وامن الضرب قنفذ تراورم متوني *** لايه على رحمه ولا اتو ترحموني

ومن لطفة الغادر ترا راحت عيوني *** ضلعي انكسر والصدر بيه ابنت المسمار

أقول : لئن كان قنفذ واحد قد ورم متن الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) في كربلاء وبعد أن استشهد الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام كان هناك مجموعات من القنافذ قد لعبت سياطهم على رقاب وامتون بنات الوحي والرسالة وهنّ يصرخن وا محمدها وعلياه وحسنه وحسينه واعباساه ولا تسمع مجيب لندائها، ولقد كانت كثيراً ما توجه نداءها إلى أبي الفضل العباس قمر بني هاشم لأنه الأسد الباسل والبطل المقدم الذي قتل الشجعان ونكس راياتهم ولف صفوفهم. ومن هنا فقد كان تأثير مصرعه وفاجعة قتله أكثر من فاجعة غيره من بني هاشم على قلوبهن وفي نفوسهنّ ولا غرو في ذلك لأنه الكفيل لهن، فكيف لا يكون تأثير مصيبتة أكثر من غيره وقد أثرت مصيبتة في نفوس عامة الناس من المؤمنين وغيرهم وكذلك مصائب وفجائع بقية العترة الطاهرة لها التأثير البالغ على نفوس المؤمنين وشعراء آل محمد هذا هو شيخنا الجليل والأستاذ الكبير الحاج الشيخ محمد علي يعقوبي رضوان الله تعالى يرسم لنا عظيم مصيبتة وحزنه وجزعه على أهل بيت نبينا ونبيه وقد ذاب قلبه ولم يخالط له النوم ناظراً وها هو يصف لنا في هذه الأبيات الجلييلة لوعته فيقول:

دعائي فليبيته مذ دعا*** هوى أودع القلب ما أودعا
وما زلت أعصي دواعي الغرام*** ولولاكم لم أجب طيعا
إذا القلب فيكم جوى لا يذوب*** فقد كذب القلب فيما ادعى
بكيت على ربكم قاحلاً*** فأخضب من أدعي ممرعا
فلا النوم خالط لي ناظراً*** ولا اللوم قد خاض لي مسمعا
يظن الخلي الى لعلع*** حنيني ومن سكنوا (العلعا)
جزعت ولولا الذي قد أصاب*** بني الوحي ما كدت أن أجزعا
بيوم به ضاع عهد النبي*** وخانت (لع) أمية ما استودعا
غداة أبو الفضل لف الصفوف*** وفل الظبي والقنا شرعا
رعى بالوفاء عهد الإخاء*** رعى الله ذمة موفٍ رعى
فتى ذكر القوم مذراعهم*** أباه الفتى البطل الأروعا
إذا ركع السيف في كفه*** هوت هامهم سجداً ركعا
وحول الشريعة تحمي الفرات*** جموع قضى البغي أن تجمعا
ولو أن غلة أحشائه*** بصلد الصفا كاد أن يصدعا
فجئب ورد المعين الذي*** به غلة السبط لن تتقعا
وأب ولم يرو من جرعة*** وجرعه الحنف ما جرعا
فخر على ضفة (العلقمي)*** صريعاً فأعظم به مصرعا
فما كان أشجى لقلب الحسين*** أو ألم منه ولا أفضعا
رأى دمه للقنا منهاً*** وأوصاله للظبي مرتعا
قطيع اليمين غفير الجبين*** تشق النصال له مضجعا
أبدر العشيرة من هاشم*** أفلت وهيئات أن تطلعا

فقدتك يا بن أبي واحدًا *** ثكلت به (مضراً) أجمعاً

قصمت القراء وهدمت القوى *** وأخيت فوق الجوى الأضلعاً

ص: 612

لقد هجعت أعين الشامتين*** وأخرى لفقدك لن تهجعا
اساقي العطاشي لقد كضنها***الظما فاستقت بعدك الأدمعا
حميت الطعينة الطعينة من يثرب*** وأنزلتها الجانب الأمنعا
إذا أفزعتها عوادي العدى*** فمن ذا يكون لها مفزعا
وإن انس لا انس أم البنين*** وقد فقدت ولدها أجمعا
تنوح عليهم بوادي البقيع*** فيذري الطريد لها الأدمعا
ولم تسل من فقدت واحداً*** فما حال من فقدت أربعا
أبا الفضل مالي مغيث سواك*** إذا الده- في صرفه جمعجا
دهيت بما عيل صبري به*** فمالي أنادي ولن تسمعا
قصدتك أشكو قذى الناظرين*** وأرجو جلاء هما لي معا
وكيف يردّ دعائي الإله*** وقد جنّته فيك مستشفعا

وقال الأ مجد الأ فخر السيد جعفر الحلي رضوان الله تعالى عليه واصفاً حالته في أيام عاشوراء في حزنه وجزعه وهمومه على جده الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام وكذلك على عمّة العباس والعترة الطاهرة عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

وجه الصباح عليّ ليل مظلم*** وربيع أيامي عليّ محرّم
والليل يشهد لي بأني ساهر*** إن طاب للناس الرقاد فهووا
بى قرحة لو أنّها بيلملم*** نسفت جوانبه وساخ يلملم
قلقاً تقلبني الهموم بمضجعي*** ويفور فكري في الزمان ويتهم
من لي بيوم وغى يشبّ ضرامه*** ويشيب فود الطفل منه فيهرم
يلقى العجاج به الجران كأنه*** ليل وأطراف الأسنه أنجم
فعى أنال من الترات مواضياً*** تسدى عليهن الدهور وتلحم

أو موته بين الصفوف أحبها*** هي دين معشري الذين تقدموا
ما خلت انّ الدهر عاداته*** تروى الكلاب به ويظمى الضيغم
ويقدّم الأموي وهو مؤخر*** ويؤخر العلوي وهو مقدّم
مثل ابن فاطمة يبيت مشرداً*** ويزيد في لذاته متنعم
يرقى منابر أحمد متأماً*** في المسلمين وليس ينكر مسلم
ويصنيق الدنيا على ابن محمّد*** حتى تقاذفه الفضاء الأعظم
خرج الحسين من المدينة خائفاً*** كخروج موسى خائفاً يتكتم
وقد انجلى عن مكة وهو ابنها*** وبه تشرفت الحطيم وزمزم
لم يدر أين يريح بدن ركابه*** فكأنما المأوى عليه محرّم
فمضت تؤم به العراق نجائب*** مثل التّعام به تحبّ وترسم
متعطفات كالقسّ موانلاً*** وإذا ارتمت فكأنما هي أسهم
حقته خير عصابة مضرية*** كالبدر حين تحفّ فيه الأنجم
ركب حجازيون بين رحالهم*** تسرى المنايا انجدوا أو أهّموا
يحدون في هزح التلاوة عيسهم*** والكل في تسبيحه يترنّم
تقلدين صوارماً هندية*** من عزمهم طبعت فليس تكهم
بيض الصفاح كأنهنّ صحائف*** فيها الحمام معنون ومترحم
إن أبرقت رعدت فرائص كلّ ذي*** بأس وأمطر من جوانبه الدم
ويقومون عوالياً خطية*** تتقاعد الأبطال حين تقوم
أطرافها حمر تزين بها كما*** قد زين بالكف الخضبية معصم
إن هزّكل منهم يزبّه*** بيديه ساب كما يسب الأرقم
وتقمّصوا زرد الدرّوع كأنه*** ماء به غض الصبا يتتسم

ولصبر أيوب الذي ادرعوا به*** من نسج داود أشدّ وأحكم

نزلوا بحومة كربلا فتطلبت*** منهم عوائدها الطيور الحوم

ص: 614

وتباشر الوحش المثار امامهم *** ان سوف يكثر شربه والمطعم
طمعت أمية حين قل عديدهم *** لطليقتهم في الفتح ان يستسلموا
ورجوا مذلتهم فقلن رماحهم *** من دون ذلك ان تنال الأنجم
حتى إذا اشتبك النزال وصرحت *** صيد الرجال بما تحنّ وتكتم
وقع العذاب على جيوش أمية *** من باسل هو في الوقائع معلم
ماراعهم إلا تقدّم ضيغم *** غير أن أن يعجم لفظه ويدمدم
عبست وجوه القوم خوف الموت *** والعبّاس فيهم ضاحك متبسّم
قلب اليمين على الشمال وغاص في *** الأوساط يحصد في الرؤوس ويحطم
وثنى أبو الفضل الفوارس نكصاً *** فأوا أشدّ ثباتهم ان يهزموا
ماكر ذو بأسى متقدماً *** إلا وفرو رأسه المتقدم
صبغ الخيول برمحه حتى غدا *** سيّان أشقر لونها والأدهم
ماشدّ غضباناً على ملمومة *** إلا وحلّ بها البلاء المبرم
وله إلى الأقدام سرعة هارب *** فكانما هو بالتقدم يسلم
بطل تورث من أبيه شجاعة *** فيها أنوف بني الضلالة ترغم
يلقى السلاح بشدّة من بأسه *** فالبيض تتلم والرماح تحطم
عرف المواعظ لا تقيّد بمعشرٍ *** صموا عن النبأ العظيم كما عموا
فانصاع يخطب بالجماجم والكلاب *** فالسيف ينثر والمثقف ينظم
او تشتكي العطش الفواطم عنده *** ويصدر صعدهته الفرات المفعم
لو سدّ ذي القرنين دون وروده *** نسفته همّته بما هو أعظم
ولو استقى نهر المجرة لارتقى *** وطويل ذابله إليها سلّم
حامى الطعينة أين منه ربيعة *** أم أين عليا أبيه مكّدّم

فِي كَفِّهِ الْيَسْرَى السَّقَاءَ يَقْلَهُ *** وَبِكَفِّهِ الْيَمْنَى الْحَسَامَ الْمَخْذَمَ

مِثْلَ السَّحَابَةِ لِلْفَوَاطِمِ صَوْبَهُ *** وَيَصِيبُ حَسَاصِيهِ الْعَدُوَّ فَيَرْجَمُ

ص: 615

بطل إذا ركب المطهم خلته*** جبلاً أشم يخفّ فيه مطهم

قسماً بصارمه الصقيل وأنّني*** في غير صاعقة السما لا أقسم

لولا القضاء لمحى الوجود بسيفه*** والله يقضي ما يشاء ويحكم

حسنت يديه المرهفات وإنّه*** وحسامه من حدهنّ لأحسم

فغدا بهم بأن يصول فلم يطق*** كالليث إذ أظفاره تتقلّم

أمن الردى من كان يحذر بطشه*** أمن البغاث إذا أصيب القشعم

وهوى بجنب العلقمي فليته*** للشاربين به يذاف العلقم

فمشى لمصرعه الحسين وطرفه*** بين الخيام وبينه متقسّم

آلفاه محجوب الجمال كأنه*** بدر يمنحطم الوشيح ملثم

فأكبّ منخياً عليه ودمعه*** صبغ البسيط كأنما هو عندم

نادى وقد ملأ البوادي صيحة*** صمّ الصخور لهولها تتألم

أخى يهنيك النعيم ولم اخل*** ترضى بأن ارزى وأنت منعم

ءأخى من يحمى بنات محمد*** إن صرن يسترحمن من لا يرحم

ما خلت بعدك ان تشلّ سواعدي*** وتكفّ باصرتي وظهري يقسم

لواك يلطم بالأكفّ وهذه*** بيض المواضي في جيني تلطم

ما بين مصرعك الفضيعة ومصرعي*** الا كما أدعوك قبل وتنعم

هذا حسامك من يذبّ به العدى*** ولواك هذا من به يتقم

هونت يا ابن أبي مصارع فتيتي*** والجرح يسكنه الذي هو الم

يا مالكا صدر الشريعة انني*** لقليل عمري في بكاك متمم

وقال شيخنا الجشي (قدس سره) وهو يصف لنا بالغ تأثيره من الحزن واللوعة على

سادات الورى لما حلّ بساحاتهم من المصائب والنائب في هذه الأبيات الجليلة :

في اربع الأجابة هل تداني *** وهل بعد الترحل من ققول

نأوا فالجسم بعد البين ماضي *** يشفّ عن المعالج بالنحول

ص: 616

فمه يا عاذ لي ما لعذل يجدي *** سوى الأعزّاء بالحبّ الدخيل
فما للجسم بعد القلب مغى *** سوى أثر عليه كالدليل
وما راجى البقاء عقيب حلّ *** تنائي عنه إلا كالمحيل
أفي شرع الهوى تأميل قلبٍ *** براه الشوق للعمر الطويل
وانّ الموت شاهد صدق حبّ *** وسيما الزور تعرف بالنكول
وقائلة تعزّ فقلت كلاً *** لعمرك ما المعزّي كالثكول
فلو كابدت ما كابدت أفتى *** هواك بحرمة الصبر الجميل
وألزمك الغرام هيام هيم *** بتصميم الخليط على الرحيل
وما ينسى الأسى يوماً سوى من *** خلا دعواه عن صدق المقول
وما يجدي العزاء بذات عرق *** ولا بالرقمتين ولا الدخول
ولا سلع ووجرة والمصلّى *** وإن أودت بها صيد الفحول
ولكن التأسى والتعزّي *** بيوم الطفّ ذي الخصب المهول
هو اليوم الذي فيه ارحجت *** بشمس الدين دائرة الأفول
به اسودّت من الخضراء بيض *** كما احمرت بقان مستميل
وفيه جدّد الرحمن عهداً *** مضى في عالم الذر الأصيل
أصابت رشدها لَمّا أجابت *** به قوم حوت شرف الأصول
كنجل مطاهر ولقين أكرم *** بهم من خير أنصار وجيل
فيالك ثلّة قلّت فذلّت *** على مدح الجليل إلى القليل
تعالوا عن مثيل إذ تعاطوا *** كؤوس ردى تعالت عن مثيل
رأوا عين الحياة هي المنايا *** وصاب الموت عذب السلسيل
وهامات العادات بي فقطوا *** لوارق سلمه بهم النصول

وحبّ قلوبها علفاً ترائى *** لذي ريش لهم سغب عجول

ولا سيما قريعهم المفدى *** أبي الفضل المنزه عن فضول

ص: 617

مضيق الرحب في سعة التصادي *** رحيب الصدر في ضنك المحول

فتى عشق الحروب وقد حوته *** حجور من نقيّات الذبول

كما ورث الحروب وقد حوته *** حجور من نقيّات الذبول

كما ورث الشجاعة والسخا عن *** مثل عن مثل عن مثل

له النسب القصير لدى التعازي *** وطول الباع في المجد الأثيل

كمّي ما الكماة تروم منه *** إذا يبدو سوى طلب السبيل

قد اتخذته أمّ الفخر ذخرا *** لعضلها من الأمر الجليل

إذا يبرى فصيل من عجول *** وتذهل العجول عن الفصيل

وحالكة يشيب الطفل فيها *** يفريها الخليل عن الخليل

كهذا اليوم إذ أمسى حسين *** بمزدحم من الكرب الوبيل

وزند الحرب قد أذكت صرماً *** يسدّ بحابح الرحب الرسيل

وظهر الأرض تستره جموع *** يسيل بمثلها سرب الخيول

دعوه للدنيّة او منوث *** ولن يرضى الدنى ابن الرسول

حموه عن فرات كان ملكاً *** كغصب غصب للوصي وللبتول

فأوجست الظما خفرات طه *** وصبيته كملتهب الشعيل

فوجهت الشكاية نحو شهم *** أبي من أبي الفضل الفضول

فهلّلت الشجاعة منه وجهاً *** يشّ لصدمة الجيش الحفيل

فأتمم إلى الفرات ربيط جاشي *** كطالب مغنم جم جزيل

بيمناه ابن ذي يزن إذا ما *** رأته الشوس تسجد من ذهول

ولن يرضى السجود له إلى أن *** يزيل الهام عن حصن المقيل

وسابحه يعوم به بحوراً *** فيطفو في القطيل وفي القليل

إلى أن فك مرتج الجنأوى*** وقد كانت كسد مستطيل

وصار الماء خلوا من رقيب*** وفي أحشاه مضطرم الغليل

ص: 618

يؤجج في جوانحه شواظاً*** تصير به الرواسي كالهيول
أبى منه الإباء الشرب إلا*** مع الأطفال والأخ والقبيل
فشدّ مزاده المملوء حتى*** توسط في كتائب كالسيول
بها من كل مدرع نسيج*** لداود وذو عضب صقيل
وأجرد مهصر لكن تسامى*** بعزّته وإكمال الحجول
فلما كركم صف تواری*** فيضرب بالرعيّل على الرعيّل
فنالوا منه ما نالوا وعادوا*** قروداً كرفيها ليث غيل
رأوا همماً تهّم بكل خول*** لهمة من سواه مستحيل
فحاك النقع في الأجوا بروداً*** موشاة بأشلاء الندول
ونجل الطعن كالقنوت تجري*** دماً يطمو فيفرق للقتيل
فجادت ديمة وطفاء دماً*** ببرق شبا ورعد من صهيل
ففرّق ما تألف من جموع*** بمنهزم ومعفر جديل
وقد عزموا اغتنام الفر لكن*** دنا المحتوم من أجل أجيل
فجذت منه يمّني اليمن كفّ*** حسام الدين تكهّم بالفلول
وبانت من يديه يسار يسر*** توشّجت النبال على النبيل
وزمّ الماء بالأسنان حتى*** توشّجت النبال على النبيل
واعمد ذو عمود منه رأساً*** به قد عاقه دون الوصول
ولم يبرح يكرّ بهم إلى أن*** هوى عن مهرة طامى الفصول
فما أدراك وقت هويه ما*** جرى في الكون من قال وقيل
وكيف هوى هوى والأرض تكفى*** ويفتح للسما رتج القفول
وتطوى نشرها السبع الأعالي*** وتشر شعرها عشر العقول

وكيف أقيم حين هوى صريعاً***على هذا الجبيل من العويل

يكاه كل من يبكي حسينا***من الأكون بالدمع الهمول

ص: 619

فلولا صنوه الهادي حسين*** تداعى ذو العلق إلى السفول

ولا كالساعة السوعاء لثما*** دعا العباس بالأسد الصول

فغارت غارة شعواء شدت*** مسامعهم بزمجرة الصهيل

أدار بها أخو الهيجا رحاها*** بقطب من قوى القلب الرحيل

يلهبها بكل عريق كفر*** سوى من صد عنه بالجفول

فألقي صنوه قد غاله من*** فعول بني النفل أشد غول

ينظم من نثير الدمع دراً*** ومرجاناً على الخد الأسيل

حناناً للحسين وآله لا*** لخوف الموت ذي الكرب الثقيل

فناداه بندب لو وعته*** حزون الصم آلت للسهول

أبا الفضل المعدّ لكلّ خطب*** فبعذك ما لخطبي من مزيل

أبا الفضل السراج إذا ادلهمت*** عليّ وجوه أيامي وسئولي

أساعدي الشديد إذا استطالت*** علي يد الأعادي بالدخول

وأهزعي الذي لي قد برته*** كنانة أن يناضلي خذولي

وعيبتي التي أفضى إليها*** بأسرار من الربّ المنيل

وملبس خاطري خلع التسلي*** إذا ما إذا ما الهم أرخى للسدول

أكبش كتيبتي ونظام شملي*** عقيبك ما لشملي من مديل

لأنت لجمعنا علم وطود*** فخلفك طود جمعي كالمهيل

فما عين العلى تعتاد غمضاً*** ولا تعتاض إلا بالهمول

وما خيل الجياد تلذّا إلا*** حنيناً دون حمومة الصهيل

وما صدر القنا شرقاً بدم*** وما متن المهتد ذا فلول

وما جمل التصبر عنك إلا*** لأنني لاحق بك عن قليل

فحسبك ما حصيت من المعالي *** وذكر بالجميل من الجميل

وفخر الصون زينب مذوعته *** دعت بالويل والحرب الطويل

ص: 620

أساقينا إذا نظماً دهاقاً*** بحدّ السمهرية والنصول
ويا حامي ذمار بنات طه*** بأفضل نجدة الحامي الكفيل
لأنت لنا رواق حمى وعزّ*** نقيل بكفه الظلّ الظليل
أخ كآبٍ لنا بر وصول*** فيالك من أخ برّ بر وصول
شرى بالنفس مجدداً لا يجارى*** فداءً للقتيل وللعليل
فها أنا قد لبست من الرزايا*** شعاراً لا يخالط بالسمول

ولبعضهم أيضاً يصف حالة الأجلّة أيام عاشوراء في الجزع والحزن فهو يقول :

هلّ المحرم فالمذله*** اكليل تيجان الأجله
فانحر بخنجره الكرى*** من كلّ جارحة ومقله
سل كربلا كم فيه قد*** خسفت لفهر من أهله
وافى الهلال كأنه*** شيخ كساه السقم حلّه
ينعى الحسين ورهطه*** ويجر في الأحزان ذيله
يبكي الفتى الطعام والمطعمان*** فى صله وصوله
الضنيغم البسام والعباس*** فى جود وجوله
قمر العشيّرة قرمها*** المعهود فى حلّ ورحله
أندى الأنام يداً*** وخير الناس محمّدة وخصله
فرع تعالى فاستطال*** وقارن المريخ أصله
ورث الشجاعة من أبيه*** وهل يخون الليث شبّله
حلّ القضاء على العراق*** غداة إذ عباس حله
بطل أطلّ على العدى*** وبعضه دمهم أطله

شهم أطاع الله في *** نصر ابن فاطمة ورسله

ص: 621

كش الكمأة بصارم*** ماض أجاد العزم صقله
وأغاط شمراً إذ عصاه*** وهل يضل الشمر مثله
أبدأ يخوفه يزيد*** وخيل دولته ورجله
أترى درى أم مادري*** ذئب الفلا بدبيب نمله
سيف أعز الله فيه الدين*** والاشراك ذلّه
أوهى قوى عصب الضلال*** وغرب عضب الشرك فلّه
واسامهم وهنأ بباس*** لا تطيق القود جلّه
وإدار فيهم للفنا كأساً*** يرى القرآن حله
يتلو المواعظ في الحسام*** كأنما يتلو مجلّه
ويعاتب الأعدا ويعذلهم*** هل يصفون عدله
اغرتهم الأهواء إذ*** إبليس فهم دق طله
فكأنهم أبناء أم*** وهو بينهم ابن علّه
كادوا بأن يقضوا عليه*** فكأدهم وأطنّ نصله
وأراهم حملات حيدر*** حملة أثر حملة
جاروا عليه بطعتهم*** فأراهم في الضرب عدله
فترى حلیمهم الرشيد*** أضاع منه الرعب عقله
لا يهتدى نهج الصواب*** وليس يدري أين نصله
نفر قليل فيهم*** العباس أشرف كل قلّه
ما خلته إلا السراج*** يضيء واليزني شعله
يفدي الحسين بنفسه*** نفسي ونفس أبي فداً له
خطف القلوب بسيفه*** لما بوجه القوم سلّه

وسبى العقول بحسنه*** فلذا تراها فيه وله

فاعذر ولا تعذر فلم*** أر في سراة الحرب شكله

ص: 622

ما أن سمعت بفارس *** من غير كف شد قبله

ما ان تخلف بل تراه *** تصدق الأفعال قوله

هزم الصفوف بحملة *** هي في الوقايح خير حملة

فيها أتى بالماء يحمله *** ليروي فيه أهله

ملك الفرات بطوله *** وقضى لبانته وشغله

ونحى الخيام بقربة *** بالنبل أهرقها خوله

مازال يحميها من الأعداء *** عن سهم ونبله

حتى إذا خارت قواه *** وناقت الولدان وصله

أهوى على عفر التراب *** معفر الخدين الله

يدعو أخي علمي هوى *** وصرعت لا أستطيع نقله

مني السلام عليك يا *** من كان للارشاد قبله

ومرّوجاً سنن الرسول *** وموضحاً في الناس سبله

الله يدروك العدى *** ويقيك ربّي الشر كله

فأتى ابن حيدرة له *** كيما يودعه بقبله

والظهر منه منحن *** من أجل فقدان الأجله

قتلوا الحسين بقتله *** تم ننع للكرار نجله

قتلوا به التكبير والتهيل *** والتقوى وأهله

شلّ الإله يد الذي *** بالعضب كفاً منه شله

يا ضربة قد أغضبت *** حرب بها الباري ورسله

ومن الحسين بها يزيد *** نال بغيته و سؤله

وبيها لوا الإسلام فلّ *** ومزّق السفهاء شمله

وبها تهذّر عزّها*** بعدما طال الأهل

ماء الفرات امر رفلن*** تحلو وشريك لن احله

ص: 623

أيسوغ شريك والفواطم*** منك ما أشفين غله

سييت على عجف المطا*** بعد الأسرة والأكله

في أي دين ساغ أن*** تسبي النسا وبأيي مله

يا ليت عباس الغشمشم*** حاضر فيسر أهله

ويرى النسا أسرى تسا***ق وراءها طفل وطفله

ويزيح عن آل الرسول*** الداهايات المشمعله

ابكى فقيداً لم يكن*** فقدت صلاة الليل مثله

ابكى الفتى الصوام*** المحي بذكر الله ليله

أبكى جواداً فيه نستسقى*** بعام المحل وبله

حامي الطعينة ما ربيعة*** ما متيم حب عبه

عار تطلله المحامد*** من شمائله اظله

أن يسلبوه قميصه*** فالمكرمات كسته حلّه

تنعاه زينب والرياب*** وأم كلثوم ورمه

وسكينة ورقية*** ليلي وعائكة وخوله

أم البنين إذا نعته*** تجيبها الزهرا بعوله

والمجتبي شجواً بكاه*** وحق ان يبكي أخاه

والمرتضى والمصطفى*** شقا جيو بهما أسى له

وقال شاعر آل محمد الحاج الشيخ عبد المنعم الفرطوسي رثياً مولانا وسيدنا قمر بني هاشم أبو الفضل العباس عليه أفضل الصلاة والسلام
ولنعم ما قال في ذلك :

علم للجهاد في كلّ زحف***علم في الثبات عند اللقاء

قد نما فيه كل بأس وعز*** من علي بنجدة وإباء

هو ثبت الجنان في كل روع*** وهو روح الجنان من كل راء

طلب الإذن من أخيه مراراً*** وهو في الحرب فارس الهيجاء

ص: 624

حين لم يبق غيره من ذويه*** وبنيه وصحبه الأوفياء
قائلاً ياخي لقد ضاق صدري*** وتلاشت من الأسى حوبائي
وهو يأتي بأن يجيب نداء*** لأخيه العباس بعد نداء
قائلاً إن مضيت فرق مني*** عسكري يا أخي ولف لوائي
ورأى صبيّة الحسين ظمأ*** يتلظون لهفة للماء
يستغيثون حسرة وبكاء*** من حوالبه كالطيور الظماء
فاتى للحسين والدمع منه*** يتجارى بزفرة وبكاء
قال فاذهب واطلب قليلاً من الماء*** يروى الأطفال بعض الرواء
فارتقى صهوة الجواد مطلاً*** علماً فوق قلعة شماء
ويد للواء والسيف منه*** ويد خصصت لحمل السقاء
وتجلى والحرب ليل قتام*** قمرأ في غياهب الظلماء
فاستطارت من الكماة قلوب*** أفرغت من ضلوعها كالهواء
وتهاوت جسومهم وهي صرعى*** واستطارت رؤوسهم كالهباء
وهو يرمي الكتائب السود رجماً*** بالمنايا من من اليد البيضاء
حين جلى إلى الشريعة صقراً*** وهي كانت فريسة العلياء
مد للماء كفه ورماه*** حينما حسّ برده في بكاء
كيف أروى من المعين فأهنا*** والحسين الظامي بغير ارتواء
ملاً الجود وهو الله راج*** مستعين به على الأعداء
فاستثارت غوات حرب بحرب*** تتلظى بحملة شعواء
واستدارت من كل جنب عليه*** ببلاء من العمى وبلاء
حين سدّت وجه الطريق عليه*** بلهام قد سد وجه الفضاء

فرموا عينه بسهم أصيبت *** منهم كل مقلة عمياء

قطعوا من يديه يسرى الإباء *** بظبي الغدر بعد يمى الوفاء

ص: 625

رضخوا منه رأسه بعمود*** من حديد بضربة نكراء
فتردي في مصر العز بدرأ*** خضب الأفق من شقيق الدماء
واميل اللواء جنباً لجنب***فلواء ملقى بجنب لواء
فأناه الحسين والظهر منه*** منحن هاتفاً فقدت عزائي
يا أخي اليوم عيل صبري وقلت*** حيلتي من شماتة الأعداء
واضعاً رأسه بحجر كريم*** وهو يرمي به على الغبراء
وأراد الحسين حمل أخيه*** قال دعني قد جاء أمر القضاء
وأنا من سكينه بعد خلفي*** موعد الماء مكتس بالحياء
ثم فاضت روح الكرامة منه*** وهو ملقى على صعيد الإباء
فاستفاضت عين الحسين عليه*** وهي تجري من الأسي بسخاء
قام عنه محدودب الظهر ثكلاً*** بانكسار وحسرة واستياء

نعم ، لقد بكاه الحسين(عليه السلام)وقام محدود الظهر. قال المحدث المازندراني رضوان الله تعالى عليه وصرخت زينب(عليها السلام)وقالت وا أخاه واعباساه واقله ناصره واضيعةته من بعدك ، فقال الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام إي والله من بعده واضيعةته وانقطاع ، ظهره فجعل النساء يبكين ويندبن عليه، وبكى الحسين(عليه السلام) بكاء شديداً وأنشأ يقول:

أخي يا نور عيني يا شقيقي*** فلي قد كنت كالركن الوثيق
أيا ابن أبي نصرت أخاك حتى*** سقاك الله كأساً من رحيق
أيا قمراً منيراً كنت عوني*** على كل النوائب في المضيق
فبعدك لا تطيب لنا حياة*** سنجمع في الغداة على الحقيق
ألا لله شكوائني وصبري*** وما ألقاه من ظمأ ظمأ وضيق

ونقل المحدث المذكور عن كتاب المنتخب قال : إن الحسين عليه الصلاة والسلام صاح: وا أخاه، واعباساه، وامهجة قلباه، واقرة عيناه، واقلة ناصره، يعز

والله عليّ فراقك ثم بكى بكاء شديداً فحمله على ظهر جواده وأقبل به إلى الخيمة وهو يبكي حتى أغمي عليه .

أقول: وكأني به عليه أفضل الصلاة والسلام ينظر الى أخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام) المفضوح الرأس مقطوع الكفين والدماء تسيل منهما وهو يتناشده قائلاً:

وين الكفين يسردال الحرب وين الكفين**دمك صوبين من از نودك يصب وين الكفين

اشها لعجب منك يشايل رايتي وساقى العطاشا***املكت يا حيد الشريعة او طحت مفتوت الحشاشه

غارقه ابدمك احدودك والنبيل جسمك افراشه

نخيت حسين يشيال العلم***هاي انا حسين

صدلي بالعين بنشدك ياشهم***وين الكفين

ليش ما رويت قلبك يوم طبيت الشريعه

قال يا مظلوم تدري بالوفا شيمه او طبيعه*اشلون عباس ايتروى وينسى بوسكنه ورضيعه

طفلك يحسين شعبني ابونته طفلك يحسين

وين ارجع وين واروي مهجته وين الكفين

راد يفتحهن اعيونه والدماء جامد عليها

اتحسر او هلت ادموعه وغسل دم العين بيها*او قال يا خويه الوديعه ابجاه ابونا من تجيها

اتعذر لي زين يخويه ابطيحتي اتعذر لي زين

ماليه ايدين دعائين حالتي وين الكفين

سفح دمعته و صفق چفه او ظل على اعضيده ايتلوى**او قال اخلي اعلى الشريعة جئتك ماهي امرؤه

ارد اشيلك للوديعة ونقضي احقوق الأخوه

وايدمع العين لغسل طبرتك*** يا نور العين

يسراك امنين اجيب اويمنتك*** وين الكفين

قال خويه للمخيم روحتي كلفه او شديده

او شوفتي سكنه واخوها ابضا مري شفره حديده*** خويه لو شفت الوديعة اتصورتها اتظل وحيده

اتشوف الزندين يخويه امقطعه*** لو سهم العين

خايف يحسين تصيح امروعه*** وين الكفين

قال يا كبش الكتيبه وقع حملي من يشيله

وانكسر ظهري وعدوي شامت او قلت الحيله*** قله خويه اوداعة الله او قطع وناته الشجيله

سجاه حسين ومدد جنته وغمض له العين

اتلفت صوبين اوصاح ابلوعته وين الكفين

قام راجع للمخيم والحرم ترقب مجيه

والمراضع بشرت رضعائها ابقطرة اميه*** ولاح ليها حسين وحده وقلطت اله الهاشميه

سردالك وين ثقله طيحته والبيرق وين

قلها اتشدين عن خي ورايته وين الكفين

اشلون بين امي ثقله ماجبت عباس لينا

اول او تالي يخويه الماي صار اقشر علينا*** حيف يا شايل حملنا بوالفضل راح امن ايدينا

قلها اشتحجين كفيلج هامته صارت نصين

ابطرق الزندين يزيب نادته وين الكفين

قال تعالى في كتابه العزيز: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (1)

قال صاحب الكاشف عند ذكره لهذه الآية المباركة: إن هذه الآية متممة لقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) وما بعدها، والمراد بالذين تفرقوا أهل الكتاب، حيث افترق اليهود بعد نبيهم موسى (عليه السلام) إلى إحدى وسبعين فرقة، والنصارى إلى اثنتين وسبعين بعد نبيهم عيسى .

وقوله تعالى: (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) يشعر بأن الانسان لا يؤاخذ على ترك الحق ، واتباع الباطل إلا بعد البيان وقيام الحجة.

أما السرّ لهذا التأكيد والاهتمام باجتماع الأمة واتحادها فلأن الشقاق مادة الفساد، ولأن الأمة المتفرقة لا تصلح للحياة فضلاً عن أن تدعو الأمم الأخرى إلى الخير والحياة .

وعلى الرغم من الآيات والروايات الكثيرة التي حثت على اجتماع المسلمين واتحادهم فقد تفرقوا شيعاً وأحزاباً ، وزادت فرقهم فرقتين على فرق اليهود، وفرقة على فرق النصارى، كما في الحديث المشهور.

وفي حديث آخر لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقعدة بالقدة.

قالوا: تعني اليهود والنصارى يا رسول الله ؟

قال : فمن أعني ؟ لتتقن عروة الإسلام عروة عروة.

وعن كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي في حديث رقم: 131 : أنه قال : من المتفق عليه من مسند أس بن مالك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ليردن عليّ الحوض رجال ممن صحبني، حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إلي رؤوسهم اختلجوا، فأقول: رب أصحابي . فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

ص: 629

وفي الكتاب المذكور أيضاً حديث رقم 267: من المتفق عليه من مسند أبي هريرة من عدة طرق قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): بينا أنا واقف - يوم القيامة - إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال: هلموا.

فقلت: إلى أين؟

قال: إلى النار.

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري.

نعم، لقد ارتد القوم على أدبارهم واغتصبوا المنصب الإلهي والخلافة الإسلامية من أمير المؤمنين وسيد الموحدين ومولى المتقين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام وجلسوا على كرسي الخلافة يتحدثون عن ويتكلمون باسمه حتى أصبحت الخلافة الإسلامية هزيلة قد ادعاها أمثال مروان وغيره من بعدهم.

وتوالت المصائب والأحداث المخزنة على آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد اغتصاب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام منصب الخلافة، فأول الأحداث هو حدث الهجوم على بيت الرسالة والوحي حيث إنهم لعنهم الله تعالى قد أضرموا ناراً في ذلك البيت الطاهر وأخرجوا علياً عليه الصلاة والسلام ملتباً بحمائل سيفه وقد خرجت الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تعدو خلفه وتقول:

خلّوا ابن عمي يا قوم أو لأدعون عليكم:

قال شيخنا الجشي رضوان الله تعالى عليه: وهو يصف حالة الزهراء عليها الصلاة والسلام عندما هجم القوم على دارها وأخرجوا ابن عمها أسيراً، قال:

لم أنس لما أوقدوا ناراً على *** بيت الهدى وضرامها فيه اتقد

هجموا وبالباب البتول قد اختفت *** إذ لا قناع فرض بالباب الجسد

وغدت بطه تستغيث ولم تغث *** بسوى السياط السياط ومن لها بعد العمد

ص: 630

عصرت وأسقطت الجنين والامت*** بالسوط بل لطمت على عين وخذ

واقب يد مقتاد الأسود ملبياً*** إذ بالوصية صابراً قد كف يد

والهفتاه على الأطائب مارعوا*** بعد النبي وراح شملهم بدد

أيقاد حيدرة وتؤذى فاطم*** ويروّع ابناها وعن إرث تصد

قهرت ضلالاً بعد طول خصامها*** وعلو حجّتها على الخصم الألد

رغمت فعادت وهي صفر الكف إذ*** لا منجد وبها قد اشتد الكمد

وتقمصت ثوب الهموم وما اكتست*** إلا بشرى الموت أثواباً جدد

ولقد قضت مظلومة مقهورة*** مهضومة لم يرع حرمتها أحد

لم أنس إذ وضع الوصي أمامه*** جسد البتول ومد للتغسيل يد

كانت تكتم ما عراها رحمة*** بالمرتضى قبل الممات وإن ضهد

فرأى بها ما هد ركن الصبر من*** أثر السياط وكسر ضلع بالجسد

فهناك حن شجى على ما نابها*** وبكى أسى أسفاً وقد ضعف الجلد

وقد انحنت منه الضلوع ومثلها*** فيه العزاء يعزّ ممن قد فقد

وبفقدتها فقد النبي فإنّها*** تحكيه في نطق وفي مشي وقد

ولقد شجاني ضمها السبطين في*** وقت الوداع وما عراها من كمد

حنت وأنت من جوى أبى وقد*** ألوت على كل من السبطين يد

لهفي لها ما شيعت جهراً وقد*** دفنت ولم يعلم بمشواها أحد

ولدفنها سراً وأخفى قبرها*** قد أورثنا أشياعها كمد الأبد

وغدا عزاء المسلمين لحيدر*** بغياً بأن هموا بإخراج الجسد

ولكم مصاب قد عراه بفقدتها*** مما بها ومن الأعادي لا تعد

أو لم تكن في المسلمين وديعة*** كيف الوديعة غير سالمة ترد

نعم، إنها صلوات الله وسلامه عليها وديعة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسلمين ولكن القوم لم يحفظوها ولم يراعوها
حق رعايتها فماتت كمدأ من افعالهم الخبيثة

ص: 631

وهي تخاطب أبها رسول الله قائلة :

حق الرسالة يا محمد ما تأده ***منهم ولا شفنا كرامه اولا موده

جانبي الظالم واتبعه غيره ابعده *** او رايات معقودات داروها على الباب

ولا كفاهم غضب ميراثي أو منعي *** حتى اعصروني وكسروا ياياب ضلعي

او بس ما سمعني يا الابو ابكي او انعي *** قال اضربوها لا تصب الدمع سكاب

والله يبو ابراهيم ما بطل حنيني *** مادام يطرق مسمعي واتشوف عيني

جماعة اللي اسقطوا بعدك جنيني *** او قادوا وصيك واعصروني ابصاير الباب

قلها بينت المصطفى خفي شكايك *** يوم القيامة نجتمع بالحشر وياك

وأبدى الشكاية أو ناخذ ابحقك من عداك *** لا بد ما يأتون كلمن حامل كتاب

يأتوا ابيوم ما يسعهم فيه انكار *** وأبدى الشكاية أو يأخذنا بحقك الجبار

وأنا خصيم اللي لفي بالحطب والنار *** والكل يذكر ما صنع في يوم الحساب

أقول : وكما كانت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام وديعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسلمين فقد كانت ابنتها الحوراء السيدة الجليلة زينب عليها الصلاة والسلام وديعة الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بيد أبي الفضل العباس بن علي عليه الصلاة والسلام ولا فرق بين الوديعتين من جهة الضيعة وعدم وجود العناية والرعاية بهما عن المسلمين فالام(عليه السلام) قد ضيعها المسلمون وأما البنت فإنها وإن حصلت على الرعاية والعناية التامة وكانت في غاية الابهة والجلالة بحضور سيدنا ومولانا أبي الفضل العباس وقبل استشهاده إلا انها بعد أن فقدته كانت أسوأ حالاً من أمها عليهن الصلاة والسلام وذلك لأن العباس عليه أفضل الصلاة والسلام قد اختاره الله تعالى لنصرة الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام وحماية السيدة زينب(عليها السلام) .

ومن هنا ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كما جاء في كتاب معالي

السبطين للمحدث المازندراني نقلاً عن كتاب عمدة الطالب : أنه قال لأخيه عقيل وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم: انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلدلي غلاماً فارساً كيما يكون ناصراً لولدي الحسين الليل وحماية الهاشميات يوم عاشوراء.

فقال له : تزوج أم البنين الكلايية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها فتزوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) واسمها فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة وكانت عالمة، ومن ذلك فقد جاء في (كنز المصائب انّ العباس عليه الصلاة والسلام قد أخذ علماً جماً في أوائل عمره الشريف عن أبيه وأمه وأخواته قال المحدث المذكور فتزوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) فولدت له العباس (عليه السلام) وجعفر (عليه السلام) وعبد الله (عليه السلام) وعثمان (رضوان الله) وكانوا من شجعان العرب وكلهم عليهم أفضل الصلاة والسلام قد قتلوا في نصره الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه .

قدمهم العباس (عليه السلام) بين يديه فقال : يا بني أمي تقدموا حتى أراكم قد نصحتهم ولرسوله تقدموا بنفسي أنتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعاً فصاروا أمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتقون بوجوههم ونحورهم فتقدم عبد الله بن علي سلام الله عليه ورحمته ورضوانه وكان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وقاتل قتالاً شديداً وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن ذي النجدة والافضال *** ذاك علي الخير ذو الفعال

سيف رسول الله ذو النكال *** في كل يوم ظاهر الأحوال

وقتل أبطالاً ونكس فرساناً فاختلف هو الالهة وهاني بن ثبت الحضرمي لعنه الله بضربتين فقتله هاني وتقدم بعده جعفر بن علي قائلاً:

إني أنا جعفر ذو المعالي *** ابن علي الخير ذي النوال

ذاك الوصي ذو السنن والوالي *** حسبي بعمي جعفر والخال

أحمي حسيناً ذا الندى المفضال

فقاتل وقتل جمعاً كثيراً فشد عليه هاني بن ثابت فقتله بن ثابت فقتله وفي قتله خولي بن يزيد الأصبحي بعد ما رماه فأصاب شقيقته أو عينه لعنة الله تعالى على خولي وهاني، ثم برز عثمان بن علي وهو ابن إحدى وعشرين سنة قائلاً:

إني أنا عثمان ذو المفاخر *** شيخني علي ذو الفعال الطاهر

هذا حسين سيد الأخير *** وسيد الصغار والأكابر

فقاتل قتالا شديداً . قال أبو الفرج: إن خولي بن يزيد لعنه الله رماه بسهم على جبينه فسقط عن فرسه وشد عليه رجل من بني دارم فقتله وأخذ رأسه .

وقال أبو حنيفة الدينوري: إن يزيد الأصبحي لعنه الله رمى عثمان بن علي (عليه السلام) بسهم فقتله، ثم خرج إليه فاحتز رأسه وأتى به إلى عمر بن سعد لعنه الله فقال له: أثبني . فقال عمر: عليك بأمرئك يعني عبيدالله بن زياد لعنه الله فأسأله أن يثيبك.

قال المحدث المذكور وبقي العباس عليه الصلاة والسلام قائماً أمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يقاتل دونه ويميل معه حيث مال .

وقال في موضع آخر من كتابه المذكور كان العباس بن أمير المؤمنين عليهما أفضل الصلاة والسلام رجلاً جميلاً وسيماً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض وكان جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب، ومن المعلوم أن أهل بيت الحسين صلوات الله وسلامه عليه الذين قتلوا معه كان جميعهم في أعلى درجة الشجاعة وأرفع مرتبة الشهامة إلا أن العباس (عليه السلام) كان له من قداحها المعلى ورتبته أرفع وأعلى ، منه يقتبس أنورها ويقتطف ثمرها ونورها وناهيك بمن كان ضلعاً من أضلاع أشجع البرية ودوحة من الروضة العلوية وغصناً من أغصان الشجرة المباركة الزيتونية أبوه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه سيد البرية وأخوه الحسين سيد أهل الإباء والحمية.

لك نفس من معدن اللطف صيغت *** جعل الله كل نفس فداها

فمن هنا لا يقاس بشجاعته إلا شجاعته أبيه وأخيه وقد ادخره أبوه لينصر ولده الحسين

(عليه السلام) بنفسه ويواسيه وقد سمّاه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعباس لعلمه بشجاعته وسطوته وصولته وعبوسته في قتال الأعداء وفي مقابلة الخصماء قيل: عباس كشدّاد وهو الأسد الضاري كانت الأعداء ترجف أبدانهم وترتعد مفاصلهم وتعبس وجوههم خوفاً إذا برز إليهم العباس (عليه السلام).

عبست وجوه القوم خوف الموت*** والعباس فيهم ضاحك متبسم

ونقل المحدث المذكور أيضاً عن الطريحي أنه قال: لقد كان العباس مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحروب والغزوات يحارب شجعان العرب ويجادلهم كالأسد الضاري حتى يجدلهم صرعاً.

وفيه أيضاً: انه كان (عليه السلام) عوناً وعضداً لأخيه الحسين (عليه السلام) حين ان الحسين (عليه السلام) فتح الفرات وأخذ الماء من أصحاب معاوية وهزم أبا الأعور عن الماء في يوم

صفين .

وجاء في كتاب إِبصار العين: ان العباس (عليه السلام) قد حضر بعض الحروب مع أبيه فلم يأذن له أبوه بالنزال .

وفي كتاب الكبريت الأحمر لمؤلفه الحاج الفاضل والعالم المتبحر الشيخ محمد باقر البيرجندي القائي: ذكر ان العباس (عليه السلام) كان في صفين يقاتل أهل الشام مع أبيه أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقال المحدث المازندراني: أنّه قد روى بعض من أثق به بأن يوماً من أيام صفين خرج شاب عن عسكر أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه لثام وقد ظهرت منه آثار الشجاعة والهيبة والسطوة بحيث إن أهل الشام قد تقاعدوا عن حربه وجلسوا ينظرون وغلب عليهم الخوف والخشية فلم يبرز له أحد، فدعا معاوية لعنه الله برجل من أصحابه يقال له ابن شعثاء وكان يعدّ بعشرة آلاف فارس وقال له معاوية لعنه الله: اخرج إلى هذا الصبي، فقال: يا معاوية فما أصنع؟ فقال: بارزه .

ص: 635

فقال ابن شعثةاء : يا أمير إن الناس يعدونني بعشر آلاف فارس فكيف تأمرني بمبارزة هذا الصبي ؟

فقال معاوية لعنه الله تعالى : فما نصنع ؟

قال ابن شعثةاء : يا أمير إن لي سبعة بنين ابعث إليهم واحداً منهم ليقتله فقال له : افعل ، فبعث إليه أحد أولاده فقتله الشاب وبعث إليه بآخر فقتله الشاب حتى بعث جميع أولاده فقتلهم الشاب فعند ذلك خرج ابن شعثةاء لعنه الله ولعن الله أولاده خرج وهو يقول : أيها الشاب قتلت جميع أولادي والله لأنك لن أباك وأمك ثم حمل اللعين وحمل عليه الشاب فدارت بينهما ضربات فضربه الشاب ضربة قده نصفين وألحقه إلى جهنم بأولاده، فعجب الحاضرون من شجاعته فعند ذلك صاح أمير المؤمنين (عليه السلام) ودعاه وقال له : ارجع يا بني فإني أخاف أن تصيبك عيون الأعداء فرجع وتقدم إليه أمير المؤمنين الله وأرخى اللثام عنه وقبل ما بين عينيه فنظروا إليه وإذا هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام.

قال المحدث المذكور : ويكفي في شجاعته أن الأعداء إذا سمعوا باسم العباس ارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم واقشعرت جلودهم، قال: ومن ذلك ان عبيد الله بن زياد لعنه الله تعالى بعث إليه كتاب أمان وناهيك في شجاعته ان الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام ما أجازته للقتال في يوم عاشوراء بل أرسله ليأتي بالماء وقيده يديه ورجليه يأتیان الماء وحمل القربة ومع ذلك لما ركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد الفرات وقد أحاط به أربعة آلاف وفي رواية : ستة آلاف وقيل نقلاً عن كتاب (الأسرار) عشرة آلاف محارب فحمل عليهم العباس (عليه السلام) وقتل منهم شجعاناً ، ونكس منهم فرساناً ، وتفرقوا عنه هاربين كما تتفرق الغنم وصعد قوم على التلال والاكمام وأخذوا يرمونه بالسهم حتى قال إسحاق بن جثوة لعنه الله تعالى : فتورنا عليه النبال كالجراد الطائر فصيرنا جلده كالقنفذ ومع ذلك فقد كان كالجبل الأصم لا تحركه العواصف ولا تزيه القواصف، فغاص العباس (عليه السلام) في أوساطهم

وقتل منهم ثمانين فارساً وقيل ثمانمائة فارس وقيل: أكثر من ذلك وهو يرتجز ويقول :

لا أرهب الموت إذا الموت رقى *** حتى أوارى في المصاليق لقا

نفسى لنفس المصطفى الطهر وقي *** إني أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى

فتفرقوا عنه هارين فكشفهم عن المشرعة ونزل المشرعة عليه الصلاة والسلام وهو كالبرق الخاطف أو الزلازل المنحدرة له رعيد يتبختر في صولاته وجولاته .

فهجموا عليه فخرج إليهم وفرقهم ، ثم عاد إلى المشرعة فحملوا عليه ثانياً فكّر عليهم العباس على ما في بعض الكتب منها الكبريت الأحمر إلى ست مرات وفي السادسة انصرفوا ولم يرجعوا فنزل المشرعة ، فلما دخل من الماء أراد أن يشرب الماء غرفة فذكر عطش الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته فرمى الماء.

قال المحدث المذكور نقلاً عن كتاب المنتخب: ان العباس قال : والله لا أشربه وأخي الحسين وعياله وأطفاله عطاش لا كان ذلك أبداً ، ثم أنشأ يقول :

يا نفس من بعد الحسين هوني *** وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين شارب المنون *** وشربين بارد المعين

هيئات ما هذا فعال ديني *** ولا فعال صادق اليقين

وقيل عن لسانه عليه أفضل الصلاة والسلام:

يحاجي النفس يا نفسي تهونين *** كل الناس تغدى فدوة احسين

ألف وسفة يخويه مالك امعين *** تضل بعدي يبو سكينه امحير

أبو فاضل ولى الشاطى ابو حده *** أو چبده من لهيب العطش فطر

خاض الماي بس هيس ابرده*** ترس چفه يروي عطش چبده

تذكر لن أخوه احسين بعده*** ذبّ الماي من چفه او تحسر

هذا الماي يجري ابطن حيات*** وضوكه كبل اخويه احسين هيهات

وأظن طفلة يويلي من العطش مات*** وظن موتي غرب والعمر كصر

اشلون اشرب وخويه حسين عطشان*** وسكينه والحرم واطفال رضعان

وظن گلب العليل التهب نيران*** يريت الماي بعده لا حلا ومر

بعد ذلك ملأ- عليه الصلاة والسلام القربة وحملها على كتفه الأيمن وتوجه نحو الخيمة فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب فحاربهم فأخذوه بالنبال من كل جانب حتى صار درعه كالقنفذ من كثرة السهام فكمّن له زيد بن ورقاء من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبي فضربه على يمينه فقطعها فأخذ السيف بشماله وحمل القربة على كتفه الأيسر وهو يرتجز ويقول :

والله ان قطعتموا يميني*** إني احامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين*** نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتى ضعف عن القتال فكمّن له الحكيم بن الطفيل الطائي أو نوفل الأزرق (لعنه الله) فضربه بالسيف على شماله فقطع يده من الزند فحمل القربة بأسنانه وهو يقول :

يا نفس لا تخشي من الكفار*** وابشري برحمة الجبار

مع النبي السيد المختار*** قد قطعوا بغيهم يساري

فأصلهم يا رب حر النار

وجاءه سهم وأصاب القربة وأريق ماؤها ، ثم جاءه سهم آخر فأصاب صدره الشريف فانقلب عن فرسه وفي خبر: فضربه ملعون بعمود من حديد ففلق هامته فقتله، ولما انقلب عن فرسه صاح إلى أخيه الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام :

أدركني، فلما أتاها رآه صريعاً فبكى وحمله إلى الخيمة، ثم قال الامام الحسين (عليه السلام): الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي.

وجاء في كتاب إبصار العين: أنه (عليه السلام) خر صريعاً إلى الأرض فنادى بأعلى صوته: ادركني يا أخي فانقض إليه أبو عبدالله عليه الصلاة والسلام فرآه مقطوع اليمين واليسار مرضوخ الجبين مشكوك العين بسهم مرتباً بالجراحة فوقف عليه منحنياً وجلس عند رأسه يبكي حتى فاضت نفسه الشريفة.

وفي خبر أنه عليه أفضل الصلاة والسلام أراد أن يجعل رأس العباس في حجره، أو أنه جعل الرأس في حجره قبل أن تخرج نفسه المباركة الشريفة إلا أن العباس (عليه السلام) أخرج رأسه من حجر الحسين (عليه السلام) و مرغه في التراب.

سمع

وفي وصف هذه الرزية وكيفيةها وغيرها من الرزايا المفجعة التي نزلت بساحة سيدنا العباس (عليه السلام) يقول الشاعر العراقي:

طاح يمين أبو فاضل واليسر *** خطف جوده ابجلگه او للخيم فر

اجاه السهم للكربة او فراها *** وكف يبجي وسكنه ما نساها

مواعدها على اميه لحشاها *** او منها يستحي للخيم يسدر

سمع حسه الحسين او ركب وارزم *** غار على العده من باب المخيم

رد يمه او شافه سابح ابدم *** تخوصر فوگ راسه والدمع خر

حط راسه بحضنه او راد الوداع *** شاله او تره عباس بالكاع

رد احسين راسه بگلب مرتاع *** شاله اردود للتربان والحر

يگله يخوي العلم گلي وين اوديه *** ينور العين دربي بيش اجديه

حنا فوگه يشمه واشبج ايديه *** عليه او صاح خويه الله واكبر

يخوي انكسر ظهري اولا گدرا كوم *** صرت مركز يخوي الكلّ الهموم

يخوي استوحدوني بعدك الگوم *** اولا واحد عليه بعد ينغر

يخوي منين اجتني هالرميه *** يخوي اسواع بيتي عليه

يخوي اسا عدوي شمت بيه *** وشوفنك يبو فاضل امطبر

راد احسين شيله للصواوين*** انتبه عباس لحسين او زرك عين

يگله اشرادتك يا خوي يحسين*** يگله ارد اشليك وسدر

يگله يخوي احسين خليني بمجاني*** يگله ليش يا زهرة زماني

يگله واعدت سكنه تراني*** ابماي واستحي منها من اسدر

يخوي اشلون اشوفنها ابيا عين*** لوجتتي او گالتلي الوعد وين

دخليني أموت اهنا يحسين*** يخوي المستحا من شيمة الحر

گام احسين تبجي للصواوين*** ينشف دمعه عن النساوين

خايف لنهن يفتكدن احسين*** ايگنن له عليمن هالدمع خر

او يلي تلگته اسكينه*** تگله عمى العباس وينه

شرب ماي اونسانا ما نسينه*** العطش واگلوبنا تلهب امن الحر

خرت دمة احسين او تنحب*** او گاللها أو نار الكلب يلهب

ابشاطي العلكمي عمج امترب*** گضى او فرت تصيح الله واكبر

نعم قضى قمر بني هاشم نجبه وبقي جثمانه الطاهر مترب وراح فرسه يصهل متوجه نحو المخيم، فلما رأته السيدة العقيلة زينب الحوراء(عليه السلام)خالي من راکبه بکت ونادت، وعباساه واحبيباه واقرة عيناه واثمة فاداه ثم صاحت بسيدالشهداء صلوات الله وسلامه عليه قائلة : قم يا أخي فلقد جاك المهر خالياً من أخيك ولسان حالها يقول :

جاك المهر يابن أمي جاك المهر باصهيله*** يحسين روح المعركة وادرك عضيدك شيله

عباس يوم انه وقع نادى يخوي ادرکني*** سرعك ينور اعيوني خيل العدى حاطتني

قصوا العدى زرعاني أو فوق الثرى ذبتني*** يحسين وصل ليه قلت امني الحيله

واحسين يوم انه سمع صوته لفاه ابسرعه*** او عاين عضيده مرمي والدم صابغ درعه
اتخو صر يويلي عنده واعلى الاخو هل دمه*** او نادى يشايل بيرقي منهو يخويه ايشيله
حط رأس اخوه ابججره والصوت منه عالي*** عباس اخويه اتوعى يا شيخ كل ارجالي
منهو يشيل البيرق عباس يا سردالي*** يا سناد ظهري عقبك منه الحملي ايشيله
فتح اعينه او نادى والعين منه عبرا*** منهو الذي امسند لي اوضع الرأس ابججره
قله انا اللي ابفقدك او هيت خويه ظهره*** دقعد يشيال العلم واللي الحملي ايشيله
ان عد فضل الاخو فضلك يخويه ابزوده*** ما شفت انا في الاخو مثلك بذل مجهوده
قطعوا العدى ذرعانه او شال العلم بزوده*** ويوم وقع فوق الترب جاني المهر باصهيله
وانا الأسد في الوثبه وانتة أسد في الهفه** او تدري الأسد له وثبه او تدري الأسد له هفه
واللي قطع كفينك يا خوي اقطع كفه*** او امر قضاه الباري ما اتقيد فيه الحيله

يمشرد الخياله يمشرد الخياله*** قم لا عضيدك شيله لا تدوسه الخياله

حول عليه بهاتف مثل الصقر تحويله ***طاح الاخوفي المعركه يحسين دسرع شيله
حين سمعت الهاتف قلت امني الحيله ***اوجيتك انا متعني او عاقتني الخياله
هذي الحرم تنخاني يحسين ودنا لعننا*** او خليتني يعصيدي يسرى ألبيايمنا
سبعين الف خياله دارت على امخيمنا*** واتزلزت نسوانا من ضجة الخيال
قلت يخويه الحيله او فلت امني اللزومه*** سبعين الف خياله كلها علي محترمه
او تدري يخويه الوحده تبهض قوى العزمه*** احمل على الخياله واتعوفني الرجاله
يحسين هذي المرجله والموت الممدوحه** او كل الخلايق تحكي فادي عضيده ابروحه
يحسين لا ترفعي خل جثتي مطروحه*** خلها على وجه الشرى واتدوسها الخيال
اليوم يوم اسعودي واليوم ذا مقصودي*** من يوم تحت الرايه قصوا يخويه ازنودي
يحسين لواني امقيد لفصم حديد اقيودي*** أو عنك يخويه ابصدري لتصدر الخياله
عباس هذي رايتي بعدك غدت ملتفه*** أو كل الحرم تنعى لك واقلوبها ملتفه
او بيت الخنا والمنجس يمتى تجيه العفه*** اوجيتك انا متعني او عاقتني الخياله

إذا لذ لي مطعم أو شراب*** بشهر ربيع فشيء عجاب
فإننا يزور قلبي السرور*** ونار باحشاي ذات التهاب
مصاب أصاب صميم الفؤاد*** ففي القلب باقي ليوم المآب
أيفرح قلبي وطه الرسول*** شفيع العباد ثوي في التراب
بكته السماء وسكانها*** جميعاً وناح عليه الكتاب
وهبت عليه رياح الخسوف*** وهم البسيط على الانقلاب
وبات الأنام بلا والدٍ*** تقاسي المصائب من كل باب
وكيف أذوق الهنا والبتول*** لها رفلة في ثياب المصاب
نحن حينئذ يزيل الجبال*** ودمع العيون كصوب السحاب
أليس بذأ الشهر قام العداة*** لتقض العهود من المستطاب
وفيه أدير على بيتها*** بجزل وعنهما أميط الحجاب
أما كسروا فيه أضلاعها*** وبالجيل قادوا الامام المهاب
لها الله إذ خرجت خلفه*** لتخليصه بأسئ وانتحاب
تنادي دعو من أشاد الهدى*** بحد حسام أذلّ الرقاب
فما رعيت إذ دعت في العدى** فعادت من الضرب والمتن عاب
وقد لطمت لطمة لم تزل*** على الخدّ منها بظهر النقاب
وباتت تنن بفرش السقام*** حليفة وجد إذ البدر غاب

لفقد الرسول وسقط الجنين*** وكسر الضلوع ومزق الكتاب

لقد أسقطوا جنينها، وكسروا ضلعها، ومزقوا كتابها وكلّ هذا قد هان عليها إلا فقد أبيها فقد سطى في أحشائها أثره وأدماء قلبها صوابات مصابه وجعلها تتمنى الموت ولسان حالها يقول :

عسى

يا سيد الكونين يا خير النبيين*** فطرت قلبي يا رسول الله ابها الونين

حزنك يبو ابراهيم ساطي ابلبة احشاي*** خوفي تفارجني واطيح ابولية اعداي

لو الامر بيدي يا الولي ويحصل على هواي*** چان اخترت قلبك يبويه غصة البين ضلعي انحنى من شوفك ابها الحال يا ياب*** وقلبي يبويه دامي بصوابات لمصاب

اسم الله اعلى طولك يا لولي عن نوم لتراب*** فالك فال السلامه يا ضيا العين

فتح اعينه المصطفى او عاين الزهرا*** تهمل ادموع اعينونها وتجذب الحسرة

واتصيح عقبك عيشتي عيشة القشرة*** قلها شعبيني يزهر لا تحنين

نوحيج وحزنيج عقب دفني وسط لقبور*** الله يعينك عالھضيمة وشدة الجور

اتقاسين غصات او فجايع يم لبدور*** شذكر شقول من المصاب اللي تقاسين

بس اندفن عدواني البيتچ بچونچ*** ايحرگون بابچ يا زچيه او يعصرونچ

ايكسرون ضلعينچ يزهر ويطمونچ*** قالت يبويه وين عني امشيد الدين

قلها يزهر حاضر او ينظرها لافعال*** ويقدر يرد عنج يزهر جنود لنذال

لكن وصيتي اتقيده وينقاد بحبال*** چني اشوفج خلف ابو الحمله تنادين

خلوا كفيلي والعدى ما يرحمونچ*** ايرد العبد وابسوطه ايورم امتونچ

ما چني اموصي عليهم ينصرونچ*** حتى النياحة يمنعونچ لا تنوحين

نعم، تلك الشجاعة الحيدرية والحملات العلوية ورثها منه الابنوه وأحفاده -وأخص بالذكر منهم في هذه الجلسة سيّدنا وحبیب قلوبنا ونور عيوننا القاسم بن الامام الحسن عليهما الصلاة والسلام الذي يقول فيه بعض الشعراء واصفاً بطولته

وشجاعته وعدم احتفائه بالأعداء وذلك عندما انقطع شسع نعله فأخذ مصلحها :

أتره حين قام يصلح نعله*** بين العدى كيلا يروه بمحتفي

غلبت عليه شامة حسنيّة*** ام كان بالأعداء ليس بمحتفي

ولبعضهم أيضاً يقول:

قسم الاله الرزء بين أعظم*** لارزء أعظم من مصاب القاسم

حسني خلق من نجاد محمد*** مضري عرق من سلالة هاشم

غصن نصير من أصول مفاخر*** ثمر جني من فروع مكارم

قتال أبطال مبيد كتائب*** فتاك اساد هزبر ملاحم

هزم المكاة بقوة علوية*** وأبادهم طراً يبطش هاشم

لله يوم خرّ فيه على الثرى

نادى حسيناً عمه عسمه متشكياً*** بعد الوصال وقرب هجر دائم

فأناه وهو إذا وجود بنفسه*** ويفيض منه الجرح فيض غمائم

ويلوك كالحوت التريب لسانه*** لوكاً ويفحص كالقطا بقوادم

قال المحدّث المازندراني الحائري(قدس الله سره)«نقلًا عن كتاب الأسرار في وصف القاسم عليه أفضل الصلاة والسلام: إنّ القاسم بن الحسن(عليه السلام) هو غصن من أغصان شجرة النبوة وثمرة من ثمرات الإمامة والخلافة.

وأقول : إنه روعي له الفداء نفحة الامام الزكي عليه أفضل الصلاة والسلام وريحانته وحيب قلبه ونور عينه وإلى هذا المعنى قد أشار شاعر آل محمد شيخنا الأديب الفاضل والحكيم المبدع عبد المنعم الفرطوسي رضوان الله تعالى عليه وأرضاه وجعل الجنة ماواه وحشرنى إن شاء الله تعالى وإياه بقوله :

عبرت والإباء بعض شذاها*** نفحة للزكي في كربلاء

هى أزكى وديعة ضيّعوها*** بيد الغدر في يد الأركياء

نصبوا للنبي فيها عداء*** وهم يقطعون حبل الولااء

قد أباحوا ذمام كل نبي *** فأباحوا ذرية الأنبياء

لعن الله قوم سوء أصابوا *** مهجة المجتبي بسهم العداء

خير ريحانة ذوت من ذبول *** قد عراها واذبلت من ظماء

قاسم الهام من رؤوس الأعادي *** بحسام من عزمه في المضاء

جاء للسبط يطلب الإذن منه *** ورآه فأجهشا للبكاء

قال شجواً أنت الوديعه عندي *** من أخي المجتبي وذكرى الإخاء

وحباه بالإذن حسين راه *** باكي الطرف شاحباً برثاء

فتجلى للحرب شقة بدر *** وهو يزهو بروعة وجلاء

علوي تذكو الشمائل فيه *** من علي بنفحة الأوصياء

حسني له الكرامة تاج *** ونسيحُ الثنا الثناء خير رداء

وأبي من الحسين تحلى *** بوشاح من نجدة وإباء

شد شسع النعل الذي بُتّ منه *** وهو يضري بساحة الهيجاء

فعلاه الأزدي عمرو سيف *** منه قد شق مفرق العلياء

فهوى فاحصاً برجليه ملقى *** مستغيثاً بعمّه في العراء

فأتاه الحسين يسعى فأردى *** من سقاه الردى بكأس الفناء

قال حزناً علي عزّ بآني *** عنك لا أستطيع دفع البلاء

أتى رغبة في الموت يسعى فقل به *** هو البدر لكن في الشرى كان سائراً

بنفسي حسيناً إذ تمثل شخصه *** غداة أتاه يطلب الإذن حائراً

راى حسن أخلاق وطيب شمائل *** ووجهاً منيراً يخجل البدر زاهراً

فأرحبه باعاً وأحنى ضلوعه *** عليه ودمع المقلتين تحادراً

وقال شيخنا الامام علي بن الحاج حسن الجشي القطيفي رضوان الله تعالى عليه في شجاعة القاسم بن الحسن واورورثائه (عليه السلام):

ص: 646

ألا فاكذب مهما اكتسبت المفاخرًا*** ففیهن ذکر المرء لم یلف دائرا
ومن سعد جدّ المرء تجدید ذكره*** بارث نبیه منه تلك المفاخر
وفي شرف الأباء حظ لولدها*** إذا ما اقتفتها ورثتها المآثرا
أما سن بذل النفس في الله حيدر*** وأورثه حتى بنیه الأصاغرا
لعمری هم قبل المراضع ارضعوا*** كرام سجایاه ففاقوا الأكابرا
فأصبح كلّ مظهر الفخر في الوری*** فلم تر ذا فخر إليهم مفاخر
كفأك بیوم الطف موقف آله*** لنصر الهدی حیث الضلال توازرا
لقد عرجت أعلى المعارج في العلا*** وإن لم تراهن واستطالت مفاخر
وحسبك بابن المجتبی الندب قاسم*** فكم للمعالي قد أقرّ نواظرا
وسر بنصر الدین قلب محمّد*** وإن كان أقذی قتله منه ناظرا
غداة تقانت فتية المجد بالضبا*** وطیر الردی فی الطفّ مازال طائرا
ولم أنس لما حركته حفيظة*** لنصر حسین حین لم یلف ناصر
أتی رغبة في الموت يسعى فقل به*** هو البدر لكن في الشری كان سائرا
بنفسي حسیناً إذ تمثل شخصه*** غداة أتاه یطلب الإذن حائرا
رأى حسن أخلاق وطیب شمائل*** ووجهاً منيراً یخجل البدر زاهراً
فأرحبه باعاً وأحنى ضلوعه*** علیه ودمع المقلتين تحادرا
وعانقه لكن عناق مودع*** یری أنّ هذا للقا كان آخرا
وخرّاً جميعاً للشری إذعرتهما*** جوی عشية والوجد للقلب خامرا
فلما أفاقا صاح والوجد غالب*** بني أتمشي للمنون مبادرا
أيا مهجتي أنت العلامة من أخي*** وقرّة عيني لا رأيتك عافرا
بني أتمشي للمنية ذاهباً*** برجلك تلقي ذابلاً وبواترا

فودّعه لما أبا وبكى شجى *** وأصبح منه خلفه القلب طائرا

وراح إلى الهيجاء والجاش طامن *** قد اتخذ الهندي خلا مسامرا

ص: 647

وأصفي ارتياحاً لاستماع حديثه*** إذا ما أتى الهيجاء فل البواترا

فقال له إن أنت أصدقتني تجد*** لديك الردى مني هناك موازرا

وعرّف أصحاب الضغائن نفسه*** ومن لا يبالي بالردى لن يحاذرا

وكرّف ففرّ الجيش من سطواته*** وقام بميدان الوغى لا محاذرا

كأني به يلوي شراك نعاله*** بميدانها لم يخش تلك العساكرا

فلما دنا المحترم منه وآن ان*** يحل بدار للنبي مجاورا

علاه لعين من قفاه بضربة*** على الرأس أدمت للهدى نواظرا

وخر بميدان الكفاح منادياً*** لأكرم عمّ فاستجاب مبادرا

وجدل ذاك الرجز بالسيف وانحنى*** على جسمه دامي الحشاشة حائرا

راه خضيباً بالدماء فدعا أياً*** سرور فؤادي من عليك تجاسرا

على عزيز أتى لنداك لم*** أجب وعلى دفع الردى لست قادرا

رجوت بأنني فيك أبلغ منيتي*** وربيع المعالي فيك يصبح عامرا

وما خلت انّ الدهر فيك يخونني*** وتسكن من قبل البلوغ المقابرا

ومما شجى قلبي تذكر حاله*** وياليتني ما خالجت لي خاطرا

غداة انحنى من فقدته ظهر عمه*** بتجديد ذكره الشقيق الموازرا

نفسى وترأفي الوغى لم يجد بها*** له مسعدا إلا عدواً وواترا

غدا وهو محني الأضالع حاملاً*** فتاه قتيلاً للمخيم سائرا

تخطان فوق الأرض رجلاه والدماء*** تسيل وعين السبط ترعاه صابرا

وقال العلامة الحاج الشيخ عبد العظيم الربيعي رضوان الله تعالى عليه في رثاء القاسم بن الحسن عليهما أفضل الصلاة والسلام :

فادح قد عرى بعثرة طاها*** مقلة المجد والعلی أقذاها

يوم رامت امي هدم صروح*** لهدي أحمد أقام بناها

فاستفرت عزيمة الله ليثاً*** من ذويه والاسد تحمي سراها

ص: 648

ثار في وجه آل حرب بعزم*** للمقادير لويلاقي ثناها
حيث ألقى صحيفة الشرك تتلى*** في البرايا منشورةً فطواها
أتراه أعطى النبي عهداً*** بنواميس دينه فوفاها
وفداها بعد النفيس بنفس*** جعل الله كل نفس فداها
جهلت قدرها نفوس، ولكن*** عرفت بعض أنفس معناها
فغدت دونها تسابق للموت*** ترى غاية السباق فناها
ويك لا تنس ثم قرّة عين ال*** مجتبي قاسم العلى مجتباها
قسم الحسن فلقنتين ففيه*** فلقة والأنام في أخرها
ولذا كانت العيون تراه*** فلقة البدر أشرقت في سماها
معلنًا بينها بمحتده، هل*** تنكر الشمس عند راد ضحاها
كم له في اللقاء خطبة فتك*** وعلى الهام سيفه ألقاها
ضاق ذرع العدى به أي حرب*** وملم به القضاء رماها
كان قطباً للحرب لم يتزلزل*** حيث دارت على الرؤوس رحاها
ولوها ببأسه، لم يرقه*** أن يرى خافقاً عليها لواها
ودليلي بأنهم لم يساوا*** شسع نعل طبق الوقار احتذاها
أنّه والوغى قد احتدمت لم*** يرعهم بل بعينه يرعاها
تاه فخرًا عليهم وشراك*** النعل ما بين جمعهم سواها
مذ رأى مشية الحفاء تنافي*** مشيةً في الوغى الإله ارتضاها
غير أن الأزدى تبت يدها*** لم يدع غرةً عليه رآها
فانتضاها صفحةً أفيدري*** لفؤاد النبي كان انتضاها
وعلا رأسه بماضي شباهها*** ليت قلبي ضريبة لشباهها

فهوى مصرع الوصي عليّ *** إذ علاه يفه أشقاها

ذاك في جامع الصلاة وهذا *** بعد فرض الجهاد فوق رباها

وعلى الأصل فرعه زاد لما *** يممته أمية بظباها

ص: 649

وقال بعضهم :

إن بات جفني ليس بالنائم *** حق له يبكي على القاسم

فتى كأن الشمس في وجهه *** تطلع في صبح بهى دايم

تجري مياه الحسن في وجهه *** في ورد روض خده الناعم

تقسم الحسن فنصف به *** ونصفه الآخر في العالم

ولو تراه حاملاً سيفه *** على جواد أدهم فاحم

قلت نعماً أسد فوقها *** أو بدر تمّ تمّ في دجى قاتم

ولو ترى سبط النبي آخذاً *** بالضيع منه كالأب الراحم

لخلت ليث الغاب في جنبه *** شبل تسنى الحسب الفاطمي

وزينب الحوراء من انسها *** فيه بوجه ضاحك باسم

والفاطميات استوت حوله *** كما تساوت حلقة الخاتم

يزفه الكل إلى زوجه *** وهو من البهجة في عالم

فانتعشت نفس سكين به *** انتعاش حوّا للقاء آدم

لكنّه ما طال هذا الهنا *** فنلعنة الله على الظالم

أنس منها وحشة وهو من *** وحشة عيد العرس في ماتم

حتى إذا نادى منادي العدى *** للحرب هل من بطل حازم

قال لها أخرجت عرسي فلن *** أبرح أو أقضي على الغاشم

هذا حسين مفرد في العدى *** يخوض في موج الظبا اللاطم

يستنصر القوم ولا ناصر *** من أهله الأدنى سوى القاسم

أبدل في سوق الوغى مهجتي *** من دونه بسعرها القائم

فهبّ عريس بني هاشم *** وأنعم به من فارس هاشمي

وصاح في الكفّار يا أغبيا*** قفوا انظروا هذا عطا صارمي

ويك كان الله أوصاه لآ*** تبق لسيف الشرك من قائم

أوان عزرائيل أوصاه ان*** يقبض أرواح بني آدم

ص: 650

مذ ابرق العضب بسحب الطلا*** أمطرها غيث دم ساجم

فلا ترى إلا كميتاً هوى*** ورأسه كالطائر الحائم

حكّم في الأنفس سيفاً له*** وأكرم بسيف الحزم من حاكم

يغفل هذا ثم ير رمي به*** فيرسل البأس على الظالم

حتى إذا وقى العلى حقها*** خرّ فقل خرّ سما العالم

فقم نعزّ الحسن المجتبي*** فيه ونعاه إلى فاطم

ونقذف الأحشاء في أدمع*** فهي نثار العرس للقاسم

فلم يك الغنا في عرسه*** عليه إلا ندبة الماتم

قال العلامة المحدث المازندراني رضوان الله تعالى عليه في كتابه المعالي نقلا عن كتاب البحار لمولانا المجلسي أنّه قال : قال حميد بن مسلم : كنت في عسكر ابن سعد فكنت أنظر إلى القاسم بن الحسن (عليه السلام) عليه إزار وقميص ونعلان وقد انقطع شسع أحدهما ما أنسى انه كانت اليسرى فقال لي عمر بن سعد الأزدي لعنه الله تعالى : والله لأشدنّ عليه.

فقلت: سبحان الله وما تريد بذلك والله لو ضربني ما بسطت إليه يدي يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه.

قال : والله لأفعلن فشّد عليه فما ولّى حتى ضرب رأسه ووقع القاسم (عليه السلام) لوجهه .

قال : وقال أبو مخنف : وكمن له ملعون فضربه على أم رأسه ففجر هامته وخرّ صريعاً ونادي : يا عماء أدركني .

فجاءه الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام كالصقر المنقض فتخلّل الصفوف وشدّ شدة الليث المغضب فضرب عمر قاتله بالسيف فاتقاه بيد فاطمها من لدن المرفق فصاح صيحة سمعها أهل العسكر، ثم تنحى عنه وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين (عليه السلام) فاستقبلته الخيل بصدورها وجرحته بحوافرها ووطئته حتى مات وذهب إلى جهنّم.

فانجلت الغبرة فإذا بالحسين(عليه السلام) القائم على رأس القاسم(عليه السلام)وهو يفحص برجليه.

فقال الحسين(عليه السلام) : يعزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا يعينك ، أو يعينك فلا يغني عنك ، بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم في يوم القيامة جذك وأبوك هذا يوم والله كثر واتره، وقل، ناصره ، وأخذ يمسح التراب والدم عن وجهه المبارك ولسان حاله يقول وينادي وا ابن أخاه ، وا ولداه ، ثم احتمله على صدره.

قال حميد بن مسلم فكأنني أنظر إلى رجلي القاسم(عليه السلام)يخطان في الأرض وقد وضع صدره على صدره.

فقلت في نفسي : ما يصنع به ؟ فجاء به حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته (عليه السلام) مع ولده علي الأكبر(عليه السلام)، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً

بعد هذا اليوم أبداً، وأنشأ الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام يقول:

غريبون عن أوطانهم وديارهم *** تنوح عليهم في البراري وحوشها

وكيف لا تبكي العيون لمعشر *** سيوف الأعادي في البراري تنوشها

بدور توارى نورها فتغيّرت *** محاسنها ترب الفلاة نعوشها

أمّا أم القاسم فقد كان لسان حالها يقول لما أن نظرت إليه وهو بين القتلى وقد بكت ونادت: واولداه واحبيباه ، ثم أخذت تخاطبه بهذا الخطاب:

بعدك شاب فوق اتراب *** معرس اولابس للكفن

في الأعراس كل الناس *** ما صار مثل ابن الحسن

معرس ولابس للكفن يا جسام

للخيم عايفها او نايم برغام

بيني عروسك كيف تفرح واتنام

وانته ابحال فوق ارمال *** مطروح واثيابك كفن

جسام بيني ليت عمري فدواك

والموت جانني يا عزيزي او خلاك

حلو المعاني بالولد وين القاك

حصني طاح عزّي راح*** جسام يا لمالك ثمن

يا ليت بيني كربلا ما جينا

ولا عروسك يا لولد حنيننا

ما اسرع ينور العين الك زفينا

عرس او نوح يا لمذبوح*** ما صار مثلك في الزمن

جسام عرس واستوى عرسه انحوس

أقمار غابت يوم عرسه واشموس

ناس تزفه او ناس تلطم للروس

والنسوان في الصيوان*** حطت الماتم والشجن

اوسكنه عروسه اتصيح عرسي ما صار

دون الخلق عرسي شعل قلبي نار

معرس وحتى ما قضى عمر انهار

ياجسام فوق ارغام*** نايم ولا بس للكفن

وخرجت سكينه وهي محزونة باكية على ابن عمها العريس، تصيح :

الله واكبر من هذا الخطب العظيم وبالخصوص عندما نظرت إلى وجه ابن عمها مترب على الكاع لطمت وجهها وأخذت تنادي:

عسى ابعيد البلاء خذك على الكاع*** يجاسم موش وقت الموت هساع

يجاسم بين عمي لون تنباع*** ابماي العين چنت اشريك يا حر

ص: 653

عساھي ابركبتك كل الخطيه ***تخليني غريبه واجنبيه

يا جسمام هالعرس اكشر عليه ***عريس او يزفونك امطبر

امبارك بين سبعين الف جابوك *** ابدال الشمع بالنشاب زفوك

عن الحنّه ابدم الراس حنوك *** على راسك ملبس نبل ينثر

من عاينت عريسيها امخضب ابدمه *** محدود ما بين اخوته وولاد عمه

شافت ابوها ينتحب وينوح يمه *** صرخت او صاحت يا عرس لقشر عليه

او قلب الشهيد احسين ذايب من بكاهها *** اتنادي يجاسم ليش متوسد تراها

امحسّر بين عمي على الدنيا او هواها *** او خرت عليه امه او عبرتها جريه

اتصيح انتحل جسمي يجسام من ونيك *** ذوبت قلبي لا تصد ليه ابعينك

عريس يا ابني او للمقابر زاقينك *** صار بفرد ساعة ازفانك والمنيه

من شفت عمك لبسك تفصيل لكفان *** قلت الولد ميعود من حومة الميدان

قومي يسكنه ودّعي شمعة الشبان *** او شقي على العريس جيبك يا زكيه

صاح بضعيف الصوت خلّي الدرع عني *** يا والده او تالي اكثر والتوديع مّتي

نز الدما او حر الشمس فتني او بهضني *** وان العطش تدرن ما ظل جلد ليه

او شيكت على مهجة قلبها بالا يادي *** وما الشهيد ايقول ذو بتوا افادي

مفجوع من فقد اخوتي وذبحت اولادي *** او هذي العساكر حايطه يا الولد بيه

وخرجن بنات الوحي والرسالة وكلّهن يلطمن على الهام عندما نظرن إلى جنازة القاسم عليه الصلاة والسلام وهنّ ينادون وامصبيته،
واقاسماه، واحبيباه، وأخذن يسألن الامام الحسين عليه الصلاة والسلام عن أحواله ولسان حالهن يقول:

يحسين جيبه وسط لمخيم نداويه *** قلهم ودمع العين شبه الغيث يجريه

چايدہ اصواباتہ ولا يفيد الدوا فيه *** بدر اليشع نوره يوسفه اتكّور اوغاب

وجابه الخيمه ومدّده وجاته اسكينه *** اتشوفه ولنه امغربه للموت عينه

ص: 654

امتدت ابطوله وجرت الوثة الحزينة*** اتناديه مثل امصيتك ما قط جرى امصاب امصابك يبدر الكون والله يشعب الروح***توك امعرس
والخضاب ابجفك ايلوح

للماي رحى او جابك المظلوم مذبح*** اتوعا وعليه يا حبيبي رد الجواب

طوح الونه وصاح ودعيني يسكنه*** وبهداي نوحى وطوحى المعرسج ونه

ليكون يسمع بوعلى ويزيد حزنه*** ماله جلد ذوب افاده افراق لحباب

نادت يروح الروح شوفه اينوح عمك*** ينحب ويلطم هامته يا شاب يممك

وعاين الزينب عمتك والتاكله امك*** يتعفرن يم جتتك يا غصن يا شاب

نادى ييمه اتقربى لي او ودعيني*** مفطور قلبى ماي بالله شريينى

شبكت عليه او نادته يحجاب صونى*** املت اتهنا ابعرسك والامل خاب

مدد ايدينه او غمض عينه المعرس ومات*** ودارن على جسم الشباب الهاشميات

وحدة تشمه او واحدة تجذب الحسرات*** وسكنه من ادموم المدلل تاخذ اخضاب والمصيبة الكبرى والداهية الدهماء على قلب السيدة

الجليلة زينب الحوراء (عليها السلام) فانها خرجت تنعى بلا شعور باكية على القاسم منادية : وا ابن اخاه ، واحبيباه:

طلعت بلا اشعور تنعى الوديعه*** متزوج او شاب ذبحه فجيعة

عرسك فلا صار عد جملة الناس*** زفه او جنازة شفتوا بلعراس

واخضاب كفك يا ابني دم الراس*** مزفوف بالزان يسفح نجيعه

ثوبك يجاسم تفصيل لكفان*** وانثار عرسك يمدلل الزان

والله اشعبتني كنعك غصن بان*** ظامى عسى ايفور ماي الشريعة

قوى يرملة الجاسم ترى طاح*** صرتي ذليله كان الولد راح

خلصت ادمومه شدوها لجراح*** عدلى له اوساد قبل الفجيعة

من فرت امه نشرت شعرها*** شافته ايلوح واحنت ظهرها

او ظلت على الشاب تلطم صدرها*** واهوت تشمه ابمهجه وجيعة

قلها او هوا ايلوج سمعي جوابي *** لو شفتي شبنان ذكري شيبابي

ص: 655

نلها

اولو شفتي مذبوح ذكري مصابي *** شفتي عرس صار مثلى فجيعة

صاحت يجاسم ذايب حشا امك **** يا مهجتي اتروح فدوى العمك

مقدر اشوفك غارق ابدمك *** متوسد اتراب حاله شنيعه

او سكنه تنادي تنادي يا هاشميات *** لتعدينه ابشد الجراحات

قومي يعمه حيلي الولد مات *** ميت ابحناه وين الوديعة

أما زينب(عليها السلام) لَمَّا أن نظرت إلى أخيها الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يحمل على كفيّ ابن أخيها القاسم(عليه السلام)وقد أراد وضعه في الخيمة على التراب أخذت تنادي وهي باكية قائلة:

لا تطرح الشاب خويه ابها لتراب *** بعده يمظلوم متزوج او شاب

قلها يزينب عدلي رقبته *** او حلي احزامه او شدي طبرته

او خلي على على هون يجذب حسرته *** وقفضى الدرع زين قلب الولد ذاب

امعرّس ونا ادري امقوض شبابه *** لكن جمعنا از فافه او مصابه

بالله يزينب جسى صوابه *** او شوفي الدما اشلون صاير له اخضاب

او سكنه العزيزة اتحن أو تنادي *** يا جاسم اتروح نهبة هنادي

بطل ونيك ذايب افادي *** يا مهجة الروح متزوج او شاب

شيلي يعمه خده عن القاع *** خلي انتزود من جاسم اوداع

قصدي أحاكيه من قبل لنزاع *** والله شعبي متوسد اتراب

صاحت يجسّام وين المعزّه *** امصابك دهى الكون والعرش هزّه

حبيبي لشقه او شعري لجزه *** واخذ يجسّام من دمك اخضاب

قلها يسكنه لا تشعبيني *** والله بهضني امجاذب ونيبي

حان الأجل حان بس ودعيني *** او عينه شخصها او منه النفس غاب

خَرَّتْ تَشْمَهُ او تَجْذِبُ الْحَسِرَاتِ *** اولن المدلل بطل الونات

صاحت يعمه حيلي الولد مات *** والله فجعني متوسد اتراب

ص: 656

قال الله تعالى في كتابه المجيد : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (1) ان هذه الآية المباركة صريحة وجلية في أنّ الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرة ولا يثبت منهم إلا القليل كما دلّت على ذلك الآية في تعبير عنهم : أي عن الثابتين الذين لا ينقلبون بالشاكرين فالشاكرون لا يكونون إلا قلة قليلة كما دلّ على ذلك قوله سبحانه وتعالى (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) .

وكما دلّت عليه أيضاً الأحاديث النبوية الشريفة التي فسرت هذا الانقلاب وكون أنّ الله تعالى لم يبيّن عقاب المنقلبين على أعقابهم في الآية الكريمة واكتفى بتمجيد الشاكرين الذين استحقوا الثواب فإنّ هذا لا يدلّ على أنّ المنقلبين لا يستحقون العقاب بمجرد سكوت الآية عن ذلك بل أنه من المعلوم بالضرورة أنّ المنقلبين على الأعقاب محرومون من ثواب الله مستحقون لعذابه.

كما أنّه لا يمكن تفسير الآية الكريمة بطليحة وسجاح والأسود العنسي وذلك حفاظاً على كرامة الصحابة ، فهؤلاء قد انقلبوا وارتدوا عن الاسلام وادّعوا النبوة في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد حاربهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتصر عليهم، كما لا يمكن تفسير الآية الكريمة مالك بن نويرة وأتباعه الذين منعوا الزكاة في زمن أبي بكر لعدة أسباب، منها : أنهم إنّما منعوها ولم يعطوها إلى أبي بكر تريباً منهم حتى يعرفوا حقيقته الأمر، إذ إنّهم حجوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع وقد بايعوا الإمام علي بن أبي طالب في غدير خم بعد ما نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للخلافة كما بايعه أبو بكر نفسه، ففوجئوا عند قدوم رسول الخليفة بنعي رسول الله وطلبه الزكاة باسم الخليفة الجديد أبي بكر، وهي قضية لا يريد التاريخ الغوص في أعماقها حفاظاً على كرامة الصحابة أيضاً، ومنها : أنّ مالكا وأتباعه مسلمون شهد بذلك عمر وأبو بكر نفسه وعدة من

ص: 657

الصحابة الذين أنكروا على خالد بن الوليد لعنه الله قتله مالك الوليد لعنه الله قتله مالك بن نويرة والتاريخ يشهد أن أبا بكر أدى دية مالك لأخيه متمم من بيت مال المسلمين واعتذر له عن قتله ومن المعلوم أن المرتد عن الإسلام يجب قتله ولا تؤدي ديته من بيت المال، ولا يعتذر عن قتله .

والمهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة الذين يعيشون معه (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة المنورة وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) بدون فصل والأحاديث النبوية توضح ذلك بما لا يدع مجالاً للشك وقد ذكرها العلماء في كتب الحديث والتفسير وغيرها فمن أراد معرفة ذلك فليرجع إلى تلك الكتب . كما أن التاريخ أيضاً خير شاهد على الانقلاب الذي وقع بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسوف نذكر مزيداً من الآيات والأحاديث التي تدل على صحة ما ذكرنا إلا ان القوم لم يلتزموا ويسيروا على نهجها وكما كان المتقدمون قد نقضوا بيعة علي الله فقد اقتدى المتأخرون بهم في عدم الاعتناء بقول الله ورسوله في حق علي عليه الصلاة والسلام وزاد المتقدمون على المتأخرين بتجريح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الغصص والمحن حتى كان يتمنى الموت ساعة بعد أخرى.

يقول ابن عباس :إنه لما نزل قوله تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (1) قال : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ليتني أعلم متى يكون ذلك . وقال سيدنا الأمين : نقلاً عن كتاب الاستيعاب بسنده عن أبي ذؤيب الهذلي قال : بلغنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليل فاستشعرت حزناً وبت بأطول ليلة حتى إذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول :

خطب أجل أناخ بالاسلام*** بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا*** تذري الدموع عليه بالتسجام

وجاء في رواية : فوثبت من نومي فزعاً فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج

ص: 658

بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت من؟ فقيل: قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ورحم شاعر آل محمد الحاج ملا عبد الحسين العرادي فلقد أجاد بما أفاد في نظمه للحادثة المؤلمة العظيمة حيث قال:

بالأرض رجه أو بالسما ضجه أو زلزال *** من مات أبو إبراهيم لمصابه العرش مال

وناحت على أمصاب الرسول الانس والجان *** وأم الحسن لبست يوسفه اثياب لحزان

وخرّت على بوها تحن والدمع هتان *** واتصيح قبلك ريت نعشي يا الولي انشال

يا ليتني قبلك ذقت كاسات المنية *** أولا شفت دارك من ضوى نورك خليه

نصبح ابمأتم يا الولي أو نمسي ابغزيه *** طول العمر والعمر بعدك ليت لا طال

ريت العمر لا طال ساعة عقب فراقك *** والله يبويه عيشة القشره بلياك

فتح اعيونك يا الولي أو عاين يتامك *** يمك يهملون المدامع غيث هطال

فقدك يبو إبراهيم خالني نحيله *** جسمي انتحل والثوب ما اقدر أشيله

آني العزيزة أظل من بعدك ذليله *** الله يساعدني أو يساعد خير لعمال

يا بو الحسن بهداي عالمغتسل مدوه *** أو بدموع عيني جسم ابوابراهيم غسلوه

ص: 659

تحت التراب بدر العوالم لا تدفنوه*** صفوة العالم لا تدفنونه بلرمال
اونادت على الحسينين يا حلوين لطباع*** هالساع جدكم يندفن قوموا للوداع
لا ترتجون اتعابنونه عقب هالساع*** عزّي او عزكم يا يتامى قووض او شال
او من راد ابو الحملات بجفانه يلفه***نادى على الزهرا ودمع عينه يذرفه
قامت تجر حسره او هوت فوقه ابلهفه***او شبكت عشرين اعلى النبي او منها الجلد زال
ونادت يمدخوم لملاك او داعه الله*** يتروح عني للحدود او داعه الله
لقضي أيامي بالحزن يا حجة الله*** طود الصبر عقبك ييويه اتزلزل او مال
ثم نادت سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها بصوت ضعيف ودموع غزيرة جارية ولسان حالها يقول :
قل صبري وبان عني عزائي*** بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين يا عين اسكبي الدمع سيحا***ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يا رسول الإله يا خيرة الله*** وكهف الأنام والضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش والطير*** وكذا الأرض بعدهم والسماء
وبكاك الحجون والركن والمشعر*** العظيم والبطحاء
وبكاك المحراب والدرس للقرآن*** في الصبح معلناً والمساء
وبكاك الاسلام إذ صار في الناس*** غريباً من سائر الغرباء
لو ترى المنبر الذي كنت تعلوه*** قد علاه الظلام بعد الضياء

ثم قالت (عليه السلام) :

كنت السواد لناظري *** فعمى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت *** فعليك كنت أحاذر

وبكته (صلى الله عليه وآله وسلم) صفيّة بنت عبدالمطلب وهي تقول :

ألا يا رسول كنت رجاءنا *** وكنت بنا براً ولم تك جافيا

وكنت رحيماً هادياً ومعلماً *** لبيك عليك اليوم من كان باكيا

كأن على قلبي لذكر محمد *** وما خفت من بعد النبي المكاويا

أفاطم صلى الله ربّ محمد *** على جدتِ أمسى بيثرب ثاويا

فدى لرسول الله أمني وخالتي *** وعمي وآبائي ونفسي وماليا

صدقت وبلغت الرسالة صادقاً *** ومت صليب العود أبلج صافيا

فلو أنّ رب الناس أبقي نبيّنا *** سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية *** وأدخلت جنات من العدن راضيا

أرى حسناً أيتّمته وتركته *** ويبكي حسين جده اليوم نايا

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري يرثى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله :

ما بال عينك لا تنام كأنّما *** كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعاً على المختار أصبح ثاويًا *** يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

وجهي يقبك التراب لهفي ليتني *** غيّبت قبلك في بقيع الفرقد

نور أضاء على البرية كلها *** من يهد للنور المبارك يهتد

والله أسمع ما بقيت بها لك *** الا بكيت على النبي محمد

صَلَّى إِلَاهَ وَمَنْ يَحْفَ بِعَرْشِهِ*** وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدُ

وقال سواد بن قارب يرثي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله :

ص: 661

ابقى لنا فقد النبي محمد*** صلى عليه الله ما يعتاد
حزناً لعمرك في الفؤاد مخامراً*** أم هل لمن فقد النبي فؤاد
كنا نحلّ به جناباً ممرعاً*** جف الجناب فأجذب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا*** وتصعدت وجداً به الأكباد
لوقيل تفدون النبي محمداً*** بذلت له الأموال والأولاد

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم يرثي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله :

أرقت فبات ليلى لا يزول*** وليل أخي المصيبة فيه طول
فأسعدني البكاء وذاك فيما*** أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت*** عشية قيل قد قبض الرسول
وأضححت أرضنا ممّا عراها*** تكاد بنا جوانبها تميل
فقد الوحي والتنزيل فينا*** يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه*** نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشكّ عتاً*** بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً*** علينا والرسول لنا دليل

وهكذا عظمت المصيبة وجلت بفقده (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقد كان اليوم الذي قبض فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم جزع
وحزن شديد على الأمة الإسلامية ولا يوجد مثله إلا يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه سبطه وريحانته أبو عبد الله الحسين عليه أفضل
الصلاة والسلام وأهل بيته الذين لم يوجد لهم على وجه الأرض شبيهه ، فلقد كانوا مصاييح الدجى وأعلام التقى ، كلهم شبّان أعمارهم لا
تتجاوز العشرين قد برزوا للقتال واحد تلو الآخر، ونحن في هذه الجلسة المباركة قد ذكرنا في مقدمتها القاسم فقط، وهنا نخص بالذكر
منهم من استشهد معه (عليه السلام) من أولاد أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) ثم نعيد الكرة على مصرع القاسم (عليه السلام) فلنستمع
إلى المحدث المازندراني يحدثنا بذلك يقول

الشيخ المذكور نقلاً عن كتاب الناسخ : إنّ لمولانا الامام الحسن (عليه السلام) عشرين ولداً وذكر أساميتهم بهذا التفصيل : زيد وحسن وحسين الأثرم وعلي الأكبر وعلي الأصغر وجعفر وعبدالله الأكبر وعبدالله الأصغر والقاسم وعبدالرحمن وأحمد وإسماعيل ويعقوب ، وقال : قال ابن الجوزي: إن إسماعيل ويعقوب كانا من جعدة بنت الأشعث وهو متفرد بهذا القول وليس بمعلوم لأنّ جعدة ليس لها ولد من الامام الحسن (عليه السلام) وعقيل ومحمد الأكبر ومحمد الأصغر وحمزة وأبوبكر وعمر وطلحة والذين كانوا منهم مع الامام الحسين (عليه السلام) سبعة : الحسن المثنى وعبد الله الأكبر وعبدالله الأصغر والقاسم وعمر بن الحسن وأبوبكر بن الحسن، وفي خبر : كان زيد بن الحسن مع الحسين (عليهم السلام) والله العالم ، قال : وقتل منهم مع الحسين (عليه السلام) خمسة ونجا منهم اثنان عمر كان مع الاسراء والحسن المثنى.

ونقل شيخنا المذكور نقلاً عن كتاب البحار وكان الحسن بن الحسن حضر مع عمه الحسين (عليه السلام) اليوم الطفّ وله من العمر اثنتان وعشرون سنة وقاتل في نصره عمه الامام الحسين (عليه السلام) قتالاً شديداً وقتل سبعة عشر رجلاً وأصابه ثمانية عشر جراحة فوق جريحاً وبه رمق من الحياة، فلما قتل الحسين (عليه السلام) وأسر الباقون من أهله جاء أسماء بن خارقة فانتزعه من بين الأسارى وقال : لا يوصل إلى ابن خولة أبداً .

فقال عمر بن سعد لعنه : دعوا لأبي حسان ابن أخته ، فجاء به إلى الكوفة وهو جريح فداواه وبقي عنده ثمانية أشهر أو سنة على ما رواه ابن قتيبة ورجع إلى المدينة، وكان عمر بن الحسن مع الأسارى فقال له يزيد لعنه الله : أتصارع ابني هذا يعني خالداً؟ فقال له : ما في قوّة للصراع ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً فإما أن يقتلني فألحق بجدي رسول الله وأبي علي بن أبي طالب وإما أن أقتله فألحقه بجده أبي سفيان وأبيه ، معاوية، فتأمل يزيد لعنه الله وقال : شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا الحية؟

ونقل المحدث المذكور : انّ من جملة من قتل مع عمه الحسين (عليه السلام) من أولاد

الامام الحسن(عليه السلام) أحمد بن الحسن، وله من العمر ستة عشر سنة، وكان صبيح المنظر حسن الوجه، وكان جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب، فبرز وهو يقول:

اني أنا نجل الامام ابن علي *** أضربكم بالسيف حتى يفلل

نحن وبيت الله أولى بالنبي *** أطعنكم بالرمح وسط القسطل

فقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة حتى قتل ثمانين فارساً ورجع إلى الامام الحسين(عليه السلام)وقد غارت عيناه من شدة العطش فنادى : يا عماء هل من شربة أبرد بها كبدي وأتقوى بها على أعداء الله ورسوله ؟

فقال له الحسين(عليه السلام) : يا ابن أخي اصبر قليلاً حتى تلقى جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)فيسقيك شربة من الماء لا تظماً بعدها أبداً، فرجع الغلام إلى القوم فحمل عليهم وأنشأ يقول:

أصبر قليلاً فالمنى بعد العطش *** فان روحي في الجهاد تنكمش

لا أرهب الموت إذا الموت وحش *** ولم أكن أكن عند اللقاء ذا رعرش

قال : ثم حمل على القوم فقتل منهم خمسين فارساً وهو يرتجز ويقول:

إليكم من بني المختار ضرباً *** يشيب لهوله رأس الرضيع

يبيد معاشر الكفار جمعاً *** بكل مهند غضب قطيع

ثم حمل على القوم فقتل منهم ستين فارساً ، ثم قتل صلوات الله وسلامه عليه.

قال المحدث المذكور ومن أولاد مولانا الامام الحسن صلوات الله وسلامه عليه الذين قتلوا مع الامام الحسين(عليه السلام)في الطفّ أبو بكر بن الحسن، وهو أخو القاسم(عليه السلام) الأبيه وأمه واسمه عبدالله الأكبر برز وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن حيدرته *** ضرغام اجام وليث قسوره

على الأعادي مثل ريح صرصره *** أكيلكم بالسيف كيل السندره

وحمل على القوم وقتل منهم أربعة عشر فارساً وكن له لعين يقال له هانيء

بن ثبيت الحضرمي وقتله فاسود وجهه لعنه الله .

أمّا سيّدنا وحبیب قلوبنا القاسم بن الحسن عليهما الصلاة والسلام فقد ذكر الشيخ المذكور وغيره من أعلام المحدثين أنّه لما آل أمر الحسين(عليه السلام)إلى القتال أصحابه (عليهم السلام)ووقعت النوبة على أولاد أخيه، جاء القاسم بن لأمضي إلى هؤلاء الكفرة.

بكر بلاء وقتل جميع الحسن(عليه السلام) وقال : يا عم

فقال له الحسين(عليه السلام): يا ابن الأخ أنت من أخي علامة وأريد أن تبقى لي لأتسلى بك ولم يعطه الإجازة للبراز، ولله درّ الحاج الملا عبدالحسين البحراني العرادي قدس الله نفسه الزكية فإنه أجاد بما أفاد في هذه المقطوعة الشعرية التي تصف لنا كيف تقدم القاسم(عليه السلام)إلى عمّه لطلب الإجازة، فهو يقول :

عزّم على املاقا العدى ضنوة المسموم*** وأقبل يريد الإذن من عمّه المظلوم

وسلّم على عمّه او وقف والدمع سجام*** اقبله يحمّاي الشريعة ونور لسلام

نفسى يعمي كرهت اعودي بالخيام*** وعشقي ادخول المعركة وامقابل القوم

هذي عمامي امصرعه جدام عيني*** والاطفال بالصيحات والله امذوّبيني

كل واحدة اتنادي على زينب اسقيني*** چبدي فطرها العطش يا عمّه والهموم

والماي بالشاطي ويميني تحمل السيف*** ارخصني أجيب الماي أرّوي هالملاهيف

والله لخلّي هالعساكر ترجف ارجيف*** والماي اجيبه يا خليفة بحر العلوم

ص: 665

ضمّمه الصدره والقلب فايض بالاحزان*** وقله كفو لكن يعقلي ارجع الصيوان
لو بالعطش تهلك يبعد اهلي الرضعان*** أهون عليّ من شوفك امخضب بالدموم
وانت العلامة من اخويه الحسن يا شاب*** لتهيج احزاني عليه ارجع للاطناب
ارحم شيبتي اللي اتمرغت بغبار المصاب*** ظل عقب ذبحي تحمي زينب وام كلثوم
لتزيد قلبي امصاب يكفيني الذي بيّه*** يوحد مثل حرّ السعير او بيش اطفيه
لتزيد عمك حزن بس هالحزن ييزبهه*** اطيور المنيه على اخيامي دايم اتحوم
بس يا دهر لوعتني وفتيت قلبي*** واتحنّت اضلوعي حزن وازداد كربى
برجال سعدي يا دهر كيف اغدرت بي*** وخلّيت لاهوب الحزن بحشاي مضروم
خان الدهر بيه وجرعني المصاب*** غربه وعطش وانظر ارجالي بالترايب
واسمع ابوسط الخيم ضنجات الغرايب*** في هالنوايب طود صبري راح مهدوم

يا ثمر مهجة فاطمه الزهرا الزجيه*** ارخصني يعمّي اطب ميدان المنيه
هذي العشيّة اتصرّعت وانفت لنصار*** وانت بلا امساعد وجيش الكفر جرّار
ارخصني أريد او في ابعهدي يا حمار الجار*** ماخوذ عهدي انذبح بالغازيه

ص: 666

ذوّبت قلبي ضجعت اطفالك بالخيام *** وحده تحن او واحدة تلطم على الهام

كلهم عطاشا وعالنهر ساقى الحرم نام *** عقب يعمي عيشتي ماهي هنيه

ناداه يا ريحانة المسموم بيني *** حچيك يبعد ارويحتي فتني وشعبي

نحلت جسمي يا عزيزي وذكرتني *** بمصيبه اللي قطعت جبدة الدعيه

بعده حزن افرق ابوك ابليّة احشاي *** اتمنيت ابو اكفوف السخيه اليوم ويبي

نحفر قبر وانجهز العباس بهداي *** و انلحده ابقبره او نصب له عزيه

لو چان ابو محمد يخلي نور لقبور *** ويحضر ابوادي كربلا والسيف مشهور

ويعود أبوفاضل او بيده العلم منشور *** ما رجع واحد من عساكر بني اميه

لكن اشبيدي أعلى الدهر فرق اللّمه *** واحد من اخواني قضى نحبه ابسمه

والثاني اعلى المشرعه امخضب ابدمه *** نايم على التربان والنخيمه خليه

والله يجاسم شاب راسي والقلب ذاب *** واتحنّت اضلوعي ونحلني فقد لحباب

وانت تريد اتريد عمك حزن ومصاب *** عوّد يجاسم للمخيم يا شفيعه

ظل بالخيم سلوه لبن عمك الوجعان *** تحميه من جور العدى وتكفل النسوان

واتباري الاطفال واطفي النيران *** من تشتعل بالخيم يا زين السجيه

يقول المحدث المذكور : فرجع القاسم بن الحسن عليهما أفضل الصلاة والسلام إلى خيمته فجلس مهموماً مغموماً باكي العين حزين القلب متألماً ووضع رأسه على رجليه وذكر أنّ أباه عليه الصلاة والسلام قد ربط له عوذة في كتفه الأيمن وقال له : إذا أصابك ألم وهم فعليك بحل العوذة وقراءتها وافهم معناها واعمل بكل ما تراه مكتوباً فيها . فقال القاسم (عليه السلام) لنفسه قد مضى عليّ سنون ولم يصبني مثل هذا الألم فحلّ العوذة وفضّها ونظر إلى كتابتها وإذا فيها: يا ولدي يا قاسم أوصيك أنّك إذا رأيت عمك الحسين (عليه السلام) في كربلاء وقد أحاطت به الأعداء فلا تترك البراز والجهاد لأعداء الله وأعداء رسول الله ولا تبخل عليه بنفسك، وكلّما نهاك على البراز عاوده ليأذن لك في ذلك لتحظى بالسعادة الأبدية.

فقام القاسم(عليه السلام)من ساعته وأتى عمه الحسين (عليه السلام)وعرض عليه ما كتبه الامام الحسن(عليه السلام) ، فلما قرأ الحسين صلوات الله وسلامه عليه العوذة بكى بكاء شديداً ونادى بالويل والشبور وتنفس الصعداء وقال : يا ابن الأخ هذه الوصية لك من أبيك،

وعني منه و منه . وصية أخرى لك ولا بد من إنفاذها، ثم مسك الحسين(عليه السلام) على يد القاسم(عليه السلام)وأدخله الخيمة ، ثم قال لأم القاسم أليس للقاسم ثياب جدد ؟ قالت: لا ، فقال لأخته زينب(عليها السلام) : اتيني بالصندوق، فأته به ووضع بين يديه ففتحه وأخرج منه قباء الحسن(عليه السلام) وألبسه القاسم(عليه السلام)ولف على رأسه عمامة الحسن ومسك بيد ابنته التي كانت مسماة اللقاسم الالفعد له عليها وأفرد له خيمة وأخذ بيد البنت ووضعها بيد القاسم (عليه السلام)، ثم انه عليه الصلاة والسلام قال لزينب(عليها السلام) : أخيه زينب ناد في بنات رسول الله هلمن لكي نزف الشباب، فخرجن بنات الوحي والرسالة تتوسطهنّ السيدة الجليلة زينب العقيلة لزفاف القاسم بن الحسن فما أن مررت على القتلى سيما القتييل الذي على المشرعة أبي الفضل العباس إلا- وأجهشن بالبكاء والعويل وهم ينادون واعباساه، ولسان حالهن يقول :

يا الذي اعلى المشرعة ظلت رميّه جشته*** هذا جاسم زافينه انهض او عاين زفته

كان يا كبش الكتيبة بيك للنهضة جلد*** فزع اخوانك او شوروا بعجل زقواها الولد

وصل از فافه ونا مفرود ما عندي أحد*** بس حريم اتجرونه والقلوب امفتته

قوم بسك يا قمر عدنا من نوم التراب*** وقض الشباب الهواشم والبسوا جديد الثياب

والذوايب سرّحوها او قوموا انزفها الشباب*** وانتخوا جدّام جاسم كان تنشف دمعتة

وزينب ثقله يبوا سكينه فجعتنا بها الندى *** عرس عدنا اشلون يا ابن امي حزنا اتريده
الولي تنخي جنايز عالوطيه امدده *** او دمع ابن اخي جرى او حسها تنخي زوجته
ورمله ما بين النساء تلطم صدرها معوله *** ردت انا ازفاف الولد بوجود قومه وكل هله
ما دريت ايصير عرس ابني ابواي كربلا *** و اينظر ابعينه على الرضا عمامه واخوته
شلون يا مظلوم عرسه وانته معدوم النصير *** والعرس ويا الجنازة يوم واحد ما يصير
جذب حسرة او قال انا دري بها لولد عمره قصير * لكن ابن امي وصاني اشلون اخلي اوصية
هل دمع جاسم وصاح القلب يا القلب يا عمي انكسر * لا ترفوني يعمي انكان انا عمري قصير
وخلني اطلع للمنية وانتوا حفر والي قبر *** ضمه الصدره او بكوا والكل يجذب حسرته
ثم نادى سيد الشهداء الله : واقسامه واحبيباه ، وانور عيناه ولسان حاله يقول لزينب:

گومي يزينب عمته *** اونا دبنی عدنان

ابنفسی اشوفن زفته *** ما بين هالشبان

لازم يحضرنه اوليده *** يحنونه او كلهم يزقونه

عريس شنهني نومته *** متناسب النومه

گو من نلف اعمامته *** وانلبسه اهدومه

وانغص بله الحومه وانحنى *** اجفوفه والحنّه مديوفه

كامن طبك كلهن واجن *** والحوفه نصبنها

او رملة او رباب ايهلهلن *** واشمعتة علگنها

هنيئا هنيئا لاهل الوغى *** بلبس الجمال ومعنى الصفا

وهل لابساً حلل الاصطفا *** كمثل حسين فتى المصطفى

ومن لأبيه تذلل الصعاب

فلم ينس من بات في رسمه *** ولما تفكر في نفسه

له الموت كشرعن خرسه *** تنفص للشاب في عرس

ونادى هلموا نرف الشباب

فذا نور عيني وبدر الزمن *** لأفديه روجي وما املكن

فمن هو يا صحبتي ابن من *** هو ابني ومهجة قلب الحسن

جواد نداء كفيض السحاب

ومذ صاح فيها ابن حامي الحما *** هلموا نرف لمن قد سما

له رجّت الأرض ثم السما *** وصحبته سبحت في الدما

جيمعا وناح عليه الكتاب

سمع

قال المحدث المذكور: انه لما زق الامام الحسين (عليه السلام) القاسم بن الحسن (عليه السلام) على سكينه وخرج عنهما جعل القاسم ينظر إلى ابنة عمه ويبيكي حتى الأعداء يقولون: هل من مبارز.

فرمى بيد زوجته وأراد الخروج من الخيمة فجذبت ذيله ومانعته عن الخروج وهي تقول له: ما يخطر ببالك وما الذي تريد أن تفعله .

قال لها : أريد ملاقة الأعداء فإنهم يطلبون البراز واني أريد ملاقاتهم فلزمته ابنة عمه فقال لها : خلى ذيلي فإن عرسنا أخرناه إلى الآخرة
فصاحت وناحت وأنت

ص: 670

من قلب حزين ودموعها جارية على خديها وهي تقول: يا قاسم أنت تقول: عرسنا أخرناه إلى الآخرة وفي القيامة بأي شيء أعرفك وفي أي مكان أراك؟

فمسك القاسم يده وضربها على ردفه وقطعها وقال: يا بنت العم اعرفيني بهذه الرदन المقطوعة.

قال: فانفجع أهل البيت بالبكاء لفعل القاسم وبكوا بكاء شديداً ونادوا بالويل والثبور.

قال المحدث المذكور نقلاً عن روى ذلك فلما رأى الحسين (عليه السلام) ان القاسم

يريد البراز قال له (عليه السلام): يا ولدي اتمشي برجلك إلى الموت.

قال: وكيف لا ياعم وأنت بين الأعداء بقيت وحيداً فريداً لم تجد محامياً، ولا صديقاً روي لروحك الفداء ونفسي لنفسك الوفاء، ثم إن الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه شق أزياق القاسم وقطع عمامته نصفين ثم أدلاها على وجهه المبارك كأنه أراد أن يصون القاسم من إصابة عيون الأعداء صيانتته عن حرارة الشمس، ثم ألبسه ثيابه بصورة الكفن وشد سيفه بوسط القاسم وأركبه على فرسه وأرسله إلى المعركة.

ثم إن القاسم (عليه السلام) قدم إلى عمر بن سعد لعنه الله وقال يا عمر: أما تخاف الله؟ أما تراقب الله يا أعمى القلب؟ أما تراعي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال عمر بن سعد لعنه الله تعالى: أما كفاكم التبختر والتجبر؟ أما تطيعون يزيد؟

فقال القاسم عليه أفضل الصلاة والسلام: لا جزاك الله خيراً تدعي الاسلام وآل رسول الله عطاشى ظماء قد اسودت الدنيا بأعينهم؟ فوقف هنيئة فما رأى أحداً يقدم إليه فرجع الى الخيمة فسمع صوت ابنة عمه تبكي.

فقال لها: ها أنا جئتك، فنهضت قائمة على قدميها وقالت: مرحباً بالعزير الحمد لله الذي أراني وجهك قبل الموت، فنزل القاسم إلى الخيمة وقال: يا بنت العم ما لي اصطبار أن أجلس معك والكفار يطلبون البراز فودعها وخرج وركب جواده

وحماه في حومة الميدان، ثم طلب المبارز فجاء إليه رجل يعد بألف فارس فقتله القاسم

(عليه السلام) ولو كان له أربعة أولاد مقتولين على يد القاسم (عليه السلام) فضرب القاسم (عليه السلام) فرسه بسوط وعاد يقتل الفرسان إلى أن ضعفت قوته فهم بالرجوع إلى الخيمة وإذا بالأزرق الشامي لعنه الله قد قطع عليه الطريق وعارضه فضربه القاسم (عليه السلام) على أم رأسه فقتله وسار القاسم (عليه السلام) إلى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقال: يا عماء العطش أدركني بشربة من الماء فصبه الحسين (عليه السلام) وأعطاه خاتمه الشريف وقال حطّه في فمك ومصه .

قال القاسم (عليه السلام) : فلما وضعت في فمي وإذا به كأنه عين ماء فارتويت وانقلبت إلى الميدان ثم جعل همته على حامل اللواء وأراد قتله فأحاطوا به بالنبل فوقع القاسم

(عليه السلام) على الأرض فضربه شيبه بن سعد الشامي بالرمح على ظهره فأخرجه من صدره الشريف فوقع القاسم (عليه السلام) يخور في دمه ونادى يا عم أدركني، فجاءه الامام الحسين وقتل قاتله وحمل القاسم (عليه السلام) إلى الخيمة فوضعه فيها ففتح القاسم (عليه السلام) عينيه فرأى الامام الحسين (عليه السلام) قد احتضنه وهو يبكي ويقول: يا ولدي لعن الله قاتلك يعزّ والله على عمك أن تدعوه وأنت مقتول ، يا بني قتلوك الكفار كأنهم ما عرفوك ولا عرفوا من جدك وأبوك ، ثم إن الامام الحسين (عليه السلام) بكى بكاء شديداً وجعلت ابنة عمه تبكي وجميع من كان منهم لطموا الخدود وشققوا الجيوب ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور.

وقال العلامة المجلسي في بحاره في كيفية مبارزة القاسم (عليه السلام): إنه ثم خرج القاسم بن الحسن عليهما الصلاة والسلام وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم فلما نظر إليه الامام الحسين (عليه السلام) قد برز اعتنقه وجعل يبكيان حتى غشي عليهما ثم إنهما

(عليهما السلام) شبك كل واحد منهما على الآخر وهما ينحبان يقول شاعر أهل البيت المرحوم الشيخ محمد نصار العراقي رضوان الله تعالى عليه وهو يصف حالتهما في ذلك : بس شافه شبك فوگه او تباچوا*** اختنگوا بالبواچي او ما تحاچوا

لمن غابت الروح او تناجوا*** على التربان ويلى والوكت حر

ولما بدت الروح ابعمه الایة*** طلب جسام رخصة او ما يخليه
وقع ويلی یحبّ ایدہ اورجلیه***درخصنی یعمی ما اکر اصبر
یگلہ ابگہ لب ن عمک تباریه***علیل او ما بگہ غیر النفس بیه
یعمی اخلافنا بلچن تسلیه***وظن هیهات یتسل ویستر

یقول مولانا المجلسی (رحمه الله) : قلم یزل الغلام یقبل یدیه ورجلیه حتی اذن له الامام الحسین (علیه السلام) فخرج للبراز ودموعه تسیل
علی خدیہ وهو یقول:

إن تنکرونی فأنا ابن الحسن***سبط النبی المصطفی والمؤمن
هذا حسین کالأسیر المرتهن***بین أناس لاسقوا صوب المزن

جر السیف والزانة نکثها***أو طفح علی الملزومة او فرثها
جثت بالروس والروس ابجثتها***اسم الله علیه خلاها تعثر
تبردق فوق مهره و گام یومی***او گال الزانته علی الخیل حومی
رفها او گال للرایات گومی***عن دربی او صبری أتياه بالبر
یخز عین الطلیع او گال نجل***ابظلمة المذهب واج مشعل
من یلمح شعاع السیف یتول***حمام أو من یشوف الطیر یضجر
من یدنی او عزرائیل بیده***غیث و بصواعجها رعیده
گانوص او تلوح علی الصیده***ایظهره اشگر شمر فرسه امسفر
انگص اشراک نعله او گام یلویه***والازدی اجاه والسیف مخفیہ
ضرب راسه او جاسم مادری بیه***خر او صاح یا عمی المشکر
علی ابن الحسن یا گلبي تفتطر***خر او صاح یا عمی المشکر

بس ما سمع شرعبت بيه***چتل چتال جسام او سدر ليه

لگاه ايعالج او ييحث ابرجليه***يلوج ابروحه اودمه يفور

ص: 673

بجا اوناداه يا جاسم اشبيدي*** يريت السيف كبلك حزور يدي

هان الكم تخلوني وحيدي*** على اخيمي يعمي الخيل تقتر

يعمي اشگالت من الطبر روحك*** يجاسم ما تراويني اجر وحقك

لون ابكي يعمي چنت انوحك*** ابگلب مثل الفضا وبدمع محمر

حط حسين صدره ابصدر جسام*** شبك فوگه او شاله اليم الخيام

صدره ابصدر عمه ارخط بالجدام*** بالتربان وحسين ايتعثر

جابه او مدده ما بين اخوته*** بچا عدهم يويلي وهم موته

ويس ما سمعن النسوان صوته*** اجت سكنه تصيح الله واكبر

ثم إن السيدة الجليلة سكينه لما أن نظرت إلى ابن عمها محمولاً على كفي أبيها الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام جعلت تبكي ولسان حالها يقول مخاطبة عمّتها زينب بهذا الخطاب:

قومي يعمّه معرسي*** جاب الشهيد اجنازته

يا ساعد الله بوعلي*** جيفه مذابت مهجته

شمس منيرة وانظفت*** حسفه ابلقبور اختفت

سكنه أبرسها ما اشتفت*** ياليت لاجت ساعته

ابتزع يعمه هالحلي*** جاسم مظن ايرد إلي

متتلام سكنه للولي*** للجيب لوهي شفته

للشاب قومي نلثمه*** انخضب شعرنا من دمه

وان كان مغشي انكلمه*** يمكن صحى من غشيته

يا شاب يا ولد الحسن *** بالرمح يا وسفه انطعن

ص: 674

ترحل وجسمك ما اندفن *** ما حد يمدده ابحفرته

قلبي امتلا لجلك فرح *** همي انجلا صدري انشرح

جاسم يوسفه تنذبح *** قشعي يعمه خيمته

يا صاحب الوجه الحسن *** ما صار عرسك في الزمن

من فصلوا ثوبك كفن *** جاسم نصبنا اجنازته

اقعد يمصباح الظلم *** واحمل عن احسين العلم

يا سور عزّي وانهدم *** عيني عمتها ذبحته

وكأني بلسان حالها يقول:

يا معرس لا اتعرس حانت ايام الأجل *** تخضبونه والمنية تگول زقوه ابعجل

ما جرى في الدهر كله مثل عرس ابن الحسن *** لبسه المظلوم عمه يوم تزويجه كفن

والذي امخضب اكفوفه يجذب الونه ويحن *** واوقدوا صيوان عرسه نار حزن تشتعل

ناس اتزقه او ناس ناصبين اجنازته *** عاف بت عمه الحزينة والمنيه نادته

عرسي اتبدّل مصايب ليت ماجت ساعته *** مثل حظي ما يناله عافني وعنّي رحل

قلت انا بالولد جاسم يستوي دهري اسعود *** عافني في فرد ساعه واستحب نوم اللحد

ص: 675

عمتي قشعي اخيامه ما اظن جاسم يعود*** منقطع رجواي منه كفته سافي الرمل
والمصايب يوم جابه عمه احسين الشهيد*** شاب ما اتهدنا ابشبابه ومدده فوق الصعيد
وشافت اسكينه لمدلل مركز انبال وحديد*** نادته ياليت عمري قبل ميحانه وصل
يا لولد من فيض دمك مني لخضب للكفوف*ترك سكينه يجاسم ضايعه برض الطفوف
يكسر الخاطر يجاسم حال سكنه لو تشوف**تجري المدمع ابخدها لجل فقدك يالبطل

ص: 676

بطيبة رسم للرسول ومعهده*** منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمنحي الآيات من دار حرمة*** بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معالم*** وربع له فيه مصلى ومسجد
عرفت بها را رسم الرسول وعهده*** وقبراً به واره في الترب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت*** عيون ومثلاها من الجن تسعد
مفجعة قد شفها فقد أحمد*** فظلت لآلاء الرسول تعدد
أطالت وقوفاً تذرف الدمع جهدها*** على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر النبي وبوركت*** بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيباً*** عليه بناء من صفيح منضد
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة*** عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم*** وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه*** ومن قد بكته الأرض فالناس اكمد
وهل عدلت يوماً رزية هالك*** رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم*** وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدلّ على الرحمن من يقتدي به*** وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهداً*** معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله*** فمن عنده تيسير ما يتشدد

فبيناهم في نعمة الله بينهم*** دليل به نهج الطريقة يقصد

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى*** حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

فبيناهم في ذلك النور إذغ. دا*** إلى نورهم سهم من الموت مقصد

وأمت ديار الوحي وحشاً بقاعها*** لغيبه ما كانت من الوحي تعهد

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت*** ديار وعرصات وربيع ومولد

فبكي رسول الله يا عين عبرة*** ولا أعرفتك الدهر دمك يجمد

ومالك لا تبكين ذا النعمة التي*** على الناس منها سائح يتغمد

فجودي عليه بالدموع واعولي*** لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

وما فقد الماضون مثل محمد*** ولا مثله حتى القيامة يفقد

اعف واوفى ذمة بعد ذمة*** وأقرب منه نانلاً لا ينكد

وأكرم صيتاً في البيوت إذا انتمى*** وأكرم جداً أبطحياً يسود

وأمنع ذروات وأثبت في العلى*** دعائم عزّ شاهقات تشيد

الله أكبر مات سلطان البريه*** اوضجت له الاملاك في السبع العليّه

ضجت له الاملاك لمن غمض عينه*** والخور في الجنات تبكي له حزينه

وأما الأمين ايصيح بدموع هتينه*** آخر اهبوطي اليوم يا خير البريه

وارض المدينة كالسفينة ظلت اتموج*** او لملاك صاير عندها اهبوط وعروج

ومن السما ليمن صعد فوج نزل فوج*** الله أكبر مات سيدنا الشفيه

او طلعت جميع اهل المدنيه اتدق الصدور*** كلمن طلع من منزله يمشي بلا أشعور والحرم طلعت صارخه من وسط الخدور*** كلمن

تنادي راح عزّج يازكيه

يا هي مصيبه من عظمها اتزلزل الكون*** والانبياء والاوصيا لجله ينوحون

ومصيبة العظمى عند هزاز لحصون*** الله ايعين المرتضى راعي الحميه

واما البتوله صارخه مشقوقة الجيب*** وتصيح لحد يا أبا القاسم يا حبيب

ص: 678

سويت في قلبي جرح ابدأ فلا يطيب*** يا ليتني قبلك تعاجلني المنيه

يا بوي اولادك عقب فقد نحيلين*** كلمن يصيح أو فوق خده تهمل العين

يكسر الخاطر حالهم لنهم يتيمين*** وانا اعاينهم او عبراتي جريه

وكما بكى الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام على جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو صغير فقد بكى يوم الطفّ على ولده علي الأكبر شبيه جده رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) وعمره الشريف قد تجاوز الخمسين.

وكيف لا يبكي عليا وقد فقد بفقده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لانه عليه الصلاة والسلام كان إذا اشتاق إلى النظر إلى جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر إلى ولده علي الأكبر فهو أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول الله ، كما انّ علي الأكبر (عليه السلام) هو أول قتيل يوم كربلاء من آل أبي طالب، ومن هنا كانت مصيبته لها الأثر البارز على سيد الشهداء بل على عامة المحبين فلم تر عين بعد قتله النوم بل ولم تجف عين من عيون من يحمل الولاء للحسين وآل الحسين عليهم أفضل الصلاة والسلام من دموعها .

يقول بعض المحبين في ذلك :

حجر على عيني يمر بها الكرى*** من بعد نازلة بعثرة أحمد

اقمار تم غالها خسف الردى*** واغتالها بصروفه الزمن الردى

شتى مصاييهم فيين مكابد*** سماً ومنحور وبين مصقّد

سل كربلا كم من حشى لمحمدٍ*** نهبت بها وكم استجذت من يد

ولكم دم زاك أريق بها وكم*** جثمان قدس بالسيوف مبدّد

وبها على صدر الحسين ترقرت*** عبراته حزناً لأكرم سيد

وعلى قدر من ذوابه هاشم*** عبقث شمانله بطيب المحتد

أفديه من ريحانة ريانة*** جفّت بحر ظمأً وحرّ مهند

بكر الذبول على نضارة غصنه*** ان الذبول لآفة الغصن الندى

لله بدرٌ من مراق نجيعه *** مزج الحسام لجينه بالعسجد
ماء الصبا ودم الوريد تجارياً *** فيه ولاهب قلبه لا يخمد
لم انسه متعمماً بشبا الضبا *** بين الكماة وبالأستة مرتدى
يلقى ذوابها بذابل معطف *** ويشم انصلها بجيد أجيد
خضبت ولكن من دم وفراته *** فاخضر ريحان العذار الأسود
جمع الصفات الغر وهي ترائه *** عن كل غطريف وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر *** بأبا الحسين وفي مهابه أحمد
وتراه في خلق وطيب خلائق *** ويليغ نطق كالنبي محمد
يرمي الكتائب والفلاء غصت بها *** في مثلها من بأسه المتوقد
فيردها قسراً على أعقابها *** في بأس عريس العرينة ملبد
ويوب للتوديع وهو مكابد *** لظما الفؤاد وللحديد المجهد
صادى الحشا وحسامه ريان من *** ماء الطلا و غراره لم يبرد
يشكو لخير أب ظماه وما اشتكى *** ظماً الحشا إلا إلى الظامي الصدي
فانصاع يؤثره عليه بريقه *** لو كان ثمة ريقه لم يجمد
كل حشاشته كصالية الغضا *** ولسانه ظماء كشقة مبرد
ومذ انثنى يلقي الكريهة باسماء *** والموت منه بمسمع وبمشهد
لفّ الوغى وأجالها جول الرحي *** بمتقف من ن بأسه ومهند
حتى إذا ما غاص في أوساطهم *** بمطهم قب الأياطل أجرد
عثر الزمان به فغودر جسمه *** نهب القواضب والقنا المتفصد
ومحا الردى يا قاتل الله الردى *** منه هلال دجاً وغرة فرقد
يا نجعة الحيين هاشم والندى *** وخما الذمارين العلا والسودد

كيف ارتقت همم الردى للأصعدة*** مطرودة الكعبين لم تتأود

فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا*** ما بعد يومك من زمان أرغد

ص: 680

وقال آخر :

عجبت لمن صرف القضا طوع أمرهم *** كما شاء صرف الدهر فيهم تصرفا

لقد آنسوا وادي الطفوف وأوحشوا *** بطيبة ربعاً للندي بعدهم عفا

جلا منهم في كربلا قمر الهدى *** كواكب تمحو غيب الشرك مسدفا

لهم موقف بالطف لم تر مثله *** ولا قبله أو بعده قط موقفا

غداة ابن بنت الوحي جاد بأنفس *** على بذلها قد عاهد الله بالوفا

وأول فادٍ نفسه للهدى ابنه *** فله نفس ما أعزّ وأشرفا

شبيه رسول الله خلقاً ومنطقاً *** وخلقاً يروق الناظر المشوقا

رأى القوم منه في الوغى بأس جده *** فلم تلق مأوى للفرار ومألفا

يكرّ عليهم من صفيحة عزمه *** بأمضى من الهندي حدّاً وأرهفا

و آب وقد أورى الأوام فؤاده *** وأجهدته ثقل الحديد وأضعفا

ينادي أباه هل سبيل لشربة *** تروى حشاً يذكو صدئاً وتلهفا

فعاد وما بل المعين غليله *** فلا طاب للورّاد يوماً ولا صففا

إذا لم يذق من بارد الماء رشفة *** فمن كوثر الخلد ارتوى وترشفا

ولما انتى نحو الوغى شب نارها *** وفرّق من جمع العدى ما تألفا

بحث المواضى قد تكهم حدها *** قراعاً وخطي الوشيح تقصّفا

إلى أن هوى تحت العجاج كأنه *** هلال تراءى للنواظر واختفى

درى مرهف العبيدي مذفلاً هامه *** بأن شباه فلّ للدين مرهفا

رآه أبوه والعوالي تناهبت *** حشاه وأهوت فوقه البيض عكفا

بكاه وناداه بصوت لو أنّه *** وعته الصفا من شجوه صدع الصفا

فيا زهرة ما خلت قبل اقتطافها *** بأيدي المنايا أن تنال وتقطفا

لقد حالت الأيام بعدك واكتست *** أسأ فعلى الأيام من بعدك العف(1)

ص: 681

1- الأستاذ الكبير الشيخ محمد علي اليعقوبي .

وقال آخر:

اليه

ترفعت الانفس الساميه*** إلى ذروة الرتب العاليه
هي النار ، والنار من طبعها*** تطلب عنصرها راقيه
ولم تصرف الحر أو تنه*** أمورٌ لصرف الردى ثانيه
فشوك المنايا وورد المني*** وكذب المقاصد والعافيه
وما وجدت ذلة في الحياة*** فعن خوف طعم الردى ناشيه
ومن يستمت يحيي يأس الذي*** يسوم بذل المدى ناديه
وشبل الحسين المنار الوحيد*** وبيت القصيد لذي القافيه
سمي الوصي وشبه النبي*** وحاوي مزاياهما العاليه
لقد كان تاجاً لرأس الإبا*** ودرّة تاج العلى الزاهيه
الم تع ما قاله في الطفوف*** اما لك من أذن واعيه
أنحن على الحق في أمرنا*** ونخشى صروف الردى الجاريه
محالاً طلبتم، وأسيفنا*** لدينا، بنا يحكم الطاغيه
ومن طلب الحق بالسيف لم*** تنازعه فيه يد عاديه
لقد قام بالسيف فرداً، فكم*** هنالك من أمة جائيه
وكم ساق للجيش من ضربة*** فكانت هي الضربة القاضيه
فضاق الخناق بأهل العراق*** وكان المساق إلى الهاويه
بنفسي ظامي الحشا يشتكي*** ظماه لربّ الحشا الصاديه
تروم الرواء لبذل القوى*** بفرض الجهاد على ماهيه
فاصدر ريان نفس وكان*** أبوه وه بادا به ساقيه

ولو لم يشتمه وصال الحبيب*** لعادت ربوع العدى عافيه

فشلت يدا مرّة هل درى*** لقلب النبي انتضى ماضيه

وكيف استطاع يراه أبوه*** ولم تبق منه الظ الظبي باقيه

ص: 682

وهذا لعمرك تأويل ما*** يقول بخطبته الخالية
كأنني عاسلات الفلا*** تقطع بالطف أوصاليه
فأبن، وهو الأبي الصبور*** فتاه بما يصدع القاسيه
بني الآن قطعت الرّجا*** لقد كنت غاية آماليه
بُنّي أجبني فقد أوشكت*** تفارق روعي جثمانيه
الآن فقدت مثال النبي*** وسلواي عن كلّ أسلافيه
لذلك ربع المنى مقفرا*** وتلك بيوت الهدى خاويه(1)

شهقة للحنان شبت زفيراً*** ستثيراً بلوعة وعناء
حين أرخى الحسين عينيه بالدمع*** ونادى بصرخة وبكاء
قطع الله يا ابن سعد بحق*** رحماً منك بعد هذا الجفاء
مثلما قد قطعت هجرأ وظلمأ*** رحمي من عداوة وجفاء
هي كانت من الحسين أذناً*** لعلي بالإذن للهيحاء
فتهادى بشراً لتوديع ليلي*** وصفايا حرائر الزهراء
وتجلى فجراً بليل قتام*** مستتيراً من الهدى بضياء
هو شبل الحسين شبل علي*** حين يُنمي بنجدة وإباء
أشبه الناس في محمد خلقاً*** خلقاً منطقاً بغير خفاء
ضجّت الخيل والرجال ارتباعاً*** واستغاثت من بأسه والمضاء
فاستجار اللعين ابن سعد منه ب بكر*** فأربع الحسين عند اللقاء
واستغاثت ليلي به لعلي*** قال كوني عوناً له في الدعاء
فمحاه بضربة من علي*** لابن ودٍ قد أسرعت بالفناء

1- لشاعر آل محمد مولانا المقدس حجة الاسلام العالم الجليل والأديب النبيل الحاج الشيخ عبد العظيم .

فاتي للحسين والقلب منه*** يتلظى من الظما باصطلاء

ابتاه هل لي بشربة ماءٍ*** أتقوى بها على الأعداء

إنّ ثقل الحديد أجهد نفسي*** والظما قاتلي وأنت روائي

قال من أين يا بُنيّ وهذا*** خاتمي فاستعن برّب السماء

عد إلى الحرب سوف تسقى بكأس*** عن قريب من خاتم الأنبياء

فأتى الحرب يائساً من حياة*** ليس فيها إلا العنا والشقاء

ليس يبغي سوى الشهادة فيها*** بين سمر تحنى وبيض وضاء

فتوارى وهو الشهيد كريماً*** فوق مهد منها وتحت غطاء

وأتاه الحسين كالصقر يهفو*** بجناحي كآبة وابتلاء

حين أدخلى الركاب منه وأهوى*** وهو يدعو على الدنا بالعفاء

قتل الله معسراً قتلوه*** وأعانوا عليه أهل العداة

قال هذا جدي سقاني بكأس*** ليس أحتاج بعدها للماء

لك كأس مذخورة فتعجل*** بفراق الدنيا لخير التقاء (1)

رمى الدهر جوراً حماة الرشاد*** وسدد سهماً عداه السداد

وجار على عترة المصطفى*** فأضحوا من الجور في كل واد

وشمر للحرب يوم الطفوف*** عشية وازر أهل الفساد

عشية قادت جنود الضلال*** أمي تكافح أهل الرشاد

تروم انقياد حليف الابا*** متى راح ذلاًّ ابي يقاد

فجاهدت القوم من دونه*** حماة الحقيقة حق الجهاد

فلله أنصاره الماجدون*** أبت أن ترى هاشمياً يكاد

إلى أن هوت دونها في الثرى *** بسم الرماح وبيض الحداد

ص: 684

1- لشاعر آل محمد الحكيم الأديب عبد المنعم الفرطوسي (قدس سره).

فهبت هناك بن غالب*** ليوث الكريهة يوم الجلال
وقد وقفوا وقفة طبقت*** بحسن الثنا الدهر حتى المعاد
رأوا عرش ملة طه تميد*** فوائمه من ولاة الفساد
فقامت على ساقها في الوغى*** فقرت قوائم عرش الرشاد
ولست بناس فتى السبب إذ*** تقدّمها رغبة في الجهاد
كانّ له في الردى منية*** نحاهها وفي الموت نيل المراد
كأنّي بسبب الهتدي من أسي*** يقول أيا شبه خير العباد
وفرعاً تفرع من دوحه*** زكت فزكا الفرع منها وجاد
أتمشي برجلك للموت يا*** ضيا ناظري وسرور الفؤاد
بني لقلبي أنت الحبيب*** فكيف تروم بني البعاد
أترمي فؤادي بسهم النوى*** وتترك جفني حليف السهاد
وأرسله للوغى إذ أبى*** ومنه المدامع شبه الفؤاد
فشدّ على القوم ظامي الحشى*** فغذى الرماح وروى الحداد
وعاد إلى السبب يشكو الظما*** فيا صادياً جئت تشكو لصاد
فديتك يا شبه خير الورى*** ويا خامياً لرواق الرشاد
أتشكو الظما لأبيك الحسين*** فهل منه تأمل نيل المراد
تحملتا ظماً حره*** يفت هضاب الجبال الصلاد
فلم أدر أبكي لمن منكما*** فقدفت كل ظمائه الفؤاد
أهل رمت نسيان ما أنت فيه*** إذا ما رأيت الظماً فيه زاد
فراح يصبر ظامي الحشى*** بشرب كؤوس الردى بالحداد
وروى ببشر لقي المصطفى*** حشاه وبالنفس في الله جاد

ألم تره جاء واهي القوى *** وعاد إلى الحرب يوري الزناد

يجدل فرسانها في الوغى *** وأخلى هناك سروج الجياد

ص: 685

كأن بماضيه خط الردى *** وطوع يديه نفوس العباد

فلما أحبّ إله الورى *** لقاها وإبلاغه للمراد

علاه على الرأس ماضي الحسام *** فقر به للأعادي الجواد

فوزعت البيض أشلاءه *** وسمر الرماح نهبن الفؤاد

وصبغت الأرض منه الدما *** إلى أن هوى عافراً في الوهاد

بنفسي صريعاً غدا هاتقاً *** بأكرم مستنجد للجلاد

كأنى به واضع خده *** على خده والحشى في انتقاد

وقال على الدار لما أصبت *** بني العفا بريح النكاد

كأنى بليلى دعت من جوى *** ألم بأحشائها والفؤاد

بني أصابك ريب المنون *** ووكل بالطرف مني السهاد

بني رجوتك لي سلوة *** فأفجعني فيك شر العباد

علي عزيز بأني أراك *** وفيك أعاديك نالوا المراد

بني أيا بدر أفق العلا *** متى خسف البدر بيض الحداد ؟

خيالك ما غاب عن ناظري *** وهل لك مثوى بغير الفؤاد ؟

لقد كان أهل المدينة إذا اشتاقوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انظروا إلى علي الأكبر عليه أفضل الصلاة والسلام وكان الحسين صلوات الله وسلامه عليه يحبه حباً شديداً بحيث إذا رآه فرح وسروراً عظيماً ، وإذا سأله حاجة لا يرده أبداً ولو على سبيل الإعجاز .

قال كثير بن شاذان: رأيت الحسين (عليه السلام) قد انتهى ابنه علي الأكبر في صغر سنه عنباً في غير أوانه فضرب الحسين (عليه السلام) بيده المباركة إلى سارية المسجد وأخرج له عنباً وموزاً وأطعمه ، وقال (عليه السلام) : وما عند الله لأوليائه أكثر .

قال المحدث المازندراني : أفمن كان حبه لولده بهذه المثابة بحيث لا يرده

عن حاجة حتى يقضيها له ولو على سبيل الاعجاز فما حاله حين رجع هذا الولد من المعركة وطلب منه جرعة من الماء، والحسين(عليه السلام)قادر لا شك على أن يعطيه ويسقيه إلا أن القضاء قد حال ذلك، إذن فما حال سيّد الشهداء (عليه السلام)وهو ينظر إلى ولده يلوك لسانه شدة العطش. وقد فتح (عليه السلام)لولده كفّيه وضمه إلى صدره وأخذ

من يقبله ويشمه ثم دفع إليه خاتمه الشريف وقال : أمسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك فإني أرجو أنك لا تمسى حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظماً بعدها أبداً ، ولدي عد بارك الله فيك إلى القتال، قال الحاج ملا محمد آل نتيف البحراني واصفاً حالة سيد الشهداء مع ابنه علي الأكبر عليهما الصلاة والسلام:

فتح كفينه الشبابه وضمه الصدره وقال *** يا هلا بالجاي ياللي زلزل اصفوف لبطل

صاح يابن البطل حامي الجار ممدوح الصفات*شوف يا مظلوم حالي حالة اصحاب الممات

صيد الملوک ابقتصها يا عمادي في الفلات ***ارنب وثعلب ينور العين يابه لو غزال

كلمن اينال العطيه ناح من سمعه وصاح ***قول واتمنى على اللي صار مكسور الجناح

قال انا ماريد منك ما سوى ماي القراح *** ابل كبدي من عطشها اتقطعت والجلد زال

حتى اضلوعه وقال مني الماي يالغالي اتريد *** اصطبر والماي أيش يالولد عنك بعيد

يا لولد مكتوب يابني تنذبح ظامي وشهيد *** يا حبيبي استخلف الله العمر متذوق الزلال

قال يا به الصبر مقدر قطع افواذي الظما*** جر ابو السجاد ونه ودفع لابنه خاتمه

وكبدته اتروى عطشها الشاب من حطه ابفمه*** وراذ يمشي وصاح للتوديع قوموا يا عيال

ويصف حالة على الأكبر(عليه السلام)وهو يلوك لسانه من شدة العطش الشاعر العراقي بقوله :

مض العطش بابن احسين الأكبر

اورد ايلوچ بلسانه او يفغر

يصيح ابصوت فت گلبي او شعبي *** يويه گوم ليه العطش ضرني

يويه درعي او طاسي بهضني *** يويه او نشفت ارياقني من الحر

يويه شربة امية لجبدي *** اتگوی ورد للميدان وحدي

يويه انفطر گلبي او حق جدي *** العطش والشمس والميدان والحر

يگله امنين اجيب الماي يا ابني *** مهو حچيك بهض حيلي او شعبي

اوقت روحي او حمس چبدي اوسليني *** يويه استخلف الله العمر واصبر

يگله والدمع يجري من العين *** يبعدي او بعد كل الناس يحسين

تگلي اصبر او گلبي صار نصين *** اشلون اصبر يويه والصبر مرّ

حن احسين ويلي او سال دمه *** حنا ظهره على ابنه او كسر ضلعه

دار ايده على اطواگه يودعه *** يشمه والعيون اتسيل محمر

تساييل يا دمع لوداع الأكبر

يگلي ذوب لوداعه او تقطر

يولي من تلاگو عند الوداع *** امشابك طول لمن هووا للقاء

لاع ابن لبيه والابو لاع *** على ابنيه يولي اوداع الاكشر

يشم احسين خد ابنه ويحبّه *** اودمعه مثل دمع ابنه يصبّه

والنار البگلب ابنه ابگلبه *** يخفيها على ابنه او نوب تظهر

يگله والدمع بالعين دفاق *** ابعبره امكسره او بگلب خفاق

يبويه او داعة الله هذا الفراق *** يبويه اشبيدنه هذا المقدر

يبويه للسيوف اسدر او للزان *** او لوح ابغاربه او شلش الميدان

يبويه اليوم مرواحك للجنان *** او بالكوثر يبويه اليوم تقطر

تحسر ويل گلبي او جذب ونه *** او من الماي آه انگطع ظنه

عرف لنّ المنية دنت منه *** خرد معه او للميدان سدر

وفي نفس الوصف لحالته عليه الصلاة والسلام يقول الحاج الأديب والعالم الفاضل ملاً عطية بن علي الجمري قدس الله سره عن لسان مولانا وسيدنا وحبیب قلوبنا علي الأكبر وهو يخاطب أباه الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله :

ادركني يبويه او جيب لي قطرة أميه *** رفر على راسي ترى طير المنية

يحسين يا اللي من تمسك بيك ما خاب *** يا مقصد الوafd وصنوة داحي الباب

اريد قطرة ماي قلبي من العطش ذاب *** او غارت اعيني واطلم الوادي عليه

غارت اعيني او نرف دمي كثر الجراح *** واتقطرت يا بوي كبدي والعزم راح

خل الدرع عني بهظني ثقل لسلاح *** حر الشمس ذوب افادي يا سفيه

لو تنظفي ابقطرة اميه نار قلبي *** محد كفو من هالجمع يوقف ابدربي

برد غليلي او عاين اطراذي او حربي *** لحمل على الجيمان حملة هاشميه

واصرخ وخلي الخيل تتكردس على الخيل *** وادعى النهار امن العجاج اظلم من الليل

واملي الوادي امن الجثث واجري الدما سيل *** وافني العدى واترك مضاربهم خليه

ضمه الصدره او صاح يا بني والدمع سال *** ابشر يعقلي كان مني طلبتك مال

وانكان قصدك ماي هذي طلبه محال *** اللي يجيب الماي ظل جسمه رميه

قله انفطر قلبي ومنك طالب الماي *** فرقت صمصوم العدى او لجايزه جاي

والجائزه شربت اميه تبرد احشاي *** اتحسر او قلله يا ضيا عيني اشبديه

ودّع خواتك والحريم او بالعجل روح *** يسقيك ابوك المرتضى يا مهجة الروح

اشبيدي بيويه او هالا مر مكتوب باللوح *** بالعطش كلنا ننذبح بالغازيه

وكأني بالامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام لم يزل قلبه مجروح وعينه مفتوحة ولكنه مع ذلك أشار إلى ولده علي الأكبر (عليه السلام) بالرجوع إلى الحرب

ص: 690

ولسان حاله يقول :

اسرج على ميمونك يا بني اوشن الغاره*** والماي جيبه للنساء هاليوم من حزاتك
وشال العلم وانتخي واعلى الأعادي صول*** مثل الاسد في اطراده او كالصقر لمن حول
الماء يبويه ايحيكم لو بالترب اتجدل*** مادام انا بيه النفس ما حد يطبّ خيماتك
صول ابعرصة كربلا او نار الوغى مشتبه*** كم من شجاع ضاري بالوهايد ايذبه
هذا او يسعر قلبه او كبده غدت ملتهبه*** واحسين ايشوف افعاله وايقول من حزاتك
دارت عليه الاعداء او ما هاب كثر العسكر*** مثل الوصي حملاته يوم عليهم كبر
خوض احصانه بالدماء أو خلا الجثث تتعتر*** يشبيه جدّي المصطفى سرتيني ابحملاتك
حاطت عليه العسكر او صال وحده فيها*** شبت عليه ابارها ما حد قدر يظفيها
ياليت جاله حيدر الجموع العدى يحميها*** لحد يحامي طيبه حرب الاعادي فاتك
او حين وقع في المعركة نادى يبويه ادركني*** اسهام العدى صابنتي واخيولهم داستني
او حين سمع منه الندى جاء السبط متعني** سرّيت قلبي في الحرب وابكيتني ابطعناتك

ص: 691

ويقال : إنه لما أن برز علي الأكبر عليه الصلاة والسلام كان الامام صلوات الله وسلامه عليه ينظر إليه ووجهه يتألأ فرحاً وسروراً لما يراه من بسالته وشدة ثباته وتقانيه في سبيل الله حيث قتل الشجعان ونكس راياتهم وحصد رؤوسهم وما فتأ وما انفك سيّد الشهداء(عليه السلام)في فرحه وسروره حتى برز إلى علي الأكبر(عليه السلام) بكر بن غانم .

الشيخ حسين العصفور(قدس سره)عن كتابه الفواح في بسالة مولانا علي الأكبر(عليه السلام)أنه قال : لما برز علي بن الحسين الأكبر (عليه السلام)وطلب المبارز فلم يبرز إليه أحد، فدعا لانا ابن سعد لعنه الله تعالى طارق بن كثير وقال له : تأخذ ما تأخذ من ابن زياد فاخرج إلى هذا الغلام وجئني برأسه فقال : أنت تأخذ ملك الري وأنا أخرج إليه فان ، تضمن لي إلى الأمير امارة الموصل أخرج إليه فضمن وأعطاه خاتمه ميثاقاً له، فخرج وقاتل قتالاً شديداً إلى أن ضربه علي بن الحسين(عليه السلام)ضربة منكرة فقتله، فخرج أخوه وضرب علي بن الحسين على عينيه فضربه علي بن الحسين(عليه السلام)ضربة فقتله، فلم يخرج بعد ذلك إلى علي بن الحسين(عليه السلام)أحد إلى أن نادي عمر بن سعد لعنه الله : ألا رجل يخرج إليه ؟فبادر إليه بكر بن غانم لعنه الله ، فلما خرج إليه تغير وجه الامام الحسين (عليه السلام)، فقالت أمه ليلي(عليه السلام) : يا سيدي هل أصاب ولدي شيء ؟ قال : لا ولكن قد خرج إليه من أخاف عليه منه فادعي له فإني قد سمعت من جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان دعاء الأم يستجاب في حق الولد، فكشف رأسها ودعت له و لعنت بكراً إلى أن جرى بينهما ما جرى وتعاركا معركة وقد انخرق درعه فضربه علي ضربة فقطعه نصفين.

وفي خبر: دعت ليلي بهذا الدعاء :يا راد يوسف على يعقوب من بعد الفراق وجاعله مسروراً في دهره، ويا راد إسماعيل إلى هاجر ، إلهي بعطش أبي عبدالله ، إلهي بغربة أبي عبدالله ، امنن علي بردّ ابني علي سالماً .

طبتِ الخيمه وظلت تسأل الله أم الشباب*** والذوايب نشرتها والمدامع كالسحاب

يا عظيم المن يا حنان يا حي يا قريب*** أسألك يا رب يا من دعوة الداعي يجيب

ترحم ابحال الحزينه وترحم ابحال الغريب** أبو اليمه احسين وحده ظل ما عنده اصحاب

يا مزيل اهموم يعقوب يسمع الدعا*** غير لكبر ولد مالي بالسلامة ترجعه

چبدتي بسهام فرقا هالشباب امقطعه*** وارحم الوالي على افراقه انفطر قلبه وذاب

واستجاب الله دعاها لن صرخه منكره*** زلزلت لافاق كلها مثل صرخة حيدر

وحين سمع منه الندى جاه السبط متعني*** سریت قلبي في الحرب وابكيتني ابطعناتك

هذا وأمه ليلي عليها الصلاة والسلام تنتظر قدومه إليها كما مر عليك فيما تقدّم وقد دخلت خيمتها تدعو الله تعالى أن يرجعه عليها سالماً.

دخلت الخيمته الغريبه*** وتوسلت الى الله بحبيبه

وبالحسين وشما بيه مصيبه*** يا راد يوسف من مغيبه

أريدك علي سالم تجيبه

قال الله تعالى في كتابه المجيد: (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْتُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) (1).

جاء في كتاب « خُلفاء الرسول الاثنا عشر» لسيدنا الحجة العلم الفقيه الحاج

ص: 693

1- سورة الأحزاب : 15

السيد الأستاذ محمد علي نجل آية الله الحاج محمد طاهر البحراني نقلاً عن كتاب البخاري في حديث عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله قال : يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم.

في كتاب البخاري نفسه كلمات جلية تنبئ بوضوح على أنّ الصحابة لم يكونوا كلهم على الصراط السوي الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بل أحدث معظمهم وارتدوا على أعقابهم القهقري ولم يخلص منهم إلا مثل همل النعم كما نص عليه حديث أبي هريرة - وإن الحدث الذي كان الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخافه على أمته ليس هو الشرك بالله بل المنافسة على الخلافة والسلطان المحمدي لأنه من أظهر المصاديق في ذلك ان أريد به الدنيا بالمعنى الأعم.

وسوف نستمع ما يدلّ على ذلك بأكثر مما ذكرنا هنا في الجلسات المقبلة إن شاء الله تعالى.

وهنا نقول : ياليتهم قد اكتفوا بانتزاعهم السلطان والخلافة من علي بن أبي طالب وأولاده عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ولم تصل أيديهم بسوء إليهم ، ولكن ويا للأسف بالاضافة إلى ذلك راحوا يسدون الأذية إليهم بدل العطف والمودة متناسين قوله تعالى :

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

ألم تعصر حبيبة الرسول فاطمة عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها أفضل الصلاة والسلام بين الحائط والباب ؟

ألم يكسر ضلعها ؟ ألم يطم وجهها ؟ فإلى الله المشتكى من أفعالهم الجريئة والله درّ مولانا الأعظم والامام الأكرم قدوة العلماء العارفين وفيلسوف الحكماء المتألهين الحاج الشيخ محمد حسين الأصفهاني (قدس سره) حيث وصف الحالة التي جرت على السيدة الجليلة (عليه السلام) عندما عصرت بين الحائط والباب بقوله :

وما أصابها من المصاب *** مفتاح بابه حديث الباب

ان حديث الباب ذو شجون*** مما به جنت يد الخؤون

أيهجم العدى على بيت الهدى*** ومهبط الوحي ومنتدى الندى؟

أيضرم النار بباب دارها*** وآية النور علا منارها

وبابها باب نبي الرحمة*** وباب أبواب نجات الأمة

بل بابها باب العلى الأعلى*** فثم وجه الله قد تجلّى

ما اكتسبوا بالنار غير العار*** ومن ورائه عذاب النار

ما أجهل القوم فإنّ النار لا*** تطفىء نور الله جلّ وعلا

وأنّ كسر الضلع ليس ينجبر*** إلا بصمصام عزيز مقتدر

إذ رض تلك الأضلع الزكية*** رزية لا مثلها رزية

ومن نبوع الدم من ثديها*** يُعرف عظم ما جرى عليها

وجاوز الحد بلطم الخدّ*** شلت يد الطغيان والتعدي

فاحمّرت العين وعين المعرفة*** تذرف بالدمع على تلك الصفة

ولا تزال حمرة العين سوى*** بيض السيوف يوم ينشر اللوى

وللسياط رنة صداها*** في مسمع الدهر فما أشجاها

الأثر الباقي كمثل الدمّالج*** في عضد الزهراء أقوى الحجج

ومن سواد متنها اسود الفضا*** يا ساعد الله الامام المرتضى

ووكز نعل السيف في جنبها*** أتى بكل ما أتى عليها

ولست أدري خبير المسمار*** سل صدرها خزانة الأسرار

وفي جنبين المجد ما يدمى الحشا*** وهل لهم إخفاء أمر قد فشا

والبابُ والجدار والدماء*** شهود صدق ما به خفاء

لقد جنى الجاني على جنبها*** فاندكت الجبال من جنبها

أهكذا يُصنع بابنة النبي *** حرصاً على الملك فيا للعجب

أتمنع المكروبة المقروحة*** عن البكاء خوفاً من الفضيحة

ص: 695

تالله ينبغي لها تبكى دماً*** مادامت الأرض ودارت السما

لفقد عزها أيها السامي*** ولا هتضامها وذلّ الحامي

نعم، لقد بكت السيدة الجليلة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام لفقد عزّها أيها السامي وسيطر الحزن عليها بسبب وفاة أيها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما قد تقدم بيانه في الجلسات المتقدمة.

وهنا زيادة على ما ذكرنا نستمع إلى فضة خادمة الزهراء(عليها السلام) تحدثنا عن فداحة ذلك الحزن الذي قد سيطر على السيدة فاطمة(عليها السلام) بسبب وفاة أيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت :

«ولما توفي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)افتجع له الصغير والكبير وكثر عليه البكاء، وعظم رزؤه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب، والغرباء والأنساب.

ولم تلق إلا- كل باك وبائية، ونادب ونادبة ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأقرباء والأحباب أشدّ حزناً وأعظم بكاءً وانتحاباً من السيدة الجليلة فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام وكان حزنها يتجدد ويزيد، وبكاؤها يشتدّ، فجلست سبعة أيام لا يهدأ لها، أنين، ولا يسكن منها الحنين، وكل يوم كان بكائها أكثر من اليوم الذي قبله .

فلما كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبراً إذ خرجت وصرخت، وضجّ الناس بالبكاء، فتبادرت النسوة، وأطفئت المصابيح لكيلا تبين وجوه النساء.

كانت السيدة فاطمة(عليها السلام) تنادي وتندب أبها قائلة: وا أبتاه!واصفياه! وا محمداه! وا أبا القاسماه! واربيع الأرامل واليتامى!

من للقبلة والمصلّى؟

ومن لابنتك الوالهة الثكلى؟

ص: 696

ثم أقبلت تعثر في أذيالها، وهي لا تبصر شيئاً من عبرتها، ومن تواتر دمعها حتى دنت من قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما نظرت إلى الحجرة وقع طرفها على المأذنة أغمي عليها، فتبادرت النسوة، فنضحن الماء عليها وعلى صدرها وجبينها حتى أفاق، فقامت وهي تقول :

رُفعت قوتي، وخانني جلدي، وشمّت بي عدوي، والكمد قاتلي.

يا أبتاه بقيت والهة وحيدة، وحيارنة فريدة. فقد انخمد صوتي، وانقطع ظهري، وتنغص عيشي، وتكدر دهري.

فما أجد - يا أبتاه - بعدك أنيساً لوحشتي، ولا راداً لدمعتي، ولا معيناً لضعفي، فقدت بعدك محكم التنزيل، ومهبط جبرئيل، ومحل ميكائيل.

انقلبت - بعدك - يا أبتاه الأسباب، وتغلقت دوني الأبواب، فأنا للدنيا بعدك قالية، وعليك ما ترددت أنفاسي باكية.

لا ينفد شوقي إليك، ولا حزني عليك.

إنّ حزني عليك حزن جديد*** وفؤادي والله صبّ عنيد

كل يوم يزيد فيه شجوني*** واكتابي عليك ليس يبيد

جلّ خطبي، فبان عني عزائي*** فبكائي في كل وقت جديد

إن قلباً عليك يألف صبراً*** أو عزاء فإنه لجليد

ثم نادى (عليه السلام).

يا أبتاه، انقطعت بك الدنيا بأنوارها، وذوت زهرتها وكانت ببهجتك زاهرة .

يا أبتاه، لازلت آسفة عليك إلى التلاق.

يا أبتاه، زال غمضي منذ حق الفراق.

يا أبتاه، من للأرامل والمساكين؟

ومنّ للأمة إلى يوم الدين؟

يا أبتاه، أمسينا بعدك من المستضعفين!

يا أبتاه أصبحت الناس عنا معرضين !

ولقد كنا بك معظمين في الناس غير مستضعفين !

فأي دمة لفراقك لا تهمل ؟

وأيّ حزن بعدك لا يتصل ؟

وأيّ جفن بعدك بالنوم يكتحل ؟

وأنت ربيع الدين، ونور النبيين .

فكيف بالجبال لا تمور ؟ وللبحار بعدك لا تغور ؟

والأرض كيف لم تنزل ؟

رُميّت - يا أبتاه - بالخطب الجليل

ولم تكن الرزية بالقليل .

وطرقتُ - يا أبتاه - بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول

بكتك - يا أبتاه - الأملاك

ووقفت الأفلاك .

فمنبرك بعدك مستوحش .

حراكك خال من مناجاتك .

وقبرك فرح بمواراتك .

والجنة مشتاقة إليك وإلى دعائك وصلاتك .

يا أبتاه، ما أعظم ظلمة مجالسك من بعدك !!

فوا أسفاه عليك إلى أقدم عاجلاً عليك .

وأثكل أبو الحسن المؤمن ، أبو ولديك الحسن والحسين وأخوك ووليك، وحبيبك، ومن ربّيته صغيراً وأخيته كبيراً .

وأحلى أحبابك وأصحابك إليك، من كان منهم سابقاً ومهاجراً وناصرأ .

والشكل شاملنا! والبكاء قاتلنا! والأسى لازمنا ثم زفرت وأنت أنيناً يحد

ص: 698

القلوب ثم قالت :

قلّ صبري وبان عني عزائي *** بعد فقدي لخاتم الأنبياء

إلى آخر الأبيات المتقدم ذكرها .

ثم أخذت بعد ذلك شيئاً من تراب قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعلت تشمه وهي تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد *** إن لا يشم مدى الزمان غواليا

وقد تقدمت هذه الأبيات فيما سبق أيضاً .

ثم رجعت إلى منزلها ، وأخذت بالبكاء والعيول ، وكانت - سلام الله عليها - معصبة الرأس ، ناحلة الجسم منهدة الركن باكية العين ، محترقة القلب يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة ؟ أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض ؟ لا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه، كما لم يزل يفعل بكما !! وهكذا كانت - سلام الله عليها - في بكائها في ليلها ونهارها حتى ضج أهل المدينة من ذلك وقالوا لأمر المؤمنين : قل لها تبكي بالليل وتهيد بالنهار أو تبكي بالنهار وتهيد بالليل.

ورحمة الله على هذا الشاعر البحراني الذي يصف لنا حالتها بقوله :

لهفي على بنت الرسول اعفيفة الذيل *** تجذب الونه او تنتحب وتصيح بالويل

لافي انهار اتهدد او تسكت ابليل *** اتنادي ألف وسفه على خير البريه

تجذب الونه او تنتحب وتصيح ياياب *** ياليت شخصي قبل شخصك بالثرى غاب

أو جسمي قبل جسمك اموارينه بلتراب *** او لا شوف هالحجره من انوارك خليه

او ما برحت الزهرا على بوها كئيبه *** تبكي او تحن او لابسه ثوب المصيبه

حتى تأذوا من بكائها اشيوخ طيبه *** وتنقصت قالوا معاشهم سويه

قالوا الحيدر قول للزهرا يكرار *** اما تنوح ابليل وتهيد بلنهار

والا ابتهار اتنوح لمصيبة المختار*** او بالليل لا تبكي ولا تنصب عزّيه

لمن ابو الحسنين خاطبها ابها الخطاب*** نادت يبو الحسنين يا زينة المحراب

أبدأ فلاهيد وأسمع ليهم اخطاب*** ويبكي على ابويه صباحي والمسيه

ما قصروا العدوان بالباب أعصروني*** لو كسروا بين عمي اضلوعي او سقطوني

واليوم ابكي لفقد ابويه او يمنعوني*** ما خافوا امن الله أو لا راعوا نبيّه

هيهات ما بطل ولا ينقطع نوحى*** ببكي على بويه لحتى اتروح روحي

قال الهائم احسين بتنوحين نوحى*** والامر الله يا بنت خير البريه

وكما ناحت السيدة الصديقة فاطمة الزهراء على أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد ناحت ليلى (عليه السلام) على شبيه رسول الله علي الأكبر (عليه السلام) وكيف لا تنوح وقد فقدت العزيز والحبيب الغالي والولد البارّ، والعزیز عند الحسين (عليه السلام).

ولقد كان الامام الحسين (عليه السلام) يحبه حباً شديداً بحيث إذا رآه فرح:

وسرّ سروراً عظيماً وإذا سأله حاجة لا يرده أبداً ولو على سبيل الاعجاز. وسمي علي الأكبر لأنه أكبر أولاد الحسين (عليه السلام)، لأن للحسين (عليه السلام) أولاداً ستة ثلاثة أسماؤهم علي وثلاثة أسماؤهم عبدالله وجعفر ومحمد كما ذكره أهل النسب فهو أكبر من علي الثالث.

وحال المحدّث المازندراني (رحمه الله) نقلاً عن شيخنا المفيد (رحمه الله) ما حرفيته: إنّ للحسين عليه الصلاة والسلام من الأولاد الذكور أربعة علي بن الحسين الأكبر كنيته أبو محمد وأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد، وعلي بن الحسين الأصغر قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفية، وجعفر بن الحسين (عليه السلام) وكانت وفاته في حياة الحسين (عليه السلام) ولا بقيّة له وأمه قضاعية، وعبدالله بن الحسين (عليه السلام) قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو في حجر أبيه فذبحه وأمه رباب بنت امرئ القيس .

قال المحدث المذكور بعد كلام تركناه خوف الإطالة: علي الشهيد كنيته أبو الحسن وعمره الشريف على قول المفيد : تسعة عشر سنة وأمه ليلي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وكان عروة أحد السادة الأربعة في الاسلام وقد أخذ علي بن الحسين (عليه السلام) الشرافة والسيادة من الطرفين.

ونقل المحدث المذكور أيضاً: عن كتاب نفس المهموم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة سادة في الاسلام بشر بن هلال العبدي، وعدي بن حاتم، وسراقة بن مالك المدلجي، وعروة بن مسعود الثقفي، وكان عروة أحد رجلين عظيمين في قوله تعالى حكاية عن كفار قريش وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلين من القريرتين عظيم) وهذا هو الذي أرسلته قريش للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية فعقد معه الصلح وهو كافر ثم أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوع المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) من الطائف واستأذن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالرجوع لأهله فرجع ودعا قومه إلى الاسلام فرماه واحد منهم بسهم وهو يؤذن للصلاة فمات.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما بلغه ذلك مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه . وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأيت عيسى بن مريم (عليه السلام) فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود .

وليلي أم علي (عليه السلام) أمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية المكناة بأمة شيبية فيكون معاوية لعنه الله تعالى خال ليلي أم علي الأكبر.

قال المحدث المذكور : وكان علي الأكبر عليه الصلاة والسلام شاباً حسن الصورة صبيح المنظر على وجه لا نظير له، وهو في الشجاعة مشهور، وكذا في سائر صفاته الكمال من الجلالة والعظمة والسخاء وحسن الأخلاق وغير ذلك، ركبته قرشية وشمائله مضرية قامته هاشمية غنية لذوي الاعتبار، وبغية لذوي الابصار.

ثم قال : وقد اختلفوا في سنّه الشريف.

فقال ابن شهر آشوب ومحمد بن أبي طالب : انه ابن ثمانى عشرة سنة .

وقال المفيد(رحمه الله) : ان له يومئذ تسع عشرة سنة ، وقيل : انه ابن خمس وعشرين سنة فيكون هو الأكبر ، وقال محمد بن إدريس وولد علي بن الحسين هذا في أول امارة عثمان ، وروى عن جده علي بن أبي طالب .

قال : واختلفوا أيضاً في انه هل هو أول شهيد من أهل بيت الحسين (عليه السلام) أو عبدالله بن مسلم وذهب إلى كل واحد منهما طائفة والظاهر أنه أول قتيل من الهاشميين ، ولما قتل أصحاب الحسين (عليه السلام) ولم يبق معه إلا أهل بيته ولم يبق معه إلا أهل بيته خاصة وهم ولد علي (عليه السلام) وولد الحسين (عليه السلام) وولد جعفر وولد عقيل اجتمعوا يودع بعضهم بعضاً وعزموا على الحرب فتقدم علي بن الحسين وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً وخلقاً فاستأذن أباه على القتال فأذن له .

وجاء في كتاب الدمعة: انه لما توجه إلى الحرب اجتمعت النساء حوله كالحلقة وقلن له : ارحم غربتنا ولا تستعجل إلى القتال فإنه ليس لنا طاقة على فراقك ، قال : فلم يجهد ويبالغ في طلب الإذن من أبيه (عليه السلام) حتى حتى أذن له ثم ودعه وتودع من الحرم وتوجه نحو الميدان .

وقال المحدث الحائري : ولما برز علي بن الحسين (عليه السلام) النظر إليه الحسين (عليه السلام) نظر آيس منه وأرخى عينيه وبكى ورفع سبابته أو شيبته الشريفة نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه ، اللهم امنعهم بركات الأرض وفرقهم تفریقاً ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قدداً ، ولا ترض الولاة عنهم أبداً ، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا ، ثم صاح بعمر بن سعد : مالك قطع الله رحمك ولا بارك الله لك في أمرك، وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ ثم رفع صوته وتلا(عليه السلام): (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ لَرَبِّهَا مِنْ

بَعْضِ وَاللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ثم حمل علي بن الحسين (عليه السلام) على القوم وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي *** نحن وبيت الله أولى بالنبي

أطعنكم بالرمح بالرمح حتى ينثني *** أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي *** والله لا يحكم فينا ابن الدعي

وشدّ على الناس مراراً وقتل منهم جمعاً كثيراً حتى ضج الناس من كثرة من قتل، وروي أنه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً، ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال (عليه السلام): يا أبا العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهدني فهل إلى شربة من الماء سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ يقول الرائي:

وقد غار عيناه لفرط ظمائه *** وفي القلب وقد والشفاه ذبول

فقال أبي روحي تطير من الظما *** وجسمي من ثقل الحديد نحيل

فبكى الحسين عليه الصلاة والسلام فقال: واغوثاه يا بني يعزّ علي محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعليّ أن تدعوهم فلا يجيبوك فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك يا بني قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تنظماً بعدها أبداً ولدي عد بارك الله فيك - إلى القتال - فرجع (عليه السلام) وهو يقول:

الحرب قد بانّت لها الحقايق *** وظهرت من بعدها مصادق

والله ربّ العرش لا تفارق *** جموعكم أو تغمد البوارق

فلم يزل يقاتل حتى قتل تمام المائتين وكان أهل الكوفة يتقون قتله، فبصر به مرة بن منقذ بن النعمان الليثي لعنه الله فقال: عليّ اثم العرب إن مر بي وهو يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أتكلم اباه فمر يشدّ على الناس بسيفه فاعترضه اللعين مرّة بن منقذ بطعنه فانصرع واحتواه الناس، وعلى رواية: ثم ضربه منقذ بن مرة العبدي على مفرق رأسه ضربة صرخته وضربه الناس بأسيافهم، ثم اعتنق فرسه فاحتمله الفرس إلى معسكر الأعداء فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً، فلما بلغت الروح التراقي قال

رافعاً صوته : يا أبتاه هذا جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً ، وهو يقول : العجل العجل فإنّ لك كأساً مذخورة حتى تشربها الساعة.

وقال أبو الفرج: وجعل يكركرة بعد كرة حتى رمي بسهم في حلقه فخرقه وأقبل يتقلب في دمه .

وجاء في البحار أنّ الحسين (عليه السلام) صاح عليه ووضع خده على خده، وفي كتاب روضة الصفا: رفع الحسين (عليه السلام) صوته بالبكاء ولم يسمع أحد إلى ذلك الزمان صوته ، وقال: قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول؟ وانهملت عيناه بالدموع ثم قال الله : على الدنيا بعدك العفا .

وفي المقاتل : لما قتل علي بن الحسين (عليه السلام) صرخن النساء بالبكاء والنحيب أن ، فصاح بهنّ الحسين (عليه السلام) أن اسكتن فإن البكاء أمامكن ، وجعل (عليه السلام) يتنفس الصعداء. قال : ثم دعا ببردة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلبسها وأفرغ على نفسه درعه الفاضل وتعمم بعمامة السحاب وتقلد بسيفه ذي الفقار واستوى على ظهر جواده وحمل على القوم وفرقهم عنه وأخذ رأسه ووضعها في حجره ، وجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه وهو يقول: يا بني لعن الله قاتلك ما أجرأهم على الله ورسوله ، وهملت عيناه بالدموع.

ثم إنه (عليه السلام) الوضع ولده في حجره وقال : يا ولدي أما أنت فقد استرحت من هم الدنيا وغمّها وصرت إلى روح وريحان وجنة ورضوان، وبقي أبوك لهما غمها فما أسرع لحوقه بك.

وجاء في كتاب البحار : قال حميد بن مسلم : فكأنني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة تنادي بالويل والثبور وتقول: يا حبيباه، يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه، يا أخياه، وابن أخياه، واولداه (واقتيلاه ، واقلة ناصراه، واغريباه، وامهجة قلباه، ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء، ليتني وسدت الثرى، وجاءت وانكبت عليه فجاء

الحسين (عليه السلام) فأخذ بيدها (1).

ونقل المازندراني : وستر وجهها بعبائه وألقى عباءته عليها فردها إلى الفسطاط.

نادى عليك سلام الله يا أبتا*** فجاء يعدو فألفاه على رمق

نادى عليه على الدنيا العفا وغدا*** مكفكفاً دمه الممزوج بالعلق

جاورت ربك يهنيك الجوار وقد*** خلفت جاري دمعي من جوى الحرق

قد استرحت من الدنيا وكربتها*** وبين أهل الشقا فرداً أبوك بقى

من بعدك اسود وجه الأرض في نظري*** يا نيراً فيه تجلى ظلمة الأفق

لم أنس إذ ولي الجواد مبادراً*** ينحو العداة به لذاك العسكر

فاستقبلوه وقطعوا جثمانه*** إرباً فأرباً بالسيوف البتر

شبك علمه لباله يوديه*** لبوه احسين عن القوم يحميه

اويلي المهر للعدوان فربيه*** ووجب آه بموسط العسكر

داروا بالسيوف عليه والزان*** مثل چتال سبع المات فرحان

عسى ابعيد البلا وليته العدو ان*** ارذال او بالمعايب دوم تفخر

هذا يقطع ابي سيفه ويريده*** او هذا بالخناجر فصل ايده

وهذا يغط من رمحه الحديدية*** ابخاصرته وهو يعالج ويفغر

تكل بيه الطبر وتلوج روحه*** او محد عرف غير الله اجر وحه

دماياته على احصانه سفوحه*** لما خر ابهناديها اموذر

ناده يا حسين هذا الساع جدي*** سگاني الما واروه عطش چبدي

يگول اسرع تراك اليوم عندي*** اجاه يصيح بيني الله واكبر

اويلي احسين صاح الله واكبر

1- ما بين القوسين منسوب إلى رواية أبي مخنف .

يبوي ليش هالنومه ابها الحر

گعد عنده او شافه مغمض العين *** ابدمه سابح امترب الخدين

متوصل طبر والراس نصفين *** حنا ظهره على ابنيه او تحسّر

يبوي گول منهو الشرك راسك *** ينور العين من خمد انفاسك

يعگلي من نهب درعك وطاسك *** يروحي اشلون اشوفتك مطبر

يبوي من عدل راسك ورجليك *** او من غمض عيونك واسبل ايديك

ينور العين كل سيف وصل ليك *** گطع گليبي او لعند احشاي سدر

يبوي من سمع يمك ونينك *** او من شبحت لعند الموت عينك

للعشرين ما وصلن سينك *** او حاتفني عليك الدهر الاگشر

أريد امسح اجر وحك وشم خدك *** وحط صدري على صدرك وراسك

يبوي شرف لاچن حرم جدك *** وجت زينب تصيح الله واكبر

اجت زينب تصيح الله واكبر

يبوي ليش هالنومه ابها الحر

هوت فوگه تشم خده او تحبه *** او تطبك طبرة الراس او تعصبيه

او تسفر زيچ ثوبه او تجس گلبه *** بلكت دمه من افواده يفور

يويلي ولولت واحنت ظهرها *** نخمش اخدودها او تحلج شعرها

او تدك ابراسها وتلطم صدرها *** او تنعي بصوت طر گلب الصخر طر

يشمس الكيض يملهب وهجها *** بيدر التم يلمطفي سرجها

يسم الخيل يلمعثر مرجها *** اشلون امن السرج تشلع وتخر

ينجم اسهيل يلحامي الشرايع *** يا جرناس يمعذب البراجع

يشبل الموت يمكدر الغلايع *** اشلون امسيت للنساب مكور

أقول والدمع من عيني منسجم ***لما رأيت جدار القبر يُستلم
والناس يغشونه بالكِ ومنقطع ***من المهابة أو داعٍ فلمتزمُ
فما تماكنت أن ناديت من حرق ***في الصدر كادت لها الأحشاء تضطرم
يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ***فطاب من طيبهن القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ***فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وفيه شمس التقى والدين قد غربت ***من بعد ما أشرقت من نيرها الظلم
حاشا لوجهك أن يبلى وقد هديت ***في الشرق والغرب من أنواره الأمام
فإن تمسك أيدي التراب لأمسة ***فأنت بين السماوات العلى علمُ
لقيت ربك والإسلام صارمه ***ماضٍ وقد كان بحر الكفر يلتطم
فقمتم فيه مقام المرسلين إلى ***أن عزّ فهو على الأديان محتكمُ
لئن رأيناه قبراً إنَّ باطنه ***لروضة من رياض الخلد تبتسم
طافت به من نواحيه ملائكة ***تغشاء في كل يوم وتردحم
لو كنت أبصرته حيناً لقلت له ***لا تمشي إلا على خدي لك القدم (1)

نعم، إنَّ للحقيقة المحمدية من الكمالات الروحية والخُلُقِية والأخلاقية ما لا يمكن لأحد من البشر أن يدركها غير المعصوم.

ص: 707

من هنا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) : يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا، ولا يعرفني إلا الله وأنت.

فلا يعرف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حق معرفته إلا الإمام المعصوم لذا قال هذا الشاعر الجليل وهو يصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويصف قبره الشريف المبارك بقوله :

لئن رأيتاه قبراً إن باطنه*** لروضة من رياض الخلد تبسم

إنه يقول ما معناه : إنك لترى في الظاهر أن قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبراً مثل سائر قبور البشر هذا في الظاهر ولكن في الحقيقة والواقع ان ذلك القبر الشريف روضة من رياض الجنة ولو كشف لك عن بصرك لرأيت الملائكة تغشاة من كل نواحيه . أقول : وهناك قبراً آخر أيضاً تغشاه ملائكة الله من كل نواحيه - أنه - قبر سبطه وريحانته أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

يقول : إمامنا الصادق (عليه السلام) : إنه نزل من السماء أربعة آلاف من الملائكة لنصرة الحسين (عليه السلام) وهم لا يزالون عند قبره يستغفرون لزواره ومحبيته ويصافحون زواره في كل صباح ومساء.

فهنيئاً لزوار الحسين (عليه السلام) في كل وقت يقصدون زيارته وبالخصوص الذين يزورونه ليلة الجمعة حيث يجتمعون في معية الملائكة والأنبياء ويكونون أيضاً في معية مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنه يأتي أيضاً ليلة الجمعة إلى كربلاء لزيارة جدّه الحسين (عليه السلام) ويقف عند القبر ويقول : السلام عليك يا جداه فلئن أخرتني الدهور أو عاقني عن نصرتك المقدور فلأندبنك صباحاً ومساءً وأبكينّ عليك بدل الدموع دماً ، ثم يمد يده المباركة إلى داخل القبر الشريف ويستخرج منه عبد الله الرضيع وهو عجل الله تعالى فرجه باكياً منتخباً، فتصيح الملائكة والأنبياء ويعلو الصراخ والبكاء والنحيب والجدير بالذكر أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بكى أيضاً لأنه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) من جملة الأنبياء أيضاً الذين يكونون ليلة الجمعة عند الحسين فقد بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما نظر إلى طفل ولده

الحسين(عليه السلام) لذلك الطفل المخضب من دم ،وربده والله در بعض المحيين وهو يرثي طفل الحسين عندما يتصوّر بكاء الرسول والأنبياء والملائكة وضجيجهم لروح ذلك الطفل فهو يقول والعين باكية .

إليك أيا جفني اكتحل مرود السهد*** فلا ذقت نوماً أو اوسد في اللحد

أطلب عيني طيب نوم ودونه*** لواعج أحزان تاجج في كبدي

فيا أدمعي انهلي ويا حرقني اشعلي*** ويا عمد السلوان مّي الا انهدي

ولايمة فيما رأّت بي من الضنى*** تقول الا تسلو فما طال ما تبدي

فقلت لك الويلات حزني مبرح*** ووجدني مدى الأيام لازال ذا وقد

وإنّي وإن كنت القتيل صبابة*** فلم يشجني رسم لمي ولا دعد

ولم يتطربني غزال مخضب*** بهي يزدري حسن الغزالة بالجعد

ولم يصيب قلبي نحو هيفاء غصّة*** جداية جيد تنشي لجنى الورد

ولم أتولّع في محاسن ربرب*** بريقتها طعم السلافة والشهد

خذول نعاطي ناظرها التفاتة*** مداماً بها النسيك يمشي بلا رشد

بمبسمها شهد وسيف بطرفها*** فألفاظها تحيي وألحاظها تردي

فإن واصلت شطت وإن قطعت سطت*** وإن عاهدت جدت عرى موثق العهد

ولم يبكني ذكرى حبيب ومنزل*** بسقط اللوا كلا ولا ساكني نجد

ولا عصبه سارت مع الليل عيسهم*** لحزوي بأقمار المحاسن والسعد

ولكن لأنف المجد جد وللعللا*** علاها الأسي من بعد واسطة العقد

على قمر أوداه كسف بكر بلا*** وخسف دعاه دامى النحر والخذّ

على الكوكب الدرّي أنيخ بنينوى*** بسهم برى منه الوريد على عمد

على مرضع بالطف مات على الطوى*** ثلاثاً ولم يفطم بغير الردى المردي

على الطفل عبدالله غيل على ظما*** ولم تطف منه غلّة القلب والكبد

على الطفل عبدالله في رزؤ فقهه*** غدا فلك العليا يحاول للمهد

ص: 709

على الطفل مذبحاً بكت فاطم له *** ووالدها والمرضى هازم الجند
على الطفل مرضوعاً بقاني دمائه *** بسهم أراشته يد الظغن والحدق
فإن أنس لن أنسى ذكا الحلم والحجي *** وكعبة وفد القاصدين إلى الرقد
غداة به للقوم أقبل يستقي *** له عذب ماء حلّ للحر والعبد
كان أباه البدر يحمل كوكباً *** أو الشبل في حضن الغضنفة الورد
فوفاه سهم زاح منه حشى الهدى *** حريجاً جواباً منهم من يدي وغد
وظل أبو الارزاء يلقف دمه *** ويقذفه نحو السما بيد المجد
ويعلن بالشكوى إلى الله تأثراً *** من العين ذرّ الدمع منترء العقد
وجاء به نحو الخيام ولونه *** كسى من دماه صبغة الشيخ ولرند
فمذ عاينته زينب اعولت أسي *** وأنت أنيناً فت للحجر الصلد
وألوت عليه أمّه جيدها لكي *** يقبل منه النحر من شدّة الوجد
تخاطبه من ذا سقاك بسهمه *** ذعاف الردى ظلماً أياً فلذة الكبد
فياليت كأس الموت قبلك ذقته *** ولا نظرت عيني اضطرابك في المههد
وياليت أمي لم تلدني ولم أكن *** أراك ذبيحاً دامى النحر والخدّ
عقيبك أيامي بني ماتم *** وعيدي بلا أنس وعيشي بلا رغد
أيا كوكباً كنا بنور جبينه *** إذا ما ادلهمت دجنة فيه نستهدي
ويا قمراً لما تكامل نوره *** وتمّ اكتسى من خسفه حلّة الفقد
ويا شمس انس غاب عني فبعده *** نهاري ليل والدجى ظلمة اللحد
بنيّ فلو أنّ المنية تفتدى *** فديتك بالنفس العزيزة والولد
وقال آخر:

له الله مفطوراً من الصبر قلبه *** ولو كان من صمّ الصفا لتفطرا

ومنعطفاً أهوى لتقبيل طفله*** فقبل منه قبلة السهم منحراً

قال المحدث المازندراني رضوان الله تعالى عليه : إنّ الحسين عليه الصلاة

ص: 710

والسلام قال لزينب بعد قتل الرضيع خذيه ثم تلقى الدم بكفّيه .

وقال في موضع آخر : إنه(عليه السلام)توجّه نحو القوم قبل شهادة الرضيع وقد كان الرضيع محمولاً على يده الشريفة فلما أن توسّط القوم قال(عليه السلام) : يا قوم قد قتلتم أخي وأولادي وأنصاري وما بقي غير هذا الطفل وهو يلتقى عطشاً من غير ذنب أتاه إليكم فاسقوه شربة من الماء.

ونقل المحدث المذكور عن كتاب نفس المهموم: انه(عليه السلام) قال : يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل، ثم قال : وفي كتاب الناسخ : انه (عليه السلام)قال : يا قوم لقد جفّ اللبن في ثدي أمه فبينما هو يخاطبهم إذ أتاه سهم مشؤوم من ظالم غشوم وهو حرمة بن كاهل الأسدي لعنه الله فذبح الطفل من الوريد إلى الوريد أو من الأذن إلى الأذن، فجعل الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام يتلقى الدم حتى امتلأت كفّه الشريفة رمى به إلى السماء وجعل يقول : اللهم إني أشهدك على هؤلاء القوم فإتّهم نذروا أن لا يتركوا أحداً من ذرية نبيك.

وفي تظلم الزهراء : وضع كفّيه الشريفتين تحت نحر الصبي ثم قال : يا نفس اصبري واحتسي فيما أصابك إلهي ترى ما حلّ بنا في العاجل فاجعل ذلك ذخيرة لنا في الآجل. قال المحدث المذكور : نقلاً عن كتاب نفس المهموم ان الامام الحسين(عليه السلام)جعل يبكي ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، فنودي من الهواء: يا حسين دعه فان له مرضعاً في الجنة ثم قال ورماه حصين بن تميم لعنه الله بسهم فوقع في شفّتيه فجعل الدم يسيل من شفّتيه وهو يبكي ويقول : اللهم أشكو إليك ما يفعل بي وبإخواني وولدي وأهلي، ثم رجع بالطفل مذبوحاً ودمه يجري على صدره فألقاه في الخيمة وبكى عليه وأنشأ يقول :

يا رب لا تتركني وحيداً***فقد ترى الكفار والجحودا

قد صيرونا بينهم عبيداً***يرضون في فعالهم يزيدا

أما أخي فقد قضى شهيداً*** معفراً بدمه فريداً

في وسط قاع مفرداً بعيداً*** وأنت بالمرصاد يا مجيداً

وفي خبر : استقبلته سكينه وقالت : يا أبة لعلك سقيت أخي الماء فبكى الحسين (عليه السلام) وقال : بنية هاك أخاك مذبوحاً بسهم الأعداء ولنعم ما قاله الجمري:

شال فله احسين بيده ايخاطب اجموع العدى*** هذا اطفلي يموت ظلمي او ذنب منه ما سدى

ويح قلبي من رفع طفله مقمط واعتنا*** ايصيح كان الذنب مني هذا طفلي ما جنى

عجلوا له ابقطرة امية ترى عمره دنا*** امن الظمايا يا بس لسانه والكبد متمردة

صاح ابن سعد الرجس يا حرمة رد الجواب*** لا يكون الطفل يرجع بالسلامه للطناب

شوف نحره ايلوح مثل البدر ما بين السحاب*والرجس ما لان قلبه او طوقه ابسهم الردى

فرفرت روحه اوفك ابوجه ابوه اعوينته*** او ذاب قلب احسين من شافه املولح رقبته

وانحنا يشمه ابنحره او غسل دمه ابدمعتة*** او رجع وادموعه يهلها وجت سكنه اتناشده

اتصيح بويه اسقيت اخي وجيتني ابفاضل الماي*** بالعجل برد غليلي امن الظما ذايب احشاي

خان بي دهري اشبيدي اعلى الذي يروى ظماي*** جذب حسرة او حط اخوها بين ايديها او مدده

ص: 712

قالت اشصاير ابخي اتمدده فوق الثرى ***قال انا لا تنشدني او شوفي ابحاله اشجری
صدت اولنه امفارق والأوداج امهبره ***صرخت او نادت يخويه اشهالذنب منك سدى
از غير او نحت جسمي ونتك والقلب ذاب ***وسفه يمدلل يضل معفور خدك بالتراب
الرضيع ابعجل قومي وافرشي له يا رباب ***ذايب امن الشمس خده او ساده جيبي انوسده
طلعت امه امن المصيبة تصرخ بحال فضيع **طفل او مخضب ابدمك آه يعبدالله الرضيع
ردتك التالي زمني لا أضل حرمة وضيع ***كان ليه اتصير سلوه ريت روحي لك فدى

ص: 713

أهم مصادر الكتاب

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - الأخلاق الإسلامية.
- 3 - الأزهار ، لفرج العمران .
- 4 - أشعة البيت النبوي ، للشيخ عبد المنعم الزين .
- 5 - الأضواء الإسلامية، لعدة من العلماء.
- 6 - إعلام الوري بأعلام الهدى لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي.
- 7- تفسير الصافي للفيض الكاشاني.
- 8- تفسير الصراط المستقيم، لآية الله البروجردي .
- 9 - تفسير الكاشف ، لمحمد جواد مغنية .
- 10 - تفسير من وحى القرآن للسيد محمد حسين فضل الله .
- 11 - تفسير الميزان ، للسيد العلامة الطباطبائي .
- 12 - تفسير نور الثقلين، للحويزي .
- 13 - ثم اهتديت ، للدكتور محمد التيجاني السماوي.
- 14 - جواهر الأفكار، لملا علي آل انتيف.
- 15 - حديث حول الجبر والتفويض ، للمؤلف .
- 16 - حق اليقين، للسيد عبد الله شبر .
- 17 - خلفاء الرسول الاثنا عشر للعلامة السيد محمد علي السيد محمد طاهر البحراني.

- 18 - الدنيا الفانية، للمؤلف .
- 19 - ديوان ، الحاج ملا عبدالحسين العرادي البحراني .
- 20 - ديوان ، الملا محمد آل انتيف .
- 21 - ديوان ، الشيخ حسن الدمستاني البحراني .
- 22 - ديوان ، السيد رضا الهندي .
- 23 - ديوان ، الشيخ علي بن حسن الجشي .
- 24 - ديوان ، الشيخ عبد العظيم الربيعي .
- 25 - ديوان ، الشيخ محمد علي اليعقوبي .
- 26 - ديوان ، الحاج ملا علي آل انتيف .
- 27 - ديوان ، الحاج ملا عطية بن علي الجمري .
- 28 - ديوان شعلات الأحران، لملا علي البحراني .
- 29 - ديوان عرائس الجنان للسيد محمد صالح البحراني .
- 30 - ديوان فوز الفائز ، للملا علي بن فايز .
- 31 - رياض المدح، لعدة من الشعراء .
- 32 - سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لعبد الهادي الصباغ .
- 33 - الغدير للعلامة الأميني .
- 34 - فاطمة الزهراء (عليها السلام) من المهد إلى اللحد، للسيد محمد كاظم القزويني .
- 35 - فضل العلم والعالم للمؤلف .
- 36 - المجالس السنوية في مناقب ومصائب العترة النبوية، السيد محسن الأمين العاملي .
- 37 - مجلّة جامعة النجف ، لعدة من العلماء .
- 38 - محمد وعلي وبنوه الأوصياء (عليهم السلام) ، النجم الدين العسكري .

- 39 - معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين (عليهم السلام)، للمحدث الشيخ محمد مهدي المازندراني .
- 40 - مفتاح القواعد - أرجوزة في علم الكلام، للشيخ عباس الجابري الناصري.
- 41 - مقتل الشهيد ، للسيد هادي المدرسي.
- 42 - ملحمة الفرطوسي، للشيخ عبد المنعم الفرطوسي .
- 43 - مناقب آل أبي طالب (عليه السلام)، لأبي جعفر رشيد الدين محمد بن شهر آشوب المازندراني .
- 44 - المنتخب ، للطريحي.
- 45 - منظومة، للشيخ محمد الأصفهاني.
- 46 - منظومة شهداء الطفّ، للمؤلف.
- 47 - نهج البلاغة ، جمع السيّد الرضي .

المحتويات

المقدمة...5

القسم الأول

الجلسة الأولى: مولد النور...13

في ذكرى مولد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)...13

الجلسة الثانية: مولد الهدى...35

مولد النور...37

النسب الشريف...38

أيام المهد والطفولة...39

الجلسة الثالثة: مولد الرحمة...59

القسم الثاني

الجلسة الرابعة: في ذكرى مبعث الهدى...81

حجر على كل نبي وولي...95

الجلسة الخامسة: في ذكرى مبعث النور...105

الجلسة السادسة: في ذكرى مبعث الرحمة...131

القسم الثالث

الجلسة السابعة في ذكرى...155

معراج النور إلى السماء...155

الجلسة الثامنة: في ذكرى الإسراء...177

ومعراج الهدى إلى السماء...177

ص: 719

الجلسة التاسعة: في ذكرى معراج الرحمة...197

الجلسة العاشرة: في النبوة العامة...221

ونبوة نبينا محمد بن عبد الله(صلى الله عليه وآله وسلم)...221

الجلسة الحادية عشر: في بيان طريقة الارسال والدليل عليه...269

الجلسة الثانية عشر: في فضل النبي والأئمة اللا على الملائكة...293

القسم الرابع

الجلسة الثالثة عشر : في تنزيه الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) عما لا يليق به

319...

الجلسة الرابعة عشر...343

الجلسة الخامسة عشر...375

الجلسة السادسة عشر...417

الجلسة السابعة عشر...461

الهجرة المباركة والوداع...486

مبيت علي الله على فراش النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)...486

حديث دخول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)في الغار...487

دخول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مدينة يثرب...488

الجلسة الثامنة عشر...519

الجلسة التاسعة عشر...551

الجلسة العشرون...585

الجلسة الحادية والعشرون...607

الجلسة الثانية والعشرون...643

الجلسة الثالثة والعشرون...677

الجلسة الرابعة والعشرون...707

أهم مصادر الكتاب...715

ص: 720

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩